

نَهَائِيَّةُ الرَّبِّ

فِي

فُتُورِ الْأَرْبَابِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء التاسع عشر

تحقيق

محمد أبو فضل برهيم

معين التارخ
لأهل التارخ



المكتبة الوطنية والارشيف الإسلامية للجمهورية الإسلامية الإيرانية

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

يقدِّمها

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

بالاشتراك مع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

هذا هو الجزء التاسع عشر من كتاب « نهاية الأرب » لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تصدره الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بعد أن أصدرت دار الكتب منه ثمانية عشر جزءا .

ويشتمل هذا الجزء على تاريخ الثلاثة الأوائل من الخلفاء الراشدين : أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وذكر صفاتهم ومناقبهم والأحداث التى عاصرت حياتهم ، والفتوح التى كانت فى أثناء خلافتهم .

وقد سرت فى تحقيقه على المنهج الذى سار عليه القسم الأدبى بدار الكتب فيما أخرج من أجزاء ؛ من الاعتماد على ما يقابل كل جزء من النسخ المخطوطة والمصورة بها .

وقد وافق هذا الجزء من هذه النسخ نسختان :

الأولى : النسخة المصورة عن مكتبة كبريلى بالأستانة ، وهى نسخة كاملة تقع فى واحد وثلاثين جزءا ؛ محفوظة بالدار برقم (٥٤٩ - معارف عامة) .

والثانية : نسخة مصورة عن نسخة محفوظة بمكتبة أياصوفيا بالأستانة ، وهذه النسخة كسابقتها تقع فى واحد وثلاثين جزءا أيضا . ويظن أنها بخط المؤلف ؛ إلا أنها نسخة ناقصة ، والأجزاء الموجودة منها بدار الكتب ثمانية عشر جزءا غير متصلة ، محفوظة بدار الكتب برقم (٥٥١ - معارف عامة)

وقد سبق أن وُصفت هاتان النسختان في مقدمة الجزء السادس عشر :
وقد رمزت إلى النسخة الأولى بالحرف (ك) وإلى الثانية بالحرف (ص) .
وقد رجعت في التحقيق أيضا إلى تاريخ يعقوبى ، وتاريخ الطبرى ،
والمسعودى ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وكتاب الرياض النضرة للمجب
الطبرى ؛ إذ كانت هذه الكتب هي المادة نقل عنها المؤلف في هذا الفن ؛
فن التاريخ .

ووشيت حواشيه بالقدر من التعليقات الذى يعين على تحرير النص وفهمه .
وأسأل الله أن يوفق لإتمام نشر بقية أجزائه وطبعها ، كما أسأله جل شأنه
أن يجعل هذا العمل نافعا مقبولا .

محمد أبو الفضل إبراهيم

{ ٢٠ } تَمَّةُ الْعَيْنِ الْخَامِسُ مِنَ التَّارِيخِ { ٥ }

{ ٢١ } تَمَّةُ الْقِسْمِ الْخَامِسُ مِنَ الْعَيْنِ الْخَامِسِ

مِنْ إِخْبَارِ الْمَلِكَةِ الْأَيْلِيَّةِ { ٦ }

١١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ يَسِّرْ وَلَا تَعَسِّرْ ، وَاخْتِمْ بِخَيْرَاتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .

الباب الثاني من القسم الخامس

في أخبار الخلفاء الراشدين

أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي
ابن أبي طالب ، وأيام الحسن بن علي رضوان الله عليهم أجمعين

ذكر خلافة أبي بكر الصديق

وشىء من أخباره وفضائله

هو أبو بكر ، واسمه عبدُ الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تميم^(١) بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، ومُجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرة بن كعب . وأمه سَلْمَى - وكنيتها أُم الخير - بنت صخر بن كعب بن سعد ابن تميم^(١) بن مرة ، وهى بنت عمِّ أبيه .

وكان رضى الله عنه يُنَعَت بِعَتِيق ، وقد اختلف فى سبب نعته بذلك ؛ فقال اللَّيْث بن سعد ، وجماعة معه : إنما قيل له عَتِيق لجماله وعَتَاقه وجهه .

وقال مصعب الزُّبَيْرِيّ وطائفة من أهل النسب : إنما سُمِّيَ عَتِيقاً لَأَنَّهُ لم يكن فى نسبه شىء يُعَاب .

وقال آخرون : كان له أخوان : أحدهما بِسْمَى عَتِيقاً ، والآخر عَتِيقاً ، مات عَتِيق قبله ، فسميَ باسمه .

وروى عن موسى بن طلحة ، قال : سألتُ أبى طلحة بن عبيد الله ، قلت له : يا أبت ، بأي شىء سُمِّيَ أبو بكر عتيقاً ؟ قال : كانت أمه لا يعيشر لها ولد ، فلما ولدته استقبلت به البيت ، وقالت : اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لى .

(١) ك : ه تميم ، وصوابه ما أثبتته من ص .

وقال آخرون : إنما سُمِّيَ عَتِيقًا لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا » ، فَسُمِّيَ عَتِيقًا بِذَلِكَ .

وروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قالت : لَأَنِّي لَفِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْحَابِهِ بِالْفِئَاءِ ؛ وَبَيْنَهُمُ السُّتْرُ ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا » .
قالت : وَإِنَّ اسْمَهُ الَّذِي سَمَّاهُ أَهْلُهُ لَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَانَ ، وَسُمِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالصَّدِيقِ ؛ لِمَبَادَرَتِهِ إِلَى تَصْدِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ .

وقيل : بَلْ قِيلَ لَهُ الصَّدِيقُ ؛ لِتَصْدِيقِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَبَرِ الْإِسْرَاءِ .

وقال أَبُو مِخْجَنٍ الثَّقَفِيُّ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَسُمِّيَتْ صِدِّيقًا ، وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سَوَاكَ تَسْمَى بِاسْمِهِ غَيْرَ مَنْكَرٍ ^(١)
سَبَقَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ شَهِدٌ ، وَكُنْتُ جَلِيسًا بِالْعَرِيشِ الْمَشْهُرِ
وَبِالْغَارِ إِذْ سُمِّيَتْ بِالْغَارِ صَاحِبًا وَكُنْتُ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ
يَعْنِي بِقَوْلِهِ : « بِالْعَرِيشِ » فِي يَوْمِ بَدْرٍ ؛ لِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ ؛ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِيهِ غَيْرُهُ .
وَبِقَوْلِهِ :

• وَبِالْغَارِ إِذْ سُمِّيَتْ بِالْغَارِ صَاحِبًا •

قوله تعالى : ﴿ثَانِيَّ أَتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ . (١)

* * *

ولنبداً من أخباره رضى الله عنه بذكر شيء من فضائله ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

ذكر نبذة من فضائل أبى بكر الصديق

وماثره فى الجاهلية والإسلام

كان رضى الله عنه فى الجاهلية وجيهاً ، رئيساً من رؤساء قريش ، وإليه كانت الأشناق فى الجاهلية - والأشناق الدييات - فكان إذ حمل شيئاً قالت فيه قريش : صدقوه ، وامضوا حمالته (٢) وحمالة من قام معه أبو بكر ، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه .

وكان رضى الله عنه ممن حرم الخدر على نفسه ، وتنزه عنها فى الجاهلية ، وكانت أشراف قريش تختلف إليه وتزوره ، وتستشيره وتفتدى برأيه ، وتتربص فى الأمور المعضلة إذا غاب إلى أن يقدم ، ويدل على ذلك ما قدمناه فى أوائل السيرة النبوية من خبره مع الشيخ الكبير الأزدي فى سفره إلى اليمن ، وما بشره الأزدي به من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه يعاونه على أمره ، وأن أبا بكر رضى الله عنه لما رجع إلى مكة ، جاءه شيبة بن ربيعة وأبو جهل ابن هشام وأبو البختري ، وعقبة بن أبى معيط ، ورجال قريش

(١) سورة التوبة ٤٠ .

(٢) الحمالة بالفتح : الدية يحملها قوم عن غيرهم .

مسلمين عليه . وقولهم له : حدث أمر عظيم ؛ هذا محمد بن عبد الله يزعم أنه نبي أرسله الله إلى الناس ، ولولا أنت ما انتظرنا به ؛ فإذا جئت فأنت النُّهية^(١) ، وقد تقدم ذكر هذه القصة في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

ومثل ذلك لا ينتظرُ به إلا مَنْ لا يمكن أن يُقطع الأمر دونه . وفي هذا أقوى دلالة على فضله وشرفه ، ومكانته لديهم . وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما فيها من خير وشر .

* * *

وأما فضائله رضى الله عنه ومناقبه في الإسلام فكثيرة جدا : قد أبانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضائل ومناقب ، وخصه بمزايا لم يخص بها غيره ، وذكره في مواطن لم يذكر فيها سواه . وقد تقدم من ذلك جملة في أثناء السيرة النبوية فتشير الآن إليها ، ونذكر ما سواها مما تقف عليه إن شاء الله تعالى .

فمن فضائله التي تقدم ذكرها سابقته في الإسلام ، وأنه رضوان الله عليه أول مَنْ أسلم من الذكور ، وأول مَنْ صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى الشعبي ، قال : سألت ابن عباس - أو سئل ابن عباس رضى الله عنهما : أى الناس كان أول إسلاما ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ : «فأنت الغاية والكفاية» .

(٢) نهاية الأرب ١٦ : ١٤٨ .

إذا تذكّرتَ شَجَرًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا ^(١)
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ، أَتَقَاهَا وَأَعَدَّلَهَا ^(٢) بعد النبي ، وأوفأها بما حملا
 الثَّانِي التَّالِي المَحْمُودَ مُشْهَدُهُ ^(٣) وَأَوَّلَ النَّاسِ حَقًّا صَدَقَ الرُّسُلَا ^(٤)

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لحسان بن ثابت :
 هل قلت في أبي بكر شيئا ؟ قال : نعم ؛ وأنشدته هذه الأبيات ،
 وفيها بيت رابع ، وهو :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا
 فسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « أحسنت يا حسان » .
 وروى أن فيها بيتا خامسا ، وهو :

وكان حب رسول الله إذ علموا ^(٥) خير البرية لم يعدل به رجلا ^(٦)
 وما يؤيد أنه رضوان الله عليه أول من أسلم ما رواه الجريري ،
 عن أبي نضرة ، قال : قال أبو بكر لعلي رضي الله عنهما :
 أنا أسلمت قبلك ... ، في حديث ذكره ، فلم ينكر عليه .

ومن ذلك أنه رضي الله عنه فدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .
 روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما : أنها
 قالت ، وقد قيل لها : ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : كان المشركون قعودا في المسجد
 الحرام ، فتذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يقول في
 آلهتهم ، فبينما هم كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) ديوانه ٢٩٩ .
 (٢) الديوان : « أبقاها وأرأفها » .
 (٣) الديوان : « المحمود شيعته » .
 (٤) الديوان : « وأول الناس طرا » .
 (٥) الديوان : « قد علموا » .
 (٦) الاستيعاب ٣ : ٩٦٣ - ٩٦٥ .

فقاموا إليه ، وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم ، فقالوا : أألسنت
تقول في آلهتنا كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فتشبهوا به بأجمعهم ،
فأتى الصريخُ إلى أبي بكر ، ف قيل له : أدرك صاحبك ، فخرج
أبو بكر حتى دخل المسجد ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس مجتمعون عليه ، فقال : ويلكم ! ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ
اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(١) ! فلهوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا يضربونه . قالت : فرجع إلينا فجعل
لايمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول : تباركت يا ذا الجلال
والإكرام .

ومنها ، أنه رضى الله عنه أنفق على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان يملكه ، طيبةً بذلك نفسه .

روى عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : أسلم أبو بكر وله
أربعون ألفاً ، أنفقها كلها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي
سبيل الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما نفعنى مالٌ مثل
ما نفعنى مالُ أبى بكر » .

ومن رواية أخرى عنه قال : أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون
ألف دينار ، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله ، أعتق بلالاً ، وعامر
ابن فهيرة ، وزنيرة ، والنهدية ^(٢) وابنتها ، وجارية بنى نوفل ،
وأُم عُبَيْس . وقد تقدّم خبرهم في السيرة النبوية .

ومنها ، أنه رضى الله عنه أسلم على يديه بدعائه نصف العشرة

المشهدود لهم بالجنة ، وهم : الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ،
وطليحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ،
رضوان الله عليهم أجمعين .

وأسلم أبواه ، وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلم
بنوه كلهم ، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبوه
أبو قحافة ، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر ، وابن ابنه محمد
ابن عبد الرحمن ، وليست هذه المنقبة لأحد من الصحابة غيره .

ومن ذلك أنه رضى الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الغار ، ورفيقه في هجرته ، وناهيك بهما ! وسماه عز وجل
في كتابه : « صاحبه » . فقال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنُ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ (١) .

روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ؛ لم يأمن على نفسه غيره
حتى دخلا الغار .

وعن حبيب بن أبي ثابت في قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَيْهِ ۖ ﴾ (٢) . قال : على أبي بكر ، فأما النبي صلى الله عليه وسلم
فقد كانت عليه السكينة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأبي بكر : « أنت صاحبي على الحوض ، وصاحبي في الغار » .
وعن سفيان بن عيينة ، قال : عاتب الله عز وجل المسلمين

كلّهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبا بكر ، فإنه خرّج من المعاتبّة ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ .

ومن فضائله ومزاياه رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه للصلاة ^(١) بالمسلمين في حياته ، وأمر بسدّ الأبواب الشارعة إلى المسجد ، إلا باب أبي بكر ، وقد تقدّم ذلك ^(٢) . ومنها ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « رأيت في المنام أني وُزِنْتُ بِأَمْتِي فَرَجَحْتُ ، ثم وُزِنَ أَبُو بَكْرٍ فَرَجَحَ ، ثم وُزِنَ عُمَرُ فَرَجَحَ » . وهذا دليل على أنه رضوان الله عليه أرجح من الأمة أكثر من مرتين ، فإنه رجح الأمة ، وعمر رضى الله عنه فيهم ، ورجح عمر الأمة . وروى رسول الله صلى الله عليه وسلم حق لا محالة . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ما سابقت أبا بكر إلى خير قط . إلا سبقني إليه ؛ ولوددت أني شجرة في صدر أبي بكر .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة ، قال عمر بن الخطاب وكان عندي مال كثير . فقلت : والله لأفضلنّ أبا بكر هذه المرة ، فأخذت نصف مالي وتركته نصفه ، فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هذا مال كثير ، فما تركت لأهلك » ؟ قال : تركت لهم نصفه ؛ وجاء أبو بكر بمال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تركت لأهلك » ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله .

(١) من : « في الصلاة » . (٢) من : « ذكر ذلك » .

وفي رواية : قلت : لا أسابقك إلى شيء أبدا .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في قوله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ ^(١) ؛ نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : كنتُ عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خلَّها ^(٢) في صدره بخلال ، فنزل عليه جبريل ، فقال : يا محمد : ما أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّها في صدره بخلال ! فقال : « يا جبريل ، أنفق ماله على قبل الفتح » ، قال : فإنَّ الله عزَّ وجل يقرأ عليك السلام ، ويقول : قل له : أراض أنت على في فقرك هذا ، أم ساخط ؟ فقال أبو بكر : أسخط . على ربِّي ! أنا عن ربِّي راض ، أنا عن ربِّي راض ، أنا عن ربِّي راض .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : هبط . على جبريل وعليه طُنْفُوسَةٌ ، وهو متخلِّلُ بها ، فقلت : يا جبريل ، لِمَ نزلتَ إلَيَّ في مثل هذا الزَّيِّ ^(٣) ؟ قال : إِنَّ الله أمر الملائكة أن تتخلَّلَ في السماء كتخلَّلَ أبي بكر في الأرض .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أصبحَ منكم صائِماً اليوم ؟ » قال أبو بكر رضى الله عنه : أنا ، قال : « مَنْ أطعمَ اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر : أنا ،

(١) سورة الليل ٦٥ . (٢) خلَّها في صدره ، يريد ربطها في صدره .

(٣) ك : « الرى » تحريف .

قال : « مَنْ عاد اليوم مريضا ؟ » قال أبو بكر : أنا ، فقال : « من شهد اليوم منكم جنازة ؟ » [فقال أبو بكر : أنا] ^(١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعت هذه الخصال في رجل قط . إلا دخل الجنة » .

وعن ابن أبي أوفى ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل على أبي بكر وقال : « إني لأعرف اسم رجلٍ واسم أبيه ، واسم أمه ؛ إذا دخل الجنة لم تبق غرفة من غرفها ، ولا شرفة من شرفها إلا قال : مرحبا مرحبا ! » ، فقال سلمان : إن هذا لغير خائب : فقال : « ذاك أبو بكر بن أبي قحافة » .

وعن سلمان بن يسار ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبو بكر وعمر خير الأرض إلا أن يكون نبيا » .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخير ثلثمائة وستون خصلة ، إذا أراد الله بعبده خيرا جعل فيه واحدة منهن يدخل بها الجنة » ، قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هل في شيء منهن ؟ قال : « نعم ، جميعا من كل » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل فأخذ بيدي ، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه ^(٢) أمتي ، فقال أبو بكر : وددت أني كنت معك حتى أنظره إليه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي » .

وعن أبي أمامة قال : امتطال أبو بكر ذات يوم على عمر ، فقام

عمر مغضباً ، فقام أبو بكر فأخذ بطرف ثوبه ، فجعل يقول : ارض عني ، اعف عني ، عفا الله عنك ! حتى دخل عمر الدار وأغلق الباب دون أبي بكر ولم يكلمه ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فغضب لأبي بكر ، فلما صلى الظهر جاء عمر ، فجلس بين يديه ، فصرف النبي صلى الله عليه وسلم وجهه عنه ، فتحول يمينا فصرف وجهه عنه ، فلما رأى ذلك ارتعد وبكى ، ثم قال : يا رسول الله ، قد أرى إعراضك عني ، وقد علمت أنك لم تفعل هذا إلا لأمرٍ قد بلغك عني ، موجدة علي في نفسك ^(١) ، وما خير حياتي وأنت علي ساخط ، وفي نفسك علي شيء ! فقال : « أنت القاتل لأبي بكر كذا وكذا ، ثم يعتذر إليك فلا تقبل منه ! » ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إن الله عز وجل بعثني إليكم جميعا ، فقلتم : كذبت ، وقال صاحبي : صدقت ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي ! فهل أنتم تاركون لي صاحبي ! فهل أنتم تاركون لي صاحبي ! » ثلاثا . فقام عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ، رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً . فقام أبو بكر فقال : والله لأننا بدأناه ، ولأننا كننا أظلم ، فأقبل عمر على أبي بكر فقال : ارض عني رضي الله عنك ، فقال أبو بكر : يغفر الله لك ! فذهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد هممت أن أبعث رجالاً من أصحابي إلى ملوك الأرض يدعونهم إلى الإسلام كما بعث عيسى بن مريم الحواريين » .

(١) كذا في م و ن ك : « نفسي » .

قالوا : يا رسول الله ، أفلا تبعث أبابكر وعمر فهما أبلغ ا فقال : « لاغنى لي عنهما ، إنما منزلتهما من الدين منزلة السمع والبصر من الجسد » .
وعن أبي أروى الدؤيبى ، قال : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ، فطلع أبو بكر وعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذى أيدنى بكما » .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « يا أبابكر ، إن الله أعطانى ثواب مَنْ آمَنَ بى منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة ، وإن الله أعطاك يا أبابكر ثواب مَنْ آمَنَ بى منذ بعثنى إلى يوم تقوم الساعة » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لى وزيران من أهل السماء : جبريل وميكائيل ، ووزيران من أهل الأرض : أبو بكر وعمر » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر [وعمر] (١) : « ألا أخبركما بمثلكما من الملائكة ، ومثلكما فى الأنبياء ؟ أما مثلك أنت يا أبابكر فى الملائكة فمثل ميكائيل ، ينزل بالرحمة ، ومثلك أيضا فى الأنبياء كمثلى إبراهيم إذ كذبه قومه ، وصنعوا به ما صنعوا ، فقال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) . ومثلك يا عمر فى الملائكة كمثلى جبريل ، ينزل بالبأس والشدة والنقمة على أعداء الله ، ومثلك فى الأنبياء كمثلى نوح إذ قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِىَ عَلَى الْآرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٣) » .

(١) سورة إبراهيم ٣٦

(٢) بكلمة من ص .

(٣) سورة نوح ٢٦ .

وعن عمار بن ياسر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « أتاني جبريل آنفاً ، فقلت له : يا جبريل ، حدثني بفضائل عمر
 ابن الخطاب في السماء . فقال : يا محمد ، لو حدثتك بفضائل
 عمر بن الخطاب في السماء مثل ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين
 عاماً ما نفدت فضائل عمر ، وإنَّ عمرَ حسنة من حسنات أبي بكر .
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : هبط جبريل على النبي
 صلى الله عليه وسلم فوقف ثلاثاً يناجيه ؛ فمرَّ أبو بكر الصديق
 فقال جبريل : يا محمد ، هذا ابن أبي قحافة ؛ قال : يا جبريل ،
 وتعرفونه في السماء ؟ قال : إي والذي بعثك بالحق ؛ لهو أشهر
 في السماء منه في الأرض ، وإن اسمه في السماء للَحْلِم . »

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لَرَجَح . »
 وعن عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ أنه كان يوم بدر مع المشركين ،
 فلما أسلم قال لأبيه : لقد اِهْتَدَفْتُ ^(١) لي يوم بدر ، فَصُرِفْتُ ،
 عنك ولم أَقْتَلْكَ ؛ فقال أبو بكر : لكنَّكَ لو اِهْتَدَفْتُ لي لم
 أَنْصَرَفْ ^(٢) عنك .

وعن ابن غنم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر :
 وعمر : « لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما . »

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول : « أتاني جبريل فقال : يا محمد ، إِنَّ الله
 يَأْمُرُكَ أَنْ تَسْتَشِيرَ أَبَا بَكْرٍ . »

(١) لك : « اهتديت » . (٢) من : « انصرف » .

وعن أنس قال : كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خرج إلى المسجد ومعه المهاجرون والأنصار ، ما أحدٌ منهم يرفع رأسه من حيوته إلا أبوبكر وعمر ، فإنه كان يبتسم إليهما ويبتسمان إليه .

وعن الزبير بن العوام ، قال : قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في غزوة تبوك : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي أَصْحَابِي ، فلا تسلبهم البركة ، وباركْ لِأَصْحَابِي فِي أَبِي بَكْرٍ ، فلا تسلبه البركة ، واجمعهم عليه ، ولا تشتت أمره ؛ فإنه لم يزل يؤثر أمره على أمره . اللهم أعزَّ عمر ابن الخطاب ، وصبر عثمان بن عفان ، ووفَّق عليَّ بن أبي طالب ، وثبت الزبير ، واغفر لطلحة ، وسلِّم سعدة ، ووفِّر عبد الرحمن ، وألحق بي ^(١) السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان .

وقيل : لما قدم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من حجة الوداع صعيد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسُوْثْنِي قَطُّ ، فاعرفوا ذلك له . يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي رَاضٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَطَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَسَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ عَوْفٍ وَالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، فاعرفوا ذلك لهم . يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِأَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَّةِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، احفظوني في أحبائي وأصهارى وفي أصحابي ، لا يطلبنكم الله بمظلمة أحدٍ منهم ، فإنها ليست فيما يوهب . يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين ، إذا مات الرجل ، فلا تقولوا فيه إلا خيرا ، ثم نزل صَلَّى الله عليه وسلَّم .

وعن عمرو بن العاص ، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :
أي الناس أحب إليك يا رسول الله ؟ قال : عائشة ، قال : من
الرجال ، قال : أبوها . قال : ثم من ؟ قال : عمر .

وعن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم ، فقال : « إني مشتاق إلى إخواني » ، فقلنا : أو لسنا إخوانك
يا رسول الله ! قال : « كلاً ، أنتم أصحابي وإخواني » ، فجاء أبو بكر
الصديق ، فقال عمر : إنه قال : « إني لمشتاق إلى إخواني ، فقلنا :
ألسنا إخوانك ؟ فقال : لا ، إخواني قوم يؤمنون بي ولم يروني .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا تحبّ قوماً بلغهم أنك تحبني
فأحبوك لحبك إياي ، فأحبهم الله ! »

وعنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على علي ،
وإذا أبو بكر وعمر قد أقبلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أحبهما فحبهما يدخل الجنة » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي » .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حب أبي بكر
وعمر إيمان ، وبغضهما كفر » .

وعن ابن عمر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لما ولد أبو بكر الصديق أقبل الله تعالى على جنة عدن ،
فقال : وعزتي وجلالي لا أدخلك إلا من يحب هذا المولود » . يعنى
أبا بكر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثَمَانِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى لِمَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ ، وَفِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ثَمَانِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَلْعَنُونَ مَنْ أَبْغَضَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ .**

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد بين أبي بكر وعمر ، وهو معتمد عليهما ، فقال : **« هَكَذَا نَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَمِيعًا » .**

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« أَوَّلُ مَنْ يُعْطَى كِتَابَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ ، النَّاسُ كُلُّهُمْ يَحَاسِبُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ » .**

وعن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« تَأْتِي الْمَلَائِكَةُ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ تَرْفَعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ زَفًّا » .**

وعن ثابت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« أَوَّلُ مَنْ يُعْطَى كِتَابَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَلَهُ شُعَاعٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ »** فقل له : **فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟** قال : **« هِيَ هَاتِ ! زَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْجَنَّةِ » .**

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« كَأَنِّي بَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ تَشْفَعُ لَأُمَّتِي » .**

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَادَى مَنَادٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ :**

ألا هاتوا أصحاب محمد ، قال : فيؤتى بأبي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان ، فيقال لأبي بكر : قف على باب الجنة ، فأدخل الجنة مَنْ شئت برحمة الله ، ودع من شئت بعلم الله ، ويقال لعمر بن الخطاب : قف على الميزان فتقل من شئت برحمة الله ، وخفف من شئت بعلم الله ، ويعطى عثمان بن عفان عصا آس ، التي غرسها الله عز وجل في الجنة ، ويقال له : دُرِ النَّاسِ عن الحوض .

وقد ورد في الصحيحين من فضائل أبي بكر رضى الله عنه ما فيه مقنع ، وفضائله رضوان الله عليه كثيرة ، وقد ذكرنا جملة كافية ، فلنذكر صفته .

ذكر صفة أبي بكر الصديق

كان رجلاً نحيفاً^(١) طويلاً أبيض ، خفيف العارضين أجناً^(٢) ، لا يستمسك إزاره ، يسترخى عن حقويه^(٣) ، معروق الوجه^(٤) ، غائر العينين ، ناتئ الجبهة ، عاري الأشاجع^(٥) .

هكذا وصفته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . وكان يخضب بالحناء والكم^(٦) .

(١) ك : « منحفا » تحريف .

(٢) أجناً : أشرف كاهله على صدره .

(٣) الحقو : بالفتح ويكسر : الكشح والإزار أو معقده .

(٤) معروق الوجه : قليل اللحم فيه .

(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التي تصل بمصب ظاهر الكف .

(٦) الكم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

ذكر ما ورد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

استخلف أبابكر على أمته من بعده وحجة من قال ذلك

قال الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى رحمه الله : استخلف^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه على أمته من بعده ؛ بما أظهر من الدلائل البينة على محبته فى ذلك ، وبالتعريض الذى يقوم مقام التصريح ، ولم يصرح بذلك لأنه لم يؤمر فيه بشئ . وكان صلى الله عليه وسلم لا يصنع شيئا فى دين الله إلا بوحي ، والخلافة ركن من أركان الدين .

قال : ومن الدليل الواضح^(٢) على ما قلنا ، ما حدثنا سعيد ابن نصر وعبد الوارث بن سُفيان ، قالا : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا منصور بن سَلَمَة . وأخبرنا أحمد بن عبد الله ، قال : حدثنا الميمون بن حمزة الحسينى بمصر ، قال : حدثنا الطحاوى ؛ قال : حدثنا المزنى ، قال : حدثنا الشافعى ؛ قال : حدثنا إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم ، عن أبيه ، قال : أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألها عن شئ ، فأمرها أن ترجع إليه . فقالت : يا رسول الله ، أرايت إن جئت ولم أجذك ؟ - تغنى الموت - فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لم تجديني فأت أبا بكر » .

(١) الاستيعاب ٩٦٩ وما بعدها .

(٢) الاستيعاب : « الدلائل الواضحة » .

قال الشافعي رحمه الله : في هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر .

وقد تقدم في السيرة النبوية عن عاصم ، عن قتادة ، قال : ابتاع النبي صلى الله عليه وسلم بغيراً من رجل إلى أجل ، فقال : يا رسول الله ، إن جئت فلم أجده ؟ - يعني الموت - ، قال : فائت أبا بكر ، قال : فإن جئت فلم أجده أبا بكر ؟ [يعني ^(١)] - بعد الموت ، قال : فائت عمر ، قال : إن جئت فلم أجده عمر ؟ قال : إن استطعت أن تموت إذا مات عمر ، فمت .

وساق أبو عمر ^(٢) بن عبد البر في أدلته على استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم له أحاديث الصلاة ، وكونه استخلفه أن يضلّي بالناس في مرضه .

وقد قدمنا ذكر ذلك كله في خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومما يؤيد ذلك ويعضده ما قدمناه من حديث عائشة رضي الله عنها ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لها : « لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبيك ، أو أخيك فأقضي أمري ، وأعهد عهدي ، فلا يطمع في الأمر طامع ، ولا يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون » ثم قال : « كلا يابى الله ويدفع المؤمنين » ، أو « يدفع الله ويبأى المؤمنين » .

وقال بعضهم في حديثه : « ويبأى الله إلا أبا بكر » .

وفي الحديث الآخر عن أبي مليكة ، قال : قال النبي صلى الله

(١) بكلمة يقتضيا السياق . (٢) كـ : « أبو بكر » وهو خطأ .

عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه : « ادعوا إلى أبا بكر » ،
 فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل يغلبه البكاء ، ولكن إن شئت
 دعونا لك ابن الخطاب ، قال : « ادعوا إلى أبا بكر ، قالت : إن أبا بكر
 يرق ، ولكن إن شئت دعونا لك ابن الخطاب ، فقال : « إن كنت
 صواحب يوسف ، ادعوا أبا بكر وابنه ، فليكتب ، أن يطمع في أمر
 أبي بكر طامع ، أو يتمنى متمن » . ثم قال : « يأبى الله ذلك
 والمؤمنون ، يأبى الله ذلك والمؤمنون ! » .

قالت عائشة : فأبى الله ذلك والمؤمنون .

وفي هذا الحديث والذي قبله تصريح^(١) على أنه الخليفة بعده ،
 ودليل على أن الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن
 يكتبه ، وتركه لما كثر عنده التنازع ، إنما كان المراد به أن ينص
 على أبي بكر في الخلافة . والله تعالى أعلم .

وروى أبو عمر بسنده إلى عبد الله بن مسعود ، أنه قال : اجعلوا
 إمامكم خيركم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلّم جعل إمامنا
 خيرا بعده .

وروى الحسن البصري ، عن قيس بن عباد ، قال : قال لي علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم
 مرض ليالي وأياما ، ينادى بالصلاة فيقول : « مروا أبا بكر بعلي
 بالناس » ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، نظرت ، فإذا
 الصلاة علم الإسلام ، وقوام الدين ، فرضينا لدينانا ما رضي رسول
 الله صلى الله عليه وسلّم لديننا ، فبايعنا أبا بكر^(٢) .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولذلك كان يدعى : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى عن ابن أبي مليكة ، قال : قال رجل لأبي بكر يا خليفة الله ، قال : لست خليفة الله ؛ ولكن أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا راضٍ بذلك .

وروى أبو عمر بسنده ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه قال : خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . وكان علي رضى الله عنه يقول : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى أبو بكر ، وثلاث عمر ، ثم خبطتنا ^(١) فتنة يغفر الله فيها عمن يشاء . وقال : رحم الله أبا بكر ! كان أول من جمع بين الملوحين ^(٢) .

وقال أبو عمر بن عبد البر : وروينا من وجوه ، عن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ، أنه قال : ولينا أبو بكر فخير خليفة ، أرحمه بنا ، وأحناه علينا ^(٣) .

وقال مسروق : حبّ أبي بكر وعمر ومعرفة فضلها من السنة . وروى عن علي رضى الله عنه قال : لا يفضّلنّى أحدٌ على أبي بكر وعمر إلّا جلّده جلد المفتري . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(١) كذا في ك ، وفي ص « خبطنا » وفي الاستيعاب : « خفنا » .

(٢) الاستيعاب ٩٧٢ .

(٣) الاستيعاب ٩٧٢ .

ذكر بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وخبر السقيفية ، وما وقع بين المهاجرين والأنصار من التراجع في الإمارة

ببيع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، سنة إحدى عشرة من الهجرة ؛ وهو اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سقيفة^(١) بنى ساعدة ، وذلك قبل أن يُشرع في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان من خبر سقيفة بنى ساعدة ، أنه لما تُوفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة ، وقالوا : نولّي هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد ابن عبادة ، وأخرجوا سعدا إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال سعد لأبيه - ألبعض بنى عمه : إني لا أقدر أشكو ، أي أن أسمع القوم كلهم كلامي ؛ ولكن تلقّ مني قولي فأسمعهموه^(٢) ، فكان سعد يتكلم ويحفظ الرجل قوله ، فيرفع به صوته ، فيسمع أصحابه ، فقال بعد أن حيد الله وأثنى عليه : يا معشر الأنصار ، إن لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب ؛ إن محمدا صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة

(١) ك : « في السقيفة » .

(٢) ص : « فاستمعه » ، وخبر يوم السقيفة في تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ - ٢٢٣

الرحمن ، وخلق الأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، والله ما كانوا يقدرّون على أن يمنعوا رسوله ، ولا أن يعزّوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم فيما عُموا به ؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلة ؛ ساق إليكم الكرامة ، وخصّكم بالنعمة ، ورزقكم الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهد لأعدائه . فكنتم أشدّ الناس على عدوّه من غيركم ؛ حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها ، وأعطى البعيد المقادة صاغرا دأخرا^(١) ؛ وحتى أثنى^(٢) الله لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسياقكم له العرب . وتوفاه الله إليه وهو عنكم راض ، وبكم قريب العين . استبدوا بهذا الأمر دون الناس ؛ فإنه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم ، أن قد وفّقت في الرأي ، وأصبحت في القول ، ولن نعدّو ما رأيت ؛ نوليّك هذا الأمر ؛ فإنك فينا رفيع ، ولصالح المؤمنين رضا .

ثم إنهم ترادّوا الكلام ، فقالوا : فإن أبت مهاجرة قريش ؟ فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولون ، ونحن عشيرته وأولياؤه ؛ فعلام تنازعونا الأمر من بعده ؟ فقالت طائفة منهم : فإننا نقول إذا قمنا أمير ومنكم أمير ، ولن نرضى بدون هذا أبدا . فقال سعد بن عبادة حين سمعها : هذا أول الوهن !

وأقضى عمر رضي الله عنه الخبر ، فأقبل إلى منزل النبي صلى الله

(١) داخرا ، أي ذليلا

(٢) أثنى : أوغل .

عليه وسلم ، فأرسل إلى أبي بكر ، وأبو بكر في الدار ، وعلى بن أبي طالب دائب في جهاز النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى أبي بكر ، أن اخرج إلى ، فأرسل إليه : إني مشغول ، فأرسل إليه : إنه قد حدث (١) أمر لابد لك من حضوره ، فخرج إليه ، فقال : أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعد بن عباد ، وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمير ومن قريش أمير !

فخرجوا (٢) مسرعين نحوهم ، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح ، فمأشوا إليهم ثلاثتهم ، فلقيتهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة ، فقالا لهم : أين تريدون ؟ قالوا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . قالوا : فارجعوا . فاقضوا أمركم بينكم ، فإنه لم يكن إلا ما تحبون ، فقالوا : لا نفعل .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه : فقلت : والله لنأتيتهم ! قال : فأتيتناهم (٣) وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة وإذا بين أظهرهم رجل مزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد ابن عباد . قلت : ما شأنه ؟ قالوا : وجع ، فقام رجل منهم ، فحمد الله وقال : أما بعد ، فنحن الأنصار ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر قريش رهطنا ، وقد دقت إلينا من قومكم دافقة . قال : فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويغصبونا

(١) ك : « قد حدث لك أمر » .

(٢) ص : « فخرجنا » .

(٣) ص : « خلفناهم » .

الأمر. وقد كنت زوّرت في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ، وهو كان أوقر مني وأحلم، فلما أردت أن أتكلّم قال لي: على رِسْلِكَ! وكرهت أن أغضيه، فقام، فحمّد الله، وأثنى عليه، فما ترك شيئاً زوّرت في نفسي أن أتكلّم به لو تكلمت، إلا قد جاء به، أو بأحسن منه.

وقال: أمّا بعد، يامعشر الأنصار، فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا أنتم له أهل، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب داراً ونسباً، وإني قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم. وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح.

يقول عمر وهو على المنبر: وإني والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة، أن كنت أقدم فتضرب عنقي أحبّ إليّ من أن أوامر على قوم فيهم أبو بكر.

قال: فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل، فقال: أنا جُذَيْلُهَا المحكّك، وعُذَيْقُهَا المرجّب، منّا أميرٌ ومنكم أمير يامعشر قريش.

قال عمر: وارتفعت الأصوات، وكثر اللفظ، فلما أشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر: أبسط يدك نبايعك، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار، ثمّ نَزَوْا على سعد، حتى قال قائلهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعداً! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر، إنّا خشينا إن

فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يُحدثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نباعهم على ما نرضى ، أو نخالفهم فيكون فشل .

ومن رواية عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمر الأنصارى ، وذكر ما تكلم به أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وما قاله الأنصار ، فقال بعد أن ساق ما تقدم أو نحوه ، ثم قال : فبدأ أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : **إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا إِلَى خَلْقِهِ ، وَشَهِيدًا عَلَى أُمَّتِهِ ؛ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ وَيُوحِّدُوهُ وَهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً شَتَّى ، يَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَهُمْ عِنْدَهُ شَافِعَةٌ ، وَلَهُمْ نَافِعَةٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ حَجَرٌ مَنْحُوتٌ ، وَخَشَبٌ مَنْجُورٌ .** ثم قرأ : **﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾** (١) ، وقالوا : **﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾** (٢) فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخصَّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به ، والمواساة [له] (٣) والصبر معه ، على شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم إياهم ، وكلَّ الناس لهم مُخالف ، وعليهم زار (٤) ، فلم يستوحشوا لقلَّة عددهم ، وشَنَف النَّاسَ لَهُمْ ، وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول مَنْ عَبدَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ، وآمنَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، وَأَحَقَّ النَّاسُ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَا يَنَازِعُهُمْ

(١) سورة يونس ١٨ .

(٢) سورة الزمر ٣ .

(٣) تكملة من ص .

(٤) زار : مختار .

ذلك إلا ظالم . وأنتم يامعشر الأنصار ، أنتم من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لاتفتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور .

قال : فقام الحباب بن المنذر بن الجموح ، فقال : يامعشر الأنصار ، املكوا على أيديكم . فإن الناس في فيثكم وفي ظلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ؛ وأنتم أهل العز والثروة ، وأولو العدد والتجربة ، وذوو البأس والنجدة ؛ وإنما ينظر الناس إلى ماتصنعون ، فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ، وتنتقض [عليكم] ^(١) أموركم ، فإن أبي هؤلاء إلا ماسمعتهم ، فمننا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع اثنان في قرن ! إنه والله لا يرضى العرب أن يؤمروكم ونبيها صلى الله عليه وسلم من غيركم ؛ ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمورهما من كانت النبوة فيهم ، وولي أمورهم منهم ؛ ولنا بذلك على من أبي من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين . من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ؛ ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مذل بباطل ، أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة ! .

فقام الحباب بن المنذر ، فقال : يامعشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من

هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ماسألتهموه ، فأجلوهم عن هذه البلاد ،
وتولوا عليهم هذه الأمور ؛ فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ؛ فإنه
بأسيا فكم دان ^(١) لهذا الذين من لم يكن يدين ، أنا جُذيلُها المحكَّك
وعُذيقها المرتَّجَب ؛ أما والله لئن شئتم لنعيدنَّها جَذَعَةً ^(٢) ! فقال له
عمر : إذن يقتلك الله ! قال : بل إياك يقتل .

فقال أبو عبيدة : يامعشر الأنصار ، إنكم أول من نصر وآزر ،
فلا تكونوا أول من بدّل وغير .

فقال بشير بن سعد : أبو النعمان بن بشير :

يامعشر الأنصار ، إننا والله لئن كنّا أولى فضيلة في جهاد
المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ،
وطاعة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم . والكذح لأنفسنا ؛ ما ينبغي لنا أن
نستطيل بذلك على الناس : ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضاً ، فإن
الله وليّ المنّة علينا بذلك ؛ ألا إن محمداً صلّى الله عليه وسلّم من قريش ،
وقومه أحقّ به وأولى . وإيمُ الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً !
فاتقوا الله ولا تخالفوهم : ولا تنازعوهم .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : هذا عمر وأبو عبيدة ، فأيهما
شئتم فبايعوا ؛ فقالا : والله لانتولّي هذا الأمر عليك ، وأنت
أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ،

(١) دان : خضع .

(٢) جذعة : فتية .

فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ! أبسط نيايـعك^(١)
 فلما ذهبـا ليـبـايـعـاه سبـقـهـما إلـيـه بشـير بن سـعد فبـايـعـه ، فناداه
 المنذر بن الحُبـاب : يا بشـير بن سـعد ، عـقـقـت عـقـاق^(٢) ! ما أـحـوجـك^(٣)
 إلـى ما صـنـعـت ! أنـفـسـت علـى ابـن عـمـك الإمـارة ! قال : لا والله ،
 ولـكن كـرـهـت أن أنـازـع قـومـاً [حـقـاً]^(٤) جـعـله الله لـهـم .

قال : ولـمـا رأت الأوس ماصنع بشير بن سعد ، وما تدعـو
 إلـيـه قـريش ، وما تـطـلب الخـزرج من تـأـمـير سـعد بن عـبـادـة ، قال
 بـعـضـهـم لـبـعـض - وفيهـم أسـيد بن حـضـير : والله لئن وليتـها الخـزرج
 علـيـكم مـرة ، لا زالت لـهـم علـيـكم بـذلـك الفـضـيلة ، و لا جـعـلوا لـكم مـعـهـم
 فيـها نصـيبـاً أبداً [فـقـوموا]^(٤) فبـايـعـوا أبـا بـكر . فقاموا إلـيـه
 فبـايـعـوه ، وانكسر على سعد بن عبادـة و على الخـزرج ما كانوا اجتمعوا
 له من أمرهم .

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه : فروى عن
 أبي بكر بن محمد الخُزاعي : إن أسلم أقبلت بجماعتها حتى
 تضايقت بها السكك ليبياعوا أبـا بـكر ، فكان عمر يقول : ما هو
 إلّا أن رأيت أسلم ، فأيقنت بالنضر .

قال عبد الله بن عبد الرحمن : فأقبل الناس من كل جانب يبياعون
 أبـا بـكر ، و كانوا يطئون سعد بن عبادـة ، فقال ناس من أصحاب سعد :
 اتقوا سعداً لا تطؤوه ، فقال عمر : اقتلوه ، اقتلوه ، قتله الله ! ثم قام

(١) ص : « أبسط يدك نيايـعك » .

(٢) ك : « عقتك عقاق » .

(٣) ص : « ما أخرجك إلى ما صنعت » .

(٤) تكملة من تاريخ الطبري .

على رأسه فقال : لقد هممت أن أطأك حتى تُنذر عِصْوُك^(١) ؛ فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر ، ثم قال : والله لو حَصَصْتُ منها شعرة مارجعت وفي فيك واضحة^(٢) .

فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر ، الرفق هاهنا أبلغ ! فأعرض عنه عمر ؛ وقال سعد : أما والله لو أن بي من قوتي ما أقوي على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يُجْجِرُك^(٣) وأصحابك . أما والله إذا لَأَحَقَّنْكَ بَقِيوم كنت فيهم تابعا غير متبوع . أحملوني عن هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه داره ، وترك أياها ثم بُعث إليه أن أقبل فبايع ؛ فقد بايع الناس وبايع قومك ؛ فقال : أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل ، وأخضب منكم سنان رمحي ، وأضربكم بسيوفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي ، فلا أفعل وإيم الله : لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي .

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر : لا تدعه حتى يبايع ؛ فقال له بشير بن سعد : إنه قد لجَّ [وأبى]^(٤) وإنه ليس يبايعكم حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته . فاتركوه ، فليس تركه يضاركم ، إنما هو رجل واحد . فتركوه ، وقبلوا مشورة بشير بن سعد ، واستنصحوه

(١) أى تزال عن موضعها ، وفي الطبري : « عضدك » .

(٢) الواضحة من الأسنان ، أى تبدو عند الضحك .

(٣) يبحرك وأصحابك ، أى يدخلكم المضايق .

(٤) زيادة من تاريخ الطبري .

لِمَا بَدَأَ لَهُمْ مِنْهُ ، فَكَانَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ لَا يَصَلِّي بِصَلَاتِهِمْ ، وَلَا يَجْمَعُ مَعَهُمْ ، وَيَحْجُجُ وَلَا يُفِيضُ مَعَهُمْ بِإِفَاضَتِهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى هَلَكَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَعَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ خَلِيفَةَ ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ بَايَعَ .

وَعَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ يَوْمَئِذٍ لِأَبِي بَكْرٍ : إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ حَسَدْتُمُونِي عَلَى الْإِمَارَةِ ، وَإِنَّكَ وَقَوْمِي أَجْبَرْتُمُونِي عَلَى الْبَيْعَةِ ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّا لَوْ أَجْبَرْنَاكَ عَلَى الْفِرْقَةِ فَصَرْتُمْ إِلَى الْجَمَاعَةِ كُنْتُمْ فِي سَعَةٍ ، وَلَكِنَّا أَجْبَرْنَاكَ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَلَا إِقَالَةَ فِيهَا ؛ لَكِنَّ نَزَعْتَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ ، أَوْ فَرَّقْتَ جَمَاعَةً لِأَضْرِبَنَّ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ .

وَحَكَى أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نَشَدْتُمْ اللَّهَ ! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ ! فَقَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ : فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسَهُ أَنْ يَزِيلَهُ عَنْ مَقَامِ أَقَامَهُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! فَقَالُوا : كُلُّنَا لَا تَطِيبُ نَفْسَهُ ؛ وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . وَبَايَعُوهُ ^(١) .

قَالَ : ثُمَّ بَوَّعَ الْبَيْعَةَ الْعَامَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَتَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَتِهِ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ ، وَفِرْقَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ بَايَعُوهُ بَعْدُ غَيْرِ سَعْدٍ .

وقيل : إنه لم يتخلف عن بيعته يومئذ أحد من قريش .

وقيل : تخلف عنه من قريش : عليّ ، والزبير ، وطلحة ، وخالد ابن سعد بن العاص . ثم بايعوه بعد .

وقد قيل : إن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة رضى الله عنها ، ثم لم يزل ساعاً مطيعاً له ، يشئى عليه ويفضله .

وقيل : إنه تخلف عليّ وبنو هاشم والزبير وطلحة عن البيعة ، وقال الزبير : لا أعيد سيفي حتى يبايع عليّ ، فقال عمر : خذوا سيفه ، فاضربوا به الحجر ، ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة .
وقيل : إن علياً لما سمع ببيعة أبي بكر خرج في قميص ، ما عليه إزار ولا رداء ، عَجَلاً حتى بايعه ، ثم استدعى إزاره ورداءه .

وحكى محمد بن إسحاق رحمه الله ؛ عن عبد الله بن أبي بكر ، أن خالد بن سعيد بن العاص قديم من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتربص ببيعته لأبي بكر شهرين ، وكان يقول : قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعزلنى ، ثم بايع أبا بكر . فلما بعث أبو بكر الجنود إلى الشام ، كان أول من بعث على رُبْعٍ منها خالد بن سعيد ، فلم يزل به عمر حتى عزله ، وأمر يزيد ابن أبي سفيان ، وكان عمر رضى الله عنه قد اضطغن عليه تأخره عنبيعة أبي بكر .

وعن عكرمة ، قال : لما بُويع لأبي بكر تخلف عن بيعته عليّ ، وجلس في بيته ، فلقبه عمر ، فقال : تخلفت عنبيعة أبي بكر ،

فقال : إِنِّي أَكْتُبُ بِيَمِينِ حِينَ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَلَّا أَرْتَدِيَ بَرْدَاءَ إِلَّا إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ ؛ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ ؛ فَإِنِّي
خَشِيتُ أَنْ يَنْفَلِتَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَبَايَعَ .

وعن مالك بن مغول ^(١) ، عن ابن أبيجر ، قال : لما بُويعَ لِأَبِي بَكْرٍ
الصديق جاء أبو سفيان بن حرب إلى عليّ ، فقال : غَلِبَكُمْ عَلَى هَذَا
الْأَمْرِ أَرَدَلُ بَيْتَ فِي قَرِيشٍ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا خَيْلًا وَرَجُلًا ! فقال له
عليّ : مازلتَ عدوّ الإسلام وأهله ، فما ضرَّ ذلك الإسلامَ وأهله شيئاً .
إِنَّا رَأَيْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهْلًا . ورواه عبد الرزاق ، عن ابن المبارك .

ورَوَى أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِسَنَدِهِ ، عن زيد بن أسلم : عن أبيه :
أَن عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ كَانَا حِينَ بُويعَ ^(٢) لِأَبِي بَكْرٍ يَدْخُلَانِ عَلَى فَاطِمَةَ
فِي شَاوَرَانِهَا فِي أَمْرِهِمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ : يَا بِنْتَ
رَسُولِ اللَّهِ ، مَا كَانَ مِنَ الْخَلْقِ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكَ . وَمَا أَحَدٌ
أَحَبَّ إِلَيْنَا بَعْدَهُ مِنْكَ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ التَّفَرُّ يَدْخُلُونَ عَلَيْكَ ،
وَلَكِنْ بَلَغَنِي لِأَفْعَلَنْ وَلَا أَفْعَلَنْ ! ثُمَّ خَرَجَ وَجَاءَهَا فَقَالَتْ لَهُمْ : إِن
عُمَرُ قَدْ جَاءَنِي وَحَلَفَ إِنِ عُدْتُمْ لِيَفْعَلَنْ ، وَإِيْمُ اللَّهِ لِيَفِينَنَّ بِهَا ، فَانْظُرُوا
فِي أَمْرِكُمْ ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَيَّ ؛ فَانْصَرَفُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا حَتَّى بَايَعُوا
لِأَبِي بَكْرٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ^(٣) .

وهذا الحديث يردّ قول من زعم أن عليّ بن أبي طالب لم يبايع
إلا بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها .

(١) ص : « مول » .

(٢) ص : « بايع » .

(٣) الاستيعاب ٩٧٥ .

ولما بُويع لأبي بكر رضى الله عنه ، قال ابن [أبى] (١) عَزَّ
القرشى الجمحى :

شكراً لمن هو بالثناء خَلِيقُ ذهب اللجأُ وبويع الصديقُ
من بعد ما ذهبت بسعد بقله ورجا رجاء دونه العيوقُ
جاءت به الأنصار عاصِبَ رأسه فأني به الصديق والفاروق (٢)
وأبو عبدة والذين إليهم نفس المؤمل للبقاء تتوقُ
كنّا نقول لها على والرضا عمرٌ وأولاهم بتلك عتيقُ
فدعت قريش باسمه فأجابها إنَّ المنوة باسمه الموثوقُ

وروى عن سعيد بن المسيب ، قال : لما قُبِضَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتجّت مكة ، فسمع أبو قُحافة ، فقالوا :
ما هذا ؟ فقالوا : قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا :
أمرٌ جَلَلٌ ، فمن ولى بعده ؟ قالوا : ابنك ، قال : فهل رضيت بذلك
بنو عبد مناف وبنو المغيرة ؟ قالوا : نعم . قال : لآمانع لما أُعْطِيَ
الله ، ولا مَعْطَى لما منع الله . والله تعالى أعلم ، والحمد لله وحده ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) من الاستيعاب ٩٧٦ .

(٢) ص : « فأتاهم الصديق » .

ذكر ما تكلم به أبو بكر الصديق

بعد بيعته وما قاله عمر بن الخطاب

بعد البيعة الأولى وقبل البيعة الثانية العامة

روى ^(١) أنس بن مالك ، قال : لما بُويِعَ أبو بكر رضي الله عنه في السقيفة ، وكان الغدُ ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمرُ فتكلّم قبل أبي بكر ، فحمّد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وقال : أيها الناس ، إنني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي ، وما وجدتُها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهدته إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن قد كنتُ أرى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سيُدبرُ أمرنا حتى يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي هدى به رسوله ، فإن اعتصمتم به هذاكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوا . فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . ثم تكلم أبو بكر ، فحمّد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله : ثم قال : أما بعد ؛ أيها الناس ، فإنني قد وليتُ عليكم ، ولستُ بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي منكم الضعيف عندي ، حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع قومُ الجهاد في سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء .

أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ؛ قوموا إلى صلاتكم ، يرحمكم الله .

— يعنى بالصلاة هنا ، الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم —
فإن خطبته هذه كانت قبل دفنه صلى الله عليه وسلم .

وقول عمر بن الخطاب في كلامه : « إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة » ، إشارة إلى ما كان قد تكلم به عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من إنكاره أنه مات ، على ما قدمنا ذكره في خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما أوضحنا هذا الكلام في هذا الموضع لئلا يتبادر إلى ذهن من يسمعه مِمَّا لم يطالع ما قبله ، ولا علم الواقعة فيتوهم أن كلامه بذلك رجوع عما تكلم به بالأمس في شأن بيعه أبي بكر رضى الله تعالى عنه .

وعن عاصم بن عدى ، أنه قال ^(١) : وقام أبو بكر رضى الله عنه من بعد الغد — يعنى من يوم بيعته — فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يأيها الناس ؛ إنما أنا مثلكم ؛ وإننى لا أدرى لعلكم ستكلفونى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق ، إن الله اصطفى محمداً على العالمين ، وعصمه من الآفات ، فإنما أنا متبوع ولست بمبتدع فإن استقممت فاتبعونى ، وإن زغت فقومونى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بظلمة ؛ ضربة سوط فما دونها ؛ ألا وإنما لى شيطان يعترينى ، فإذا أتانى فاجتنبونى ، لا أُؤثر فى أشعاركم وأبشاركم ، وإنكم تغدون وتروحون

في أجلٍ قد غُيِّبَ عنكم علمه ، فإن استطعتم ألاَّ يَمْضِيَ هذا الأجلُ إلَّا وأنتم في عملٍ صالحٍ فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلَّا بالله . فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تُسَلِّمَكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ، فإنَّ قومًا نُسُوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فإنَّهاكم أن تكونوا أمثالهم . الجَدُّ الجدُّ ، والوحي الوحي^(١) ، والنَّجاة النَّجاة ، وإنَّ وراءكم طالبا حثيثا ، أجلا مره سريع . واحذروا الموت ، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تغبطوا الأحياء إلَّا بما تُغبط به الأموات .

وقام أيضا رضى الله عنه ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 إنَّ الله لا يقبلُ من الأعمال إلَّا ما أريدَ به وجهه ، فأريدُوا الله بأعمالكم ، واعلموا أنَّ ما أخلصتم الله من أعمالكم ، فطاعةٌ أتيتموها ، وحظٌّ ظفِرتُم به ، وضرائبٌ أدَّيتموها ، وسلَفٌ قدَّمتموه من أيام فانيةٍ لأخرى باقية ، لحين فقرِكم وحاجتِكم ، واعتبرُوا يا عبادَ الله بمن مات منكم ، وفكروا فيمن كان قبلكم .

أين كانوا أمس وأين هم اليوم ! أين الجبارون الذين كان لهم ذكرُ القتال والغلبة ومواطن الحروب ؟ قد تضعف بهم الدهر وصاروا رميما ، قد تُركت عليهم القالات^(٢) ، الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات .

(١) الوحي : الإسراء .

(٢) ص : « المقالات » .

وَأَيْنَ الْمُلُوكَ الَّذِينَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ، قَدْ بَعُدُوا ، وَنُسِيَ ذِكْرُهُمْ ، وَصَارُوا كَلَأَ شَيْءٍ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِمُ التَّبِعَاتِ ، وَقَطَعَ عَنْهُمْ الشُّهُواتِ ، وَمَضَوْا وَالْأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ ، وَالْدُنْيَا دُنْيَا غَيْرِهِمْ ، وَبَقِينَا خَلْقًا بَعْدَهُمْ ، فَإِنْ نَحْنُ اعْتَبَرْنَا بِهِمْ نَجُونَا .

أَيْنَ الْوُضَاءُ الْحَسَنَةِ وَجُوهُهُمْ ، الْمَعْجُونُونَ بِشَبَابِهِمْ ! صَارُوا تَرَابًا ، وَصَارَ مَا فَرَطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ .

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ ؟ وَحَصَّنُوها بِالْحَوَائِطِ ، وَجَعَلُوا فِيهَا الْأَعَاجِيبَ ! قَدْ تَرَكَوْهَا لِمَنْ خَلَفَهُمْ ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةٌ وَهُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْقُبُورِ ، هَلْ تَحْسُنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ^(١) !

أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ ؟ قَدْ انْتَهَتْ بِهِمْ أَجَالُهُمْ ، فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا ، فَحَلُّوا عَلَيْهِ ، وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ أَوْ السَّعَادَةِ ؟ فَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ أَلَا إِنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا ، وَلَا يُصْرِفُ بِهِ عَنْهُ شَرًّا إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبِيدُ مَذْنُبُونَ ، وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَلَا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ .

وَاللَّهُ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر انفاذ جيش أسامة

قد ذكرنا في السيرة النبوية في الغزوات والسرايا ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد جهّز أسامة بن زيد قبل وفاته ، وندب معه جماعة من أعيان المهاجرين والأنصار ، منهم أبو بكر وعمر . وذكرنا أيضا ما تكلم به من تكلم من الصحابة في شأنه ، وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بلغه ذلك ، من الثناء على أسامة ابن زيد وعلى أبيه زيد بن حارثة ، واستخلافه للإمارة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض جيش أسامة بالجرف .

فلما^(١) بويح أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، كان أول ما بدأ به أن أمر مناديه فنادى في الناس من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعم بعث أسامة : ألا لا يبقين في المدينة أحد من جنود أسامة إلا أخرج إلى عسكره بالجرف .

رؤي ذلك عن عاصم بن عدى . وعن هشام بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : لما بويح أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وجمع الأنصار على الأمر الذي افترقوا عنه ، قال : ليتم بعث أسامة ، وقد ارتدت العرب ، إمّا عامة ، وإمّا خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشربأت اليهودية والتصرانية ، والمسلمون كالغنم المطيرة ، في الليلة الشاتية ؛ لفقد نبيهم وقتلتهم ؛ وكثرة عدوهم .

فقال له الناس : إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك ، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين .

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٢٥ وما بعدها .

فقال أبو بكر^(١) : والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته .

وعن الحسن بن أبي الحسن ، قال : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم ، وفيهم عمر ابن الخطاب ، وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف أسامة بالناس ، ثم قال^(١) لعمر بن الخطاب : ارجع إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه ، يأذن لي [أن]^(٢) أرجع بالناس ، فإن معي وجوه الناس وجدّهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون . وقالت الأنصار : فإن أبى إلا أن نمضي ، فأبلغه عنا ، واطلب إليه أن يؤلّي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة .

فخرج عمر بأمر أسامة ، فأبى بكر ، فأخبره بما قال أسامة ، فقال أبو بكر : لو خطفتني الكلاب أو الذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فإن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تؤلّي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة . فوثب أبو بكر وكان جالساً . فأخذ بلحية عمر ، وقال : ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب ! استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأمرني أن أنزعه !

(١) ص : « ثم قام » .

(٢) بكلمة من ص .

فخرج 'عمر إلى الناس ، فقالوا : ما صنعت ؟ فقال : امضوا
ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم !

ثم خرج أبو بكر رضى الله عنه حتى أتاهم ، فأشخصهم وشيعهم
وهو ماش ؛ وأسماء راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة
أبي بكر ، فقال له أسماء : يا خليفة رسول الله ، والله لتركبن
أو لأنزلن ! فقال : والله لا تنزل والله لا أركب ، وما على أن أغبر
قدمي في سبيل الله ساعة ؛ فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة
حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وتُمحى عنه سبعمائة
خطيئة ؛ حتى إذا انتهى أبو بكر ، قال لأسماء : إن رأيت أن تعينني
بعمرفاعل ، فأذن له . ثم قال :

يأيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لاتخونوا
ولا تغلّوا ^(١) ولا تغدروا : ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ،
ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا ^(٢) نخلاً ، ولا تحرقوه ،
ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً
إلا لما كلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم بالصوامع
فدعّوهم وما فرّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدّمون على أقوام يأتونكم
بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا
اسم الله عليها . وسوف تلقون أقواماً قد فحّصوا أوساط رءوسهم ^(٣) ،

(١) الغلول : أخذ شيء من الغنمة خفية قبل انقصة .

(٢) عقر النخلة : قطعها من أصلها فسقطت .

(٣) فحّصوا رؤوسهم . أى أن الشيطان جعلها مفاحص كما تستوطن القطا مفاحصها .

وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقا ، اندفعوا باسم الله .

ثم أوصى أسامة أن يفعل ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسار وأوقع بقبائل قضاة التي ارتدت ، وغنم وعاد ، وكانت غيبته أربعين يوما ، وقيل : سبعين يوما ، وقيل : أربعين ؛ سوى مقامه ومقفله راجعا .

وكان إنفاذ جيش أسامة من أعظم الأمور نفعا للمسلمين ، فإن العرب قالوا : لو لم تكن لهم قوة ما أرسلوا هذا الجيش ؛ فكفوا عن كثير مما كانوا عزموا على فعله ؛ وذلك ببركة اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر أخبار من ادعى النبوة من الكذابين

وما كان من أمرهم ، وتجهيز أبي بكر الصديق

الجيش إليهم ، وإلى من ارتد من قبائل العرب

قال المؤرخون : كان ادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ، وهم : الأسود العنسي ، وطليحة الأسدي ، ومسيلمة الكذاب ، وادعت النبوة سجاح بنت الحارث التميمية .

فأما ^(١) الأسود العنسي ، واسمه عبهلة بن كعب بن عوف العنسي - بالنون الساكنة . وعنس بطن من مدحج - فكان يلقب ذا الخمار لأنه كان متخمرا أبدا .

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٧ وما بعدها .

وقال أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : إنه كان له جمار^(١) معلّم يقول له : اسجد لربك ، فيسجد . ويقول له : ابرك فيبرك . فقيل له : ذا الجمار . والله تعالى أعلم .

وكانت رِدَّتُه أوّل رِدّة كانت في الإسلام ، وغلب على صنعاء إلى عُمان إلى الطائف

وكان من خبره ما روى عن الضحّاك بن فيروز الديلمي عن أبيه ؛ فقال : أوّل رِدّة كانت في الإسلام باليمن ، رِدّة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على يد ذى الخمار عبهلة بن كعب - وهو الأسود - في عامّة مذحج ، خرج بعد الودّاع . وكان الأسود كاهنًا مشعيذًا^(٢) ، وكان يُرهبهم الأعاجيب ، ويسبّي قلوب مَنْ سمع منطقته ، وكان أوّل ما خرج أن خرج من كهف خُبّان - وهي كانت موطنه وداره ، وبها ولد ونشأ - فكانت مَذْحِج وواعدوه نَجْران ، فوثبوا عليها ، وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص ، ثم أنزلوه منزلهما ، ووثب قيس بن عبيد يغوث على فروة بن مسيك فأجلاه ، ونزل منزله : فلم يلبث عبهلة بن نجران أن سار إلى صنعاء فأخذها ، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع لبازم ، حين أسلم . وأسلمت اليمن كلّها على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياته لم يعزله عنها ولا عن شيء منها .

(١) ك : « جمار » تحريف .

(٢) الشعذة والشعبة : أخذ كالسحر ، يري شيء بغير ما عليه .

ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام ، ففرّق رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم عمل اليمن على جماعة من أصحابه ، وهم : شهر بن باذام ، وعامر بن ^١شهر الهمداني ، وعبد الله بن قيس أبو موسى ، وخالد ابن سعيد بن العاص ، والطاهر بن أبي هالة ، ويعلى بن أمية ، وعمرو ابن حزم . وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي ، وعُكاشة ابن ثور بن أضغر الغوثي ؛ على السكاسك والسكون ، ومعاوية بن كندة . وبعث مُعاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين : اليمن وحضرموت .

وروي عن عبيد بن صخر ، قال : بينما نحن بالجند ، قد أقمناهم على ما ينبغي ، وكتبنا بيننا وبينهم الكتب ، إذ جاءنا كتاب من الأسود : أيها المتورّدون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفّروا ما جمّعتم ، فنحن أوّلُ به . وأنتم على ما أنتم عليه : فقلنا للرسول : من أين جئت ؟ قال : من كهف خُبّان ؛ ثم كان وجهه إلى نجران حتى أخذها في عشرٍ لمخرجه ، وطابقهُ عوامٌ مذحج ؛ فبينما نحن ننظر في أمرنا ، ونحن نجمع جَمْعنا إذ أتينا . فقيل : هذا الأسود بشعوب ^(١) ، وقد خرج إليه شهر بن باذام : وذلك لعشرين ليلةً من منجمه ؛ فبينما نحن ننتظر الخبر على مَنْ تكون الدبيرة ^(٢) ؛ إذ أتانا أنه قتل شهراً ، وهزم الأبناء : وغلب على صنعاء ، لخمس وعشرين ليلةً من منجمه .

وخرج مُعاذ هارباً حتى مرَّ بأبي موسى وهو بمأرب ، فاقتحما حضرموت : فأما مُعاذ فإنه نزل في السكون : وأما أبو موسى فإنه

(١) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع : أو بساكنين بظاهر صنعاء - ياقوت .

(٢) الدبيرة : الهزيمة في القتال ، وفي من : « الدائرة » .

نزل في السكاسك ، وانحاز سائرُ أمراء اليمن إلى الطاهر^(١) إلا عَمْرًا
وخالدًا ، فإنهما رجعا إلى المدينة ، والطاهرُ يومئذ في وسط بلاد عك
بحيال صنعاء ؛ وغلب الأسود على مابين صَهِيد - مفازة حضرموت -
إلى عمل الطائف ، إلى البحرين قبل عَدَن ، وطابقت عليه اليمن ،
وعك بتهامة معترضون عليه ، وجعل يستطير استطارة الحريق ، وكان
معه يوم لقي شهر بن باذام سبعمائة فارس سوى الركبان ، واستغلف
أمره ، ودانت له سواحل من السواحل وعَدَن والجند ؛ ثم صنعاء
إلى عمل الطائف إلى الأحسية وغيرها .

وعامله المسلمون بالبقية ، وعامله أهل الردة بالكفر ، والرجوع
عن الإسلام .

وكان خليفته في مدحج عمرو بن معدي كرب ، وأسند أمر جُنْدِه
إلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز ودادونه .
فلما أثنى في الأرض استخف بقيس وبغيزوز وبدادونه ،
وتزوج امرأة شهر ، وهي ابنة عم فيروز .

قال أبو عبيد بن صخر : فبينما نحن كذلك بحضرموت ،
ولانأمن أن يسير إلينا الأسود ، أو أن يبعث إلينا جيشا ، أو يخرج
بحضرموت خارج يدعى بمثل ما ادعى به الأسود ، فنحن على ظهر ،
تزوج معاذ إلى بني بكرة - حتى من السكون - امرأة يقال لها : رَمْلَة ،
فحلبوا لصهره علينا - وكان معاذ بها معجبا - فإن كان يقول فيما يدعو
الله به : اللهم ابغني يوم القيامة مع السكون ، ويقول أحيانا :

(١) در الطاهر بن أبي هالة وانظر الصفحة السابقة .

اللَّهُم اغفر للسَّكُونِ ؛ إِذْ جَاءَتْنا كُتُبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
يَأْمُرُنَا [فِيهَا] ^(١) أَنْ نَبْعَثَ الرِّجَالَ لِمُجَاوَلَتِهِ وَمُصَابَلَتِهِ ، وَأَنْ
نُبَلِّغَ كُلَّ مَنْ رَجَا عِنْدَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَامَ مُعَاذٌ فِي ذَلِكَ بِالَّذِي أَمَرَهُ بِهِ ، فَعَرَفْنَا الْقُوَّةَ ، وَوَثَّقْنَا بِالنَّصْرِ .

وَعَنْ جُشَيْشِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا وَبَرُّ بْنُ يُحْنَسٍ بِكِتَابِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا فِيهِ بِالْقِيَامِ عَلَى دِينِنَا ، وَالتَّهَوُّضِ
فِي الْحَرْبِ ، وَالْعَمَلِ فِي الْأَسْوَدِ ، إِمَّا غِيلَةً ، وَإِمَّا مَصَادِمَةً ، وَأَنْ تُبَلِّغَ
عَنْ مَنْ رَأَيْنَا أَنَّ عِنْدَهُ نَجْدَةً [وَدِينًا] ^(٢) ، فَعَمَلْنَا فِي ذَلِكَ ، فَرَأَيْنَا
أَمْرًا كَثِيفًا ، وَرَأَيْنَاهُ قَدْ تَغَيَّرَ لَقَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ - وَكَانَ عَلَى جَنْدِهِ -
فَقَلْنَا : يُخَافُ عَلَى دِمِهِ [فَهُوَ لِأَوَّلِ دَعْوَةٍ] ^(٣) ، فَدَعَوْنَاهُ وَأَنْبَأْنَاهُ
الشَّأْنَ ، وَأَبْلَغْنَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَأَنَّمَا وَقَعْنَا عَلَيْهِ
مِنَ السَّمَاءِ ، وَكَانَ فِي غَمٍّ وَضَيْقٍ بِأَمْرِهِ ، فَأَجَابَنَا إِلَى مَا أَحْبَبْنَا مِنْ
ذَلِكَ ، وَكَاتَبَنَا النَّاسُ ، وَدَعَوْنَاهُمْ . فَأَخْبَرَهُ الشَّيْطَانُ بِشَيْءٍ ، فَأَرْسَلَ
إِلَى قَيْسٍ وَقَالَ : يَا قَيْسُ ، مَا يَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ : وَمَا يَقُولُ ؟ قَالَ :
يَقُولُ : عَمَدَتُ إِلَى قَيْسٍ فَأَكْرَمْتَهُ ؛ حَتَّى إِذَا دَخَلَ مِنْكَ كُلُّ مَنْدَخِلٍ ،
وَصَارَ فِي الْعِزِّ مِثْلَكَ ؛ مَالٌ مِثْلَ عَدُوِّكَ ، وَحَاوَلَ مُلْكَكَ ، وَأَضْمَرَ عَلَى
الْقَدْرِ ، إِنَّهُ يَقُولُ : يَا أَسْوَدُ يَا أَسْوَدُ ! يَا سَوْءَةً ، يَا سَوْءَةً ! اقْطِفْ
قُنَّتَهُ ، وَخُذْ مِنْ قَيْسٍ أَعْلَاهُ ؛ وَإِلَّا سَلَبَكَ ، أَوْ قَطَفَ قُنَّتَكَ .

(١) تكملة من ص .

(٢) تكملة من تاريخ الطبري .

فقال قيس وحلف به ؛ كذب وذى الخمار ؛ لأننى أعظم فى نفسى ، وأرجى عندي من أن أحدث بك نفسى !

فقال : ما أجفاك ! أتكذب الملك ! صدق الملك ، وعرفت الآن أنك تائب مما أطلع عليه منك ، ثم خرج فأتانا فقال : يا جُشيش ، يا فيروز ، يا داذوينة ! إنه قد قال وقلت : فما الرأى ؟ فقلنا : نحن على حذر ؛ فإننا فى ذلك ، إذ أرسل إلينا ؛ فقال : ألم أشرفكم على قومكم ! ألم يبلغنى عنكم ! فقلنا : أقلنا مرتنا هذه ؛ فنجونا ، ولم نكد ، وهو فى ارتياب من أمرنا وأمر قيس ، ونحن فى ارتياب وعلى خطر عظيم ؛ إذ جاءنا اعتراض عامر بن شهر وذى زود وذى مران وذى الكلاع وذى ظليم عليه ، وكاتبونا وبذلوا لنا النصير ، وكاتبناهم ؛ وأمرناهم ألا يحركوا شيئاً حتى نُبْرِم الأمر ، وإنما احتاجوا لذلك حين جاء كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران ، إلى عربهم وساكنى الأرض من غير عربهم ، فتنحروا ، وانضموا إلى مكان [واحد] ^(١) . وبلغه ^(٢) ذلك ، وأحس بالهلاك ، وفرق لنا الرأى ، فدخلت على آزاد - وهى امرأته - فقلت : يا بنت عم ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ، قتل زوجك ، وطأ طأ فى قومك القتل ، وسفل بمن بقى منهم ، وفصح النساء ، فهل عندك من مبالاة عليه ؟ فقالت : على أى أمره ؟ قلت : إخراجاه ، فقالت : أو قتله ! قلت : أو قتله ، قالت : نعم والله ما خلق الله شخصاً أبغض إلى منه ؛ ما يقوم لله على حق ، ولا ينتهى له

(١) من ص والطبرى .

(٢) ص : « وبلغهم » .

عن حرمة ، فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بمأني هذا الأمر . فأخرج
فإذا فيروز وداؤويه ينتظراني ، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه ،
فقال له رجل قبل أن يجلس إلينا : المليك يدعوك ، فدخل في عشيرة
من مذحج وهمدان فلم يقدِر على قتله معهم .

فقال : يا عبهلة بن كعب بن غوث ، أمني تحصن بالرجال !
ألم أخبرك الحق وتخبرني الكذابة ^(١) ! إنه يقول : يا سوء ، إلا تقطع
من قيس يده ، يقطع قنّتك العليا ، حتى ظن أنه قاتله .

فقال : إنه ليس من الحق أن أقتلك وأنت رسول الله ؛ فمرني بما
أحببت ، فأما الخوف والفرع فأنا فيهما مخافة أن تقتلني ، وإما
قتلتني فموتة أهون عليّ من موتات أموتها كل يوم . فرق نه وأخرجه ؛
فخرج إلينا ، فأخبرنا . وقال : اعملوا عملكم ، وخرج إلينا في جمع ،
فقمنا مثولاً له ، وبالباب مائة دابين بقرة وبعير ، فقام وخط خطاً ،
وأقيمت من ورائه ، وقام من دونها فنحراها غير مجسّة ولا معقّلة ،
ثم خلّاها ما يفتحهم الخط منها شيء ، ثم خلّادها فجالت إلى أن زهقت .

فما رأيتُ أمراً كان أفظع منه ، ولا يوماً أو حش منه ، ثم قال :
أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز ؟ - وبوأ له الحرب - لقد هممت أن
أنحرك فأتبعك هذه البهيمة ؛ فقال : اخترتنا لصهرك ، وفصلتنا
على الأبناء ، فلو لم تكن نبياً ما بعنا نصيبنا منك بشيء ، فكيف
وقد اجتمع لنا بك أمر آخره وديننا لا تقبلن علينا أمثال ما يبلغك ؛
فإننا بحيث تحب ؛ فقال : أقسم هذه ، فأنت أعلم بمن هنا .

(١) ك : « وتخبرني الكذابة » .

فاجتمع إلى أهل صنعاء ، وجعلت أمر للرهط بالجزور ، ولأهل البيت بالبقرة ، ولأهل الحيلة بعبدة ، حتى أخذ أهل كل ناحية بقسطهم . فلحق به قبل أن يصل إلى داره - وهو واقف على - رجل يسعى إليه بفيروز ، فاستمع له ، واستمع له فيروز ، وهو يقول : أنا قاتله غداً وأصحابه ، فاغذُ على ، ثم التفت فإذا به ، فقال : مه ! فأخبره بالذي صنع ؛ فقال : أحسنت ، وضرب دابته داخلًا ، فرجع إلينا فأخبرنا بالخبر ، فأرسلنا إلى قيس ، فجاءنا ، فأجمع ملوهم أن أعود إلى المرأة ؛ فأخبرها بعزيمتنا لتخبرنا بما تأمر ، فأتيت المرأة ، وقلت : ما عندك ؟ قالت : هو متحرز متحرّس ، وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت ؛ فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق ، فإذا أمسيت فانقبوا عليه ، فإنكم من دون الحرس ؛ وليس دون قتله شيء . وقالت : إنكم سترون فيه سراجاً وسلاحاً ، فخرجت فتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازل ؛ فقال : ما أدخلك على ؟ ووجأ^(١) رأسي حتى سقطت ؛ وكان شديداً ، وصاحت المرأة فأدهشته عني ؛ ولولا ذلك لقتلني ؛ وقالت : ابن عمي جاءني زائراً ؛ فقال : اسكتي لا أبا لك ! فقد وهبته لك [فتزيت عني] ^(٢) ، فأتيت أصحابي ، فقلت : النجاء ! الهرب ! وأخبرتهم الخبر ، فإنا على ذلك حيارى إذ جاءني رسولها : لاتدعن ما فارقتك عليه ، فإني لم أزل به حتى اطمأن .

فلما أمسينا عملنا في أمرنا ، وقد واطأنا أشياءنا ، وعجلنا

(١) وجأ رأسه : ضربه .

(٢) من ص ، وفي الطبري : « فزأيت » .

عن مرسلة الهمدانيين والحميريين ، فنقبتنا البيت من خارج ، ثم دخلنا وفيه سراجٌ تحت جفنة ، والتقينا ^(١) بفيروز - وكان أنجدنا وأشدنا - فقلنا : انظر ماذا ترى ؟ فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه في مقصورته ، فلما دنا من باب البيت سمع غطيظاً شديداً ، فإذا المرأة جالسة ، فلما قام على الباب أجلسه الشيطان ، فكلمه على لسانه وإنه ليغطُّ جالساً . وقال أيضاً : مالى ولك يا فيروز ! فخشى إن رجع أن يهلك ويهلك المرأة ، فعاجله فخالطه وهو مثل الجمل ، فأخذ برأسه فقتله ، فدقَّ عُنُقَه ، ووضع ركبتيه في ظهره فدقّه ، ثم قام ليخرج ، فأخذت المرأة بثوبه ، وهى ترى أنه لم يقتله ، فقالت : أين تدعنى ؟ قال : أخبر أصحابي بمقتله ؛ فأنا : فقمنا معه ، فأردنا حزَّ رأسه ، فحركه الشيطان فاضطرب فلم يضبطه . فقلتُ : اجلسوا على صدره ، فجلس اثنان على صدره ، وأخذت المرأة بشعره ، وسمعنا بربرة ^(٢) ، فأمر الشفرة على حلقه ، فخار كأشدَّ خوار ثور سمعته قط .

فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة ، فقالوا : ما هذا ، ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبي يوحى إليّ ؛ فحمد ، ثم سمرنا ليلتنا ونحن نأتمر كيف نخبر أشباعنا ؛ ليس غيرنا ثلاثتنا [فيروز ودادويه وقيس] ^(٣) ، فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا

(١) ص : « واتقينا » .

(٢) البربرة : الصوت المختلط .

(٣) من ص والطبرى .

أو بين أشياعنا ، ثم ينادي بالأذان فلما سمع بذلك ، وطلع^(١) الفجر ، نادى داؤويه بالشعار ، ففرع المسلمون والكافرون ، وتجمع الحرس فأحاطوا بنا .

ثم ناديت بالأذان ، وتوافت خيولهم إلى الحرس ، فناديتهم ، أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن عبه كذاب ، وألقينا إليهم رأسه ، فأقام وبر الصلاة ، وشنها القوم غارة ، وناديننا : يا أهل صنعاء ، من دخل عليه داخل فتعلقوا به ، ومن كان عنده منهم أحد لم يخرج ، فتعلقوا به ، وناديننا بمن في الطريق : تعلقوا بمن استطعتم ، فاختطفوا صبياننا كثيراً ، وانتهبوا ما انتهبوا ، ثم مضوا خارجين .

فلما برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركباناً ، وإذا أهل الطريق والدور قد وافوناهم ، وفقدنا سبعمائة عيال ، ثم راسلونا وراسلناهم على أن يتركوا لنا ما في أيديهم ، ونترك لهم ما في أيدينا ، ففعلوا ، فخرجوا لم يظفروا بشيء .

وترددوا فيما بين صنعاء ونجران ، وخلصت صنعاء والجند ، وأعز الله الإسلام وأهله ، وتنافسنا الإمارة ، وتراجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم ، فاضطلعنا على معاذ بن جبل فكان يصلي بنا ، وكتبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، وذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه الخبر من ليلته ، وقدمت رؤسنا ، وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة تلك الليلة ، فأجابنا أبو بكر رضي الله عنه^(٢) .

(١) ص : ه فاطم .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٢٣١ - ٢٣٦ .

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : أتى الخبرُ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم من السماء الليلة التي قُتِلَ فيها العنسيُّ ليُبشِّرنا فقال : قُتِلَ الأسودُ البَارحةُ ، قتلَه رجلٌ مباركٌ من أهل بيتٍ مباركين قيل : ومن هو ؟ قال : فيروز .

وعن فيروز ؛ قال : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا كما كان ، إلّا أنّنا أرسلنا إلى مُعاذٍ ؛ فتراضينا عليه ، فكان يصليُّ بنا في صَنعَاءَ ، فوالله ما صليُّ بنا إلّا ثلاثاً ونحن راجعون مؤملون ، حتّى أتى الخبرُ بوفاةِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فانتقضتِ الأمور ، وأنكرنا كثيراً ممّا كنّا نعرف ، واضطربت^(١) الأرض .

وكانت مدّة العنسيِّ من حين ظهور أمره إلى أن قُتِلَ ثلاثة أشهرٍ . وعن الضحّاك بن فيروز ، قال : كان ما بين خروجه بكهفِ خُبّانٍ إلى مقتله نحواً من أربعة أشهر ، وقد كان قبل مُستسراً بأمره حتّى نادى بعد .

وقال أبو بشر الدّولابيّ : إنّه قتل في خلافة أبي بكر رضى الله عنه . والله أعلم .

وقيل : أتى الخير بمقتله إلى المدينة في آخر ربيع الأوّل ، سنة إحدى عشرة ، بعد إنفاذ جيش أسامة بن زيد ، فكان ذلك أول فتح لأبي بكر الصديق رضى الله عنه .

وروى أبو عمر بن عبد البر بسندٍ يرفعه إلى مُرَحْبِيل بن مسلم

(١) من : « اضطربت » .

الْخَوْلَانِي أَنَّ الْأَسُودَ بَعَثَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْخَوْلَانِي ، فَلَمَّا جَاءَهُ
 قَالَ : أَتَشْهَدُ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَسْمَعُ ، قَالَ : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
 رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَرَدَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ .
 قَالَ : فَأَمَرَ بِنَارٍ عَظِيمَةٍ فَأُجِّجَتْ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِيهَا أَبَا مُسْلِمٍ ، فَلَمْ
 تَضُرَّهُ شَيْئًا . فَقِيلَ لَهُ : انْفِ عَنكَ وَالْأَفْسَدُ عَلَيْكَ مَنْ اتَّبَعَكَ ، فَأَمَرَهُ
 بِالرَّحِيلِ ، فَأَتَى أَبُو مُسْلِمٍ الْمَدِينَةَ وَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَنَاخَ أَبُو مُسْلِمٍ رَاحِلَتَهُ
 بِبَابِ الْمَسْجِدِ ، وَقَامَ فَصَلَّى إِلَى مَسَارِيَةٍ ، وَبَصُرَ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : مِمَّنَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، قَالَ : مَا فَعَلَ
 الَّذِي أَحْرَقَهُ الْكَذَّابُ بِالنَّارِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ ، قَالَ : أَنْشُدْكَ
 اللَّهُ أَذْنَتْ هُوَ ! قَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ : فَاعْتَنَقَهُ عُمَرُ ، وَبَكَى . ثُمَّ ذَهَبَ
 [بِهِ] ^(١) حَتَّى أَجْلَسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي لَمْ يُمَتِّنِي حَتَّى أَرَى فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِعْلٍ
 بِهِ كَمَا فَعَلَ بِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) .

هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَنْسَى ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْكَذَّابِينَ ، فَسَنَذْكُرُ
 أَخْبَارَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِنَا تَجْهِيْزَ أَبِي بَكْرٍ الْجِيُوشَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) بَکْمَلَةً مِنْ ص .

(٢) الْإِسْتِمْبَاطُ ١٧٥٨ .

ذكر غزوة أبي بكر

وقتاله أهل الردة وعيس وذبيان

قالوا : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتدت العرب كلها إلا قريشاً وثقيفاً ، وأتت وفود العرب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرتدين يُقرّون بالصلاة ، ويمنعون الزكاة ، فلم يقبل ذلك منهم وردّهم . وقال : والله لو منعوني عقالاً^(١) كانوا يؤدّونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليها . وخرج في جمادى الآخرة منها : واستخلف على المدينة أسامة بن زيد ، وقيل : منانا الضمري ، وسار فنزل بذي القصة^(٢) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث نوفل بن معاوية الديلمي^(٣) على الصدقة ، فلقه خارجة بن حصين بالشربة^(٤) ، فأخذ مائتي يديه وردّه على بني فزارة ، ورجع نوفل إلى أبي بكر بالمدينة .

فأول حرب كانت في الردّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب العنسي باليمن : ثم حرب خارجة بن حصين ومنظور بن زبّان بن سيار في غطفان : والمسلمون غارون^(٥) ، فانهاز أبو بكر إلى أكمة فاستتر بها : ثم هزم الله المشركين .

(١) العقال : الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة .

(٢) ذو القصة : موضع بين وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً .

(٣) ص : « الديلي » .

(٤) الشربة : موضع في بلاد نجد .

(٥) غارون : غافلون : وفي ك : « غارون » .

وروي أن أول غزاة غزاها أبو بكر : كانت إلى بني عبس وذبيان ، وأنه قاتلهم وهزمهم ، وأتبعهم حتى نزل بذى القصة ، وكان ذلك أول الفتح ، ووضع أبو بكر رضى الله عنه بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة ، فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلهم . فحلف أبو بكر رضى الله عنه : لَيَقْتُلَنَّ في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة .

وقدمت رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد : ووفود من كان كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم .

وأمر أمره في الأسود ومُسَيْلَمَة وطلحة بالأخبار والكتب ، فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر ، وأخبروه الخبر ، فقال لهم : لا تَبْرَحُوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتُم : وأمر بانتقاض الأمور ، فلم يلبثوا أن قدمت كتب أمراء النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم من كل مكان بآنتقاض ، عامة أو خاصة ، وتبسط .^(١) من ارتد على المسلمين بأنواع الميل .

فحاربهم أبو بكر رضى الله عنه بما كان النبي صلى الله عليه وسلم [يحاربهم]^(٢) ، حاربهم بالرسول ، فرد رسلهم ، وأتبع الرسل رسلاً ، وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة بن زيد ، وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على الصدقة ، وهم صفوان بن صفوان ، والزبير بن

(١) ك : « وبسط » .

(٢) بكلمة من ص .

بذُر ، وعدى بن حاتم ، فازداد المسلمون قُوَّةً ، ثم قَدِمَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فاستخلفه أبو بكرٍ على المدينة ومعه جنده لِيَسْتَرِيحُوا .

ثم خرج بمن كان معه ، فناشدَهُ المسلمون لِيَقِيمَ ، فَأَبَى وَقَالَ :
لَأُؤَيِّسَنَّكُمْ بِنَفْسِي ، فسار إلى حُسَى وَذِي الْقَصَّةِ حَتَّى نَزَلَ بِالْأَبْرِقِ ،
فقاتل من به من المشركين فهزَمَهُمْ ، وَأَخَذَ الْحَطِثَةَ أَسِيرًا ، وَأَقَامَ
بِالْأَبْرِقِ أَيَّامًا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَحِقَ مَنْ انْهَزَمَ مِنْ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ
وطلَّيْحَةَ .

وروى عن هشام بن عروة عن أبيه أَنَّ أَوَّلَ مَنْ صَادَمَ أَبُو بَكْرٍ
وَضَى اللَّهُ عَنْهُ بَنِي عَبَسٍ وَذُبْيَانَ ، عَاجَلُوهُ ، فَقَاتَلَهُمْ قَبْلَ رُجُوعِ أَسَامَةَ .
ولما قدم أَسَامَةُ استخلف على المدينة ، ومضى حَتَّى انْتَهَى إِلَى الرِّبْدَةِ ،
فَتَلَقَّى بَنِي عَبَسٍ وَذُبْيَانَ وَجَمَاعَةً مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، فَلَقِيَهُمْ
بِالْأَبْرِقِ ، فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَلَّبَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ (١) .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب : وإليه المرجع والمآب .

ذكر عقد أبي بكر رضى الله عنه الألوية

وتجهيزه الجيوش لقتال أهل الردة وما كاتب به من ارتد وما عهد .

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في تاريخه ^(١) ما مختصره ومعناه : لما رجع أبو بكر رضى الله عنه إلى المدينة ، وأراح أسامة وجنده ظهرهم [وجموا] ^(٢) ، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم ، قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواء :
 عقد لخالد بن الوليد ، وأمره بطليحة : فإذا فرغ سار إلى مالك ابن نويرة بالبطحاء إن أقام له .
 وعقد لعكرمة وأمره بمسيلمة الكذاب باليمامة .

وعقد للمهاجر بن أبي أمية ، وأمره بجنود العنسى ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوخ ، ومن أعانته من أهل اليمن عليهم : ثم يمضى إلى كندة بحضرموت .

وعقد لخالد بن سعيد بن العاص ، وبعثه إلى الحمقتين من مشارف الشام .

وعقد لعمر بن العاص وأرسله إلى جماع قضاة ووديعه والحارث .
 وعقد لحذيفة بن محسن الغلفاني ، وأمره بأهل دبا .

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٩ وما بعدها .

(٢) زيادة من تاريخ الطبري .

ابن هرثمة ، وأمره بمهرة وأمرهما أن يجتمع كل واحد منها في عمله .

وبعث شُرْحَبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ فِي أَثَرِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ وَقَالَ :
إِذَا فُرِغَ مِنَ الْيَمَامَةِ فَالْحَقْ بِقُضَاعَةَ ؛ وَأَنْتَ عَلَى خَيْلِكَ تُقَاتِلُ أَهْلَ
الرَّدَّةِ .

وعقد لمعن بن حاجر - ويقال : لِطُرَيْفَةَ بْنِ حَاجِرٍ - وأمره ببني
سُلَيْمٍ وَمِنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ

وعقد لسويد بن مقرن ؛ وأمره بتهامة اليمن .

وعقد للعلاء بن الحضرمي ، وأمره بالبحرين .

فَقَصَلَتِ الْأَمْوَاءُ مِنْ ذِي الْقَصَةِ ، وَلَحِقَ بِكُلِّ أَمِيرٍ جُنْدُهُ ؛ وَعَهْدَ
إِلَى كُلِّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ ؛ وَكُتِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى سَائِرِ مَنْ ارْتَدَّ نُسْخَةٌ
وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ أَنِي بِكَرِّ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ
كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ أَوْ خَاصَّةٍ ؛ أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ .
سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ؛ وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ
وَالْعَمَى ؛ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ وَأَقْرَأُ بِمَا جَاءَ بِهِ .
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بِشِيرًا
وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا ؛ لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا .

وَبِحَقِّ الْقَوْلِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، فَهَدَى اللَّهُ لِلْحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِذْنِهِ مِنْ أَذْبَرِ عَنْهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى الْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، ثُمَّ تُوَفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ نَفَذَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ .

وَكَانَ اللَّهُ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ ذَلِكَ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ ؛ فَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) ، وَقَالَ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ^(٢) ، وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٣) .

فَمَنْ كَانَ إِنَّمَا يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ إِنَّمَا يَعْْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ بِالْمُرْصَادِ ، حَتَّى قِيَوْمٌ لَا يَمُوتُ ، وَلَا تَأْخُذُهُ يَسَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، حَافِظٌ لِأَمْرِهِ ، مُنْتَقِمٌ مِنْ عَدُوِّهِ ، يَجْزِيهِ .

وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَحِظْكُمْ وَنَصِيْبُكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيِّكُمْ ، وَأَنْ تَهْتَدُوا بِهِدَاهِ : وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِدِينِ اللَّهِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ ضَالٌّ ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُعَافِهِ اللَّهُ مُبْتَلًى ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُعِنِهِ اللَّهُ مَخْذُولٌ .

فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ كَانَ ضَالًّا ، فَإِنَّهُ قَالَ

(١) سورة الزمر ٣٠ .

(٢) سورة الأنبياء ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٤ .

﴿ من يَهْدِ اللهُ فهو المهْتَدِ ومن يَضِلِّ فلنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (١) .
وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يَقْرَبَهُ ، وَلَمْ يَقْبَلْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ
وَلَا عَدْلٌ .

وقد بلغنى رجوعُ من رَجَعَ مِنْكُمْ عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام ،
وعمل به اغتراراً بالله وجهالةً بأمْرِه ، وإجابة للشيطان .

وقال الله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو
حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣) .

وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين
لهم بإحسان ، وأمرته ألاَّ يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية
الله ، فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ ، وعمل صالحاً قبل منه ، وأعانه عليه ،
ومن أبى أمرت أن يُقاتله على ذلك ، ثم لا يُبقَى على أحدٍ منهم قدرٌ
عليه ، وأن يُخرقَهُم بالنيران ويقتلَهُم كل قِتْلَةٍ : ويسبى النساء
والذراري ، ولا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام .

فمن اتبعه فهو خيرٌ له ، ومن تركه فلنْ يُعْجزَ اللهُ : وقد أمرتُ
رُسُلِي أن يقرأ كتابي في كلِّ مجمعٍ لكم .

والدَّاعيةُ الأذانُ ؛ فإذا أذن المسلمون فأذَّنوا كفُّوا عنهم ، وإن لم

(١) سورة الكهف ١٧

(٢) سورة الكهف ٥٠

(٣) سورة فاطر ٦

يُؤَدُّنَا عَاجِلُوهُمْ ، وَإِنْ أَدُّنَا أَسْأَلُوهُمْ مَا عَلَّمْتَهُمْ ، فَإِنْ أَبَوْا عَاجِلُوهُمْ ،
وإنْ أَقَرُّوا قَبِلَ مِنْهُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ .

قال : فَنفذت الرُّسُلُ بِالْكِتَابِ أَمَامَ الْجَنُودِ ، وَخَرَجَتْ الْأُمَرَاءُ
وَمَعَهُمُ الْعُهُودُ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا عهدٌ من أبي بكرٍ خليفة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
إلى فلان ، حين بعثه فيمن بعث لقتال من رجع عن الإسلام ؛ عهد^(١)
إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله ؛ سره وعلايته ، وأمره
بالجد في الله ومجاهدة من تولّى عنه ، ورجع عن الإسلام ، فإن أجابوه
أَمْسَكَ عَنْهُمْ ، وإن لم يجيبوه شَنَّ غَارَتَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُقِرُّوا لَهُ ، ثُمَّ
يَنْبِئُهُم بِالَّذِي عَلَيْهِمْ وَالَّذِي لَهُمْ ، وَيَأْخُذَ مَا عَلَيْهِمْ ، وَيُعْطِيَهُمُ الَّذِي
لَهُمْ ؛ لَا يُنْظِرُهُمْ ، وَلَا يَرُدُّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِتَالِ عَدُوِّهِمْ ، فَمَنْ أَجَابَ
إلى أمر الله وأقر له قبل ذلك منه ، وأعانه عليه بالمعروف [وإنما يقاتل
من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله]^(٢) ، وإذا أجاب الدعوة
لم يكن عليه سبيل ، وكان الله حسيبه فيما استسمر به ، ومن لم يجب
داعية الله قُتِلَ وَقُوَّتِلَ حَيْثُ كَانَ ، وَحَيْثُ بَلَغَ مَرَاغِمَهُ^(٣) ؛
لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا أَعْطَاهُ إِلَّا الْإِسْلَامَ ، فَمَنْ أَجَابَهُ وَأَقَرَّ قَبْلَ مَنْهُ
وَعَلَّمَهُ ، وَمَنْ أَبَى قَاتِلَهُ ؛ فَإِنْ أَظْهَرَهُ اللَّهُ [عليه]^(٢) قَتَلَ مِنْهُمْ كُلَّ

(١) الطبرى : « وعهد إليه » .

(٢) زيادة من تاريخ الطبرى .

(٣) المرافم : المهرب والمذهب والحسن .

قتلة ، بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس .
فإنه يبلغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألا يدخل [فيهم
حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم ؛ لا يكونوا عيوناً ، ولئلا يؤتّى المسلمون
من قبلكم وأن يقتصد]^(١) بالمسلمين ، ويرفق بهم في السير والمنزل ،
ويتفقدتهم ولا يُعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصي بالمسلمين في
حسن الصُحبة ولين القول .

والله تعالى أعلم بالصواب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى
الله على سيدنا محمد .

ذكر خبر طليحة الأسدي

وما كان من أمره وأمر من اتبعه من

قبائل العرب وما آل إليه أمره بعد ذلك

كان^(٢) خبر طليحة بن خويلد الأسدي ؛ أسد خزيمية ، أنه
ارتد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعى النبوة ، فلما ظهر
أمره وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور إلى عماله
على بني أسد ، وأمرهم بالقيام في أمر طليحة ومن ارتد معه ، ونزل
المسلمون بواردات ، ونزل المشركون بسَميراء .

فضعف أمر طليحة ، وما زال المسلمون في ثناء ، والمشركون
في نقصان حتى هم ضرار بن الأزور أن يسير إلى طليحة ، ولم يبق أحد

(١) زيادة من تاريخ الطبري .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٥٩ وما بعدها .

إِلَّا أَخَذَهُ سَلَامًا^(١) ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ ضَرَبَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ فَنَبَاعَنهُ ، وَشَاعَتْ
تِلْكَ الضَّرْبَةُ فِي النَّاسِ ، وَقَالُوا : إِنَّ السَّلَاحَ لَا يَعْمَلُ فِي طُلَيْحَةٍ ، فَبَيْنَمَا
النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ وَرَدَ الْخَبَرُ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَمَا أَمْسَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى عَرَفُوا النِّقْصَانَ ، وَكَثُرَ جَمْعُ
طُلَيْحَةٍ وَاسْتَطَارَ أَمْرُهُ ، وَادَّعَى أَنَّ جَبْرِيلَ يَأْتِيهِ ، وَسَجَّعَ لِلنَّاسِ الْأَكَاذِيبَ
فَكَانَ مِمَّا أَقْبَى بِهِ قَوْلُهُ : « وَالْحَمَامُ وَالْيَمَامُ ، وَالصُّرْدُ الصَّوَامُ ، قَدْ
ضَمِنَ قَبْلَكُمْ بِأَعْوَامٍ ، لِيُبْلَغُنَّ مَلَكُنَا الْعِرَاقَ وَالشَّامَ » . وَأَمَرَ طُلَيْحَةُ
النَّاسَ بِتَرْكِ السُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ ، وَتَبِعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ
أَكْثَرُ أَتْبَاعِهِ أَسَدٌ وَغُظْفَانٌ وَطَيْيٌ ، وَلَمَّا انْهَزَمَتْ عَبَسُ وَذُبْيَانُ التَّحْقُوقَ
بِهِ بِبِزْأَخَةٍ ، وَأَرْسَلَ طُلَيْحَةُ إِلَى جَدِيدَلَةَ وَالْغَوْثِ - وَهُمَا حَيَّانٍ مِنْ
طَيْيٍ - أَنْ يَنْضَمُوا إِلَيْهِ ، فَتَعَجَّلَ إِلَيْهِ أَنَاسٌ مِنَ الْحَبَشِيِّينَ ، وَأَمَرُوا
قَوْمَهُمُ بِاللِّحَاقِ بِهِمْ ، فَقَدَمُوا عَلَى طُلَيْحَةٍ وَكَانُوا مَعَهُ . وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ الطَّائِيَّ قَبْلَ تَوْجِيهِهِ^(٢) خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ
إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ : أَذَرِكُهُمْ لَا يُؤْكَلُوا ؛ فَخَرَجَ عَدِيٌّ إِلَيْهِمْ ؛ [فَفَتَلَهُمْ
فِي الدَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ]^(٣) ، وَخَرَجَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي أَثَرِهِ ؛ وَأَمَرَهُ أَبُو بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَبْدَأَ بِطَيْيٍّ عَلَى الْأَكْنَافِ ؛ ثُمَّ يَكُونُ وَجْهَهُ إِلَى الْبِزْأَخَةِ ،
ثُمَّ يُثَلِّثُ بِالْبُطَاحِ ، وَلَا يَبْرَحُ إِذَا فَرَعَ مِنْ قَوْمٍ حَتَّى يَأْذَنَ^(٤)
لَهُ ، وَأَظْهَرَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ خَارِجٌ إِلَى خَيْبَرَ وَمَنْصَبٌ عَلَيْهِمْ مِنْهَا ، حَتَّى
يَلَاقِيَهُ بِالْأَكْنَافِ ، أَكْنَافُ سَلْمَى .

(١) السُّلَمُ : الْإِسْتِسْلَامُ .

(٢) الطَّيْرِيُّ : « قَبْلَ تَوْجِيهِهِ خَالِدَ » .

(٣) زِيَادَةُ مِنْ تَارِيخِ الطَّيْرِيِّ .

(٤) الطَّيْرِيُّ : « يَتَخَدَّثُ إِلَيْهِ » .

قال ابن الكلبي : وإنما قال ذلك أبو بكر مكيدة حتى يبلغ ذلك عدوه فيُرعيهم ، وكان قد أوعب^(١) مع خالد الناس ، فخرج خالد ، فازوار عن البزاةحة وجنح إلى أجأ ، وقدم عدي بن حاتم عليهم ؛ ودعاهم إلى الإسلام ؛ فأجابوه بعد امتناع ، وقالوا له : أخر عنا الجيش حتى نستخرج من الحق بالبزاةحة منا ، فإننا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهنهم ، فاستقبل عدي خالدًا وهو بالسُّنح ، فقال : يا خالد ، أمسك عني ثلاثًا ؛ تجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك ؛ خير من أن تُعجلهم إلى النار . وتشاغل بهم ، ففعل وعاد إليهم وقد أرسلوا إلى إخوانهم ؛ فاتوهم من بزاةحة كالمذد ، ولولا ذلك لم يتركوا ، فعاد عدي بإسلامهم إلى خالد ، وارتحل خالد يريد جديلة ، فقال له عدي : إن طيئًا كالطائر ، وإن جديلة أحد جناحي طييء ، فأجلى لعل الله أن ينقذ جديلة لك كما أنقذ القوث ؛ ففعل ، وأتاهم عدي ؛ فلم يزل بهم حتى بايعوه ؛ فجاء بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راکب ، فكان خير مولود ولد في أرض طييء وأعظمه عليهم بركة .

قال هشام الكلبي : وسار خالد بن الوليد إلى طليحة ، وكان أبو بكر رضي الله عنه قد جعل ثابت بن قيس على الأنصار وأمره إلى خالد ، فلما دنا خالد من القوم ، بعث عكاشة بن محصن ، وثابت ابن أقرم بن ثعلبة العجلاني البلوي حليف الأنصار^(٢) طليعة ؛ حتى إذا

(١) أوعب الناس : جمعهم .

(٢) الطبري : وأحد بني العجلان .

دنوا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة ينظران ويسألان ، فلقياهما فبرز سلمة ثابت ، وبرز عكاشة لطليحة ، فأما سلمة ، فلم يعمل ثابتاً أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعنى على الرجل [فإنه آكل]^(١) ، فاعتونا على عكاشه^(٢) ، فقتلاه ثم رجعا ، وأقبل خالد بالناس ، فمروا بثابت بن أقرم قتيلاً ، فلم يفظنوا له حتى وطئته المطى بأخفافها ، فكبر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة صريعاً ، فجزع لذلك المسلمون وقالوا : قتل سيدان من سادات المسلمين ، وفارسان من فرسانهم .

قال : ثم التقى المسلمون بطليحة ومن معه على بُزَاخة ، واقتتلوا أشد قتال ، وطليحة متلفف في كسائه بفناء بيته يتنبا لهم بزعمه ، وكان عيينة ابن حصن بن حذيفة الفزاري مع طليحة في سبعماية من بني فزارة يُقاتل قتالاً شديداً ، فلما اشتد القتال كر عيينة على طليحة ، فقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : لا ؛ فرجع فقاتل حتى إذا ضرس^(٣) القتال ، وهزته الحرب كر عليه ، فقال له : لا أبأ لك ! هل جاءك جبريل بعد ؟ فقال : لا ، فقال عيينة : حتى متى ؛ قد والله بلغ منا ! ثم رجع فقاتل ؛ حتى إذا بلغ كر عليه فقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : نعم ؛ قال : فما قال لك ؟ قال : قال لي : « إن لك رَحاً كرحاه . وحديثاً لا تنساه » . قال عيينة : قد علم الله أن سيكون لك حديث لا تنساه ، ونادى عيينة : يا بني فزارة ؛ هكذا فانصرفوا ، فهذا

(١) زيادة من الطبرى .

(٢) اعتونا : تماونا .

(٣) ضرس القتال : اشتد ، وفى ك : « ضرس من القتال » .

والله كذاب ، فانصرفوا وانهمز الناس فغشوا طليحة ، يقولون : ماذا تأمرنا؟ وكان طليحة قد أعد فرسه وراحته عنده : فلما غشيه الناس قام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته النوار على الراحلة فنجبا بها ، وقال للناس : من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل ، ثم سلك الجوشية ولحق بالشام فارفض جمعه ، وقتل الله من قتل منهم ، وأنت قبائل سليم وهوازن وفزارة وأسد وغطفان : وتلك القبائل يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله وبرسوله ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا .

فبايعهم خالد بن الوليد على الإسلام ، ثم أقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة ، يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، فبايعهم خالد على ما بايع عليه أهل البزاخة من أسد وغطفان وطىء قبلهم : وأعطوه بأيديهم على الإسلام .

قال أبو الحسن على المعروف بابن الأثير : وكانت ^(١) بيعته : عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله ، ولتقيمن الصلاة ، ولتؤتنن الزكاة ، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم ! فيقولون : نعم ، ولم يقبل من أحد ^(٢) منهم إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا ، وعدوا على المسلمين ^(٣) في حال ردتهم ، فأتوه بهم ، فقبل منهم إلا قرّة بن هبيرة سيد بني عامر ونفر معه أوثقهم ، ومثل بالذين عدوا على المسلمين فأحرقهم بالنيران بالحجارة ، ورمى بهم من الجبال : ونكسهم في

(١) الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٣٦ وما بعدها .

(٢) ابن الأثير : من أسد وغطفان وطىء وسلم .

(٣) ابن الأثير : على الإسلام .

الآبار أو أرسل إلى أبي بكر يعلمه ما فعل^(١) ، ورضخهم ، وبعث بقرّة وبالأُسارى إلى أبي بكر رضي الله عنه وكتب إليه : إنَّ بني عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت في الإسلام بعد تربّص ، وإنّي لم أقبل^(٢) من أحدٍ سألني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين ، فقتلتهم كلّ قِتلة ، وبعثت إليك^(٣) بقرّة وأصحابه .

فكتب أبو بكر إليه : ليزدك ما أنعمَ اللهُ به عليك خيراً ، فاتق الله في أمرك ، فإنَّ الله مع الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هم محسنون ، جدّ في أمر الله ولا تنين ولا تظفرن بأحدٍ قتل المسلمين إلا قتلته ، ونكّلت به غيره .

وكان عيينة بن حصن ممن أيسر ، روى عن عُبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود . قال : أخبرني مَنْ نظر إلى عيينة بن حصن مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ فِي حَبْلٍ ، يَنْخُسُهُ غِلْمَانُ الْمَدِينَةِ بِالْجَرِيدِ يَقُولُونَ : أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ ، أَكْفَرْتَ بِاللَّهِ بَعْدَ إِيمَانِكَ ! فيقول : والله ما كنت آمنْتُ بِاللَّهِ قَطُّ . حكاها أبو جعفر الطبري^(٣) .

قال : فتجاوزَ أبو بكر رضي الله عنه ، وحقن له دمه . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وَأَمَّا طَلِيحَةُ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ ؛ فَإِنَّهُ لَحَقَّ بِالشَّامِ ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى كَلْبٍ ، فَأَسْلَمَ حِينَ بَلَغَهُ إِسْلَامُ أَسَدٍ وَغُظْفَانٍ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي بَنِي كَلْبٍ حَتَّى مَاتَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَخَرَجَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ

(١) زيادة من ان الأثير .

(٢) ص : « وبعث إليه » .

(٣) تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٠ .

إلى مكة مُعْتَمِرًا ، ومَرَّ بِجَنَابِ الْمَدِينَةِ . فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ هَذَا :
 طَلَيْحَةُ ، فَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بِهِ ؟ خَلُّوا عَنْهُ ، فَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ .
 فَمَضَى نَحْوَ مَكَّةَ ، فَقَضَى عُمْرَهُ ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ لِلْبَيْعَةِ حِينَ اسْتُخْلِفَ : فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَنْتَ قَاتِلَ عُكَّاشَةَ وَثَابِتَ !
 وَاللَّهِ لَا أَجِيبُكَ أَبَدًا ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَنْقُمُ مِنْ رَجُلَيْنِ
 أَكْرَمَهُمَا اللَّهُ بَيْدِي ، وَلَمْ يَهْنُ بِأَيْدِيهِمَا !

فَبَايَعَهُ عُمَرُ وَرَجَعَ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ فَأَقَامَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ .

ذِكْرُ خَيْرِ تَمِيمٍ وَأَمْرِ سَجَّاحِ ابْنَةِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ

كَانَ ^(١) مِنْ خَيْرِ بَنِي تَمِيمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ
 وَفَاتِهِ فَرَّقَ عَمَّالَهُ فِيهِمْ ، فَكَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَدْرٍ عَلَى الرَّبَابِ وَعُوفُ
 وَالْأَبْنَاءُ ؛ وَكَانَ سَهْمُ بْنُ مُنْجَابٍ وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى مُقَاعِسَ
 وَالْبُطُونِ ، وَصَفْوَانُ بْنُ صَفْوَانَ وَسَبْرَةُ بْنُ عَمْرِو عَلَى بَنِي عَمْرِو ،
 هَذَا عَلَى بَهْدَى ، وَهَذَا عَلَى خَضَمٍ (قَبِيلَتَيْنِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ) ، وَوَكَيْعُ بْنُ
 مَالِكٍ وَمَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ عَلَى بَنِي حَنْظَلَةَ ، هَذَا عَلَى بَنِي مَالِكٍ ، وَهَذَا
 عَلَى بَنِي يَرْبُوعِ .

فَأَمَّا صَفْوَانُ فَإِنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْخَبِيرُ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ضَرَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَدَقَاتِ بَنِي عَمْرِو
 وَمَا وَلِيَ مِنْهَا وَمَا وَلِيَ سَبْرَةَ ؛ وَأَقَامَ سَبْرَةَ فِي قَوْمِهِ لِحَدِيثِ إِنْ نَابَ .
 وَأَمَّا قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فَإِنَّهُ قَسَمَ مَاوَلِيهِ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي مُقَاعِسَ
 وَالْبُطُونِ ؛ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَخَالَفَةً لِلزُّبَيْرِ .

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٦٦٧ وما بعدها

وَأَمَّا الزُّبَيْرُ قَانُ فَإِنَّهُ أَتْبَعَ صَفْوَانَ بِالصَّدَقَاتِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْهُ
كَانَتْ تَلِيهِ ، وَقَدِمَ بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَقُولُ وَيُعْرَضُ
بِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ :

وَقَيْتُ بِأَذْوَادِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَبَتْ سُعَاةٌ فَلَمْ يَزِدْ بَعِيرًا مُجِيرُهَا
ثُمَّ نَدِمَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَظْلَمَ الْعَلَاءُ بَيْنَ
الْحَضْرَمِيِّ تَلَقَّاهُ بِالصَّدَقَةِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَبْلِغَا عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهَا بَيِّنَاتُ الْوَدَائِعِ

قَالَ : وَتَشَاغَلَ النَّاسُ فِي تِلْكَ الْحَالِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَنَشِبَ
الشَّرُّ ، فَتَشَاغَلَتْ عَوْفُ وَالْأَبْنَاءُ بِالْبُطُونِ وَالرَّبَابُ بِمَقَاعِسِ ؛
وَتَشَاغَلَتْ عَمْرُو وَخَضَمٌ بِمَالِكٍ وَبِهْدَى بِبِيرُبُوعٍ ؛ فَبَيْنَا النَّاسُ فِي بِلَادٍ
تَمِيمٍ عَلَى ذَلِكَ قَدْ شَغَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَمُسْلِمُهُمْ بِإِزَاءِ مَنْ قَدَّمَ رَجُلًا
وَأَخَّرَ أُخْرَى ، وَتَرَبَّصَ وَارْتَابَ ؛ إِذْ فَجِئْتَهُمْ سَجَاحُ ابْنَةِ الْحَارِثِ ،
قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ الْجَزِيرَةِ ؛ وَكَانَتْ وَرَهْطُهَا فِي بَنِي تَغْلِبَ ، فَأَتَتْ تَقْوَدُ
أَفْنَاءَ رَبِيعَةٍ ، مَعَهَا الْهَذِيلُ بْنُ عِمْرَانَ فِي بَنِي تَغْلِبَ ، وَعَقَّةُ بْنُ هَلَانَ
فِي النَّمِرِ ، وَزِيَادُ بْنُ فُلَانٍ فِي إِيَادَ ، وَالسَّلِيلُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ ؛
فَأَتَاهُمْ أَمْرٌ دَهِيٌّ ؛ هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا فِيهِ النَّاسُ ؛ لَهْجُومَهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَمَّا هُمْ فِيهِ
مِنْ اخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ وَالتَّشَاغُلِ بِمَا بَيْنَهُمْ . وَكَانَتْ سَجَاحُ ابْنَةِ الْحَارِثِ
ابْنُ سُوَيْدٍ بْنُ عُقْفَانَ هِيَ وَبَنُو أَبِيهَا بَنُو عُقْفَانَ فِي بَنِي تَغْلِبَ ؛
فَاسْتَجَابَ لَهَا الْهَذِيلُ ، وَتَرَكَ النَّصْرَانِيَّةَ ، فَارْسَلَتْ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ
وَدَعَتْهُ إِلَى الْمَوَادِعَةِ ، فَأَجَابَهَا وَحَمَلَهَا عَلَى أَحْبَاءِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَتْ : نَعَمْ

فشأنك بمن رأيت ، فإنما أنا امرأة من بني يربوع ، فإن كان مُلكُ
فالمُلكُ مُلكُكم . وأرسلتُ إلى بني مالك وحنظلة تدعوهم إلى المِوادة .
فخرج عطارِد بن حاجب ، وسروات بني مالك ، حتى نزلوا
في بني العنبر على سبرة بن عمرو هُرَاباً ، وخرج أشباههم من بني
يَرْبُوع حتى نزلوا على الحصين بن نيار في بني مازن ، وقد كرهوا
ما صنع مالك ، فلما جاءت رُسُلُها إلى بني مالك تَطْلُبُ المِوادةَ أَجَابَها
إلى ذلك وكيعُ بن مالك ، فاجتمع وكيعُ ومالك بن نويرة وسجاح ،
وقد وادع بعضهم بعضاً ، واجتمعوا على قتالِ الناس ، وقالوا : بمن
نَبْدَأُ ؟ بِخَضَمِ أُمِّ بِيَهْدَى ، أَمْ بِعَوْفِ الْأَبْنَاءِ ، أَمْ بِالرَّبَابِ ؟ وكفُّوا
عن قَيْسِ بن عاصم لما رأوا مِنْ تَرَدُّدِهِ وطمعوا فيه . فَالَتِ سجاح :
« أَعَدُّوا الرِّكَابَ ، واستعدُّوا لِلنَّهَابِ ، ثم اَغْيِرُوا على الرَّبَابِ ، فليس
دونهم حجابٌ » ، وصمدت سجاح للأحفارِ حتى تنزل بها ، وقالت
لهم : « إِنَّ الدَّهْنَاءَ حِجَارُ بنِ تميم ، ولن تَعْدُو الرَّبَابَ ، إذا شَدَّها
المُصَابُ ، أَنْ تَكُونَ بالدَّجَانِ والدَّهَانِي ، فليُنْزِلْها بعضهم » .
فَتَوَجَّهَ مالك بن نُوَيْرَةَ إلى الدَّجَانِ فنزلها ، وسمعت هذا الرَّبَابُ ،
فاجتمعوا لها : ضَبَّتُها وَعَبْدُ مَنَاتِها ، قَوْلِي وكيعُ وَيَشْرُ بنو بكرِ بن
ضَبَّةَ ، وَوَلِي ثعلبةُ بن سعد عَقَّةَ ، وَوَلِي عَبْدُ مَنَاةَ الهُدَيْلُ ، فالتقى وكيعُ
وَيَشْرُ وبنو بكرِ من بني ضَبَّةَ فَهَزَمَا ، وَأَسْرَ سَجَاعَةُ ووَكيعُ وقَعْقَاعُ ،
وَقَتِلَتْ قَتْلَى كثيرة ، فاجتمع بعد ذلك رؤسَاءُ أَهْلِ الجزيرة ،
وقالوا لسجاح : ماذا تَأْمُرِينَا ، فقد صالح مالك ووَكيعُ قومهما
فلا ينصروننا ؟ فقالت : اليامة ، فقالوا : إِنَّ شَوْكَةَ أَهْلِ اليامةِ
شَدِيدَةٌ ، وقد غَلُظَ أَمْرُ مُسَيْلَمَةَ فقالت : « عليكم باليامة ، ودُفُّوا »

دَفِيفَ الْحَمَامَةِ ^(١) ، فَإِنهَا غَزَوَةٌ صَرَامَةٌ ، وَلَا يَلْحَقُكُمْ بَعْدَهَا مَلَامَةٌ ،
فَنَهَدَتْ ^(٢) ابْنِي حَنِيفَةَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ مُسَيْلِمَةَ فَهَابَهَا ، وَخَافَ إِنْ هُوَ
شُغِلَ بِهَا أَنْ يَدْهُمَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَالْقَبَائِلُ ، فَأَهْدَى لَهَا ،
ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا يَسْتَأْمِنُهَا عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَأْتِيَهَا .

فَآنَزَلَتِ الْجُنُودُ عَلَى الْأَمْوَاهِ لَهُ وَأَمَّنَتْهُ ، فَجَاءَهَا فِي أَرْبَعِينَ مِنْ
بَنِي حَنِيفَةَ . وَكَانَتْ سَجَاحَ رَاسِخَةٍ فِي النَّصْرَانِيَةِ ، قَدْ عَلِمَتْ مِنْ
عِلْمِ نَصَارَى تَغْلِبَ ، فَقَالَ لَهَا مُسَيْلِمَةُ : لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ ، وَكَانَ
لِقَرِيشٍ نِصْفُهَا لَوْ عَدَلْتُ ، وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ النِّصْفَ الَّذِي رَدَّتْ
قَرِيشٌ ، فَحَبَاكَ ^(٣) بِهِ ، وَكَانَ لَهَا لَوْ قَبِلْتُ ، فَقَالَتْ : « لَا يَرُدُّ
النِّصْفَ إِلَّا مَنْ حَذَفَ ، فَاحْمِلِ النِّصْفَ إِلَى خَيْلٍ تَرَاهَا كَالسَّهْفِ » .
فَقَالَ مُسَيْلِمَةُ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ سَمِعَ ، وَأَطْمَعَهُ بِالْخَيْرِ إِذَا طَمِعَ ،
وَلَا زَالَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ مَا سَرَّ نَفْسَهُ يَجْتَمِعُ . رَأَى رُبُّكُمْ فَحْيَاكُمْ ،
وَمِنْ وَخْشَةٍ خَلَّاكُمْ ، وَيَوْمَ دِينِهِ أَنْجَاكُمْ فَأَحْيَاكُمْ : عَلَيْنَا مِنْ صَلَوَاتِ
مُعْشَرِ أَبْرَارٍ ، لَا أَشْقِيَاءَ وَلَا فَجَّارٍ ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيَصُومُونَ النَّهَارَ ،
لِرُبِّكُمْ الْكُبَارِ ، رَبِّ الْغَيُومِ وَالْأَمْطَارِ » .

وَقِيلَ : إِنَّ مُسَيْلِمَةَ لما نَزَلَتْ بِهِ سَجَاحَ أَغْلَقَ الْحَصْنَ دُونَهَا .
فَقَالَتْ لَهُ : انْزِلْ . قَالَ : فَنَحَى عَنْكَ أَصْحَابُكَ ، ففعلت . فقال
مسيلمَةُ : اضْرِبُوا لَهَا قُبَّةً وَجَمِّروها لعلها تَذْكُرُ الْبَاءَ ، ففعلوا ، فلما
دَخَلَتِ الْقُبَّةَ نَزَلَ مُسَيْلِمَةُ . فقال لأصحابه : لِيَقِفْ هَاهُنَا عَشْرَةَ ،

(١) الدفيف : تحريك الجناحين والرجلين .

(٢) نهدت : نهضت .

(٣) ك : « فحياك » .

ثم دارسها . فقالت : ما أوحى إليك ؟ فقال : « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحُبلى ، أخرج منها نسمةً تسعى ، من بين صفاقٍ »^(١) وحَتَّى . قالت : وماذا أيضًا ؟ قال : أوحى إلى « إِنَّ الله خلق النساء أفرجا ، وجعل الرجال لهن أزواجًا ، فنولجُ فيهن قُغْسًا إيلجًا ، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجًا ، فينتجن لنا سخلاً إنتاجًا » . قالت : أشهد أنك نبي . قال : هل لك أن أتزوجكِ ، وأذلَّ^(٢) بقومى وقومك العرب ؟ قالت : نعم ، فقال :

الآ قُومى إلى النُبكِ فقد هُبى لك المضجع
فإن شئت ففى البيتِ وإن شئت ففى المخدع
وإن شئت سلقناك^(٣) وإن شئت عى أربع
وإن شئت بثلاثيه وإن شئت به أجمع

قالت : بل به أجمع . قال : بذلك أوحى إلى ، فأقامت عنده ثلاثة أيام ، ثم انصرفت إلى قومها . فقالوا لها : ما عندك ؟ قالت : كان على حق ، فاتبعته فتزوجته ، قالوا : هل أصدقك شيئاً ؟ قالت : لا . قالوا : فارجعى إليه ، فقبيح على مثلك أن ترجع بغير صداق ، فرجعت . فلما رآها مسيلمة أغلق الحصن وقال : مالك ؟ قالت : أصدقنى صداقاً . قال : من مؤذُنك ؟ قالت : شبت بن ربِعى . قال : على به ، فأتاه . فقال : نادِ فى أصحابك : إن مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد : صلاة الفجر ، وصلاة العشاء الآخرة .

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر .

(٢) الطبرى : « فأكل » .

(٣) سلق الجارية : بسطها وجامعها ، وفى ص : « سلقناك ، وهما بمعنى .

قال : وكان من أصحابها الزُّبَيْرُ بن بدرٍ وعطارِد بن حاجب ونظراؤُهُم . فقال : إِنَّ عَامَّةَ بَنِي تَمِيمٍ بِالرَّمْلِ لَا يَصَلُّونَهَا ، فَانصَرَفَتْ سَجَاحٌ وَمَعَهَا أَصْحَابُهَا ، فَقَالَ عَطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ :

أَمْسَمْتُ نَبِيَّتُنَا أَنْثَى نَطِيفُ بِهَا . وَأَصْبَحْتُ أَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذَكَرَانَا وَقِيلَ : إِنَّهَا صَالَحَتْ مَسِيلِمَةَ عَلَى أَنْ يَخْمِلَ لَهَا النِّصْفَ مِنْ غَلَّاتِ الْيَمَامَةِ : وَأَبَتْ إِلَّا السَّنَةَ الْمُقْبِلَةَ يُسَلِّفُهَا ، فَأُعْطِيَ لَهَا النِّصْفَ وَقَالَ : خَلَفَى عَلَى السَّلَفِ مَنْ يَجْمَعُهُ لَكَ ، وَانصَرَفِي أَنْتِ بِنِصْفِ الْعَامِ ، فَانصَرَفَتْ بِالنِّصْفِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَخَلَفَتْ الْهَذِيلَ وَعَقَّةَ وَزِيَادًا ؛ لِيَنْجِزُوا النِّصْفَ الثَّانِي ، فَلَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا دُنُوُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَارْفَضُوا .

وكان من أمرِ مُسَيْلِمَةَ وقتله ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى . قال : ولم تزل سَجَاحٌ بِالْجَزِيرَةِ فِي أَخْوَالِهَا مِنْ بَنِي تَغْلِبَ حَتَّى نَقَلَهُمْ مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ عَامَ الْجَمَاعَةِ : وَجَاءَتْ مَعَهُمْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا وَإِسْلَامُهُمْ ، وَانْتَقَلَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَاتَتْ بِهَا .

وقيل : بَلْ لَمَّا قَتِلَ مُسَيْلِمَةُ سَارَتْ إِلَى أَخْوَالِهَا بِالْجَزِيرَةِ ، فَمَاتَتْ عَنْدهم ، وَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا بِذِكْرِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : وَخَرَجَ ^(١) الزُّبَيْرُ قَانُ وَالْأَقْرَعُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ؛ وَقَالَا : اجْعَلْ لَنَا خَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ؛ وَنَضْمَنَ لَكَ أَلَّا يَرْجِعَ مِنْ قَوْمِنَا أَحَدٌ ، ففعل . وَكُتِبَ الْكِتَابُ ، وَكَانَ الَّذِي يَخْتَلِفُ بَيْنَهُمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ ، وَأَشْهَدُ شَهُودًا : مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ :

فلما أتى عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد ، ثم قال : لا والله ولاكرامة ! ومزقه ومخاه : فغضب طلحة : وأتى أبا بكر ، فقال : أنت الأمير أم عمر ؟ فقال : عمر ، غير أن الطاعة لي ، فسكت .
 وشهد الزبيران والأقرع مع خالد المشاهد كلها حتى اليمامة ،
 ثم مضى الأقرع ومعه شرحبيل إلى دومة الجندل .

ذكر مسير خالد الى البطاح

ومقتل مالك بن نويرة

قال أبو جعفر رحمه الله : لما ^(١) انصرف سجاح إلى الجزيرة ارعوى مالك بن نويرة ، ونديم ونحير في أمره ، وعرف وكيع وسماعة قُبْح ما أتيا ، فرجعا رجوعا حسنا ، [ولم يتجبرا] ^(٢) ، وأخرجنا الصّدقات واستقبلها خالد بن الوليد ، فقال خالد : ما حملكما على مُوادة هؤلاء القوم ؟ فقالا : ثأركُنّا نطلبه في بني ضبة ،

فسار خالد يريد البطحَ دون الحزن ، وعليها مالك بن نويرة ، وقد ترددت الأنصار على خالد ، وتخلّفت عنه . وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ، إنّ الخليفة عهد إلينا إنّ نحن فرغنا من البرّاحة واشتبرأنا بلادَ القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا ؛ فقال خالد : إنّ يك عهد اليكُم هذا ، فقد عهد إلى أن أمضى ، وأنا الأمير ، وإلى تنتهى الأخبار ، ولو أنّه لم يأتني له كتاب ولا أمر ، ثم رأيتُ فرصة فكنت إن أعلمته فاتتني لم أعلمه حتى أتهزّها ، وكذا لو اقبلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ثم نعمل به ، وهذا مالك بن نويرة بحيلنا ، وأنا قاصد له ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان ، ولست أكرهكم .

(١) تاريخ الطبرى ٣ : ٢٧٦ وما بعدها .

(٢) زيادة من الطبرى .

ومضى خالد ، ونديمت الأنصار وتذامروا ، وقالوا : إن أصاب القوم خيرا ، إنه لخير حُرْمَتِهِمْ ، وإن أصابَتْهُمْ مصيبة ليجتنبنكم الناس ، فأجمعوا اللِّحَاقَ بخالد ، وجردوا إليه رسولا ، فأقام عليهم حتى لَحِقُوا به ، ثم سار حتى لَحِقَ البُطَاحُ ، فلم يجدوا به أحدا . ووجد مالك بن نويرة قد فرَّقهم في أموالهم ، ونهاهم عن الاجتماع حين تردَّد عليه أمره ، وقال : يا بني يربوع ، إنا قد كنَّا عَصِيْنَا أَمْرَانَا إِذْ دَعَوْنَا إلى هذا الدين ، وبَطَّأْنَا الناس عنه فلم نُفْلِحْ ولم نُنْجِحْ ، وإنِّي قد نظرت في هذا الأمر فوجدت الأمر لايتأتى لهم بغير سياسة ، فإياكم ومناوأة قوم صنَّعَ لهم ، فتفرَّقوا إلى دياركم ، [وادخلوا في هذا الأمر] . (١) فتفرَّقوا على ذلك إلى أموالهم .

وخرج مالك بن نويرة حتى رجع إلى منزله . فلما قدِمَ خالدُ البُطَاحَ بثَّ السَّرايا وأمرهم بداعية الإسلام ، أن يأتوه بكل من لَمْ يُجِبْ ، وإن امتنع أن يقتلوه . فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بن يربوع ، من عاصم وعبيد وعربين وجمعر ، فاختلفت السَّريةُ فيهم ، وفيهم أبو قتادة - وكان ممن شهد أنَّهم قد أذَّنوا وأقاموا وصلُّوا - فلما اختلفوا فيهم أمر بهم خالد فحَسِبُوا في ليلة باردة لايقوم لها شيء ، وجعلت تزداد بردا . فأمر خالدُ مناديا فنادى : أدفئوا أسراكم . وكانت في لُغَةٍ سَكَنَانَةٍ إِذَا قالوا : دَثَرُوا الرجل فادْفِئُوهُ . كان دَفْؤُهُ قَتْلُهُ : فظنَّ القومُ - وهى في لغتهم القتلُ - أنه أراد القتل : فقتلُوهم ، فقتلَ ضِرَارُ بن الأَزْوَْرَ مالكا . وسمع خالدُ الواقعة (٢) . فخرج وقد فُرِغَ منهم فقال : إذا أراد الله أمرا أصابه .

(١) تكملة من تاريخ الطبرى .

(٢) الواقعة : الصراخ والصوت على الميت .

وقد اختلف القومُ فيهم؛ فقال أبو قتاده : هَذَا عَمَلُكَ ! فزَبْرُهُ^(١)
 [خَالِدٌ فغَضِبَ ، ومضى حتى أتى أبا بكر ، فغَضِبَ عليه أبو بكر حتى
 كَلَّمَهُ عُمَرُ فِيهِ ، فأم يَرْضُ إِلَّا أَنْ يَرْجَعَ إِلَى خَالِدٍ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ حَتَّى
 قَدِمَ مَعَهُ الْمَدِينَةَ .

وتزوَّج خَالِدٌ أُمَّ تَمِيمِ ابْنَةِ الْمُنْهَالِ ، وتركها لينقضى طهرُها ، وكانت
 الْعَرَبُ تَكْرَهُ النِّسَاءَ فِي الْحَرْبِ ، فقال عمر لأبي بكرٍ : إِنَّ فِي سَيْفِ
 خَالِدٍ رَهَقًا^(٢) ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا حَقًّا حَقَّ عَلَيْهِ أَنْ تُقْبِدَهُ ، وَأَكْثَرَ
 عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وكان أبو بكر لا يُقْبِدُ مِنْ عَمَالِهِ - فقال : هَبْهُ بِأَعْمَرَ
 تَأْوَلْ فَأَخْطَأَ ، فارتفع لسانك عن خَالِدٍ . وَوَدَّيْ مَالِكَا ، وكتب إلى خَالِدٍ
 أَنْ يَقْدِمَ ففعل . فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ فَعَذَرَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ ، وَعَنَّفَهُ فِي التَّزْوِيجِ
 الَّذِي كَانَتْ [تَعِيبُ]^(٣) عَلَيْهِ الْعَرَبُ .

وقيل : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَلْحَى عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي عَزْلِ خَالِدٍ . وقال :
 إِنَّ فِي سَيْفِهِ رَهَقًا . فقال : ياعمر ، لِمَ أَكُنْ أَشْيَمُ^(٤) سَيْفًا سَلَّهُ
 اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ .

وقيل : ولما أقبل خَالِدٌ قَافِلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِ قَبَالَا ، عَلَيْهِ صَدَأُ
 الْحَدِيدِ : مُعْتَجِرًا^(٥) بِعِمَامَةٍ لَهُ . قَدْ غَرَزَ فِيهَا أَسْهَمًا . فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ
 فَانْتَزَعَ الْأَسْهَمَ مِنْ رَأْسِهِ فَحَطَّمَهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَقْتَلْتَ أَمْرًا مُسْلِمًا
 ثُمَّ نَزَوْتَ عَلَى أَمْرَائِي ! وَاللَّهِ لَا أَرْجِمَنَّكَ بِأَحْجَارِكَ . وَخَالِدٌ لَا يَكَلِّمُهُ

(١) زبره : نوره .

(٢) الرهق : السفة والخفة وركوب الظلم .

(٣) تكلمة من ذاريخ الطبرى .

(٤) شام السيف : أعده .

(٥) الاعتجار : لف العمامة .

ولا يظنُّ إلَّا أنَّ رأى بكرٍ على مثل رأى عمر فيه ، حتى دخلَ على أبي بكرٍ فأخبره الخبر ، فاعتذرَ إليه ، فعذره أبو بكرٍ وتجاوزَ عنه ما كان في حربه تلك .

وخرج خالد حين رضى عنه أبو بكرٍ وعمر جالسٌ في المسجد ، فقال : هَلُمَّ إِلَى يَابَنَ أُمِّ سَمْلَةَ ، فعرَفَ عمرُ أنَّ أبا بكرٍ قد رضى عنه فلم يكلمه ، ودخل بيته .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وهو حسبي ، ونعم الوكيل .

ذكر خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

كان^(١) من خبر مُسَيْلِمَةَ أَنَّهُ لما قَدَّمَ وفد بني حنيفة إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، كما قَدَّمْنَاهُ في السيرة النبوية في أخبار الوفود ، وكان مسيلمة في رحالهم ، فلما أجازَهُم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم . قالوا : يا رسول الله ، خَلَقْنَا صَاحِبًا لَنَا في رِحَالِنَا يُبْصِرُهَا لَنَا ، وفي ركابنا يَحْفَظُهَا عَلَيْنَا ؛ فَأمر له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بمثل ما أمر لأصحابه : وقال : « لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا لِحَفَظِهِ رِكَابَكُمْ وَرِحَالَكُمْ » ، فقبل ذلك لِمُسَيْلِمَةَ . فقال : عَرَفَ أَنَّ الْأمرَ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ .

ثم ادَّعى النبوة بعد ذلك ، وكان الرَّجَالُ^(٢) بن عُنفوة قد هاجر إلى

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٨١ وما بعدها .

(٢) لك « الرجال » ، بإلحاق ، صوابه من ص وتاريخ الطبري .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعلم القرآن من أبي بن كعب ، وفقه في الدين ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم معلماً لأهل اليمامة ، وليشغب على مسيلمة ؛ ويشدد من أمر المسلمين ، وكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة ، شهد له أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه قد أشرك معي ؛ فصدقوه واستجابوا له ، وأمره بمكاتبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ووعدوه إن هو لم يقبل أن يعينوه عليه .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والأمر على ذلك ، فقويت شوكة مسيلمة ، واشتد أمره ، وكثرت جموعه ، وتمكن الرجال بن عنفوة من مسيلمة ، وعظم شأنه عنده ، فكان لا يخالفه في أمر ولا يقول شيئاً إلا تابعه عليه ، وكان مسيلمة يصانع كل أحد ممن اتبعه ، ويتابعه على رأيه ، ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح ، وضرب حرماً باليمامة ، فكان محرماً ، فوقع ذلك الحرم في الأحاليف ، (أفعاذ من بني أسيد كانت دارهم اليمامة) ، فصار مكان دارهم الحرم ، والأحاليف : سيحان ونمارة ، وبنو جروة ، فكانوا يغيرون على ثمار أهل اليمامة ، فإن نذروا^(١) بهم فدخلوا الحرم أخرجوا عنهم ، وإن لم ينذروا بهم فذاك ما يريدون ؛ فكثرت ذلك منهم ، حتى استعدوا عليهم مسيلمة ، فقال : انظروا الذي يأتي من السماء فيكم وفيهم ، ثم قال لهم : « والليل الأطعم^(٢) ، والذئب الأدلم^(٣) ، ما انتهكت

(١) نذروا : علموا .

(٢) الطعمة : سواد الليل .

(٣) الأدلم : الأسود الطويل .

أَسِيدٌ مِنْ مَحْرَمٍ ، ثُمَّ عَادُوا لِلْعَلَاةِ وَالْعُدْوَى ^(١) ، فَقَالَ : انْتَظِرُوا الَّذِي يَأْتِينِي . ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّيْلِ الدَّامِسِ ، وَالذَّنْبِ الْهَامِسِ ^(٢) » ، مَا قَطَعْتُ أَسِيدٌ مِنْ رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ » ، فَقَالُوا : أَمَّا النَّخِيلُ فَمُرْطِيَةٌ ^(٣) وَقَدْ جَدُّوْهَا ^(٤) ، وَأَمَّا الْجُدْرَانُ فَيَابِسَةٌ وَقَدْ هَدَمُوهَا ، فَقَالَ : اذْهَبُوا وَارْجِعُوا فَلَا حَقَّ لَكُمْ .

وَكَانَ فِيهَا يَقْرَؤُهُ لَهُمْ فِيهِمْ : إِنَّ بَنِي قَيْمٍ قَوْمٌ طَهَّرَ لِقَاحُ ^(٥) ، لَا مَكْرُوهَ عَلَيْهِمْ وَلَا إِتَارَةَ ، نَجَاوَرَهُمْ مَا حَبِينَا بِإِحْسَانٍ ، نَمْنَعُهُمْ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ ، فَإِذَا مِتْنَا فَأَمْرُهُمْ إِلَى الرَّحْمَنِ .

وَكَانَ يَقُولُ : وَالسَّاءُ وَالْوَانِيَاءُ ، وَأَعْجَبُهَا السُّبُودُ وَالْبَانِيَاءُ ، وَالشَّيْءُ السُّودَاءُ ، وَاللَّيْنُ الْأَبْيَضُ ؛ إِنَّهُ لَعَجَبٌ [مَحْضٌ] ^(٦) ، وَقَدْ حُرِّمَ الْمَذَّقُ ، فَمَا لَكُمْ تَمَجُّعُونَ ^(٧) !

وَكَانَ يَقُولُ : « يَا ضِفْدَعُ ابْنَةُ ضِفْدَعٍ ، نُقَى مَا تَنْقِينَ ، أَعْلَاكَ فِي الْمَاءِ وَأَسْفَلَكَ فِي الطِّينِ ، لَا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ ، وَلَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ » . وَقَالَ أَيْضًا : « وَالْمَبْدَرَاتُ زَرْعًا ، وَالْحَاصِدَاتُ حَصِيدًا ، وَالزَّرَاعَاتُ قِمَحًا ، وَالطَّاحَنَاتُ طَحْنًا ، وَالْخَائِزَاتُ خَيْزًا ، وَالثَّارِدَاتُ ثَرْدًا ^(٨) ، وَاللَّاقِمَاتُ لَقْمًا ، إِهَالَةٌ وَسَمْنًا ، لَقَدْ فُضِّلْتُمْ عَلَى الْوَبَرِ ،

(١) العدوى : العدوان والظلم .

(٢) الذنب الهامس : الشديد .

(٣) المرطبة : مطرية .

(٤) جدوها : قطعوها .

(٥) قوم لقاح : لم يدينوا للملوك .

(٦) زيادة من الطبرى .

(٧) الطبرى : لا تمجعون .

(٨) ثرد الحبز : فته ثم به بمرق .

وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمُعْتَرُ فَأَوَّه ^(١) ،
والباغى فناوئوه .

قالوا : وأنته امرأة فقالت : إِنَّ نَحْلَنَا لَسُحُقٌ ^(٢) ، وإن آبارنا
لَجُرُزٌ ^(٣) . فادعى الله لائنا ونحلتنا ، كما دعا محمد لأهل هزمان ، ففعل
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا للنخل ، وتمضض
مِنَ الماء ، وَمَجَّهَ فِي الْآبَارِ ، قَبِيسَتِ النَّخْلُ ، وَغَارَتِ الْآبَارُ .

وقيل : إِنَّهُ نَزَلَ عَلَى أَوْلَادِ بَنِي حَنِيفَةَ كما فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم : فمَرَّ بِيَدِهِ عَلَى رِعْوَسِهِمْ ، وَحَنَكَهُمْ : ففَرَعَ وَلَشِغَ
مَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ، وَظَهَرَ ذَلِكَ كُلُّهُ بَعْدَ مَهْلِكِهِ .

قالوا : وجاء طلحة النمرى ، فقال : أَيْنَ مُسَيْلَمَةُ ؟ فقالوا :
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ! فقال : لا ، حَتَّى أَرَاهُ ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ : أَنْتَ
مُسَيْلَمَةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَنْ يَأْتِيكَ ؟ قَالَ : رَحْمَنٌ ، قَالَ : أَفَى
نُورٍ أَوْ فِي ظُلْمَةٍ ؟ فَقَالَ : فِي ظُلْمَةٍ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ كَذَّابٌ ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ ، وَلَكِنَّ كَذَّابَ رَبِيعَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَادِقٍ مُضَرٍّ .
والله سبحانه أعلم ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

(١) الْمُعْتَرُ : الْفَقِيرُ .

(٢) سُحُقٌ : جَمْعُ سُحُقٍ ؛ وَهِيَ الطَّوِيلَةُ مِنَ النَّخْلِ .

(٣) جُرُزٌ : الْأَرْضُ جَدِيدَةٌ .

ذكر الحروب الكائنة بين

بين المسلمين وبين مسيلمة وبين أهل اليمامة وقتل مسيلمة

قد ذكرنا أن أبا بكر الصديق لما عقَد الألوية ، عقَد لعكرمة ابن أبي جهل ، وأمره بمسيلمة ، ثم أَرَدَفَهُ شُرَحْبِيل بن حَسَنَةَ ، فعَجَلَ عِكْرِمَةَ ، وبادر الحرب لِيَذْمَبَ بصوتها ، فوَأَقَعَهُمْ ، فنكبوه ، وأقام شُرَحْبِيلُ في الطريق حتى أَدْرَكَه الخبرُ .

وكتب ^(١) أبو بكر رضى الله عنه إلى عكرمة : يا بن أم عكرمة ، لا أرينك ولا تراني على حالها ، ولا ترجع فتوهن الناس ، افئض على وجهك حتى تساند خديفة وعرفجة . فقاتل معهما أهل عُمان ومهرة ، وإن شغلاً فافئض أنت ، ثم تسير ويسير جُنْدُكَ ؛ تستبشرون من مررتهم به حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضر موت .

وكتب إلى شُرَحْبِيل يأمره بالمقام حتى يأتیه أمره ، ثم كتب إليه قبل أن يوجه خالد بن الوليد بأيام إلى اليمامة : إذا قدم عليك خالدٌ ثم فرغتم - إن شاء الله - فالحق بقضاعة حتى تكون أنت وعمرو بن العاص على من أبى منهم وخالف .

فلما قدم خالد على أبي بكر الصديق رضى الله عنه من البطح رضى عنه ، وقبل عُذْرَهُ كما ذكرنا : ووجهه إلى مسيلمة ، وأوعب معه الناس ، وجعل على كل قبيلة رجلاً ، وجعل على المهاجرين أبا خديفة بن عتبة ، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس ،

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٣١٤-٣١٦ ، وابن الأثير ٢ : ٤٤٦ .

وتعجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطح : وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة ، فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة ، وبنو حنيفة يومئذ تزيد عدتهم على أربعين ألف مقاتل . وعجل شرحبيل بن حسنة ، ويادار بالقتال قبل وصول خالد كما فعل عكرمة ، فكتب كما نكتب ، فلما قدم خالد لأمه ، وسار خالد حتى إذا أطل على بني حنيفة أسند خيولاً لعة والهديل وزياد ، وقد كانوا أقاموا على خرج أخرجه لهم مسيلمة ليلحقوا به سجاح ، وإنما أسند خالد تلك الخيول مخافة أن يأتيه من خلفه ، وأمد أبو بكر رضى الله عنه خالدًا بسليط بن عمرو بن عید شمس العامري القرشي ليكون ردًا له من أن يأتيه أحد من خلفه ، فخرج .

فلما دنا من خالد وجد تلك الخيول التي انتابت تلك البلاد قد فرقوا قهرياً ، فكان منهم قريباً لهم ، وأما مسيلمة فإنه لما بلغه دنو خالد بن الوليد منه عسكر بعقرباء ، واستنفر الناس ، فجعل الناس يخرجون إليه ، وخرج مجاعة بن مرة بن سلمى الحنفى اليماني - وكان رئيساً من رؤساء بني حنيفة - في سرية يطلب بشار له في بني عامر وبني تميم ، فلما كان خالد من عسكر مسيلمة على ليلة ، إذا بمجاعة وأصحابه وقد غلبهم الكرى - وكانوا راجعين من بلاد بني عامر - فعرسوا دون ثنية اليمامة ، فوجدوهم نياماً وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خلودهم ، ولا يشعرون بقرب الجيش منهم ، فأنبهوهم ، وقالوا : من أنتم ؟ قالوا : مجاعة ، وهذه حنيفة ، فأوقفوهم ، وأقاموا إلى أن جاءهم خالد فأتوه بهم ، فظن أنهم جاءوه

ليستقبلوه ، فقال : متى سمعتم بنا ؟ قالوا : ما شِعَرْنَا بِكَ ،
 إِنَّمَا خَرَجْنَا لِشَأْرٍ لَنَا فِيمَنْ حَوَّلْنَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَتَمِيمٍ ، فَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ
 يُقْتَلُوا ، فقالوا : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِأَهْلِ الْيَمَامَةِ غَدًا خَيْرًا أَوْ شَرًّا
 فَاسْتَبِقْ هَذَا ، وَلَا تَقْتُلْهُ - يريدون مَجَاعَةَ - فَقَتَلَهُمْ كُلَّهُمْ دُونَهُ ،
 وَكَانُوا ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ رَاكِبًا - وَقِيلَ : أَرْبَعِينَ . وَقِيلَ : سِتِينَ -
 وَصَبَرَ مَجَاعَةُ ، وَسَارَ إِلَى الْيَمَامَةِ ، فَخَرَجَ مَسِيلَمَةُ وَبَنُو حَنِيفَةَ ،
 فَنَزَلُوا بِعَقْرَبَاءَ ، وَهِيَ طَرَفُ الْيَمَامَةِ ؛ دُونَ الْأَمْوَالِ ، وَرِيفُ الْيَمَامَةِ
 وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .

وَقَالَ شُرَحْبِيلُ بْنُ مَسِيلَمَةَ ^(١) : يَا بَنِي حَنِيفَةَ ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْغَيْزَةِ ،
 الْيَوْمَ إِنْ هَزِمْتُمْ تُسْتَرَدُّ النِّسَاءُ سَيِّئَاتٍ ، وَيُنْكَحْنَ غَيْرَ حَظِيَّاتٍ ،
 فَقَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ ، وَامْنَعُوا نِسَاءَكُمْ .

فَالْتَقَوْا بِعَقْرَبَاءَ وَاقْتَتَلُوا ، وَكَانَتْ رَايَةُ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَئِذٍ مَعَ
 سَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ . وَقِيلَ : بَلْ كَانَتْ مَعَ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ ،
 فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَهَا سَالِمٌ ، فَقَالُوا لَهُ : تَخْشَى عَلَيْنَا مِنْ نَفْسِكَ شَيْئًا ؟
 فَقَالَ : بَشْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ إِنَّا إِذَا ! وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ ثَابِتِ
 ابْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ عَلَى رَايَاتِهَا ، وَسَجَاعَةُ فِي الْأَسْرِ
 مَعَ أُمِّ تَمِيمٍ زَوْجَةِ خَالِدٍ فِي فُسْطَاطِهَا ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَلَمْ يَلْقَ
 الْمُسْلِمُونَ حَرِيًّا مِثْلَهَا ، فَاهْزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَخَلَصَ بَنُو حَنِيفَةَ إِلَى خَالِدٍ ،
 فَنَزَلَ عَنِ الْفُسْطَاطِ ، وَوَصَلُوا إِلَيْهِ وَقَطَعُوهُ ، وَدَخَلَ أَنَاسٌ مِنْ بَنِي
 حَنِيفَةَ عَلَى أُمِّ تَمِيمٍ ، فَأَرَادُوا قَتْلَهَا ، فَمْنَعَهَا مَجَاعَةُ . وَقَالَ : أَنَا لَهَا
 جَارٌ ، فَتَنَعَمَتِ الْحَرَّةُ ! فَدَفَعَهُمْ عَنْهَا .

ثم إنَّ المسلمين تداعَوْا ؛ فقال ثابت بن قيس : بشمّا دعوتكم أنْفُسَكُمْ إليه يا معشر المسلمين ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَعْبُدُ هؤلاء - يعنى أهل اليَمامة - وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هؤلاء - يعنى المسلمين - ثم قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، قُطِعَتْ رِجْلُهُ فَرَمَى بِهَا قَاتِلَهُ فَقَتَلَهُ .
- وله رضى الله عَنْهُ خبرٌ عجيبٌ نذكرُهُ إن شاء الله تعالى فى آخر هذه الوقعة -

قالوا : وحمل خالدٌ فى النَّارِ حَتَّى رَدَّاهُمْ أَبْعَدَ مَا كَانُوا ، واشتدَّ القتال ، وكانت الحربُ يومئذٍ نَارَةً للمسلمين ، وتارةٌ عليهم ، وقُتِلَ سالمٌ وأبو حذيفة وزيدُ بن الخطاب وغيرُهم .

فلما رأى خالدٌ ما النَّاسُ فيه ، قال : امتازوا اليوم أيُّها الناس ، لنعلم بلاءَ كُلِّ حَيٍّ ، ولنعلم من أين نُؤْتَى ! فلما امتازوا قال بعضهم لبعض : اليوم نستَحْيِي من الفرار . وقاتل النَّاسُ قتالاً عظيماً ، وثبت مسيلمة ، فعرف خالدٌ أَنَّ الفتنَةَ لا تَرُكُدُ إِلَّا بِقَتْلِ مُسَيْلِمَةَ ، فبرَزَ ودعَا إلى البراز ، فما يبرز له أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ ، ودعا مسيلمة فأجابهُ ؛ وعرض عَلَيْهِ أَشْيَاءَ ، فكان إِذَا هَمَّ بِجوابه أَعْرَضَ بِوجهه يستشير شيطانَه ، فينهاه أَنْ يَقْبَلَ ، فأَعْرَضَ بِوجهه مرة ، فركبه خالد وأرْهقه فأدبر ، وزال أَصْحَابُهُ ، فكانتْ هزيمَتهم ، وقالوا لمُسَيْلِمَةَ : أين ما كُنْتَ تعدنا ؟ فقال : قاتلوا عن أَحْسَابِكُمْ . ونادى الْمُحَكَّمُ بنُ الطَّقِيلِ : يا بَنَى حَنيفَةَ ، الحديقة الحديقة ! فدخلوها ، وأغْلَقُوا بابها عليهم .

قال : وكان البراءُ بنُ مالكٍ أَخُو أَنَسٍ ؛ إِذا حضر الحرب أخذته رِغْدَةٌ حَتَّى يَقْعُدَ الرجالُ عليه ، ثم يبول ، فإذا بال ثارٍ كما يشور

الأسد ، فأصابه ذلك ، فقال : إلى أيها الناس ؛ أنا البراء بن مالك ؛
وقَاتِل قِتَالاً شَدِيداً ، فلَمَّا دَخَلَ بنو حَنيفَةَ الحَدِيقَةَ ، قَالَ البراء :
يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَلْقَوْنِي عَلَيْهِمْ فِيهَا . فَقَالُوا : لَا نَفْعُ ، فَاحْتَمَلَ
حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْجِدَارِ واقْتَحَمَهَا عَلَيْهِمْ ، وَقَاتَلَ عَلَى الْبَابِ ، وَفَتَحَهُ
الْمُسْلِمُونَ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي
الْفَرِيقَيْنِ ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ مُسَيْلِمَةُ ، وَاشْتَرَكَ فِي قَتْلِهِ
وَحَشِيٌّ ، مَوْلَى جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَاتِلُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَرَجُلٌ مِنْ
الْأَنْصَارِ ، فَوُلَّتْ حَنيفَةُ عِنْدَ قَتْلِهِ مِنْهَزِمَةً ، وَأَخَذَهُمُ السَّيْفُ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ . وَقُتِلَ مُحَكِّمُ الْيَامَةِ ، قَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي يَكْرِ الصَّدِيقُ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ رَمَاهُ بِسَهْمٍ فِي نَحْرِهِ وَهُوَ يَخْطُبُ وَيَحْرِضُ النَّاسَ
فَقَتَلَهُ ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةٌ وَسِتُّونَ ،
وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ غَيْرِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةٌ ، وَقَتَلَ مِنْ بَنِي حَنيفَةَ بِعَقَرَبَاءَ
سَبْعَةَ آلَافٍ ، وَفِي حَدِيقَةِ الْمَوْتِ مِثْلُهَا ، وَفِي الْمَطْلَبِ نَحْوُ مِنْهَا ؛ وَخَرَجَ
خَالِدٌ بِمَجَاعَةَ يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ لِيَدُلَّهُ عَلَى مُسَيْلِمَةَ ، فَجَعَلَ يَكْشِفُ
الْقَتْلَ حَتَّى مَرَّ بِمُحَكِّمِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيًّا وَسِيًّا ، فَلَمَّا
رَأَاهُ خَالِدٌ قَالَ : هَذَا صَاحِبُكُمْ ؟ قَالَ : لَا ، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَكْرَمُ ؛
هَذَا مُحَكِّمُ الْيَامَةِ . ثُمَّ مَضَى حَتَّى دَخَلَ الْحَدِيقَةَ ، فَقَلَّبَ لَهُ الْقَتْلَ ،
فَإِذَا رُوَيْجِلُ أَصَيْفَرِ أَخِيْنَسِ (١) . فَقَالَ مَجَاعَةُ : هَذَا صَاحِبُكُمْ
قَدْ فَرَعْتُمْ مِنْهُ ؛ فَقَالَ خَالِدٌ لِمَجَاعَةَ : هَذَا فَعَلَ بِكُمْ مَا فَعَلَ ! قَالَ ؛
قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا خَالِدُ : وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا جَاءَكَ إِلَّا سَرْعَانِ (٢) النَّاسُ ،

(١) أَخِيْنَسُ : تَصْنِيفُ أَخْنَسَ . وَالْخَفْسُ مَحْرُكَةٌ : تَأْخُرُ الْأَنْفُ عَنِ الْوَجْهِ مَعَ ارْتِمَاحِ
قَبِيلٍ فِي الْأَرْضِ .

(٢) سَرْعَانِ النَّاسُ : أَوَائِلُهُمْ .

وإن جماهير الناس لفي الحصون ، فقال : ويلك ، ما تقول ! قال : هو والله الحق ، فهلّم لأصالحكم على قومي .

وجاء عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر إلى خالد ، فقالا له : ارتحل بالناس ، فانزل على الحصون ، فقال : دعاني أبث الخيول فالتقط من ليس في الحصون ثم أرى ؛ فبث الخيول فحوروا ما وجدوا من مال وصبيان ، فضمّوهم إلى العسكر ، ونادى بالرحيل لينزل على الحصون ، فقال له مجاعة : إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس ، فإن الحصون مملوءة رجالاً ، فهلّم إلى الصلح على ما ورائي ، فصالحه على كل شيء دون النفوس ؛ ثم قال مجاعة : أنطلق إليهم فمشاورهم ، وننظر في هذا الأمر ، ثم أرجع إليك ، فدخل مجاعة الحصون وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشبيخة قانية ، ورجال ضعفي (١) ، فظاهر الحديد على النساء ، وأمرهن بنشر شعورهن ، وأن يشرفن على رءوس الحصون حتى يرجع إليهم ، ثم رجع إلى خالد ، فقال : قد أبوا أن يجيزوا ما صيّغت ، وقد أشرفك بعضهم نقضاً على ، وهم مني براء ، فنظر خالد إلى رءوس الحصون : وقد اسودت وقد نهكت المسلمين الحرب ، وأحبوا أن يرجعوا على الظفير . فقال مجاعة لخالد : إن شئت صنعت شيئاً ، فعزمت على القوم ، تأخذ مني ربيع السبني وتدع ما بقي ؛ فقال خالد : قد فعلت . قال : قد صالحتك ، فلما فرغاً فتحت الحصون ، فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان . فقال خالد لمجاعة : ويحك ! خدعتني . فقال : قومي ، ولم أستطع إلا ما صنعت .

وقيل : إنَّ خالدًا صالح مجاعة على نصف السبئي ، والصَّغْراء ، والبيضاء ، والحلقة ، والكراع ، وحائط ^(١) من كل قرية يختار ^(٢) خالد ، ومزرعة يختارها ، فتقاضوا على ذلك . ثم سرَّجَهُ وقال : أنتم بالخيار ثلاثا ، والله لئن لم تُتِمُّوا وتقبَّلُوا لأنهدن إليكم . ثم قال : لا أقبلُ منكم خصلةً أبداً إلاَّ القتلَ ، فأتاهم مجاعة ، فقال : أما الآن فاقبلوا . فقال بللة بن عُمَيْر الحنفي : لا والله لا نقبل ؛ تبعثُ إلى أهل القرى والعبيد ، فنقاتل ولا نقاضى خالدًا ؛ فإنَّ الحصون حصينة ، والطعام كثير ، والشتاء قد حضر .

فقال له مجاعة : إنَّكَ امرؤٌ مششوم ، وغرَّكَ أنَّى خدعت القوم حتى أجابوني إلى الصُّلح . وهل بقي منكم أحدٌ فيه خيرٌ وبه دفعنا وإنما أنا بادرتُكم .

فخرج مجاعة سابع سبعة حتى أتى خالدًا . فقال : بعد شرٍّ ما رضينا . اكتب كتابك . فكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مُرارة وسَلَمَةُ ابن عُمَيْر ، وفلانا وفلانا . فاضاهم على الصَّغْراء والبيضاء ونصف السبئي ، والحلقة والكراع . وحائط من كل قرية ومزرعة ، على أن يُسَلِّمُوا . ثم أنتم آمنون بأمان الله ، لكم ذمة خالد بن الوليد ، وذمة أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة المسلمين على الوفاء .

(١) الحائط هنا : البستان .

(٢) ص « يختاره خالد .

ووصل كتاب أبي بكر إلى خالدٍ بقتل كلِّ محتلم ، وكان قد صالحهم فوقى لهم . ثمَّ إنَّ خالدَ بنَ الوليدِ قال لمجاعة : زوّجني ابنتك : فقال مجاعة : مهلا ، إنَّك قاطع ظهرك وظهري معك عند صاحبك . قال : أيُّها الرجل ، زوّجني ، فزوّجه ، فبلغ ذلك أبا بكر فكتب ، إليه كتابا يقطر الدَّم ، يقول :

يا بن أمِّ خالد ؛ إنك لفارغٌ : تنكح النساء وبفناء بيتك دَم ألفٍ ومائتي رجل من المسلمين لم يجفَّف بعد !

فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأعنسر - يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وبعث خالدٌ وفدًا من بنى حنيفة إلى أبي بكر ، فقدموا عليه . فقال لهم : ويحكم ! ما هذا الذي استنزل منكم ما استنزل ؟ قالوا : يا خليفة رسول الله : قد كان الذى بلغك مما أصابنا ، كان أمرًا لم يبارك الله له : ولا لعشيرته فيه . قال : على ذلك ، ما الذى دعاكم به ؟ قالوا : كان يقول : « يا ضفدع نقى نقى ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكذرين ، لنا نصف الأرض : ولقريش نصف الأرض : ولكن قريشًا قومٌ يعتدون » .

فقال أبو بكر رضى الله عنه : سبحان الله ، ويلكم ! إن هذا الكلام ما خرج من إلٍّ ولا برٍّ ^(١) . فأين يذهب بكم !

قال أبو جعفر : لما فرغ خالد من اليمامة . وكان منزله الذى

(١) الإل : المهد والقراية .

به التقى الناس أباض (وادٍ من أودية اليمامة) ؛ ثم تحوّل إلى وادٍ من أوديتها يقال له : الوبر ، فكان منزله بها ^(١) .

ذكر خبر ثابت بن قيس بن شماس في مقتله

وتنفيذ وصيته للرؤيا التي رثيت بعد مقتله

قد أشرنا عند ذكر مقتله أن له خبراً عجيباً نذكره ، ورأينا لإبراده ها هنا توفية للشرط .

حكى الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله ، قال : لما ^(٢) انكشف المسلمون يوم اليمامة . قال ثابت بن قيس وسالم مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنّا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حفر كل واحد منهما له حفرة ، وثبتا وقاتلا حتى قُتِلَا . وكان على ثابت يومئذ درع له نفيسة ، فمرّ به رجل من المسلمين فأخذها ، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه ، فقال له : إني أوصيك بوصية ، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيّعه ؛ إني لما قُتِلتُ أمس مرّني رجل من المسلمين ، فأخذ درعي ، ومنزله في أقصى الناس ، وعند خبائه فرس يستن في طوله ^(٣) . وقد كفا على الدرع بُرمة ، وفوق البرمة رحل ، فأنت خالداً فمرّه أن يبعث إلى درعي فيأخذها . وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني أبا بكر - فقل له : إنَّ عليّ من الدّين كذا وكذا ، وفلان من رقبتي عتيق . فأني الرجل خالداً فأخبره . فبعث إلى الدرع فأنتى بها .

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٢٠٠ وما بعدها .

(٣) يستن : يقمص . والطول : الحلي .

وَحَدَّثَ أَبَا بَكْرٍ بِرُؤْيَاهُ ، فَأَجَازَ وَصِيَّتَهُ [من بعد موته] ^(١) .
قال : ولا نعلم أحداً أُجِيزَتْ وَصِيَّتُهُ بعد موته غير ثابت بن قيس
رحمه الله تعالى .

ذكر أهل البحرين ومن ارتد منهم

وانضم إلى الحطم وما كان من أمرهم

والحطم اسمة شُرَيْح بن ضُبَيْعَة . قال أبو عبيدة في سبب تسميته
بالحطم : إنه ^(٢) كان غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة ،
فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة ، أسر فيها فرعان
ابن مهدي بن معدي كرب عم الأشعث بن قيس ، وأخذ على طريق
مقازة ؛ فضل بهم دليلهم : ثم هرب منهم ، ومات فرعان عطشا ،
وهلك منهم ناس كثيرون بالعطش ، وجعل شُرَيْح يسوق بأصحابه
سوقا حثيثا حتى نجوا ، ووردوا الماء ؛ فقال فيه رُشَيْد بن رُمَيْض
هذه الأبيات :

بات يقاسيها غلامٌ كالزَّلَمِ نامَ الحداة وابن هندٍ لم ينم
هذا أو أن الشَّدَّ فاشتدَّ زَيْمٌ قد لفها الليل بسواقِ حُطَمِ
خدكجُ الساقين خفاقُ القدمِ ليس براعى إبلٍ ولا غنمِ
• ولا بهجزٍ على ظهرٍ وضم •

فلقب يومئذ الحطم لذلك . ^{جزوب} معين التاريخ
لأهل التاريخ

(١) زيادة من الاستيعاب :

(٢) ك : « أنه كان عن اليمن في جموع جمعها » ، والمثبت من ص .

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله : كان ^(١) من حديث أهل البحرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى هو والمنذر ابن ساوي في شهر واحد ، ثم مات المنذر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل ، وارتد ^(٢) بعده أهل البحرين ، فأما عبد القيس ففأت ، وأما بكر فتمت على الردة ، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن المعلّى . وقيل فيه : الجارود بن عمرو بن حبش بن يعلى ^(٣) ، واسمه - فيما يقال - بشر بن عمرو ، وإنما قيل له الجارود ؛ لأنه أغار في الجاهلية على بكر بن وائل ، فأصابهم فجردهم .
- وهذه الزيادة في اسم الجارود عن غير الطبري -

قال أبو جعفر : وكان الجارود قد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان نصرانياً فأسلم ، ومكث بالمدينة حتى فقهه ، ثم رجع إلى قومه فكان فيهم ؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت عبد القيس : لو كان محمد نبياً لما مات ؛ وارتدوا ؛ فبعث إليهم فجمعهم ، وقال : يا معشر عبد القيس ؛ إنني سائلكم عن أمر فأخبروني به إن علمتموه ؛ ولا تجيبوني إن لم تعلموا ؛ قالوا : سأل عما بدا لك . قال : تعلمون أنه كان لله تعالى أنبياء فيما مضى ؟ قالوا : نعم ، قال : ترونه أو تعلمونه ؟ قالوا : لا ، بل نعلمه . قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ؛ قال : فإن محمداً صلى الله عليه وسلم مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ،

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٣٠١ وما بعدها : الأغاني ١٥ : ٢٥٥ .

(٢) ص : ٥ وارتدت .

(٣) ص : « حبش بن يعلى » .

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ قَالُوا : وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّكَ ضَعُفٌ سِيدُنَا وَأَمَلُنَا .

وَتَبَتُّوا عَلَى إِسْلَامِهِمْ وَخَلُّوا بَيْنَ سَائِرِ رِبِيعَةٍ وَبَيْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى ،
فَكَانَ الْمُنْذِرُ مُشْتَغَلًا بِهِمْ حَيَاتِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ حُصِرَ أَصْحَابُهُ فِي مَكَانَيْنِ ،
فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَنْقَذَهُمُ ^(١) الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ .

قَالَ : وَلَمَّا ارْتَدَّتْ رِبِيعَةٌ وَمِنْ تَابِعِهَا . قَالُوا : نَرُدُّ الْمَلِكَ فِي آلِ الْمُنْذِرِ ،
فَعَلَّكُوا الْمُنْذِرَ بْنَ النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَكَانَ يُسَمَّى الْغُرُورَ ، فَكَانَ
يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ النَّاسَ وَغَلِبَهُمُ السَّيْفُ : لَبَسْتُ بِالْغُرُورِ ،
وَلَكِنِّي الْمَغْرُورُ ^(٢) .

قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ الْحُطَمُ بْنُ ضُبَيْعَةَ
أَخُو قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فِيمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ بَكْرَيْنِ وَائِلٍ عَلَى الرُّدَّةِ ، وَمِنْ تَأَشَّبَ ^(٣)
إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ الْمُرْتَدِّينَ ؛ مِمَّنْ لَمْ يَزَلْ كَافِرًا حَتَّى نَزَلَ الْقَطِيفُ ^(٤) وَهَجَرَ ،
وَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى دَارَيْنِ ، فَأَقَامُوا بِهِ لِيَجْعَلَ عَبْدَ الْقَيْسِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ،
وَكَانُوا مُخَالَفِينَ لَهُمْ ، يَمُدُّونَ الْمُنْذِرَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْغُرُورِ
ابْنُ أَخِي ^(٥) النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، فَبَعَثَهُ إِلَى جُؤَاثَى ، وَقَالَ لَهُ :
اثْبِتْ ، فَإِنِّي إِنِ ظَفَرْتُ مَلَكَتُكَ بِالْبَحْرَيْنِ حَتَّى تَكُونَ كَالنُّعْمَانِ
بِالْحِيرَةِ ، وَبَعَثَ إِلَى جُؤَاثَى فَحَصَرَهُمْ ، وَأَلْحَا عَلَيْهِمْ ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ
الْمَحْصُورِينَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي الْمُسْلِمِينَ . يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَفٍ ،

(١) ص : « أَنْقَذَهُم » تَحْرِيفٌ .

(٢) ل : « الْغُرُور » .

(٣) تَأَشَّبَ : تَجَمَّعَ إِلَيْهِ مِنْ هُنَا وَهُنَا .

(٤) اقْطِيفَ : مَدِينَةُ بِالْبَحْرَيْنِ .

(٥) فِي الطَّبَرِيِّ أَخِي « ي » .

أحد بنى بكر بن كلاب ، فاشتدَّ عليه وعليهم الجوع حتى كادوا
 يهلكوا ؛ فقال عبد الله بنُ حَذَفٍ في ذلك :
 أَلَا أُبْلِغُ أَبَا بَكْرٍ رَسُولاً وَفَتِيانَ الْمَدِينَةِ أَجْمَعِينَ^(١)
 فَهَلْ لَكُمْ إِلَى قَوْمِ كِرَامٍ قُعودٍ فِي جُؤَانِي مَحْصَرِينَا
 كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ فِي كُلِّ فَجٍّ شُعَاعُ الشَّمْسِ يَغْشَى النَّاطِرِينَ
 تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا وَجَدْنَا الصَّبْرَ لِلْمُتَوَكِّلِينَ
 وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصُّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ عَقَدَ لِلْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ ،
 وَأَمْرَهُ بِالْبَحْرَيْنِ كَمَا قَدَّمْنَا ذَكَرَ ذَلِكَ ، فَسَارَ الْعَلَاءُ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَلَمَّا
 كَانَ بِحِجَالِ الْيَمَامَةِ لَحِقَ بِهِ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فِي مُسْلِمَةٍ بَنَى حَنِيفَةً ،
 وَخَرَجَ مَعَ الْعَلَاءِ مِنْ بَنِي عَمْرِو وَسَعْدٍ وَالرَّبَّابِ مِثْلَ عَسْكَرِهِ ، وَسَلَكَ
 الدَّهْنَاءَ فَتَزَلَّ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالنُّزُولِ ، فَتَزَلُّوا ، فَتَفَرَّتِ الْإِبِلُ فِي جُوفِ
 اللَّيْلِ ، فَمَا بَقِيَ بَعِيرٌ وَلَا زَادٌ وَلَا مَزَادٌ وَلَا بِنَاءٌ إِلَّا ذَهَبَ عَلَيْهَا
 فِي عَرْضِ الرَّمْلِ ، وَذَلِكَ حِينَ نَزَلَ النَّاسُ ، وَقَبْلَ أَنْ يَحْطُوا ، فَمَا هَجَمَ
 عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْغَمِّ مَا هَجَمَ عَلَيْهِمْ ، وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ،
 وَنَادَى مَنَادِي الْعَلَاءِ : اجْتَمِعُوا ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : مَا هَذَا
 الَّذِي قَدْ ظَهَرَ فِيكُمْ ، وَغَلَبَ عَلَيْكُمْ ؟ فَقَالَ النَّاسُ : وَكَيْفَ نَلَامُ
 وَنَحْنُ إِنْ بَلَّغْنَا غَدًا لَمْ تَحْمَ شَمْسُهُ^(٢) حَتَّى نَصِيرَ حَدِيثًا ، فَقَالَ :
 أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تُرَاعُوا ، أَلَسْتُمْ مُسْلِمِينَ ! أَلَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . !
 أَلَسْتُمْ أَنْصَارَ اللَّهِ ! قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَابْشَرُوا فَوَاللَّهِ لَا يَخْذُلُ
 اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكُمْ .

(١) الأبيات في الأغاني ١٥ : ٢٥٦ .

(٢) ص : هـ شمسها .

ونادى المَنَادِى بِصَلَاةِ الصُّبْحِ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَصَلَّى بِهِمْ ،
 مِنْهُمْ الْمُتَيْمِّمُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى ظُهُرِهِ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ
 جَثَا لِرُكْبَتَيْهِ ، وَجَثَا النَّاسُ ، فَنَصَبَ فِي الدُّعَاءِ ، وَنَصَبُوا مَعَهُ ،
 فَلَمَعَ لَهُمْ سَرَابٌ ^(١) الشَّمْسِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى الصَّفِّ . فَقَالَ : رَائِدٌ
 يَنْظُرُ مَا هَذَا ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : سَرَابٌ . فَأَقْبَلَ عَلَى الدُّعَاءِ ،
 ثُمَّ لَمَعَ لَهُمْ آخَرُ ، فَكَذَلِكَ ، ثُمَّ لَمَعَ لَهُمْ آخَرُ ، فَقَالَ : مَاءٌ ، فَقَامَ وَقَامَ
 النَّاسُ مَعَهُ ، فَمَشَوْا حَتَّى نَزَلُوا عَلَيْهِ ، فَشَرَبُوا وَاغْتَسَلُوا ، فَمَا تَعَالَى
 النَّهَارُ حَتَّى أَقْبَلَتِ الْإِبِلُ تُكْرَدٌ ^(٢) مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فَأَتَاخَتْ عَلَيْهِمْ ،
 فَأَقَامَ كُلُّ رَجُلٍ إِلَى ظُهُرِهِ ، فَأَخَذَهُ .

قَالَ مِنْجَابُ بْنُ رَاشِدٍ : فَمَا فَقَدْنَا سِلْكَنا ^(٣) ؛ فَأَرْوَيْنَاهَا وَأَسْقَيْنَاهَا
 الْعَلَّلَ بَعْدَ النَّهْلِ ^(٤) ، وَتَرَوَيْنَا ، ثُمَّ تَرَوُخْنَا . وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ
 رَفِيقِي فَلَمَّا غَبِنَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ . قَالَ لِي : كَيْفَ عَلِمْتَ بِمَوْضِعِ ذَلِكَ
 الْمَاءِ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا مِنْ أَهْدَى الْعَرَبِ بِهَذِهِ الْبِلَادِ . قَالَ : فَكُنْ مَعِيَ
 حَتَّى تَقِيمَنِي عَلَيْهِ ، فَكُرَّرْتُ بِهِ ، فَأَتَيْتُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَقُلْتُ :
 لَوْلَا أَنَّنِي [لَا أَرَى] ^(٥) الْغَدِيرَ لِأَخْبِرْتُكَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَكَانُ ،
 وَمَا رَأَيْتُ بِهَذَا الْمَكَانِ مَاءً نَاقِعًا ^(٦) قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَإِذَا إِدَاوَةٌ مَمْلُوءَةٌ ،
 فَقَالَ : يَا أَبَا سَهْمٍ ، هَذَا وَاللَّهِ الْمَكَانُ ، وَلِهَذَا رَجَعْتُ بِكَ ، وَمَلَأْتُ
 إِدَوَاتِي ثُمَّ وَضَعْتُهَا عَلَى شَفِيرِهِ . فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ مَنَّا مِنَ الْمَنِّ وَكَانَتْ

(١) ك : « شراب » تصحيف .

(٢) الكرَد : الطرد ، وفي الأصول : « يرتكد » تصحيف ، صوابه من تاريخ الطبري .

(٣) السلك : جمع سلكة ، وهو الخيط الذي يخاط به الثوب .

(٤) العلل : الشراب الثاني ، والنهل : الشراب الأول .

(٥) من الطبري .

(٦) كذا في الطبري ، وفي الأصول : « ناعما » .

آية عرفتها ، وإن كان غيائاً عرفته ، فإذا من من المن ؛ فحمد الله .
ثم سِرنا حتى نزل هَجَر .

قال : فأرسل العلاء بن الحضرمي إلى الجارود ورجلي آخر :
أن انضموا في عبد القيس حتى تنزلاً على الحطم مما يليكم ، وخرج
هو فيمن جاء معه ، وفيمن قديم عليه حتى ينزل عليه ما يلي هَجَر ،
وتجمع المشركون كلهم إلى الحطم إلا أهل دارين ، وتجمع المسلمون
كلهم إلى العلاء ، وخذلوا المسلمون والمشركون ، فكانوا يتراوحن
القتال ويرجعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهراً .

فبينما الناس ليلة إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء
شديدة ، كأنها ضوضاء هزيمة أو قتال ، فقال العلاء : من يأتينا بخبر
القوم ؟

فقال عبد الله بن حذاف : أنا آتيكم بخبر القوم ؛ فخرج حتى
إذا دنا من خندقهم أخذوه ؛ فقالوا له : من أنت ؟ فانتسب لهم ،
وجعل ينادي : يا أبجراه ! فجاء أبجر فعرفه فقال : ما شأنك ؟ فقال :
لا أصغر بين اللهازم ^(١) ، فقال : والله إني لأظنك بشس ابن الأخت
لأخوالك الليلة . فقال : دعني من هذا ، وأطعني ؛ فإني قد ميتٌ جوعاً ؛
فقرب له طعاماً فأكل ، ثم قال : زدني ^(٢) واخملني ، فحمله
على بعير ، وخرج عبد الله بن حذاف حتى دخل عسكر المسلمين ،
فأخبرهم أن القوم سُكَّارَى ، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا
عسكرهم ، فوضَعُوا السُّيُوفَ فيهم حيث شاءوا ، واقتحوا الخندق

(١) ص : « اللهازم » تصحيف . وفي تاريخ الطبري : « لا أضيق الليلة » .

(٢) ك : « زدني » .

هُرَابًا فَمُتَرِدٌّ وَنَاجٍ ، وَدَهْشٌ وَمَقْتُولٌ أَوْ مَأْسُورٌ ، وَاسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا فِي الْعَسْكَرِ ، وَلَمْ يَسْلَمْ رَجُلٌ إِلَّا بِمَا عَلَيْهِ ، فَأَمَّا أَبَجْرٌ فَأَقْلَتْ ، وَأَمَّا الْحُطَمُ فَإِنَّهُ دَهَشَ ، وَطَارَ فُؤَادُهُ ، فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ - وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَهُمْ - فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَابِ انْقَطَعَ بِهِ فَمَرَّ بِهِ ، عَفِيفُ بْنُ الْمَنْذَرِ وَالْحُطَمُ يَسْتَغِيثُ ، يَقُولُ : أَلَا رَجُلٌ يَعْقِلُنِي ! فَعَرَفَ صَوْتَهُ ، فَقَالَ : أَعْطِنِي رِجْلَكَ ، فَأَعْطَاهُ رِجْلَهُ فَنَفَحَهَا فَأَطْنَهَا ^(١) مِنَ الْفَخْذِ ، وَتَرَكَهُ ، فَقَالَ : أَجْهِزْ عَلَيَّ ، فَقَالَ : لَا ، إِنِّي أَحَبُّ ^(٢) أَلَّا تَمُوتَ حَتَّى أَمِضَّكَ ^(٣) . وَجَعَلَ الْحُطَمُ لَا يَمُرُّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ : هَلْ لَكَ فِي الْحُطَمِ أَنْ تَقْتُلَهُ ! حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى فِخْذَهُ نَادِرَةً ^(٤) ، قَالَ : وَاسْوَأَتَاهُ لَوْ عَلِمْتَ الَّذِي بِهِ لَمْ أَحَرِّكُهُ ! وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَمَا أَخَذُوا الْخَنْدَقَ عَلَى الْقَوْمِ يَطْلُبُونَهُمْ ، فَلَحِقَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَبَجْرَ : فَطَعَنَهُ قَيْسٌ فِي الْعِرْقُوبِ فَقَطَعَهُ ، فَكَانَتْ رَادَّةً ، وَأَصْبَحَ الْعَلَاءُ فَقَسَمَ الْأَنْفَالُ ، وَنَفَّلَ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْبِلَاءِ ثِيَابًا .

وَأَمَّا أَهْلُ عُمَانَ وَمَهْرَةَ وَالْيَمَنِ ، فَإِنَّ حَذِيفَةَ بْنَ مُحْصَنِ الْحَمِيرِيِّ وَعَرْفَجَةَ سَارَا إِلَى الْقَوْمِ ، فَاقْتَتَلَ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلَ عُمَانَ قِتَالًا شَدِيدًا فَهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ [المرتدين] ^(٥) : وَقَتَلُوا مِنْهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَسَبَّوْا الذَّارِرِيَّ ، وَجَمَعُوا الْغَنَائِمَ ، وَبَعَثُوا الْخُمْسَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَقَسَمُوا مَا بَقِيَ ، ثُمَّ خَرَجُوا نَحْوَ مَهْرَةَ ، فَكَشَفَ اللَّهُ جُنُودَ الْمُرْتَدِّينَ ، وَقَتَلَ

(١) أطْنَهَا : قَطَعَهَا .

(٢) ص : « أَحْبَبُّ » .

(٣) ك : « أَفْضَلَ » .

(٤) نَادِرَةٌ : سَاقِطَةٌ .

(٥) تَكْمِلَةٌ مِنْ ص .

رئيسُهم ، وركبهم المسلمون ، فقتلوا منهم من شاءوا ، وأصابوا مَنْ
شاعوا ، وخمّسوا الغنائم ، وبعثوا بالخُمس إلى أبي بكر الصديق رضى
الله عنه ، وقسموا ما بقي .

وأما من بقي من بقية الأمراء الذين عقد لهم أبو بكر رضى الله عنه ،
وبعثهم إلى من ارتد من قبائل العرب ، فإن كل أمير سار إلى مَنْ بعثه إليه
فمن رجع عن الردة ، وفاء إلى الإسلام قبل منه ومن أبي قتل ، وأطفا
الله تلك النيران .

رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رضى الله عنه أَنَّهُ قَالَ : لقد أقمنا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كِدْنَا نَهْلِكُ فيه ، لولا
أَنَّ الله تعالى مَنْ عَلَيْنَا بِأَبِي بكرٍ ، جمَعْنَا على أَنْ نقاتل على ابنة
مخاض وابنة لبون ، وَأَنْ نأكل قري عُرينة ، ونعبد الله حتى يأتينا
البيقين .

فعزم الله لأبى بكر على قتالهم ، فو الله ما رضى منهم إلا
بالخُطة المخزية أو الحرب المجلية ، فأما الخُطة المخزية فأن يُقرّوا
بأن مَنْ قُتل منهم في النار ، وَأَنْ مَنْ قُتل منّا في الجنة ، وَأَنْ يَدُوا
قتلانا ، ونغم ما أخذنا منهم ، وما أخذوا منّا مردود علينا ، وأما الحرب
المجلية فأن يخرجوا من ديارهم . وكانت هذه الحروب التي ذكرناها .

وهذه الوقائع كُلُّها في سنة إحدى عشرة ، وكان فيها حوادثُ
آخر غير ما ذكرناها ، نذكرها إن شاء الله تعالى في حوادث السنين في
خلافة أبى بكر رضى الله عنه بعد نهاية الغزوات . والله أعلم .

ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق

وما افتتحه وما صالح عليه وما قرره من الجزية

كان إرسال خالد بن الوليد إلى العراق في المحرم سنة ثلاث عشرة من الهجرة (١).

قالوا : وكان الذي هاج أبا بكر رضي الله عنه ؛ أن المثنى بن حارثة الشيباني كان يُغير على أهل فارس بالسواد ، فبلغ أبا بكر والمسلمين خبره ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَنْ هذا الذي تأتينا وقائعته قبل معرفة نسبه ؟ فقال قيس بن عاصم : أما إنه غير حامل الذُّكر ، ولا مجهول النسب ، ولا قليل العدد ، ولا ذليل العِمارة (٢) ، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني .

ثم قَدِم المثنى على أبي بكر : فقال : يا خليفة رسول الله ، ابعثنى على قَوْمِي ، فإنَّ فيهم إسلاماً . أقاتل بهم أهل فارس ، وأكفيك أهل ناحيتي من العدو ؛ ففعل أبو بكر رضي الله عنه ذلك .

وقدم المثنى إلى العراق ، فقاتل ، وأغارَ على أهل فارس ونواحي السواد حَوْلًا ، ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد ويقول : إن أمددتنى وسمعتُ بذلك العرب أسرعوا إلى ، وأذلَّ اللهُ المشركين ، مع أنَّي أخيرك يا خليفة رسول الله أنَّ الأعاجم تخافنا وتتَّقينا . فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، ابعث خالد بن الوليد مددًا للمثنى بن حارثة ، يكون قريباً من أهل الشام ، فإن استغنى عنه أهل

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٦١ . وذكر الخبر في سنة ١٢ ، وانظر الاستيعاب

(٢) العارة : الحى العظيم ، وفي الاستيعاب : « الفارة » .

الشام ألح على أهل العراق ؛ حتى يفتح الله عليه . حكاه أبو عمر بن عبد البر من حديث الأصمعي عن سلمة بن بلال عن أبي رجاء العطاردي ^(١) .

قال : كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى المثنى بن حارثة : إني قد ولّيتُ خالد بن الوليد ، فكن معه ؛ وكان المثنى بسواد الكوفة ، فخرج خالد فتلقاه ، وقدم معه البصرة .

وحكى أبو الحسن علي بن محمد الموصلي المعروف بابن الأثير في تاريخه : ^(٢) الكامل . قال : أرسل ^(٣) أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد من اليمامة إلى العراق ، وقيل : بل قدم إلى المدينة من اليمامة ، فأرسله إلى العراق ، وأوصاه أن يبتدأ بفرج الهند ، وهو الأبلّة ، وأن يتألف أهل فارس ، وكل من كان في ملكهم من الأمم ، فصار حتى نزل بيازقيا ، وباروشما والنيس ، فصالحه أهلها على عشرة آلاف دينار سوى جزية ^(٤) كسرى ، وكان على كل رأس أربعة دراهم ، فأخذ منهم الجزية ، ثم سار حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافها مع قبضة بن إياس الطائي ، وكان أميراً عليها بعد النعمان بن المنذر ، فدعاهم إلى الإسلام ، أو الجزية ، أو المحاربة فاختاروا الجزية . فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، فكانت أول جزية أخذت من الفرس في الإسلام ، هي والقريبات التي صالح عليها ، واشتروط على أهل الحيرة أن يكونوا عيوناً للمسلمين ، فأجابوا إلى ذلك .

ثم سار خالد لقتال هرمز ، فلما سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير

(١) الاستيعاب ١٤٥٧

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٦١ وما بعدها . (٣) ابن الأثير وخرقة .

الملك بالخبر واستمده والتقياً ، وخرج هُرْمُزُ ، ودعا خالدا للبرازِ ووطأ أصحابه على الغدرِ به ، فبرز إليه خالدٌ ، ومشى نحوه واجلا ، وبرز هُرْمُزُ ، واقتتلا ، فاحتضنه خالدٌ ، وحمل أصحاب هُرْمُزُ ، فما شغله ذلك عن قتله ، وحمل القمعاق بن عمرو ، فأبى أهل فارسٍ وركبهم المسلمون ؛ وسميت هذه الواقعة : ذات السلاسل ، وكانت عِدَّةُ أصحاب خالدٍ ثمانية عشر ألفاً ، ونجا قُبَاذُ وأنوشجان ، وأخذ خالد سلب هُرْمُزُ ، وكانت قلنسوته بمائة ألفٍ ، وبعث بالفتح والأخماس إلى أبي بكر ، وسار حتى نزل بموضع الجسرِ الأعظم بالبصرة ، وبعث المنثى بن حارثة في آثارهم ، وبعث مقررٌ إلى الأبله ففتحها ، وجمع الأموال بها والسبي .

| وقيل : إن الأبله فُتحت في خلافة عمر على ما ذكره إن شاء الله تعالى . وحاصر المنثى حصن المرأة ، فافتتحه ، وأسلمت المرأة .

ذكر وقعة الثنى

قال ^(١) : ولما وصل كتابُ هُرْمُزُ إلى أردشير بخبر خالد ، أمده بقارن بن قريانس ، فلقيه المنهزمون ، فرجعوا معه وفيهم قُبَاذُ وأنوشجان ، فنزلوا الثنى - وهو النهر - وسار إليهم خالد ، والتقوا ، واقتتلوا ، فبرز قارن فقتله معقل بن الأعشى ، وقتل عاصم أنوشجان وقتل عدي قُبَاذُ : وقتل من الفُرسِ مقتلة عظيمة يبلغون ثلاثين ألفاً ؛ سوى من غرق في الماء ، فقسَّم خالدُ الفئ : بعد أن خمسه ،

(١) سائر المؤلف في هذه التسمية ابن الأثير ٢ : ٢٦٢ . وأما الطبري فقد أسماها « وقعة المذار » . والعرب تسمى كل نهر ثنياً .

وأرسل بالأخماس إلى المدينة ، وأعطى الأسلاب مَنْ سلبها ، وكانت غنيمة عظيمة ، وأخذ الجزية مِنْ الفلاحين ، وكانوا ذمةً ، وكان في السَّيِّ أبُو الحسن البصري ، وكان نصرانياً .

ذكر وقعة الولجة

قال : ^(١) ولَمَّا وصل الخبر إلى أردشير بعثَ الأندرزغر [وكان فارساً من مولدِي السَّوَادِ : وأرسل بهم جازويه في أثره في جيش ، وكان مع الأندرزغر] ^(٢) الفرس والعرب الضَّاحِيَّةَ والدَّهَاقِينَ ، فمَسَكُوا بِالْوَلَجَةِ ، فجاءهم خالدٌ إليها وكمن لهم كميناً ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وخرج كمين خالدٍ من خَلْفِهِمْ فانهزمت الأعاجم ، وأخذهم خالد من أمامهم : والكمين من خَلْفِهِمْ ، فقتل منهم خلقٌ كثير . [ومضى] ^(٣) الأندرزغر منهزماً ، فمات عَطْشاً .

وكانت هذه الوقعة في صفر سنة اثنى عشرة ، فأصاب خالدُ ابناً لجابر بن بُجَيْرٍ : وابناً لعبد الأسود ^(٤) من بكر بن وائل .

ذكر وقعة أليس

قال : لَمَّا أَصَابَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَوْمَ الْوَلَجَةِ مَا أَصَابَ مِنْ نَصَارَى بَكْرِينَ وَائِلٍ ، الَّذِينَ أَعَانُوا الْفُرْسَ ، غَضِبَ لَهُمْ نَصَارَى قَوْمِهِمْ ، فَكَاتَبُوا الْفُرْسَ : واجتمعوا على أَلَيْسَ ^(١) ، وعليهم عبد الأسود

(١) ابن الأثير . ٣ : ٢٦٣

(٢) تكملة من ص .

(٣) ك : « بن بكر بن وائل » .

(٤) ك : « اجتمعوا على الفرس » .

العِجْلِيَّ ، وكتب أَرْدَشِيرُ إلى بَهْمَنْ جاذوَيْهِ ، وأمره بالقدوم على نصارى العرب ، فقدم عليهم بهمَنْ جابان ، وأمره بالتوقف عن المُحَارَبَةِ حتى يقدمَ عليه ، وسارَ بِهِمَنْ إلى أَرْدَشِيرِ يُشاورُهُ فَمَا يَفْعَلُ ، فوجده مريضاً فتوقَّفَ ؛ واجتمع على جَابَانَ نصارى عِجْلٍ ، وهم اللَّاتُ وَضُبَيْعَةُ وَجَابِرُ بْنُ بُجَيْرٍ ، وعربُ الصَّاحِيَةِ من أهل الحيرة ، فسارَ إليهم خالد والتقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ؛ فقال خالد : اللَّهُمَّ إِنِّ هَزَمْتَهُمْ فَعَلَى الْأَاسْتَبَقَى مِنْهُمْ مَنْ قَدَرْتُ عَلَيْهِ ؛ حَتَّى أُجْرِيَ مِنْ دِمَائِهِمْ نَهْرُهُمْ ، فَانْهَزَمَتْ فَارِسٌ ، فَنَادَى مُنَادِي خَالِدٍ : الْأَسْرُ الْأَسْرُ ! إِلَّا مَنْ امْتَنَعَ فَاقْتُلُوهُ ، فَأَقْبَلَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ أُسْرَاءَ ، وَوَكَّلَ بِهِمْ مَنْ يَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ ، فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ يَوْمَ وَلِيلَةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ : لَوْ قَتَلْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ تَجْرِ دِمَاؤُهُمْ ، فَأَجْرَى عَلَيْهِ [الْمَاءُ] ^(١) فَسَمِيَ ذَلِكَ الْمَاءُ نَهْرَ الدَّمِ . وَبَلَغَ عِدْدُ الْقَتْلِ سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَكَانَتْ الْوَقْعَةُ فِي صَفَرٍ أَيْضًا .

ثم سار إلى أَمْعِيثِيَا ، وَأَصَابَ فِيهَا مَالَهُمْ يَصُبُّ مِثْلَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ . وَأَخْرَجَهَا ، وَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِالسَّيِّ وَالْغَنَائِمِ ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : عَجَزَ النِّسَاءُ أَنْ يَلْذُنَ مِثْلَ خَالِدٍ . رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

ذكر وقعة فرات بادقلى وفتح الحيرة

قال : ^(١) ثم سار خالد من أَمْنِيشِيَا إلى الحيرة ، وحمل الرجال والأثقال في السفن ، فخرج مرزبان الحيرة ، وهو الأزاديه ، فعسكر عند الغريين وأرسل ابنه ، فقطع الماء عن السفن ، فبقيت على الأرض ، فسار خالد نحوه فلقبه على فرات بادقلى ، فقتله ، وقتل أصحابه ، فلما بلغ الأزاديه قتل ابنه هرب بغير قتال ، ونزل المسلمون على الغريين ، وتحصن أهل الحيرة فحصرهم في قصورهم ، وافتتح المسلمون الدروب والدور ، وأكثروا القتل : فنادى القسيسون والرهبان : يا أهل القصور ! ما يقتلنا غيركم ! فنادى أهل القصور المسلمين : قد قبلنا واحدة من ثلاث : إما الإسلام ، أو الجزية ، أو المحاربة ، فكفوا عنهم ، وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألفا . وقيل : مائتي ألف وتسعين ألفا .

وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الأول : وكتب لهم خالد كتابا ، فلما كفر أهل السواد ضيعوه ، فلما افتتحها المثنى ثانية عاد بشرط آخر : فلما عادوا كفروا ، وافتتحها سعد بن أبي وقاص : ووضع عليهم [أربع مائة] ^(٢) ألف . فقال خالد : ما لقيت قوما كأهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس كأهل اليمن .

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) من ابن الأثير .

ذكر ما كان بعد فتح الحيرة

قال (١) : وكان الدهاقين يتربصون بخالد ، ما يصنع أهل الحيرة ، فلما صالحهم واستأمنوا له أثنى الدهاقين من تلك النواحي ، فصالحوه على ألفي ألف . وقيل : ألف ألف : سوى ما كان لآل كسري .

وكتب إلى أهل فارس يذعوهم إلى الإسلام أو الجزية ، فإن أجابوه وإلا حاربهم . وجبى الخراج في خمسين ليلة ، وأعطاه للمسلمين ، ولم يبق لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر ، لاختلافهم بموت أردشير : إلا أنهم مجمعون على حرب خالد : وهو مقيم بالحيرة .

ذكر فتح الأنبار

قال : ثم (٢) سار خالد إلى الأنبار ، وإنما سُميت الأنبار ، لأن أهراء (٣) الطعام كانت بها أنابيب ، وكان [على] (٤) من بها من الجند شيرزاد صاحب سباط . فلما التقوا أمر خالد رماقه برشق السهام : وأن يقصد واعيونهم ، فرشقوا رشقا واحدا : ثم تابعوا ، فأصابوا ألف عين ، فسميت هذه الواقعة ذات العين ، فلما رأى شيرزاد ذلك : أرسل في طلب الصلح ، فصالحه خالد على أن يلحقه مأمته في جريدة ، وليس معهم من المتاع شيء .

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٦٨ .

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٦٩ .

(٣) الأهراء : مخازن الغلال .

(٤) بكلمة من صر .

وخرج شیرزاد إلى بَهْمَن جاذويه ، ثم صالح خالدَ مَنْ حول
الأنبار وأهل كِلُواذَى . والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله
وحدّه .

ذكر فتح عين التمر

قال : ولما ^(١) فرغ خالدٌ مِنَ الأنبار ، استخلف عليها الزُّبْرَقان
ابن بدر ، وسار إلى عينِ التمر ، وبها مِهْران بنُ بَهْرَام جُوبِين
في جمع عظيم من العجم ، وعَقَّة بنُ أَبِي عَقَّة في جمع عظيم من العرب ،
من النُّبَر ، وتَغْلِب ، وإِيَاد ، وغيرهم . فقال عَقَّة لِمِهْران : إِنَّ العرب أعلم
بقتال العرب منكم ، فدعنا وخالدًا ، فقال : نعم ، وإن احتجتم
إِلَيْنَا أعناكم ، فالتقى عَقَّة بخالد ، فحمل خالدٌ عليه وهو يقيم صُفُوفَهُ ،
فاحتضنه وأسرّه ، فانهزم أصحابُهُ من غير قتالٍ ، وأسيرَ أكثرهم .
فلما بلغ الخبر مِهْران ، هرب في جنده وترك الحصن ^(٢) ، فانتهى
المنهزمون إليه وتحصَّنوا به ، فنازلهم خالدٌ ، فسألوا الأمان ، فأبى ،
فنزّلوا على حُكْمِهِ ، فأخذهم أسرى ، وقتل عَقَّة ، ثم قتلَهُم عن
آخرهم ، وسبى [كل مَنْ] ^(٣) بِالْحِصْنِ وَغَنِمَ ما فيه ، ووجد
في بيعتهم أربعين غلامًا يتعلَّمون الإنجيل ، عليهم بابٌ مغلقٌ ،
فكسره وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رُهْنٌ ، فقسَّمهم في أهل البلاد ،
منهم : أبو زياد مَوَكِّي ثَقِيف ، وأبو عمرة جدُّ عبد الله بن عبد الأعلى

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٦٩ .

(٢) ص : « ونزل الحصن » .

(٣) من ص .

الشاعر ، وسيرين أبو محمد ، ونُصَيْرُ أبو موسى ، وحُمرانُ مولى
عثمان بن عفان .

وأرسل إلى أبي بكر بالخبر والخمس والسبي ، فكان أول سبي
قدم المدينة من العجم ، وجعل خالدٌ على عينِ التمر عويمرا السلمي .

ذكر خبر دومة الجندل

قال : ولَمَّا ^(١) فرغ خالدٌ من عَيْنِ التمر أتاه كتاب عياض بن
غَنَمٍ ؛ يستمده على مَنْ يَلْزَاقه من المشركين ، فسارَ إليه ، وكان يَلْزَاقه
بَهْرَاءُ وَكَلْبٌ ، وَغَسَّانٌ ، وَتَنُوحٌ ، وَالضُّجَاعِيُّ ، وكانت دومة
الجندل على رئيسين : أَكْبِيدِر بن عبد الملك ، والجُودِي بن ربيعة ،
فَأَمَّا أَكْبِيدِر فَأشار بالصلح ، ولم يَرَقْتال خالدٌ ، فلم يقبلوا منه ،
فخرجَ عنهم ، وسمع خالدٌ بمسيره ، فأرسل إلى طريقه ، وأخذه
أسيراً وقتله وأخذ ما كان معه ، وسار حتى نزل بدومة ، وجعلها
بيته وبين عياض ، وخرج الجُودِي إلى خالدٍ في جمعٍ مِمَّنْ عنده
من العرب ، وأخرج طائفة إلى عياض ، فهزمهم عياضٌ ، وهزم
خالدٌ مَنْ يليه ، وأسر الجُودِي ، وانهزموا إلى الحِصْنِ ، فلما امتلأ
أغلقوا الباب دون أصحابهم ، فبقوا حوله ، فقتلهم خالدٌ ، وقتل الجُودِي
وقتل الأسرى إِلَّا أسرى كَلْبٍ ، فَإِنَّ بَنِي نَعِمٍ قالوا لخالدٍ : قد أمَّناهم ، وكانوا
حلفاءهم ، فتركهم لهم ، ثم أخذ الحِصْنَ فقتل المقاتلة ، وسبى
الذرية ، فاشترى خالدٌ ابنة الجُودِي ، وكانت موصوفة بالجمال .

وأقام خالدٌ بدومة الجندل ، فطمع الأعاجم ، وكاتبهم عرب

الجزيرة غَضَبًا لَعْنَةً ، فكانت وقعة حَصِيد والخنافس ، بين القعقاع بن عمرو ، خليفة خالد على الحيرة ، وبين روزبة وزرمهر . فقتل روزبه بحصيد ، وانهمز الأعاجم إلى الخنافس ؛ فتبعهم المسلمون ، وهربوا إلى المصيخ : إلى الهذيل بن عمران .

ثم كانت وقعة مصيخ

قال : ^(١) ولما انتهى الخبر إلى خالد كتب إلى القعقاع وأبي ليلى ، وواعدهم في وقت معلوم يجتمعون بالمُصَيخ لقتال هُذَيْل بن عمران ومن معه ، فأغاروا عليه من ثلاثة أوجه وهم نائمون فقتلوه ، وأفلت الهذيل في نفر قليل ، وكثر فيهم القتل .

وقعة الثنى والزميل

وكان ^(٢) ربيعة بن بجير بالثنى والزميل - وهما شرق الرصافة - قد خرج غضبا لعنة ، فلما أصاب خالد أهل المصيخ سار إلى الثنى وبیتهم من ثلاثة أوجه ، وأوقع بهم وقتلهم ، فلم يفلت منهم مخبر ، وسبى وغنم ، وبعث بالخبر والخمس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فاشترى على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - بثت ربيعة [ابن بجير] ^(٣) التغلبي ، فولدت له عمر ورقية .

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٧٢ .

(٢) ابن الأثير ٢ : ٢٧٣ .

(٣) من ص وابن الاثير .

ذكر وقعة الفراض

قال : ثم ^(١) سار خالد إلى الفراض ، وهي تخوم الشام والجزيرة ، فأفطر فيها شهر رمضان لاتصال الغزوات : وحملت الروم ، واستعانوا بمن يليهم من الفرس فأعانوهم ، واجتمع معهم تغلب وإياد والنمر ، وساروا إلى خالد ، وبلغوا الفرات ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت الروم ومن معهم ، وأمر خالد ألا يرفع عنهم السيوف ، فقتل في المعركة ، وفي الطلب مائة ألف ، وأقام خالد على الفراض عشراً ، ثم أذن بالرجوع إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة سنة ثنتي عشرة ، وخرج من الفراض سراً ، ومعه عدة من أصحابه يعسف ^(٢) البلاد ، حتى أتى مكة فحج ورجع ، وكانت غيبته عن الجندي يسيرة ؛ ولم يعلم بحجه إلا من أفضى إليه بذلك .

ذكر فتوح الشام

قال : وفي ^(٣) سنة ثلاث عشرة وجه أبو بكر رضى الله عنه الجنود إلى الشام ، بعد منصرفه من مكة إلى المدينة ، فبعث عمرو بن العاص قبل فلسطين ، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسن ، وأمرهم أن يسلكوا على اللقاء من غلباء الشام . وقيل : أول لواء عقده أبو بكر رضى الله عنه ، عند توجيهه الجنود إلى الشام لواء خالد بن سعيد بن العاص ، ثم عزله قبل أن يسير ،

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٧٤ .

(٢) يصف البلاد : يضرب فيها سيراً .

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٧٥ وما بعدها .

وولّى يزيد بن أبي سفيان - وكان عزّله عن رأى عمر - وقدم عكرمة ابنُ أبي جهلٍ على أبي بكرٍ فيمن كان معه من تِهامة وعُمان والبحرين ، فجعل أبو بكرٍ عكرمة رداءً للنّاس . وبلغ الروم ذلك ، فكتبوا إلى هرقل ، فخرج هرقل حتى أتى حِمَص ، فأعدّ لهم الجنود ، وأرسل أخاه إلى عمرو ، فخرج نحوه في تسعين ألفاً ، فهابهم المسلمون ، وجميعُ فرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً سوى عكرمة ؛ فإنّه في سنة آلاف ، فكتبوا إلى عمرو بن العاص : ما الرأى ؟ فكاتبهم أنّ الرأى الاجتماع ، وذلك أنّ مثلنا إذا اجتمع لا يُغلبُ مِنْ قَلّة . فاتّعدوا اليرموك ليجتمعوا به ، وكان المسلمون كتبوا إلى أبي بكرٍ بمثل ما كتّبوا به إلى عمرو ، فجاءهم كتابه بمثل ما رأى عمرو . وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم ، وانزلوا بالروم منزلاً واسعاً المطرّد ضيق المَهْرَب ، ففعلوا ، ونزلوا الواقصة ، وهي على ضفّة اليرموك ، وصار الوادى خندقاً لهم ، وأقبل المسلمون ، فنزلوا عليهم بحدائهم ، فأقاموا صفر وشهريّ ربيع لا يقدرّون من الروم على شيء ، حتى إذا انسلخ شهر ربيع الأول ، كتبوا إلى أبي بكرٍ يستمدونه ، فكتب إلى خالد بن الوليد يلحق بهم ، وأن يسيرَ في نصف العسكر ، ويستخلف على النّصف الآخر المشي ابن حارثة الشيباني ، ففعل . والله تعالى أعلم بالصواب .

ذكر مسير خالد بن الوليد الى الشام

وما فعل في مسيره إلى أن التقى بجنود المساميين بالشام

لما^(١) ورد كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد ،
يأمره بالمسير إلى الشام في نصف العسكر سار كما أمره ، فلما انتهى
إلى سوى أغار على أهله ، وهم بهراء ، وأنهم وهم يشربون الخمر ،
ومغنيهم يقول :

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ	لَعَلَّ مَنَابِنَا قَرِيبٌ وَمَا نَذْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا	عَلَى كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
أَلَا عَلَّلَانِي مِنْ مُسْلَافَةِ قَهْوَةٍ	تُسَلَّى هُمُومَ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْخَمْرِ
أَظُنَّ خَيْولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا	سَتَنْطَرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مَعَ النَّسْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ	وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمَعَصِرَاتِ مِنَ الْخَلْدِ ^(٢)

فقتل المسلمون مغنيهم ، وسال الدَّمُ في تلك الجفنة ،
وأخذوا أموالهم ، وقتل حُرْقُوصُ بْنُ النُّعْمَانِ الْبَهْرَانِيَّ . ثم سار خالد
حتى أتى أَرَاكَ ، فصالحوه ، ثم أتى تَدْمُرَ فتحصن أهلها ،
ثم صالحوه ، ثم أتى القَرَيْتَيْنِ ، فقاتل أهلها وظفر بهم وغنم ،

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٧٩ وما بعدها .

(٢) المعصرات : جمع معصر ؛ وهي الفتاة التي دخلت في شبابها .

وَأَتَى حَوَارِين^(١) فَقَاتَلَ أَهْلَهَا فَهَزَمَهُمْ ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ ثَنِيَّةَ
 الْعُقَابِ ، بِالْقَرَبِ مِنْ دِمَشْقٍ نَاشِراً رَايَتَهُ ، وَهِيَ رَايَةٌ سَوْدَاءُ كَانَتْ
 لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُسَمَّى الْعُقَابَ ، فَسُمِّيَتِ الثَّنِيَّةُ
 بِهَا ، ثُمَّ سَارَ فَأَتَى مَرْجَ رَاهِطَ^(٢) ، فَأَغَارَ عَلَى غَسَّانَ ، فَقَتَلَ ،
 وَسَبَى ، وَأَرْسَلَ سَرِيَّةً إِلَى كَنِيسَةِ بِالْغُوطَةِ ، فَقَتَلُوا الرِّجَالَ ،
 وَسَبَوْا النِّسَاءَ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بُضْرَى ، وَعَلَيْهَا أَبُو عُبَيْدَةَ
 ابْنُ الْجِرَاحِ ، وَشُرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ، وَبِزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ،
 فَجَمَعَ لَهُ صَاحِبُ بُضْرَى ، فَسَارَ إِلَيْهِ خَالِدٌ هُوَ وَأَبُو عُيَيْدَةَ ، فَلَقِيَهُمْ
 خَالِدٌ ، فَظَفَّرَ بِهِمْ وَهَزَمَهُمْ ، فَدَخَلُوا حَصَنَهُمْ وَطَلَبُوا الصُّلْحَ ، فَصَالَحَهُمْ
 عَلَى كُلِّ رَأْسٍ دِينَارٍ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَجَزَيْبَ حَنْطَةٍ ، فَكَانَتْ بُضْرَى
 أَوَّلَ مَدِينَةٍ فَتَحَتْ بِالشَّامِ عَلَى يَدِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَأَهْلَ الْعِرَاقِ .
 وَبَعَثَ الْأَخْمَاسَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ثُمَّ سَارَ فَطَلَعَ عَلَى
 الْمُسْلِمِينَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَطَلَعَ بَاهَانَ عَلَى الرُّومِ مُنْذِرًا لَهُمْ .
 وَاتَّفَقَ قَدُومُ خَالِدٍ وَقَدُومُ بَاهَانَ ، وَمَعَ بَاهَانَ الْقَسِيسُونَ وَالشَّامِسَةُ
 وَالرَّهْبَانُ يُحَرِّضُونَ الرُّومَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَخَرَجَ بَاهَانَ ، فَوَلَّى خَالِدٌ
 قِتَالَهُ ، وَقَاتَلَ الْأُمَرَاءَ مَنْ بِلَاذِئِهِمْ ، وَرَجَعَ^(٣) مَا هَانَ وَالرُّومُ إِلَى
 خَنْدَقِهِمْ ، وَقَدْ نَالَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ ، فَلَزَمُوا خَنْدَقَهُمْ غَايَةَ شَهْرِهِمْ .
 وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) حَوَارِين ، مِنْ قَرَى حَلَبِ .

(٢) مَرْجَ رَاهِطَ ، بِنَوَاحِي دِمَشْقِ .

(٣) كَ : « وَجَمَعَ بَاهَانَ وَالرُّومَ » .

ذكر وقعة أجنادين

هذه الوقعة قد ذكرها ابن الأثير ^(١) رحمه الله بعد وقعة اليرموك ، واعتمد في ذلك على أبي جعفر الطبري رحمه الله ، فإنه أوردها على منواله ، ويقتضى سياق التاريخ أن تكون مقدمة على وقعة اليرموك ، وذلك أن خالد بن الوليد لما قدم بصرى وعليها أبو عبيدة وشرجيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، صالح أهلها على الجزية على ما تقدم ، ثم ساروا جميعا إلى فلسطين مددا لعمر بن العاص ، وهو مقيم بالعربات ، واجتمعت الروم بأجنادين - وهي بين اليرموك وبين جبرين من أرض فلسطين - وعليهم تذارق أخو هرقل لأبويه . وقيل : كان على الروم القبقلار . وسار عمرو بن العاص حين سمع بالمسلمين فلقبهم ، فنزلوا بأجنادين ، فبعث القبقلار عربيا إلى المسلمين يأتيه بخبرهم ، فعاد إليه ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال : بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعه ، ولو زنى رجموه ، لإقامة الحق فيهم ، فقال : إن كنت صدقتني فبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها . ثم التقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وظهر المسلمون عليهم ، وانهزم الروم ، وقُتل القبقلار وتذارق ، واستشهد رجال من المسلمين .

ثم جمع هرقل للمسلمين ، فالتقوا باليرموك .

والله سبحانه أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٨٦ - ٢٨٧ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤١٥ - ٤١٨ .

ذكر وقعة اليرموك

قال : واجتمع ^(١) المسلمون باليرموك ، وقد تكامل عددهم ستة وثلاثين ألفا ، منهم جيش خالد تسعة آلاف ، وجيش عكرمة ستة آلاف . وقيل في عددهم غير ذلك . وكان الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل ، منهم : ثمانون ألف مقيّد ، وأربعون ألف مُسلسل للموت ، وأربعون ألفا مربوطون بالعمائم ، وثمانون ألف راجل . وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وخرجوا للقضاء ، فلما أحس المسلمون بخروجهم ، قام خالد بن الوليد ، فحمّد الله تعالى ، وأثنى عليه ، وقال : إنّ هذا يومٌ من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر . أخلصوا بجهاذكم ، وأريدوا الله بعملكم ، وهلموا فلنتعاور ^(٢) الإمارة ، فليكنّ عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلّكم ؛ ودعوني أميركم اليوم . فأمرؤهُ ، وهم يرون أنّ الأمر أطول مما صاروا إليه ، وخرجت الروم في تعبئة لم يرَ الرّاعون مثلها قطّ ، وخرج خالد في تعبئة لم يعبّثها العرب قبل ذلك ، فخرج في ستة وثلاثين كُرْدوسا ^(٣) إلى أربعين ، وجعل القلب كراديس ، وأقام فيه أبا عبّدة ، وجعل الميمنة كراديس ، وجعل عليها عمرو بن العاص ، وفيها سُرخبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة كراديس ، وعليها يزيد بن أبي سفيان ، وجعل على كُرْدوس

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٣٩٤ وما بعدها . ابن الأثير ٢ : ٢٨١ وما بعدها .

(٢) ص : « فلنتعاور » .

(٣) الكردوس : القطعة المنظمة من الجبل .

من كراديس العراق إنسانا ، وشهد اليرموك ألف رجلٍ من الصحابة ،
فيهم من أهل بدرٍ نحو المائة . فقال رجلٌ لخالده : ما أكثر الرومَ
وأقلَّ المسلمين ! فقال خالد : ما أكثر المسلمين وأقلَّ الروم ! وإنما
تكثر الجنود بالنصر ، وتقلُّ بالخذلان ، لا بعدد الرجال .

ثم أمر خالد عكرمة والقعقاع بن عمرو - وكانا مجتبيي القلب -
فأنشبا القتال ، فنشِبَ والتحم الناس ، وتطارَدَ الفرسانُ ؛
فإنهم على ذلك إذ قَدِمَ البريدُ من المدينة ، فسأله الناس عن الخبر ،
فأخبرهم بسلامة وأمدادٍ تقبِلُ إليهم ؛ وإنما كان قد جاء بموت
أبي بكر وتأمير أبي عبيدة ، فأبلغوه خالدا ، فأخبره بوقاة أبي بكر
سرًا ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ، فشكره وأخذ الكتاب ،
فجعله في كنانته . وخرَجَ جَرَجَةُ ^(١) من عسكرِ الروم ، وكان
أحد عظمائهم ، فوقف بين الصَّفَّينِ ليخرج إلى خالد ، فخرج إليه ،
وأقام أبا عبيدة مكانه ، فواقفه بين الصَّفَّينِ حتى اختلفت أعناق
دابتيهما ، وقد آمنَ كُلُّ منهما صاحبة .

فقال جَرَجَةُ : يا خالد ، اصدقني ولا تكذِّبني ، فإن الحرَّ
لا يكذب ، ولا تخادعني ، فإن الكريم لا يخادع المسترسل ،
قد أنزل الله على نبيكم سيفًا ، فأعطاه لك ، فلا تسله على قومٍ
إلا هزَمَهم الله ! قال : لا ، قال : ففيم سُمِّيتَ سيفَ الله ؟ قال :
إنَّ الله بعثَ فينا نبيَّه صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فدعانا ، فنفرنا منه ،
ثم إن بعضنا صدَّقه وبعضنا باعده وكذَّبه ، فكنْتُ ومن كذَّبه وقتلته

ثم هداني الله فتابعته ؛ فقال : أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ سَلِّهِ
 اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، ودَعَا لِي بِالنَّصْرِ ، فَسُمِّيتُ سَيْفَ اللَّهِ بِذَلِكَ ،
 فَأَنَا أَشَدُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ الْمُشْرِكِينَ ؛ فقال : صَدَقْتَ ،
 فَأَخْبِرْنِي ، إِيَّامَ تَدْعُونِي ؟ قال خالد : إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ الْجَزْيَةِ ،
 أَوْ الْحَرْبِ . قال : فَمَا مَنْزِلَةُ الَّذِي يُجِيبُكُمْ وَيَدْخُلُ فِيكُمْ ؟ قال :
 مَنْزِلَتُنَا وَاحِدَةٌ ، قال : فَهَلْ لَهُ فِي الْأَجْرِ وَالذَّخْرِ مِثْلُكُمْ ؟ قال : نَعَمْ ،
 وَأَفْضَلُ ؛ لِأَنَّنَا اتَّبَعْنَا نَبِيَّنَا وَهُوَ حَتَّى يُخْبِرُنَا بِالْغَيْبِ ، وَنَرَى مِنْهُ
 الْعَجَائِبَ ، وَأَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مِثْلَنَا ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا ، فَمَنْ دَخَلَ
 بَنِيَّةً وَصَدَّقَ ، كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا . فَقَلَّبَ جَرَجَةَ ثَرَسُهُ ، وَمَالَ مَعَ
 خَالِدٍ يُعَلِّمُهُ الْإِسْلَامَ ، وَأَسْلَمَ ، فَمَالَ بِهِ خَالِدٌ إِلَى فُسْطَاطِهِ ، فَشَنَ (١)
 عَلَيْهِ قُرْبَةً مِنَ الْمَاءِ وَصَلَّى بِهِ رَكَعَتَيْنِ .

وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد ، وهم يَرَوْنَ أَنَّهَا مِنْهُ حِيلَةٌ ،
 فَأَزَالُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ ، فَقَالَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ : قَاتِلْتُ مَعَ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، وَأَقْرُ مِنْكُمْ !
 ثُمَّ نَادَى : مَنْ يُبَايِعُ عَلَى الْمَوْتِ ؟ فَبَايَعَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَضُرَّارُ
 ابْنُ الْأَزْوَارِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ وَجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَفُرْسَانِهِمْ ، فَقَاتَلُوا
 أَمَامَ فُسْطَاطِ خَالِدٍ حَتَّى أَثْبِتُوا (٢) جَمِيعًا جَرَا جَا ، فَمِنْهُمْ مَنْ بَرَى ،
 وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَشْهَدَ .

وحمل خالدٌ ومعه جَرَجَةٌ - وَالرُّومَ خِلَالِ الْمُسْلِمِينَ - فَنَادَى النَّاسَ

(١) شَنَ : صَبَّ .

(٢) أَثْبِتُوا : جَرَحُوا وَبِهِمْ رِمَقًا .

فثابوا ، وتراجعت الروم إلى مواقعهم ، وزحف خالد بالمسلمين إليهم حتى تصافحوا بالسيوف ، وضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ، ثم أصيب جرجة ، ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين مع خالد ، وصلى الناس الظهر والعصر إيماء ، وتضعف الروم ، ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، فانهزم الفرسان ، وخرجت خيلهم تشتت في الصحراء .

ولما رأى المسلمون خيل الروم أفرجوا لها ، فذهبت ، فتفرقت في البلاد ، وأقبل خالد ومن معه على الرجل ، ففضوهم ، فكأنما هدم بهم حائط ، واقتحموا في خندقهم ، فاقتحمه عليهم ، فعمدوا إلى الواقصة ، فهوى فيها المقترون وغيرهم ، فتهاوى فيها عشرون ومائة ألف ، ثمانون ألف مقترون ، وأربعون ألف مطلق ، سوى من قتل في المعركة من الفرسان والرجال ، وقاتل النساء يومئذ ، وكانت هزيمة الروم مع الليل . وصعد المسلمون العقبة وأصابوا مائ عسكر الروم ، قتل الله صناديد الروم ورعوسهم وأخا هرقل ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حمص - أويحمص - فنادى بالرحيل عنها ، وجعلها بينه وبين المسلمين ، وأمر عليها أميراً كما أمر على دمشق .

هذا ما كان من واقعة اليرموك على سبيل الاختصار

روى عن عبد الله بن الزبير ، قال : كنت مع أبي باليرموك وأنا صبي لا أقاتل ؛ فلما اقتتل الناس نظرت إلى أناس على تل لا يقاتلون ، فركبت فذهبت إليهم ؛ فإذا أبو سفيان بن حرب ومشيخة من قريش

مِنْ مَهَاجِرَةِ الْفَتْحِ ، فَرَأَوْنِي حَدَّثًا فَلَمْ يَتَّقُونِي . قَالَ : فَجَعَلُوا إِذَا
 مَالَ الْمُسْلِمُونَ ، وَرَكِبَهُمُ الرُّومُ يَقُولُونَ : إِيَّاهُ بَنَى الْأَصْفَرُ ! وَإِذَا
 مَالَتِ الرُّومُ ، وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا : وَنَحْنُ بَنَى الْأَصْفَرُ ! فَلَمَّا هُزِمَتِ الرُّومُ
 أَخْبَرْتُ أَبِي بِذَلِكَ ، فَضَحِكَ وَقَالَ . قَاتِلْهُمْ اللَّهُ ! أَبَوْا إِلَّا ضَعْفًا نَحْنُ
 خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الرُّومِ .

وقد حكى أبو جعفر الطبري رحمه الله ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ يَوْمَ
 اليرموك كان يسير فيقف على الكراديس فيقول : الله ، الله ! إِنَّكُمْ
 ذَادَةُ الْعَرَبِ وَأَنْصَارُ الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّهُمْ ذَادَةُ الرُّومِ وَأَنْصَارُ الشَّرِكِ !
 اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِكَ ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ عَلَى عِبَادِكَ . وَاللَّهِ أَعْلَمُ .

* * *

هذا ما وقع في خلافة أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْغَزَوَاتِ
 وَالْحُرُوبِ ، وَالْفَتْوحَاتِ ، فَلْنَذْكُرْ مَا هُوَ خِلَافُ ذَلِكَ مِنَ الْحَوَادِثِ
 عَلَى السَّنِينَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

ذكر ما وقع في خلافة أبي بكر غير ما ذكرناه

سنة إحدى عشرة

فيها كانت وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، وذلك في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان ، وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة ، أُنحوا . وقيل : تُوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر ؛ قاله أبو جعفر (١) .

ثم قال : والثبت عندنا أنها تُوفيت بعد ستة أشهر ، وغسلها علي بن أبي طالب ، وأسماء بنت عميس ، وصلى عليها العباس ابن عبد المطلب ، ودخل قبرها العباس وعلي والفضل بن عباس ؛ قاله الواقدي .

قال أبو عمر : فاطمة (٢) أول من غُطيَ نعشها من النساء في الإسلام ؛ وذلك أنها قالت لأسماء بنت عميس : يا أسماء ، إني قد استقبحت ما يُضنعُ بالنساء ، إنه يُطرحُ على المرأة الثوب ، فيصفها . فقالت أسماء يا بنت رسول الله ، ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ، ثم طرحت عليها ثوباً . فقالت فاطمة : ما أحسنَ هذا وأجمله ! تُعرفُ به المرأة من الرجل ، فإذا أنا ميتٌ فاغسليني أنت وعلي ، ولا تدخليني على أحداً ، فلما تُوفيت جاءت عائشة تدخل ، فقالت أسماء : لا تدخليني ، فشكت إلى أبي بكر . فقالت : إن هذه الخشمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ، وقد جعلت لها مثل

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٠ .

(٢) الأستيعاب ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ .

هُودَجِ العُروس ؛ فجاء أبو بكر ، فوقف على الباب . فقال : يا أسماء ، ما حملك على أن [منعت] ^(١) أزواجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدْخُلْنَ على بنتِ رسول الله ، وجعلتَ لها مثل هودَجِ العُروس ؟ . قالت : أمرتني ألا يَدْخُلَ عليها أَحَدٌ ، وأريتها هذا الذي صنعتُ وهي حية ، فأمرتني أن أصنعَ ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعي ما أمرتك ، ثم انصرف ^(٢) .

وفيهما انصرف مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عن اليمن .

واستقضى أبو بكر عمرَ بن الخطاب رضى الله عنهم .

وفيهما أمر أبو بكر رضى الله عنه على الموسم عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ ؛ وقيل : بل حجَّ بالنَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عوف عن ثَامِرِ أَبِي بَكْرٍ إِيَّاهُ .

سنة اثنتى عشرة

فَفيها مات أَبُو مَرْثَدُ الْغَنَوِيُّ ، واسمه كَنَازُ بْنُ حِصْنٍ - ويقال ابن حصين - حليفُ حمزة بن عبد المطلب ؛ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وابنه مَرْثَدُ ، وابنه أَنَيْسُ بْنُ مَرْثَدٍ ؛ وشهد بَذْرًا هو وابنه مَرْثَدُ ، وشهد هو المشاهدَ كُلَّهَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات وهو ابنُ ستٍّ وستين سنة .

وفيهما ، في ذِي الْحِجَّةِ مات أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ ، واختُلِفَ في اسمه ، فقيل : لَقِيطٌ ، وقيل مُهْشِمٌ ، وقيل : هُشَيْمٌ ، والأكثر لَقِيطُ بْنُ الرَّبِيعِ بن عبد العزى بن عبد مناف بن قُصَيِّ الْقُرَشِيِّ

(١) من الاستيعاب ١٨٩٨ .

(٢) يعلوها في الاستيعاب : « ففعلتها » .

العِشْمَى ويسمى جرو^(١) البطحاء ، وهو صِهرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته زينب ، وأمه هالة بنت خويلد ، أخت خديجة أم المؤمنين ، وأوصى إلى الزبير بن العوام ، وتزوج على ابنته .
 وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقيل : بل حج عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . والله تعالى أعلم بالصواب .

ذكر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ومدة خلافة

قد اختلف في وقت وفاته رضي الله عنه ؛ فقال ابن اسحاق : في يوم الجمعة لتسع^(٢) من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة . وقال غيره : إنه مات عشى يوم الاثنين . وقيل : ليلة الثلاثاء . وقيل : عشى يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة . قال ابن عبد البر : هذا قول أكثرهم^(٣) . وقيل : مكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال . وقال ابن اسحاق : سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال . وقيل : سنتين وثلاثة أشهر واثني عشرة ليلة . وقال غيره : وعشرة أيام . وقال آخرون : وعشرين يوماً . واختلف أيضا في السبب الذي مات منه ، فذكر الواقدي : أنه اغتسل في يوم بارد ، فحم . ومرض خمسة عشر يوماً .

(١) ك : « قرم » .

(٢) ص : « سبع ليال بقين » .

(٣) الاستيعاب ٩٧٧ .

وقال الزبير بن بكار : كان به طَرْفٌ من السِّل . ورُوي عن سلام
ابن [أبي] ^(١) مُطيع : أنه سُم ، وأن اليهود سمّته في حَريرة ، وهي
الحسو ، فأكل هو والحارثُ بنُ كَلْدَةَ ، فكفَّ الحارثُ ، وقال لأبي
بكر : أَكَلْنَا طَعَامًا مَسْمُومًا ، سَمَّ سَنَةً ، فمات بعد سنة .

وقيل : أَصْلُ مرضه الغمُّ على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم .
وانتهت سنُّه رضى الله عنه عند وفاته إلى سنِّ رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلم : ثلاثاً وستين سنة .

قال أبو عمر بن عبد البر : لا يختلفون في أن سنَّه انتهت إلى ذلك ،
إِلَّا مَا لَا يَصِحُّ ^(٢) .

وقد كان آخر ما تكلم به : توفى مسلماً ، وألحقني بالصالحين .
وغسلته زوجته أسماء بنت عُمَيْسٍ بوصيةً منه وابنه عبد الرحمن ،
وأوصى أن يكفن في ثوبيه ، ويشتري معهما ثوبٌ ثالث ، وقال :
الحَيُّ أَخَوَجُ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهْمَلَةِ ^(٣) وَالصَّدِيدِ .
وصَلَّى عليه عمرُ بن الخطاب في مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم
وسلم ، وكبر أربعاً : وحُمِلَ على السَّرِيرِ الَّذِي حُمِلَ عليه رسولُ الله
صَلَّى الله عليه وسلم : وهو سرير عائشة رضى الله عنها ، وكان من
خشبتي ساجٍ منسوجاً بالليِّف في ميراث عائشة ، بأربعة آلاف
درهم اشتراه مولى لمعاوية ، وجعله للمسلمين . ودخل قبره
ابنُه عبدُ الرحمن وعمر بن الخطاب وعثمان وطلحة ، وجُعِلَ رأسُه
عند كَتَفَيْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم ، وألصقوا لَحْدَه بِلَحْدِهِ ،
ودفن رضى الله عنه ليلاً .

(١) بكلمة من ص . (٢) الاستيعاب ٩٧٧ . (٣) المهمله : الفيج .

ذكر نبذة من أخباره وأحواله ومناقبه رضي الله عنه

غير ما تقدم

قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا في هذا السفر وما قبله نبذة من أخباره ، ولعة من آثاره ، وطرفاً من مآثره السنية ، وجملة من فضائله التي هي بجزيل الخيرات مليّة ، وأحبينا أن نُورد في هذا الموضع نبذة أخرى غير ما قدّمنا ، ونختم هذا الفصل بشيء من مناقبه كما بدأنا ، ولا نشترط الاستيعاب لمناقبه ومآثره لتوفرها ، ولا الحصر لفضائله الجزيلة لتعددّها وتكرّرها ، بل نورد من كل نوع منها طرفاً يحتوى على خصال منيعة ، وأخلاق شريفة ، ويتحقّق سامعه أنّه لو أنفق ملء أحد ذهباً ما بلغ مدّه ولا نصيفه .

كان رضي الله تعالى عنه قد تقلّل من الدنيا جُهد طاقته ، واقتصر منها على بعض ما يسدّد به بعض خلّته وفاقته ، وتجنّب أموال المسلمين جهده ، وأنفق في سبيل الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان عنده ؛ نطق بفضله القرآن ، بجاهد في دين الله فأذلّ الله له وبه أهل الشرك والطغيان ، وشمر عن الساعد في قتال أهل الرّدة حين استدلّهم الشيطان ، وأقدم على حربهم بنفسه وجيوشه حين اشرأب النفاق ولمعت بوارقه ، وناضلهم بكتبه وكتائبه حين ظهر الكفر ونشرت أخوافقه ، فأحمد الله تعالى به ما كان قد اضطرم من نيران الرّدة ، وأفاء تلك القبائل التي كانت لحرب الإسلام مستعدة ؛ إلّا من استمرّ منهم على كفره ، وما نزع عن شرّه ومكره ، وأبى إلاّ جحود هذا الدين

وقَتَالَ شَعْبِهِ ، وَنَفَرَ عَنِ الرُّجُوعِ وَالانْضِمَامِ إِلَى حِزْبِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَتَلَهُ شَرًّا قَتْلَةً ، وَأَبَاحَ لِلْمُسْلِمِينَ مَالَهُ وَأَهْلَهُ وَنَسْلَهُ .

رَوَى أَنَّهُ لَمَّا ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَاهِرًا سَيْفَهُ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ ، فَجَاءَهُ عَلَى بَنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَخَذَ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ ، وَقَالَ : إِلَى أَيْنَ يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ؟ أَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ : شِمُّ سَيْفِكَ (١) لَا تَفْجَعُنَا بِنَفْسِكَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَصَبْنَا بِكَ لَا يَكُونُ لِلْإِسْلَامِ نِظَامٌ ، وَكَانَ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْتٌ مَالٍ بِالسُّنْحِ ، وَكَانَ يَسْكُنُهُ إِلَى أَنْ انْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَجْعَلُ عَلَيْهِ مَنْ يَحْرُسُهُ ؟ قَالَ : لَا ، فَكَانَ يَنْفَقُ جَمِيعَ مَا فِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَلَا يَبْقَى فِيهِ شَيْءٌ ، فَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَعَلَ بَيْتَ الْمَالِ مَعَهُ فِي دَارِهِ .

وَلَمَّا تُوَفِّيَ جَمْعَ عَمْرِ الْأَمْثَاءِ ، وَفُتِحَ بَيْتُ الْمَالِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا غَيْرَ دِينَارٍ سَقَطَ مِنْ غِرَارَةٍ ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ .

وَفِي خِلَافَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : انْفَتَحَ مَعْدِنُ بَنِي سُلَيْمٍ ، فَكَانَ يُسَوِّيُ فِي قِسْمَتِهِ بَيْنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبَيْنَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى . فَقِيلَ لَهُ : لِيُقَدِّمَ أَهْلَ السَّبْقِ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ . فَقَالَ : إِنَّمَا أَسْلَمُوا لِلَّهِ ، وَوَجِبَ أَجْرُهُمْ عَلَيْهِ ، يُوَفِّيهِمْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِلَاغٌ .

وَكَانَ يَشْتَرِي الْأَكْسِيَةَ وَيُفَرِّقُهَا فِي الْأَرَامِلِ فِي الشِّتَاءِ .
قَالَ أَبُو صَالِحٍ الْغِفَارِيُّ : كَانَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَعَهَّدُ امْرَأَةً

عمياء في المدينة بالليل ، فيقوم بأمرها ، فكان إذا جاءها وَجَدَ غَيْرَهُ
قد سَبَقَهُ إليها ، ففعل ما أَرَادَتْ ، فرصدَ عمر ، فإذا هو أبو بكر
رضي الله عنه ، كان يَأْتِيهَا ويقضى أَشْغَالَهَا سرّاً وهو خليفة ؛ فقال :
أَنْتَ هو لَعْمَرَى !

وكان منزل أبي بكر رضي الله عنه بالسُّنَج^(١) عند زوجته
حبيبة بنت خازجة ، فأقام هناك ستة أشهر بعدما بويغ ، وكان
يَغْدُو على رجليه إلى المدينة ، وربما ركب فرسه ، فيُصَلِّي بالنَّاسِ ؛
فإذا صَلَّى العشاء رجع إلى السُّنَج . وكان إذا غاب صَلَّى بالنَّاسِ عمر ،
وكان يَغْدُو كُلَّ يومٍ إلى السُّوقِ فيبيع ويبْتَاع ، وكانت له قطعة
غَنَمٍ تروح عليه ، وربما خرج هو بنفسه فيها ، وربما رُعِيتَ له ،
وكان يحلب للحَيِّ أَغْنَامَهُمْ ؛ فلما بُويع بالخلافة قالت جاريةٌ منهم :
الآن لا يَحْلُبُ لَنَا مَنَائِحَ^(٢) دَارِنَا ، فسمعها ، فقال : بل لعمرى
لأَحْلَبْتُهَا لَكُمْ ، وإني لأَرْجُو ألا يَغَيِّرَنِي ما دخلتُ فيه عن خُلُقٍ كُنْتُ
عليه ، فكان يحلبُ لَهُمْ ، ثُمَّ تحوَّلَ إلى المدينة بعد ستة أشهر من
خلافته . وقال : لا تصلحُ أُمُورُ النَّاسِ مع التجارة ، وما يصلح
إلا التَّفَرُّغُ لَهُمْ ؛ والنظر في شَأْنِهِمْ : فترك التجارة : وأنفق من مال
المسلمين ، ما يصلحُهُ ويصلح عيَالَهُ يوماً بيوم : ويحجُّ ويعتمر ؛
فكان الذي فرضوا له في كُلِّ سنة ستة آلاف درهم . فلما حضرته
الوفاة قال : رُدُّوا ما عندنا من مال المسلمين ، فإنِّي لا أصيبُ
من هذا المال شيئاً ، وإنَّ أَرْضِي الذي بكذا وكذا للمسلمين

(١) السنج : إحدى محال المدينة .

(٢) المنيحة : الناقة قدر اللبن ؛ وجمعها منائح .

بما أصيبتُ من أموالهم ، فدفع ذلك إلى عمر . وقيل : إنه قال :
 انظروا كم أنفقْتُ منذ وُلِّيتُ من بيت المال ؟ فاقضوه عني ،
 فوجدوا مبلغَ ثمانية آلاف . وقيل : إنه قال لعائشة رضي الله
 عنها : أما إنا منذ وُلِّينا أمر المسلمين لم نأكلْ لهم دينارا ولا درهما ،
 ولكنَّا قد أكلنا من جَرِيشِ طعامهم ، ولبسنا من خشن ثيابهم ، وليس
 عندنا من فيء المسلمين إلَّا هذا العَبْدُ ، وهذا البعير ، وهذه القطيفة ،
 فإذا مِتُّ فابعثي بالجميع إلى عمر ؛ فلما مات بعثته إليه ، فلما رآه
 بكى حتى سالت دموعه على الأرض ؛ وجعل يقول : رحم الله أبا بكر!
 لقد أتعب من بعده ، يكرّر ذلك ، وأمر برفعه . فقال له عبد الرحمن
 ابن عوف : سبحان الله ! تسلُب عيال أبي بكر عبداً ، وناضحاً ^(١) ،
 وشقَّ قطيفةً ثمنها خمسة دراهم ! فلو أمرتَ بردها عليهم . فقال :
 لا ، والذي بعث محمداً لا يكون هذا في ولايتي ، ولا خرج أبو بكر
 منه وأتقلَّده أنا .

وقد قيل : إنه رضي الله عنه ، كان يأخذُ من بيت المال
 في كلِّ يوم ثلاثة دراهم أجره ، وإنه قال لعائشة : انظري
 يا بُنَيَّة ما زاد في مال أبيك منذ وليَ هذا الأمرُ فردَّيه على المسلمين .
 فنظرت فإذا بجُرْدٍ ^(٢) قطيفةٍ لا تساوي خمسة دراهم ،
 ومَعَشَّةً ^(٣) ، فجاء الرسول إلى عمر بذلك والناس حوله ، فبكى
 عمر ، وبكى الناس ؛ وقال : رَحِمَكَ اللهُ أبا بكر ! لقد كلَّفت منْ
 بعدك تعباً طويلاً ! فقال الناس : أرُدُّه يا أمير المؤمنين إلى أهله .

(١) الناضح : البعير الذي يستقي عليه الماء .

(٢) جرد قطيفة ، قطيفة بالية .

(٣) المحشة : حديدة تحرك بها النار .

قال : كلاً ، لا يُخرجُه من عنقه في حياته ، وأردُّه إلى عنقه بعد وفاته . ثم أمر بذلك ، فحُمِلَ إلى بيت المال .
وحكى أن زوجته اشتتت حلواً ، فقال : ليس لنا ما نشتري به .
فقالت : أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به .
قال : افعلی ، ففعلت ذلك ؛ فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير ،
فلما عرفت ذلك أخذته ، فردَّه في بيت المال . وقال : هذا
يفضل عن قوتنا ، وأسقط من نفقته بمقدار ما استفضلت في كلِّ
يوم ، وغرامة لبيت المال في المدة الماضية من ذلك كان له .
قيل : ولما حَضَرته الوفاة أتته عائشة رضى الله عنها وهو يعالج
الموت ، فتمثلت :

فَعَمْرُكَ مَا يَغْنَى الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(١)
فنظر إليها كالغضبان ، ثم قال : ليس كذلك ، ولكن قولى :
﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾^(٢) .
إننى قد نجلتُك حائط كذا ، وفي نفسى منه ! فردَّبه على الميراث ؛
وقال : إنما هو أخواك وأختاك ! قالت : من الثانية ؟ إنما هى
أسماء . قال : ذات بطن بنت خارجه - يعنى زوجته - وكانت حاملاً ،
فولدت أم كلثوم بعد موته .

وهو رضى الله عنه أولُ والٍ قرَّضت له رعيته نفقته ، وأوَّلُ
خليفة ولى وأبود حى ، وأوَّلُ من جمَعَ القرآن بين اللّوحين بمشورة
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسماه مصحفاً ، وهو
أوَّلُ من سَمَّى خليفة ؛ رضوان الله عليه .

ذكر أولاد أبي بكر وأزواجه

تزوج رضى الله عنه في الجاهلية قتلة - ويقال : قتيلة - بنت عبد العزى بن عبد [بن] ^(١) أسعد بن مضر بن مالك بن حنبل ابن عامر بن لؤى ، فولدت له عبد الله وأسما .

وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان - بفتح الراء وضمها - واسمها زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب ابن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . أسلمت وهاجرت ؛ وكانت قبل أبي بكر تحت عبد الله بن الحارث ابن سخبيرة بن جرثومة الخير بن عادية بن مرة الأزدي ، وكان قديم بها مكة ، فحالف أبا بكر قبل الإسلام ، ثم توفى عن أم رومان ، فولدت له الطفيل ، ثم خلف عليها أبو بكر ، فولدت له عبد الرحمن وعائشة ؛ فالطفيل أخوها لأُمهما ، توفيت أم رومان في ذي الحجة سنة أربع ، أو سنة خمس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها ، واستغفر لها . وقال : اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان » .

وتزوج رضى الله عنه في الإسلام أسماء بنت عميس الخثعمية ؛ وهى أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأُمها ، وكانت

(١) من ص ، وفى ابن الأثير : قتيلة بنت عبد العزى بن عامر بن لؤى .

عند جعفر بن أبي طالب ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، فولدت له هناك محمد بن أبي بكر ، ثم تزوجها بعده علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى بن علي . وزعم ابن الكلبي أن عون بن علي ، أمه أسماء ، ولم يقله غيره .

وقيل : كانت أسماء بنت عميس تحت حمزة بن عبد المطلب ، فولدت له ابنة تسمى أمة الله . وقيل : أمامة ، ثم خلف عليها بعده شذاد بن الهاد الليثي ، ثم العتوراي ، حليف بني هاشم ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن بن شذاد ، ثم خلف عليها بعد شذاد جعفر بن أبي طالب . وقيل : التي كانت تحت حمزة وشذاد سلمى بنت عميس أختها أسماء ، والله تعالى أعلم بالصواب . وتزوج رضي الله عنه في الإسلام أيضا أم حبيبة بنت خارجه ابن زيد بن أبي زهير الأنصارية ، من بني الحارث بن الخزرج ، فولدت له بعد وفاته أم كلثوم .

ولنصل هذا الفصل بذكر شيء من أولاد أبي بكر رضي الله عنهم . وأما عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما ، فكان قديما الإسلام إلا أنه لم يسمع له بمشهد إلا شهوده الفتح وحنيننا والطائف . ورؤي بالطائف بسهم ؛ قيل : رماه به أبو محجن ، فاندمل جرحه ، ثم انتقض عليه ، فمات في شوال سنة إحدى عشرة . وكان قد ابتاع الحلة التي أرادوا دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بسبعة دنانير ليكفن فيها ، فلما حضرته الوفاة ، قال : لا تكفنوني فيها ، فلو كان فيها خير كفن رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ، وَدُفِنَ بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُوهُ ، وَنَزَلَ قَبْرَهُ . عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخُوهُ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَوْجَ عَاتِكَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ نَفِيلِ الْعَدَوِيَّةِ ، أُخْتُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَكَانَتْ مِنَ الْمَهَاجِرَاتِ ، وَكَانَتْ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ بَارِعَةٍ ، فَأُولِعَ بِهَا ، وَشَغَلَتْهُ عَنْ مَغَازِيهِ ، فَأَمَرَهُ أَبُوهُ بِطَلَاقِهَا لِذَلِكَ ؛ فَقَالَ : هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

يَقُولُونَ طَلَقَهَا وَخَيَّمُ مَكَانِهَا قِيمًا ، تَمْنَى النَّفْسُ أَحْلَامُ نَائِمٍ
وَإِنْ فَرَّقَ أَهْلَ بَيْتٍ جَمِيعُهُمْ عَلَى كِبَرَةٍ مَنَى لِاحْدَى الْعِظَائِمِ
أَرَانِي وَأَهْلِي كَالْعَجُولِ تَرَوِّحْتُ إِلَى بَوَّاهَا قَبْلَ الْعِشَارِ الرَّوَائِمِ
فَعَزَمَ عَلَيْهِ أَبُوهُ حَتَّى طَلَقَهَا ، ثُمَّ تَبِعَتْهَا نَفْسُهُ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ :

أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكِ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا نَاحَ قُمْرِي الْخِمَامِ الْمَطْوُوقُ
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تُخْفِي النَّفْسُ مَعْلُوقُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ
لَهَا خُلُقٌ جَزَلٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصَبُ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدَقُ

فَرَّقَ لَهُ أَبُوهُ ، وَأَمَرَهُ بِمَرَاجَعَتِهَا فَارْتَجَعَهَا ؛ وَقَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَعَاتِكَ قَدْ طَلَّقْتِ فِي غَيْرِ رِيْبَةٍ وَرُوجَعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
كَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ غَادٍ وَرَائِحُ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أُلْفَةٌ وَتَبَايُنُ
وَمَا زَالَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِرًا وَلِقَابِي لَمَّا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنُ

فَإِنَّكَ مَنَّ زَيْنَ اللَّهِ وَجْهَهُ وَلَيْسَ لَوْجِهِ زَانَهُ اللَّهُ شَائِنَ

فلما مات عبد الله صارت عاتكة تراثه بهذه الأبيات :

رُزْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَمَا كَانَ قَصْرًا
فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي حَزِينَةً عَلَيْكَ ، وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا
فَلَلَهُ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَمَ وَأَحْمَى فِي الْهَيَاجِ وَأَضْبَرًا
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرًا

ثم تزوجت بعده زيد بن الخطاب ، على اختلاف في ذلك ؛
فقتل عنها يوم اليامة شهيداً ، فتزوجها عمر بن الخطاب في سنة
اثنى عشرة ، فأولم عليها ، ودعا عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وفيهم علي بن أبي طالب ؛ فقال له : دعني
أكلم عاتكة : قال : نعم ، فأخذ بجانب الحذر . ثم قال : يا عديّة
نفسها ، أين قولك :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا
فَبِكَتْ . فقال عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ؟ ! كلَّ

النساء يفعلن هذا ، ثم قُتِلَ عنها عمر ، فقالت تبكيه :

عَيْنِ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبِ لَا تَمَلُّ عَلَى الْجَوَادِ النَّجِيبِ
فَجَعَتْنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُقْلِمِ يَوْمَ الْهَيَاجِ وَالتَّثْوِيبِ
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ وَتَوَا قَدْ سَقَتُهُ الْمَنُونُ كَأَمْسِ شُعُوبِ

وقالت أيضاً تراثه بهذه الأبيات :

مَنْعَ الرِّقَادُ فَعَادَ عَيْنِي عَائِدُ مِمَّا تَضْمَنَ قَلْبِي الْمَعْمُودُ

يا ليلة حُبِسَتْ عَلَىٰ نَجْمُهَا فسهرتها والشَّامِتُونَ رُقُودُ
قد كان يُسهرني حِذَارَكَ مرَّةً فاليوم حُتِّقَ لِعَيْنِي التَّسْهِيدُ
أبكى أمير المؤمنين ودونَه للزَّائرين صفائحٌ وصَعِيدُ
ثم تزوَّجها الزُّبَيْر بن العوام فقتل عنها ؛ فقالت ترثيه بهذه
الآبيات :

غدر ابن جُرْمُوزٍ بفارس بُهْمَةً يوم اللِّقَاءِ وكانَ غير مُعَرَّدٍ
يا عمرو لو نَبِهْتَهُ لوجدتَه لاطائشًا رَعشَ الجنانِ ولايِدٍ
كم غَمَرَةٍ قد خاضها لم يَثْنِه عنها طِرَادُكَ يا بن فقع القَرْدَدِ
ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِمِثْلِهِ فيما مضى مِنْ يَرْوَحٍ وَيَغْتَدِي
والله ربِّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمَسْلَمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ التَّعَمُّدِ

ثم خطبها علىَّ بن أبي طالب رضى الله عنه بعد انقضاء عِدَّتِها ،
فأرسلت إليه . إِنْئى لأَضُنُّ بِكَ يا بنَ عَمِّ رسولِ الله عن القتل !

وإنما ذكرنا ما ذكرنا من خبر عاتكة في هذا الموضع على سبيل
الاستطراد ؛ فالشَّيء بالشَّيء يُذكر ، فلنذكر عبد الرحمن
ابن أبي بكر .

وأما عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنه ؛ فهو أَسَنُّ ولد
أبي بكر ، وكان يُكْنَى أبا عبد الله . وقيل : أبا محمد ، بابنه محمد
الذى يقال له : أبو عتيق ، والد عبد الله بن أبي عتيق ، وأدرك
أبو عتيق محمد بن عبد الرحمن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم هو
وأبوه وجده ، وجدَّ أبيه ؛ أربعتهم ، أجمعوا على أَنَّ هذه المنقبة ليست

لغيرهم ، روى البخاري رحمه الله ، قال : قال موسى بن عُقبة : ما نعلمُ
أحدًا في الإسلام أدركوا هم وأبناؤهم النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعة
إلا هؤلاء الأربعة : أبو قحافة ، وابنه أبو بكر ، وابنه عبد الرحمن
ابن أبي بكر ، وابنه عتيق بن عبد الرحمن .

وعبد الرحمن شقيق عائشة ؛ شهد عبد الرحمن بدرًا وأحدًا
مع قومه ، ودعا إلى البراز ، فقام إليه أبو بكر ليبارزه ، فذكر أنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له : « متَّعني بنفسك » . ثم أسلم
عبد الرحمن ، وحَسُنَ إسلامه ، وصَحِبَ رسول الله صلى الله عليه
وسلم في هُذنة الحديبية .

وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة ، فسماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الرحمن ، وكان رضى الله عنه من أشجع رجال قریش
وأرماهم بسهم ، حضر اليمامة مع خالد بن الوليد ، فقتل سبعة
من كبارهم ، منهم محمَّم اليمامة طُفَيْل ، رماه بِسَهْمٍ في نحره فقتله .
ولما فُتِحَتْ دمشق نَفَلَهُ عمر ليلي بنت الجودي ، وكان قد رآها
قبل ذلك ، وكان يتشَبَّب بها . وشهد عبد الرحمن الجمل مع عائشة ،
وكان ابنه محمد يومئذ مع علي .

قال أبو عمر بن عبد البر : ولما ^(١) قعد معاوية على المنبر ، ودعا
إلى بيعة يزيد ، كلَّمه الحسين بن علي وعبد الله بن الزُّبير ، وعبد
الرحمن بن أبي بكر ، فكان كلامُ عبد الرحمن : أهرقليَّة ! إذا مات
كسري كان كسري مكانه ! لانفعل والله أبدًا . وبعث إليه معاوية

بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد فردّها عبد الرحمن .
وقال : أبيع ديني بدنياي ! وخرج إلى مكة ، فمات بها قبل أن تتم
البيعة ليزيد .

ويقال : إنه [مات] فجأة بموضع يقال له : الحبشي^(١) على
نحو عشرة أميال من مكة ، وحُمل إلى مكة فدفن بها .
وقيل : إنه توفي في نومةٍ نامها ، وكانت وفاته في سنة ثلاث
 وخمسين . وقيل : سنة خمس وخمسين ، والأول أشهر .

ولما اتصل خبر وفاته بعائشة أم المؤمنين أخته ، طعنت من المدينة
حاجة حتى وقفت على قبره ، وتمثلت بهذه الأبيات :

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيعَةَ حِقْبَةٍ من الدَّهْرِ حَتَّى قَبْلِ لَنْ يَتَصَدَّعَا^(٢)
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
وقالت : أما والله لو حضرتك لدفنتك حيثُ مت مكانك ،
ولو حضرتك ما بكيتُك ! رضى الله عنهما .

وأما محمد بن أبي بكر رضى الله عنهما ، فإنه وُلِدَ في عَقِبِ ذِي الْحِجَّةِ
سنة عشر من الهجرة بذى الحليفة ، أو بالشجرة ، وسمته عائشة
محمدًا ، وكنته أبا القاسم ، ثم كان محمد بعد وفاة أبي بكر في جَبْرِ
على بن أبي طالب لما تزوج أمه أسماء بنت عُمَيْسٍ ، وكان محمد على
رجالة على يوم الجمل ، وشهد معه أيام صفين ، ثم ولّاه مصر ،
فقتل بها . واختلفوا في قتله ، فقيل : قتله معاوية بن حُديج صَبْرًا ،

(١) الحبشي : جبل بأسفل مكة .

(٢) البيتان لشمس بن نورة من قصيدة مفضلية .

وذلك في سنة ثمان وثلاثين ؛ وقيل : إنه لما ولاه على مصر سار إليه عمرو بن العاص من قبيل معاوية فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب محمد وفر هو ، فدخل خربة فيها حمار ميت ، فدخل في جوفه ، فأحرق في جوف الحمار ؛ وقيل : بل قتله معاوية بن حذيف في المعركة ، ثم أحرق في جوف الحمار بعد ذلك ، وقيل : إنه أتى عمر وبين العاص فقتله صبيرا بعد أن قال له : هل معك عهد ؟ هل معك عقد من أحد ؟ فقال : لا ، فأمر به فقتل .

وكان علي يثنى على محمد خيرا ، ويفضله ؛ لانه كانت له عبادة واجتهاد ؛ وكان ممن دخل على عثمان حين أرادوا قتله ، فقال له عثمان : لو رآك أبوك لم يرص هذا المقام منك ! فخرج عنه وتركه ،

روى محمد بن طلحة ، عن كنانة مولى صفية بنت حيي - وكان شهد يوم الدار - أنه لم ينل محمد بن أبي بكر دم عثمان بشيء . قال : محمد بن طلحة : فقلت : لكنانة : فلم قيل : إنه قتله ؟ قال : معاذ الله أن يكون قتله ! إنما دخل عليه ، فقال له عثمان : يا ابن أخي : لست بصاحبي ، وكلمه عثمان بكلام فخرج ولم ينل دمه بشيء . فقلت لكنانة : فمن قتله ؟ قال : رجل من أهل مصر يقال له : جبلة ابن الأيهم .

وأما عائشة رضي الله عنها فقد تقدم ذكرها في السيرة النبوية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

وأما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه فهي قديمة الإسلام . قال ابن إسحاق : أسلمت بعد سبعة عشر ، وكانت تحت الزبير

ابن العوام رضى الله عنه ، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله
ابن الزبير ، فوضعت بقباء ، وكانت تُسمى ذات النطاقين ، وقد
تقدم الخبر في تسميتها بذلك في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند خروجه من مكة إلى الهجرة .

توفيت أسماء بمكة في جمادى الآخرة : سنة ثلاث وسبعين بعد
مقتل ابنها عبد الله ، وقد بلغت مائة سنة .

وَأُمُّ كَلْثُومٍ ^(١) بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، تَزَوَّجَهَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ
اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ . وَلِعَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ أَخْبَارٌ
تَقْدَمُ ذِكْرُهَا : وَتَزَوَّجَتْ عَائِشَةُ بَعْدَ عَبْدِ اللَّهِ مُصْعَبَ بْنَ الزَّبِيرِ ،
وَلَمْ تَلِدْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَزْوَاجِهَا غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَلِدَتْ لَهُ عِمْرَانُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ،
وَأَبَا بَكْرٍ ، وَطَلْحَةَ ، وَنَفِيسَةَ ، تَزَوَّجَهَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ
ابْنُهَا طَلْحَةُ أَجْوَدَ أَجْوَادِ قُرَيْشٍ ، وَلَهُ يَقُولُ الْحَزِينُ الدَّبَلِيُّ :
فَإِنْ تَلَكَ بِأَطْلَحٍ أَعْطَيْتَنِي عُدَافَةً تَسْتَخِفُّ الضَّفَّارَا
فَمَا كَانَ نَفْعُكَ مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مِرَارًا
أَبُوكَ الَّذِي صَدَّقَ الْمُصْطَفَى وَسَارَ مَعَ الْمُصْطَفَى حَيْثُ سَارَا
وَأُمُّكَ بَيْضَاءُ تَبِيحِيَّةٌ إِذَا نُسِبَ النَّاسُ كَانَتْ نُضَارَا
وَطَلْحَةُ هَذَا ، ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَطَلْحَةُ هَذَا هُوَ جَدِّي الَّذِي أُنْسَبُ إِلَيْهِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ
بِالصُّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبِ .

ذكر أسماء قضاة وعماله وكتابه

وحاجبه وخادمه

أما وُلِّيَ أبو بكر رضى الله عنه ، قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال . وقال له عمر : أنا أكفيك القضاء ، فاستعملهما . فمكث عمر سنة لا يأتية رجлан في محاكمة ، وكان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان وزيد بن ثابت ومن حضر ، وكان حاجبه شديد مولاة ، وكان عامله على مكة عتّاب بن أسيد ، ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر . وقيل : مات بعده .

وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى صنعاء المهاجر ابن أبي أمية ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد ، وعلى خولان يغلى بن أمية ، وعلى زبيد أبو موسى الأشعري ، وعلى الجند معاذ بن جبل ، وعلى البحرين العلاء الحضرمي .

وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران : وعبد الله بن ثور إلى جرش ، وعياض بن غنم إلى دومة الجندل .

وكان على الشام أبو عبيدة بن الجراح . وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، وعمر وبن العاص : كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وكان خاتمة خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الزبير بن بكار : وكان نقش خاتمه : « نعم القادر الله » . وقال غيره : كان نقش خاتمه : « عبد ذليل لرب جليل » .

وعاش أبو قحافة بعده ستة أشهر وأياما .

وفي المعجم الكبير للطبراني ، قال : ومات أبو بكر ، فورثه أبواه ،
وكانا قد أسلما ، وماتت أم أبي بكر قبل أبيه ، ومات أبوه وله سبع
وتسعون سنة .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
الطيبين الطاهرين وسلم .

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح من عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدَى بن كعب بن لُؤَى ابن غالب القُرَشِيّ العدَوِيّ ، ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند كعب بن لُؤَى . وأمة حَنْتَمَةُ بنت هاشم بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم - على ما صححه أبو عمر بن عبد البر - ^(١) وخطأً من قال : إنها بنت هشام بن المغيرة ، وقال : لو كانت بنت هشام لكانت أخت أبي جهل ، وإنما هي بنت عمّه لأن هاشماً وهشاماً أخوان ، فهاشم والد حَنْتَمَةَ أُمّ عمر ، وهشام والد الحارث ، وأبى جهل ، وهاشم ابنُ المغيرة جدّ عمر لأبيه يقال له : ذو الرُّمَحَيْنِ .

وُلِدَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد ألفيل بثلاث عشرة سنة ، وروى أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه : عن جدّه ، قال : سمعتُ عمر يقول : وُلِدْتُ بعد الفُجَارِ الأعظم بأربع سنين .

قال الزُّبَيْر بن بَكَّار : كان عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه من أشرفِ قريش ، وإليه كانت السُّفارة في الجاهلية ؛ وذلك أن قريشاً كانت إذا وقعت بينهم حرب ، أوبينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً ، وإن نافروهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً ومفاخرّاً ، ورضوا به . وقد تقدم خبر إسلامه : وإظهار الله تعالى الإسلام به ، وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه حين قال : «اللَّهُمَّ أعزّ

(١) الاستيعاب ١١٤٤ وما بعدها .

الإسلام بأحدا الرجلين عمر بن الخطاب ، أوبأبي جهل بن هشام .

فاستجيب في عمر .

قال ابن مسعود : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر .

ولقب بالفاروق لإعلانه بالإسلام ، ففرق بين الحق والباطل

لما أسلم ؛ رضى الله عنه .

ذكر نبذة

من فضائل عمر رضي الله عنه ومناقبه

وفضائله رضي الله عنه كثيرة ، ومناقبه جمّة مشهورة ، قد قدّمنا منها في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ماتقدّم : ولنورد في هذا الفصل من مناقبه خلاف ذلك :

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ » . ونزل القرآن بموافقته في أشياء ؛ منها ما رآه في أسرى بدر ، وفي تحريم الخمر ، وفي حجاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي مقام إبراهيم .
وروى عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ ، فَإِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » .

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَيْتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى رَأَيْتُ الرَّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي ، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ » . قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم .

وعن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دخلتُ الجنة ، فرأيتُ فيها داراً - أو قال : قصرًا - وسمعت فيه ضوضاءً ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لرجلٍ من قريشٍ ، فظننت أني أنا هو ؛ فقلت : مَنْ هو ؟ قالوا : عمر بن الخطاب ، فلولا غيرتُك يا أبا حفص لدخلته . فبكى عمر وقال : عليك يُغاز يارسول الله ! أو قال عليك أغار ! » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُني في المنام ، والناس يُعرضون عليّ ، وعليهم قمصٌ منها إلى كذا ، ومنها إلى كذا ، ومَرَّ عليّ عمر بن الخطاب يجرّ قميصه ، فقبل : يارسول الله ، ما أولتَ ذلك ؟ قال : الدين » .

ومن رواية الألب بن سعد ، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « بينا أنا نائم والناس يُعرضون عليّ ، وعليهم قمصٌ ، منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ، وعرض عليّ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وعليه قميص يجره » ، قالوا : فما أولتَ ذلك يارسول الله ؟ قال : الدين » . وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : خَيْرُ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، وقال : ما كنا نُبعد أن السكينة ^(١) تنطق على لسان عمر .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لو وُضِعَ علمُ أحياء العرب في كفة ميزان ، ووُضِعَ علمُ عمر لرجعَ عليهم علمُ عمر . ولقد كانوا يرون أنه ذهبَ بتسعة أعشار العلم ، ولم يجلس كنتَ أجلسه مع عمر أوثقُ في نفسي من عمل سنة .

ذكر صفة عمر رضى الله عنه

قد اختلف الناس في صفة عمر رضى الله عنه ؛ ف قيل : كان شديد الأدمة ^(١) طوالا أكث اللحية ، أصلع أعسر يسرا ، يعمل بيديه جميعا ، يخضب بالحناء والكتم ^(٢) ، هكذا وصفه زر بن حبیش وغيره بأنه كان شديد الأدمة .

قال أبو عمر : وهو الأكثر عند أهل العلم بأيام الناس وسيرهم وأخبارهم . قال ^(٣) : ووصفه أبو رجاء العطاردي - وكان مغفلاً - فقال : كان عمر طويلاً جسيماً أصلع شديد الصلغ ، أبيض شديد حمرة العينين ، في عارضيه خفة ، سبكته ^(٤) كثيرة الشعر ، في أطرافها ضهبة ^(٥) .

وذكر الواقدي من حديث عاصم بن عبيد الله بن عمر عن ، أبيه ، قال : إنما جاءتنا الأدمة من قبل أخوال بني مضعون ، قال : وكان أبيض ، لا يتزوج إلا لطلب الولد .

قال أبو عمر : وعاصم بن عبيد الله لا يُحتج بحديثه ، ولا بأحاديث الواقدي . قال : زعم الواقدي أن سمره عمر وأدتمته

(١) الأدمة : السمرة .

(٢) الكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر .

(٣) الاستيعاب ١١٤٤ : وما يندما .

(٤) السبلة : ما على الشارب من الشعر .

(٥) الصهب ، محركة والصبية : حمرة أو شقرة في الشعر .

إِنَّمَا جَاءَتْ مِنْ أَكَلِهِ الزَّيْتُ عَامَ الرَّمَادَةِ^(١) قَالَ : وَهَذَا مِنْكَرٌ مِنَ الْقَوْلِ .

وَأَصَحَّ مَا فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ ، عَنْ زُرَّ بْنِ حُبَيْشٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ شَدِيدَ الْأُذْمَةِ . وَقَالَ أَنَسٌ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْضِبُ بِالْحَنَاءِ وَالْكُتَمِ ، وَكَانَ عُمَرُ يَخْضِبُ بِالْحَنَاءِ بَحْتًا .

وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ عُمَرَ كَانَ لَا يُغَيِّرُ شَيْئَهُ .
وَقَالَ هَلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَجُلًا آدَمَ ضَخْمًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ سَدُوسٍ ، فِي رِجْلَيْهِ رَوْحٌ^(٢) .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي صِفَتِهِ : كَانَ طَوِيلًا مِنَ النَّاسِ كِرَاكِبِ الْجَمَلِ ، أَمْهَقٌ^(٣) أَضْلَعُ .

اسْتَخْلَفَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ . فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ ، فَقَالَ : إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ رَأْيِكَ فِيهِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ غِلْظَةً ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرَانِي رَقِيقًا ، وَلَوْ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ لَتَرَكْتُ كَثِيرًا مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ رَمَقْتُهُ ، فَكُنْتُ إِذَا غَضِبْتُ عَلَى رَجُلٍ أَرَانِي الرُّضَاعَةَ ، وَإِذَا لِنْتُ لَهُ أَرَانِي الشَّدَّةَ عَلَيْهِ . وَدَعَا عُثْمَانُ فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ ، فَقَالَ : سَرِيرَتُهُ خَيْرٌ مِنْ عِلَانِيَتِهِ ، وَلَيْسَ فِيْنَا مِثْلَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَهَا :

(١) قَالَ فِي الْقَامُوسِ : عَامُ الرَّمَادَةِ فِي أَيَّامِ عَمْرِ هَلَكَتْ فِيهِ النَّاسُ وَالْأَمْوَالُ .
(٢) قَالَ فِي الْقَامُوسِ : " الرُّوحُ ، بِالضَّرِكِ ، وَسَعَةٌ فِي الرِّجْلَيْنِ دُونَ الْفَجْحِ ، وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْوَحَ . " .
(٣) الْأَمْهَقُ : الْأَبْيَضُ كَالْجَمْرِ لَا يَخَالُطُهُ حُمْرَةٌ ، وَلَيْسَ بَنِيرَ .

لا تذكرنا مما قلت لكما شيئاً ، ولو تركته ماعدت عثمان ،
ولا أدري لعله تارك ، والخيرة له ألا يلى من أموركم شيئاً ، ولوددت
أنى كنت من أموركم خلوا ، وكنت فيمن مضى من سلفكم .
ودخل طاحه على أبى بكر فقال : استخلفت على الناس عمر ، وقد
رأيت (١) ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلاهم !
وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيته ، فقال : أجلسوني ، فأجلسوه ،
فقال : بالله تفرقنى ، أو بالله تخوفنى ! إذا لقيت ربى فسألتنى قلت :
استخلفت على أهلِكَ خيرَ أهلِكَ . ثم أحضر أبو بكر عثمان بن عفان
خاليا ، فقال : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين ؛ أما بعد - ثم
أغمى عليه - فكتب عثمان : أما بعد ؛ فقد استخلفت عليكم عمر بن
الخطاب ولم آلكم خيراً ، ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ على ، فقرأ عليه ،
فكبر أبو بكر وقال : خِفْتُ أَنْ يَخْتَلَفَ النَّاسُ إِنْ مِتُّ فِي غَشِيَّتِي ؛
قال : نعم : قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . فلما كتب العهد
أمر به أن يُقرأ على النَّاسِ ، فجمعهم ، وأرسل الكتاب مع مولى له ،
ومعه عمر ، فكان عمر يقول للناس : أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لم يَأْلكم نَصْحًا ، فسكت النَّاسُ ، فلما
قُرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا .

وكان أبو بكر قد أشرف على الناس ، وقال : أترضون بمن

استخلفتُ عليكم ؟ فإني ما استخلفتُ ذا قرابةٍ ، وإني قد استخلفتُ عليكم عمر ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني والله ما ألوتُ من جهد الرأي ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ، ثم أحضر أبو بكر عمر ، فقال : قد استخلفتُك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوصاه بتقوى الله ، ثم قال : يا عمر ؛ إنَّ الله حقاً بالليل لا يقبله في النهار ، وحقاً في النهار لا يقبله في الليل ، وإنه لا يقبلُ نافلةً حتى تؤدَّى الفريضة ، ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ! وحق الميزان لا يوضع فيه غداً حق إلا أن يكون ثقيلاً ! ألم تر يا عمر أنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وخفته عليهم ، وحق الميزان لا يوضع فيه غداً باطل إلا أن يكون خفيفاً ! ألم تر يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة : وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً ؛ لا يرغب رغبةً يتمنى فيها على الله ما ليس له ، ولا يرهب رهبةً يلقي فيها بيديه ! ألم تر يا عمر أنما ذكر الله أهل النار بأسوا أعمالهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأرجو ألا أكون منهم ، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز^(١) لهم ما كان من شيء ، فإذا ذكرتهم قلت : أين عملي من أعمالهم ! فإن حفظت وصيتي ، فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ، ولست بمعجزه . وتوفى أبو بكر رضى الله عنه ، فلما دُفِنَ صعد عمر المنبر ، فخطب الناس ثم قال : إنما مثل العرب مثل جمل أنف^(٢)

(١) ك : « تجاوزتم لهم » .

(٢) الجمل الأنف : المانوف . وفي نهاية ابن الأثير : وهو الذي عثر الخشاش

أنفه فهو لا يجتمع على قائده للوجع الذي به . وقيل : الذلول .

اتَّبَعَ قائده ، فليَنظُر قائده حيث يقود . وأَمَّا أَنَا فوَرَبَّ الكعبة
لَأَحْمِلَنَّكُمْ عَلَى الطريق .

وكان أول كتاب كتبه إلى أَبِي عبيدة بن الجراح بتوليته جند
خالد بن الوليد ، وبِعَزَلَ خالدَ لِأَنَّهُ كان عليه سَاطِطاً خلافة أَبِي بكر
كلها لوقعته بابن نُؤيرة ، وما كان يَعمَلُ في حربِه ، وأَوَّلُ ما تكلم به عزَل
خالد ، وقال : لا يلي لي عملاً أبداً .

• • •

ذكر الفتوحات والغزوات في خلافة عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

وفي خلافته رضي الله عنه كثرت الفتوحات على المسلمين ،
ولنبداً من ذلك بذكر فتوح دمشق ، وما والاها من المدن والشعور
والحصون ، ثم نذكر فتوحات العراق ، وما والاها ، ثم فتوح مصر ،
وما والاها ، لتكون الفتوحات متوالية ، ولا ينقطع خبرها بأخبار
غيرها ، ولا يتداخل فتوح بفتوح ، ثم نذكر الغزوات إلى أرض
الروم ، ثم نذكر الوقائع بعد ذلك خلاف الفتوحات والغزوات
على حكم السنين على ما ستقف عليه ، إن شاء الله تعالى على ذلك .

ذكر فتوح مدينة دمشق

قال : لما ^(١) هزم الله تعالى أهل اليرموك استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب الجيمري ، وسار حتى نزل بالصفر ، فاتاه الخبر أن الذين انهزموا من الروم اجتمعوا بفحل ^(٢) ، وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص ، فكتب إلى عمر بذلك ، فأمره أن يبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت المملكة ، وأن يشغل أهل فحل بخيل تكون بإزائهم ، فإذا فتحت دمشق سار إلى فحل ، ثم يسير إلى حمص هو وخالد ابن الوليد ، ويترك شريحيل بن حسنة ، وعمر بن العاص بالأردن وفلسطين ، فأرسل أبو عبيدة طائفة من المسلمين ، فنزلوا بالقرب منها ، وبنى ^(٣) الروم الماء حول فحل ، فوحلت الأرض ، ونزل عليهم المسلمون ، فكان أول محصور بالشام أهل فحل ، ثم أهل دمشق .

وبعث أبو عبيدة أيضًا جنداً ، فنزلوا بين حمص ودمشق ، وأرسل جنداً فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار هو وخالد بن الوليد ، فقدموا دمشق ، وعليها نسطاس ^(٤) ، فنزل أبو عبيدة على ناحية ، وخالد على ناحية ، ويزيد بن أبي سفيان على ناحية ، وحصرهم المسلمون سبعين ليلة ، وقاتلوهم بالزحف والمجانيق ، فكان هرقل بالقرب من حمص ، فأمد أهل دمشق بخيل ، فمنعتها خيول المسلمين ، وخذل

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٩٣ ، وما بعدها وتاريخ الطبري ٤ : ٤٣٤ وما بعدها .

(٢) فحل : اسم موضع بالشام .

(٣) بنى السيل موضع كذا : غرقة وشقه فانبت .

(٤) ك : « فطاس » .

أهلُ دمشق . ووُلِدَ للبَطْرِيقِ الَّذِي عَلَى دِمَشْقٍ مَوْلُودٌ ، فَصَنَعَ وَلِيْمَةً ،
فَأَكَلَ الْقَوْمُ وَشَرِبُوا ، فَعَلِمَ خَالِدٌ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ ، وَكَانَ قَدْ اتَّخَذَ حِجَالًا
كَهَيْثَةِ السَّلَالِمِ ، فَلَمَّا أَمْسَى ذَلِكَ الْيَوْمَ نَهَضَ بِمَنْ مَعَهُ وَتَقَدَّمَ هُوَ
وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو وَمَذْعُورِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَمْثَالُهُ ، وَقَالُوا : إِذَا سَمِعْتُمْ
تَكْبِيرَنَا عَلَى السُّورِ فَارْتَقُوا إِلَيْنَا ، وَاقْصِدُوا ^(١) الْبَابَ ، وَارْتَقَى هُوَ
وَأَصْحَابُهُ عَلَى السُّورِ فِي تِلْكَ الْجِبَالِ ، ثُمَّ انْحَدَرَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ ،
وَتَرَكَ بِذَلِكَ الْمَكَانَ الَّذِي صَعِدَ مِنْهُ مَنْ يَحْمِيهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ ،
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْبَابِ وَإِلَى الْجِبَالِ ، وَقَصَدَ خَالِدُ الْبَابَ ،
وَقَتَلَ مَنْ دُونَهُ ، ثُمَّ قَتَلَ الْبَوَّابِينَ ، وَفَتَحَ الْبَابَ ، وَقَتَلَ مَنْ عِنْدَهُ
مِنَ الرُّومِ ، وَدَخَلَ أَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ ، وَثَارَ أَهْلُهَا لَا يَدْرُونَ مَا الْخَبِيرُ ،
فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَصَدُوا أَبَا عُبَيْدَةَ ، وَبَذَلُوا لَهُ الصَّلَاحَ ، فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ ،
وَفَتَحُوا لَهُ الْبَابَ ، وَقَالُوا : ادْخُلْ وَامْنَعْنَا مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْجَانِبِ ،
وَدَخَلَ أَهْلُ كُلِّ بَابٍ بِصِلَاحٍ مِمَّنْ يَلِيهِمْ ، وَدَخَلَ خَالِدٌ عَنُوتَهُ ، وَالتَقَى وَالْقَوَادِ
وَسَطَ الْمَدِينَةَ هَذَا قِتْلًا وَنَهَبًا ، وَهَذَا صَفْحًا وَتَسْكِينًا ، فَأَجْرُوا
جِهَةَ خَالِدٍ مَجْرَى الصِّلَاحِ ، وَكَانَ صَلَاحُهُمْ عَلَى الْمَقَاسِمَةِ ؛ الدِّينَارُ وَالْعَقَارُ
وَدَيْنَارٌ عَنْ كُلِّ رَأْسٍ ، وَاقْتَسَمُوا الْأَسْلَابَ .

وَأَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَرَ بِالْفَتْحِ ، وَأَنَّهُ قَسَمَ الْغَنِيمَةَ عَلَى مَنْ
حَضَرَ الْفَتْحَ ، وَعَلَى الْجُنُودِ الَّتِي عَلَى فِخْلٍ وَحِمَصٍ وَغَيْرِهِمْ ، فَجَاءَ
كِتَابُ عُمَرَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِأَمْرِهِ بِإِرْسَالِ جُنْدِ الْعِرَاقِ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي
وَقَاصٍ ، فَأَرْسَلَهُمْ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ هَاشِمُ بْنُ عُثْبَةَ ، وَسَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ
إِلَى فِخْلٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذكر شيء مما قبل في أمر مدينة دمشق ومن بناها

حكى عن كعب الأجار ، قال : أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط حرّان ودمشق ثم بابل .

واختلف فيمن اختطّ دمشق ؛ فقيل : إن نوحاً عليه السلام اختطها بعد حرّان . وقيل : نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص دمشق ، وبني مدينتهم وسماها جيرون .

وقيل : هي إرم ذات العماد .

وقيل : إن جيرون وبريد كانا أخوين ، وهما ابنا سعد بن لقمان ابن عاد ، وهما اللذان يعرف جيرون وباب البريد بدمشق بهما .

وعن وهب بن منبه ، قال : دمشق بناها العازر غلام إبراهيم الخليل ، وكان حبشياً ، وهبه له غرود حين خرج إبراهيم من النار ، وكان اسم الغلام دمشق ، فسماها على اسمه ، وكان إبراهيم جعله على كل شيء له ، وسكنها الروم بعد ذلك بزمان .

وقيل : إن بيوراسب الملك بنى مدينة بابل ، وبني مدينة صور ، وبني مدينة دمشق .

وقيل : كان زمن معاوية رجل صالح [بدمشق] ^(١) ، كان الخضر عليه السلام يأتيه في أوقات ، فبلغ ذلك معاوية ، فجاء إلى الرجل وسأله أن يجمع بينه وبين الخضر ، فذكر الرجل ذلك للخضر ،

فَأَبَى ؛ فَقَالَ معاوية : قُلْ لَهُ : قَدْ قَعَدْنَا مَعَ مَنْ هُوَ خَيْرُ مَنْكَ ؛ وَحَدَّثَنَا ه ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ اسْأَلْهُ عَنْ ابْتِدَاءِ بِنَاءِ دِمَشْقَ كَيْفَ كَانَ ، فَسَأَلْهُ ؛ فَقَالَ : نَعَمْ صِرْتُ إِلَيْهَا ، فَرَأَيْتُ مَوْضِعَهَا بَحْرًا مُسْتَجْمِعًا فِيهِ الْمِيَاهُ ، ثُمَّ غَبِتُ عَنْهَا خَمْسَمِائَةَ سَنَةً ، ثُمَّ صِرْتُ إِلَيْهَا فَرَأَيْتُهَا غَيْضَةً ، ثُمَّ غَبِتُ عَنْهَا خَمْسَمِائَةَ سَنَةً ، ثُمَّ صِرْتُ إِلَيْهَا ، فَرَأَيْتُهَا بَحْرًا كَعَادَتِهَا الْأُولَى ، ثُمَّ غَبِتُ عَنْهَا خَمْسَمِائَةَ عَامٍ ، وَصِرْتُ إِلَيْهَا فَرَأَيْتُهَا قَدْ ابْتَدَى فِيهَا بِالْبِنَاءِ وَنَفَرَ يَسِيرُ فِيهَا .

وَعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ : وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً مِنْ جَمَلَةِ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ سَبْعَةُ آلَافٍ سَنَةً ، وَذَلِكَ بَعْدَ بَنِيَانِ دِمَشْقَ بِخَمْسِ سِنِينَ ، وَقَالَ : جَيَّرُونَ عِنْدَ بَابِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ مِنْ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ ، بَنَتْهُ الشَّيَاطِينُ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ الَّذِي بَنَاهُ يَقَالُ لَهُ : جَيَّرُونَ فَسُمِّيَ بِهِ . وَقِيلَ : إِنْ دِمَشْقُ بَنَاهَا دِمَشْقِيَيْنَ ^(١) غِلَامَ كَانَ مَعَ الْإِسْكَانَدَرِ .

وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي بَنَى دِمَشْقَ بَنَاهَا عَلَى الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ ، وَجَعَلَ لَهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ ، وَصُوِّرَ عَلَى بَابِ كَيْسَانَ زَحْلٌ ، وَقِيلَ : وَجَدَ فِي كِتَابٍ : بَابُ كَيْسَانَ لَزْحَلٌ ، وَبَابُ شَرْقٍ لِلشَّمْسِ ، وَبَابُ تَوْمًا لِلزُّهْرَةِ ، وَبَابُ الصَّغِيرِ لِلْمَشْتَرَى ، وَبَابُ الْجَابِيَةِ لِلْمَرِيخِ ، وَبَابُ الْفَرَادَيْسِ لِعَطَارِدٍ ، وَبَابُ الْفَرَادَيْسِ الْآخَرِ الْمَسْدُودُ لِلْقَمَرِ .

وَقِيلَ : إِنْ مَلِكُ مِصْرَ بَنَى حَصْنَ دِمَشْقَ ؛ الَّذِي هُوَ حَوْلَ الْمَسْجِدِ ، وَدَاخِلَ الْمَدِينَةِ عَلَى مَسَاحَةِ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَحُمِلَ أَبْوَابُ مَسْجِدِ

بيت المقدس ، فوضعها على أبوابه ؛ فهذه الأبواب التي على الحصن
هي أبواب بيت المقدس . حكاه أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة
الله الدمشقي المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق .
ونعود إلى فتوح الشام .

ذكر غزوة فحل

وفحل ^(١) بكسر الفاء وسكون الحاء المهمة وبعده لام ،
وهو بلد معروف بِغَوْرِ الشَّامِ . قال : لما فُتِحَتْ دمشق في سنة
ثلاث عشرة استخلف أبو عبيدة عليها يزيد بن أبي سفيان ،
وسار إلى فحل ، وكان أهل فحل قد قصدوا بَيْسَانَ . وكانت العرب
تسمى هذه الغزوة ذات الرَّدْغَةِ وبَيْسَانَ وفحل .
وكان خالد بن الوليد على المقدمة ، وعلى الناس شُرَحْبِيل بن حَسَنَةَ
وعلى الْمُجَنَّبَتَيْنِ أبو عبيدة وعمرو بن العاص ، وعلى الخيل ضِرَارُ
ابن الأزور ، وعلى الرَّجُلِ عياض بن غَنَمَ .

فنزل شُرَحْبِيل بالناس على فحل ، وبينهم وبين الروم تلك
الأحوال ، وكتبوا إلى عمر ، وأقاموا ينتظرون جوابه ، فخرج عليهم
الروم ، وعليهم سِقْلَار بن مِخْرَاق فأتوهم ، والمسلمون حَذِرُونَ ،
وكان شُرَحْبِيل لا يبيت ولا يُضْبِح إلا على تعبئة ؛ فاقتتلوا قتالا
شديداً حتى الصباح : ويومهم إلى الليل ، فانهزم الروم . وقد
أظلم الليل عليهم ، فحاروا ، وأصيب رئيسهم سِقْلَار والذي يليه
[فيهم] ^(٢) نسطورس ، وظفر المسلمون بهم ، وركبهم ، فلم يعرف

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٤٤٢ : وتاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٩٥ .

(٢) تكملة من ابن الأثير .

الروم مَأْخَذَهُمْ ، فانتَهت بهم الهزيمة إلى تلك الأَوْحَال التي كانوا أعدوها مكيدةً للمسلمين ، فلحقهم المسلمون ، فوخزُوهم بالرماح ، فكانت الهزيمة بِفُخْل ، والقتل بالرداغ : فأُصيبَت الروم ، وهم ثمانون ألفاً ، لم يُقِلَّت منهم إلَّا الشَّريد ، فصنع الله للمسلمين وهم كارهون ؛ كرهوا البُثوق والأَوْحَال ، فكانت عوناً لهم على عدوهم ، وغنموا أموالهم ، وانصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد إلى حِمْص . وقد اختلف في فتح فِخْل ودمشق ، وذكروا أن المسلمين لما فرغوا من أجنادين على رأى من جعلها بعد اليرموك ؛ اجتمع الروم بِفُخْل ، فقصدها المسلمون فحاصروها وفتحت ، وكانت فِخْل في ذى القعدة سنة ثلاث عشرة : وفتح دمشق في شهر رجب سنة أربع عشرة . وقيل : كانت وقعة اليرموك في سنة خمس عشرة ، ولم يكن للروم بعدها وقعة . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر فتح بلاد ساحل دمشق

هذه الفتح أورده ابن الأثير^(١) في حوادث سنة ثلاث عشرة ، قال : لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق : وسار إلى فِخْل : وسار يزيد إلى مدينة صَيْدَاء وبيروت ، وَجُبَيْل وَعِرْقَة^(٢) ، وعلى مُقَدَّمته أخوه معاوية : ففتحها فتحاً يسيراً ، وجلا كثير من أهلها ، وتولَّى فتح عِرْقَة معاوية بنفسه في ولاية يزيد .

ثم غلب الروم على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر ، وأول خلافة عثمان ، وفتحها معاوية : ثم رمها وشَحَنها^(٣) بالمقاتلة .

(١) الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٩٦ .

(٢) بعدها في ابن الأثير : « وهي سواحل دمشق » .

(٣) شَحَنها : جعل فيها الكفاية لضبطها .

ذكر فتح بيسان وطبرية

قال : لما ^(١) قصد أبو عبيدة حمص من فحل ، أرسل شرحبيل ومن معه إلى بيسان ، فقاتلوا أهلها ، وقتلوا منها خلقا كثيرا ، ثم صالحهم من بقي على صلح دمشق ، وكان أبو عبيدة قد بعث بالأغور إلى طبرية ، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضا ، وأن يشاطروا المسلمين المنازل ، فنزلها الناس ، وكتبوا بالفتح إلى عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه .

ذكر الوقعة بمرج الروم

كانت ^(٢) هذه الوقعة في سنة خمس عشرة ؛ وذلك أن أبا عبيدة وخالدا سارا بمن معهما إلى حمص ، فنزلا على ذى الكلاع ، وبلغ هرقل الخبر فبعث توذر البطريرق حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق ، ونزل أبو عبيدة بالمرج أيضا ، ونازله يوم نزوله شنس الرومي في مثل خيل توذر مددا لتوذر ، وردءا لأهل حمص ، فكان خالد بإزاء توذر ، وأبو عبيدة بإزاء شنس ، فسار توذر يقصد دمشق ، فاتبعه خالد في جريدة وبلغ يزيد بن أبي سفيان الخبر ^(٣) ، فاستقبله فاقتتلوا ، ولحق بهم خالد فأخذهم من خلفهم ، فقتل توذر ،

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٩٦ وتاريخ الطبري ٣ : ٤٤٣ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٣٤٠ وتاريخ الطبري ٣ : ٥٩٨ .

(٣) ك : « خالد بن أبي سفيان » والمثبت يوافق ما في ابن الأثير .

ولم يفلت من عسكره إلا الشريد ، وغنم المسلمون ما معهم ، فقسّمه يزيد في أصحابه وأصحاب خالد ، وعادَ يزيد إلى دمشق ، ورجع خالد إلى أبي عبيدة ، فوجده قد قاتل شنس بمرج الروم ، فقتلت الروم مقتلة عظيمة ، وقتل شنس ، وتبعهم المسلمون إلى حمص بالسير إليها ، وسار ذو إلى الرّيف ، وسار أبو عبيدة إلى حمص .

ذكر فتح بعلبك وحمص وحماة وشيرز

ومعرة النعمان وسلمية واللاذقية وأنطرسوس

قال (١) : وفي سنة خمس عشرة سار أبو عبيدة إلى حمص بعد وقعة ملك الروم ، فسلك طريق بعلبك وحصرها ، فطلب أهلها الأمان فأمنهم وصالحهم ، وسار عنهم ونزل حمص ومعه خالد بن الوليد ، فقاتل أهلها ، ولقي المسلمون برّدا شديداً ، وحاصر الروم حصاراً طويلاً ، وكان هرقل قد أرسل إليهم يعدّهم المدد ، وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهيز إلى حمص ، وسير سعد بن أبي وقاص السرايا من العراق إلى هيت فحصرها ، وسار بعضهم إلى قرقيسياء فتفرق أهل الجزيرة ، وعادوا عن نجدة أهل حمص ، وكان أهل حمص يقولون : تمسكوا بالمدينة (٢) فإنّهم حفاة ، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم ، فكانت أقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين لصبح ، فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم ، ودعاهم إلى مصالحة المسلمين ، فلم يجيبوه ، وقام آخر فلم يجيبوه ، فكبر المسلمون تكبيرة

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٤١ .

(٢) ابن الأثير : « بديعكم » .

فأنهزم كثير من دُور حمص ، وتزلزلت حيطانهم ، وكَبُرُوا الثانية والثالثة ، فأصابهم أعظم من ذلك ، وخرج أهلها يطلبون الصلح ، ولم يعلم المسلمون بما حَدَثَ فيهم ، فصالحوهم على صلح دِمَشق . وأنزلها أبو عبيدة السَّمْطَ بنَ الأسود الكندي في بني معاوية ، والأشعث ابن ميناَس في السَّكون ، والمِقْداد في بَلِيٍّ ، وغيرهم ، وبعث بالأخماس إلى عمر مع عبد الله بن مسعود .

ثم استخلف أبو عبيدة على حمص عبادة بن الصَّامت . وسار إلى حَمَاة ، فتلَقاه أهلها مُذْعِنِينَ ، فصالحهم على الجزية عن رعوسهم ، والخراج عن أرضهم ، ومضى نحو شِيزَر ، فخرجوا إليه فصالحهم على مثل صلح أهل حَمَاة .

وسار إلى مَعْرَةَ النُّعْمان - وكانت تُعرف بِمَعْرَةَ حِمص ، ونسبت بعد ذلك إلى النُّعْمان بن بشير الأنصاري ، فصالحوه على مثل صلح أهل حِمص .

ثم أتى اللاذقية فقاتله أهلها ، وكان لها بابٌ عَظِيمٌ يفتحه جَمْعٌ من الناس ، فعسكر المسلمون على بُعْدٍ منها ، ثم أمر فحفروا حفائر عظيمة ، تستر الحفرة منها الفارسيين ، ثم أظهرها أنهم عائدون عنها ، ورحلوا ، فلَمَّا أَجَنَّهُم الليل عادوا ، واستتروا في تلك الحفائر ، وأصبح أهل اللاذقية [وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا] ^(١) ، فأخرجوا سَرَحَهُمْ ، وانتشروا بظاهر البلد ، فلم يرُعْهُمْ إِلَّا والمسلمون يصيحون بهم ، ودخلوا المدينة معهم ،

وَمُلِكْتِ عَنُوةٌ ، وَهَرَبَ قَوْمٌ مِنَ النَّصَارَى ، ثُمَّ طَلَبُوا الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَرْضِهِمْ عَلَى خَرَاجٍ يُؤَدُّونَهُ قُلُوعًا أَوْ كَثْرًا ، فَرَدَّتْ لَهُمْ كَنِيستَهُمْ ، وَبَنَى الْمُسْلِمُونَ بِهَا مَسْجِدًا جَامِعًا ، بَنَاهُ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، ثُمَّ وَسَّعَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَلَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْمَلَاذِقِيَّةَ جَلَا أَهْلَ جَبَلَةٍ مِنَ الرُّومِ عَنْهَا ، وَفَتَحَ الْمُسْلِمُونَ مَعَ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ أَنْطَرطُوسَ ، وَكَانَ حَصْنًا فَجَلَا عَنْهُ أَهْلُهُ ، وَبَنَى مَعَاوِيَةُ أَنْطَرطُوسَ وَمَصْرَهَا ، وَأَقْطَعَ بِهَا الْقِطَاعَ لِلْمَقَاتِلَةِ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِيَانِيَّاسَ ، وَفَتَحَتْ سَلْمِيَّةٌ ، وَقِيلَ : إِنَّهَا سُمِّيَتْ سَلْمِيَّةَ لِأَنَّهُ كَانَ بِقَرْيَتِهَا مَدِينَةٌ تُدْعَى الْمُؤْتَفَكَةَ ، انْقَلَبَتْ بِأَهْلِهَا ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا غَيْرُ مِائَةِ نَفْسٍ ، فَبَنَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مِائَةَ مَنْزِلٍ ، وَسُمِّيَتْ « سَل مِائَةِ » ، ثُمَّ حَرَّفَهَا النَّاسُ . فَقَالُوا : سَلْمِيَّةَ ، ثُمَّ مَصْرَهَا صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ .

ذِكْرُ فَتْحِ قَنْسَرِينَ وَدُخُولِ هِرْقَلِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

وَمَا تَكَامَ بِهِ عِنْدَ ذَلِكَ

قَالَ ^(١) : ثُمَّ أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى قَنْسَرِينَ ، فَلَمَّا زَحَفَ وَنَزَلَ الْحَاضِرَ زَحَفَ إِلَيْهِ الرُّومُ ، وَعَلَيْهِمْ مِينَاسُ ، وَكَانَ أَعْظَمَهُمْ بَعْدَ هِرْقَلٍ ، فَقُتِلَ هُوَ وَمِنْ مَعَهُ عَلَى دِمٍّ وَاحِدٍ ، وَسَارَ خَالِدٌ حَتَّى نَزَلَ قَنْسَرِينَ فَتَحَصَّنَ أَهْلُهَا مِنْهُ ، ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى صَلَاحِ أَهْلِ جِمْنُصَ ، فَأَبَى خَالِدٌ إِلَّا لِإِخْرَابِ الْمَدِينَةِ ، فَأَخْرَبَهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ هِرْقَلُ - وَكَانَ بِالرُّهْمَا - سَارَ إِلَى سُمَيْسَاطَ ، ثُمَّ مِنْهَا

(١) تَارِيخُ ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٢٤٣ وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٢ : ٩٠١ .

إلى القسطنطينية، ولما سارَ علَا نَشْرًا، ثم التفت إلى الشَّام .
فقال : سلامٌ عَلَيْكَ يَا سوريَّة ، سلام لا اجتماع بعده ولا يعود إليك
رومي أبدًا إِلَّا خَافًا ، حتى يولد الولد المَشْتُوم وليته لا يولد ، فما
أحلى فعله ، وأمر فنتته على الروم . ثم سار وأخذ أهل الخصون التي
بين إسكندونة وطرسوس معه ثلثًا يسير المسلمون في عمارة ما بين
أنطاكية وبلاد الروم ، وعلت تلك الخصون وشنتها هرقل ، فكان
المسلمون إذا مروا بها لا يجدون بها أحدًا ، ورَبَمَا كَمَنَ عندها الروم ،
فأصابوا غِرَّةً مِمَّنْ يتخلف من المسلمين ، فاحتاط المسلمون لذلك .
والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المآب .

ذكر فتح حلب وأنطاكية وغيرها من العواصم

وهي ^(١) سَرْمِين ، وقورُس ، وتَلَّ عزاز ، ومنبِيج ، ودُلُوك ، ورَعْبَان
وبالِس ، وقاصرين ، وجَرْجُومة ، ودرب بغراس ، ومَرَعَش ،
وحصن الحَدَث . قال : ولما فرغ أبو عبيدة من قَنَسرين سار إلى حلب
[فبلغه أَنَّ أهل قَنَسرين مَضَوْا ، وَعَدَرُوا ، فوجه إليهم السُّمَطَ الكِنْدِي
فحصرهم وفتحها ، ووصل أبو عبيدة إلى حَاضِرِ حلب ، وهو قريب منها
يَجْمَع أَصْنَافًا مِنَ العرب ، فصالحهم على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك ،
وَأتى حلب وعلى مقدِّمة عياض بن الفهري ، فتحصَّن أهلها ، وحصرهم
المسلمون ، فلم يلبثوا أَنْ طلبوا الصُّلح والأمان على أنفسهم وأولادهم
ومدينتهم وحصنهم وكنائسهم ، فَأَعطُوا ذلك ، وامتنحنى عليهم
مَوْضِعَ المسجد]

وكان عياض بن غنم هو الذي صالح ، فأجاز أبو عبيدة ذلك .
وقيل : صولحوا على أن يُقاسموا منازلهم وكنائسهم ، وقد قيل :
إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحداً ، لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية ،
وتراسلوا في الصلح ، فلما تم الصلح رجعوا ^{إلى} ، وسار أبو عبيدة من
حلب إلى أنطاكية ، وقد تحصن بها خلق كثير من قنسرين وغيرها ،
فلما فارقها لقيه جمع العدو فهزمهم ، وألجأهم إلى المدينة ، وحصرها من
نواحيها ، فصالحوه على الجزية أو الجلاء ، فجلا بعضهم وأقام بعضهم
ثم نقضوا ، فوجه إليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ، ففتحها
على الصلح الأول .

وكانت أنطاكية عاصمة الذُكر عند المسلمين ، فلما فُتحت كتب
عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب جماعة من المسلمين بها مرابطة ، ولا يحبس
عنهم العطاء .

وبلغ أبا عبيدة أن جمعاً من الروم بين معرة مضرين وحلب ، فسار
إليهم فهزمهم ، وقتل عدة من البطارقة ، وسبى وغنم ، وفتح معرة
مضرين على مثل صلح حلب ، وجالت خيولُه ، فبلغت بؤفة ، وفتحت
قرى الجومة وسرمين وتبرين ، وغلبوا على جميع أرض قنسرين
وأنطاكية .

ثم أتى أبو عبيدة حلب ، وقد التاث أهلها ، فلم يزل بهم حتى
أذعنوا وفتحوا المدينة ، وسار يريد قورس ، وعلى مقدمته عياض
ابن غنم ، فلقبه راهب من أهلها ، فسأله الصلح ، فبعث به إلى أبي
عبيدة ، فصالحه على صلح أنطاكية ، وبث خيله ، فغلبوا على جمع
أرض قورس ، وفتح نل حرار .

وكان سلمان بن ربيعة الباهلي في جيش أبي عبيدة ، فنزل في حصن بقورس ، يُعرف بحصن سلمان ، ثم سار أبو عبيدة إلى منبج ، وعبّاض على مقدمته ، فلحقه ، وقد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية ، وسيره إلى ناحية دُوك ورعبان ، فصالحه أهلها على مثل صلح أهل منبج ، واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم . وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملاً ، وضم إليه جماعة ، وشحن النواحي المخوفة ، وسار إلى بّاليس ، وبعث جيشاً مع حبيب ابن مسلمة إلى قاصرين فصالحه أهلها على الجزية والجلء ، فجلأ أكثرهم إلى بلاد الروم ، وأرض الجزيرة ، واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات ، وعاد أبو عبيدة إلى جهة فلسطين وكان بجبل اللكام مدينة يقال لها : جرجومة ، ففتحها حبيب من أنطاكية صلحاً على أن يكونوا أعواناً للمسلمين ، وسير أبو عبيدة جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبّسي ، فسلخوا درب بغراس من أعمال أنطاكية إلى بلاد الروم ، وهو أول من سلّكه ، فلقي جمعاً من الروم ، ومعهم عرب من غسان [وتنوخ] (١) وإياد يريدون اللّحاق بهرقل فأوقع بهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة . وسير جيشاً آخر إلى مرعش مع خالد بن الوليد ، ففتحها بالأمان على إجلء أهلها ، فجلأهم وأخربها ، وسير جيشاً مع حبيب بن مسلمة إلى حصن الحدث ففتحها ، وإنما سُمي الحدث لأن المسلمين لقوا عليه غلاماً حدثاً ، فقاتلهم في أصحابه ، فقتل : دَرَب الحدث . وقيل : لأن المسلمين أصيبوا به فسمي بذلك ، وكان بنو أمية يُسمونه دَرَب السّلامة ، والله أعلم .

ذكر فتح قيسارية وحصن غزة

وفي ^(١) سنة خمس عشرة أيضا فتحت قيسارية . وقيل في سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة عشرين . وذلك أن عمر رضى الله عنه كتب إلى يزيد بن أبي سفيان : أن يرسل معاوية أخاه إلى قيسارية ، وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك ، فسار معاوية إليها وحصر أهلها ، فرجعوا إليه ، وقاتلوه ، فبلغت قتالهم في المعركة ثمانين ألفا ، ثم كملت في الهزيمة مائة ألف وفتحتها ، وكان علقمة بن مجرز قد حصر القيقار بغزة وجعل يرأسله فلم يشفه أحد مما يريد ، فأتاه كأنه رسول علقمة وكلمه ، فأمر القيقار رجلاً أن يقعد له في الطريق ، فإذا مر به قتله ، ففطن به علقمة ، فقال : إن معي نفراً يُشركوننى في الرأى فأنطلق فأتيتك هم ، فبعث القيقار إلى ذلك الرجل ألا يتعرض له . فخرج علقمة من عنده ، ولم يعد إليه ، وفعل كما فعل عمرو بن العاص رضى الله عنه مع الأرطبون .

(١) تاريخ ، ابن الأثير ٢ : ٣٤٦ ، وقاربخ الطبرى ٣ : ٣٠٣ ، ٦٠٤

ذكر بيسان ووقعة أجنادين وفتح غزة

وسبسطية ونابلس وتبني واللد وعمواس وبيت جبرين ويافا

قال : لَمَّا ^(١) انصَرَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بَعْدَ فِخْلٍ إِلَى حِمَاصٍ - كَمَا قَدَّمْنَا - نَزَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَشَرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ عَلَى بَيْسَانَ فَافْتَتَحَهَا ، وَصَالِحَةُ أَهْلَ الْأَرْدُنِّ ، وَاجْتَمَعَ عَسْكَرُ الرُّومِ بِغَزَّةَ وَأَجْنَادَيْنِ وَبَيْسَانَ إِلَى الْأَرْطَبُيُونِ بِأَجْنَادَيْنِ ، فَسَارَ عَمْرُو وَشَرَحْبِيلُ إِلَيْهِمْ بِهَا ، وَاسْتَخْلَفَ عَمْرُو عَلَى الْأَرْدُنِّ أَبَا الْأَعْوَرِ ، وَكَانَ الْأَرْطَبُيُونُ أَذْهَى الرُّومِ وَأَبْعَدَهَا عَوْرًا ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَ بِالرَّمْلَةِ جُنْدًا عَظِيمًا ، وَبِإِيلِيَاءَ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْخَبْرُ قَالَ : قَدْ رَمَيْنَا أَرْطَبُيُونَ الرُّومَ بِأَرْطَبُيُونَ الْعَرَبِ ، فَانْظُرُوا عَمَّ تَنْفَرُجُ .

وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ شَغَلَ أَهْلَ قَيْسَارِيَّةَ عَنْ عَمْرٍو ، وَجَعَلَ عَمْرُو عُلُقَمَةَ بْنَ حَكِيمٍ ، وَمَسْرُوقًا الْعَكِّيَّ عَلَى قِتَالِ [أَهْل] ^(٢) إِيلِيَاءَ ، فَشَغَلُوا مَنْ بِهَا عَنْهُ ، وَتَتَابَعَتِ الْأُمْدَادُ مِنْ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَمْرٍو ، فَأَقَامَ عَمْرُو عَلَى أَجْنَادَيْنِ لَا يَقْدِرُ مِنَ الْأَرْطَبُيُونِ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَا تَشْفِيهِ الرُّسُلُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ رَسُولٌ ، فَفِطِنَ بِهِ أَرْطَبُيُونَ ، وَقَالَ : لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْأَمِيرُ ، أَوْ مَنْ يَأْخُذُ الْأَمِيرُ

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٤٦ وما بعدها .

(٢) من ص .

برأيه ، فأمر إنساناً أن يقعدُ على طريقة ، فإذا مرَّ به يقتله ، فأذرك عمرو ، فقال له : قد سمعتَ مني ، وسمعتُ منك ، وقد وقع قولك مني بموقع ، وأنا واحدٌ من عشرة ، بعثنا عمرو إلى هذا البوالمى لنكاتيفه فأرجع وآتيك بهم ، فإن رأوا مارأيت فقد رآه الأمير وأهلُ العسكر ، وإن لم يروهُ ردّدتهم إلى مأمينهم . فقال : نعم ، وردَّ الرجلُ الذي أمره بقتله ، فخرج عمرو من عنده ، وعلم الروميُّ بعدمفارقته أنه خدعه . فقال : هذا أذهى الخلق ، وبكغت هذه الواقعة عمر . فقال : الله درُّ عمرو ! ثم التقوا ، واقتتلوا بأجنادين قتالاً شديداً كقتال اليرموك ، فانهزم أرطبون إلى إيلياء ، ففتح عمرو غزّة ، وقيل : فتحت غزّة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ثم فتح سبسطية ونابلس بأمان على الجزية ، وفتح مدينة لدوثيني وعمواس ، وبيت جبرين ويافا . وقيل : فتحها معاوية رضي الله عنه ، وفتح رفح . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر فتح بيت المقدس وهو ايلياء

كان ^(١) فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سنة خمس عشرة . وقيل : ست عشرة ، وذلك أن عمرو بن العاص لما فتح هذه الجهات التي ذكرناها ، أَرْسَلَ إِلَى أَرْطَبُونَ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِالرُّومِيَّةِ ، وَقَالَ لَهُ : اسْمَعْ مَا يَقُولُ ، وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا ، فَوَصَّلَ إِلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ ، وَعِنْدَهُ وَزَرَاؤُهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : لَا يَفْتَحْ عَمْرُو شَيْئًا مِّنْ فِلَسْطِينَ بَعْدَ أَجْنَادِينَ . فَقَالُوا لَهُ : مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : صَاحِبُهَا صَرَفْتُهُ كَذًّا وَكُذًّا ، وَذَكَرَ صِفَّةَ عُمَرَ ، فَعَادَ الرِّسُولُ إِلَى عَمْرُو ، وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَكُتِبَ عَمْرُو إِلَى عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، يَقُولُ : إِنِّي أَعَالَجُ عَدُوًّا شَدِيدًا ، وَبِلَادًا قَدْ أَذْخَرْتَ لَكَ ، فَرَأَيْكَ . فَعَلِمَ عُمَرُ أَنَّ عَمْرًا لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ إِلَّا لَشَيْءٍ سَمِعَهُ ، فَسَارَ عَنِ الْمَدِينَةِ . وَقِيلَ : كَانَ سَبَبُ قُدُومِ عَمَرَ إِلَى الشَّامِ ، أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ حَصَرَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَطَلَبَ أَهْلَهُ أَنْ يَصَالِحَهُمْ عَلَى صَلَاحِ أَهْلِ مَدَنِ الشَّامِ ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُتَوَلَّى لِلْعَقْدِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، فَسَارَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكُتِبَ عَمْرُو إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ بِمُؤَافَاتِهِ بِالْجَابِيَةِ لِيَوْمِ سَمَاءِ لَهُمْ ، وَأَنْ يَسْتَخْلَفُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، فَوَافَقُوهُ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ثُمَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى الْخِيُولِ ، عَلَيْهِمُ الدَّبِيجُ وَالْحَرِيرُ ، فَتَنَزَّلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَرَمَاهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، وَقَالَ : مَا أَسْرَعَ مَا رَجَعْتُمْ هُنَا وَأَيْكُمْ ! لِيَأَيَّ تَسْتَقْبِلُونَنِي فِي هَذَا

الرّزى ! وأنما شبيعت منذ سنتين^(١) ، وتالله لو فعلتم ذلك على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم . فاعتذروا بالسلاح . ودخل عمر الجابية وعمرو وشريحبيل لم يقدموا عليه ، فبينما عمر بالجابية إذ فرغ الناس إلى السلاح . فقال : ماشانكم ؟ قالوا : ألا ترى إلى الخيول والسيوف ! فنظر فإذا كردوسة^(٢) ، فقال : مستأمنة فلا تراعوا ، فإذا هم أهل إيلياء يصلحونه على الجزية ، وكان الذي صالحه العوام ، لأن أرطبون والتذارق دخلا مصر . لما بلغهما مقدم عمر وأخذوا كتابه على إيلياء وحيزها ، والرملة وحيزها . وجعل عمر رضى الله عنه علقمة بن حكيم على نصف فلسطين ، وأسكنه الرملة ، وجعل علقمة بن مجزز على نصفها الآخر ، وأسكنه إيلياء . وضم عمرو بن العاص وشريحبيل إليه بالجابية ، فلقياه راكبا ، فقبلا ركبته ، فضم كل واحد منهما محتضنا^(٣) ، ثم سارا إلى البيت المقدس وركب فرسه ، فرأى به عرجا ، فنزل عنه ، وأتى برذون فركبه ، فجعل يتجلىجل به ، فنزل وضرب وجهه وقال : لا أعلم من علمك هذه الخيلاء ؟ ثم لم يركب برذونا بعده ، ولا كان ركه قبله ، وفتحت إيلياء على يديه ، ولحق أرطبون ومن أبى الصلح بمصر ، فلما ملكها المسلمون قتل . وقيل : بل لحق بالروم ، فكان على صوائفهم ، والتقى هو وصاحب صائفة^(٤)

(١) ك : « سنتان » .

(٢) الكردوسة : القطعة من الخيل ، وفي ك وابن الأثير : « كردوس » .

(٣) ابن الأثير : « محتضما » .

(٤) الصائفة : غزوة الروم لأنهم كانوا يغزون صيفا لمكان البرد والثلج من الروم .

المُسْلِمِينَ ، ومع المسلمين رجلٌ من قريش ^(١) ، فقطع أرطَبُونُ يده ، وقتله القُرَشِيُّ ^(٢) ، وفيه يقول ويشير إلى يده :
 فَإِنْ يَكُنْ أَرطَبُونُ الرُّومِ أَفْسَدَهَا فَإِنَّ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُنْتَفَعًا
 وَإِنْ يَكُنْ أَرطَبُونُ الرُّومِ قَطَعَهَا فَقَدْ تَرَكْتُهَا أَوْصَالَهُ قِطْعًا

ذكر خبر حمص حين قصد هرقل

من بها من المسلمين

قال ^(٣) : وفي سنة سَبْعَ عَشْرَةَ قِصْدَ الرُّومِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، ومن معه من المسلمين بِحَمْصَ ، وكان المُهَيِّجُ لِلرُّومِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَزِيرَةِ أَرْسَلُوا إِلَى مَلِكِهِمْ ، وَبَعَثُوهُ عَلَى إِرسَالِ الْجُنُودِ إِلَى الشَّامِ وَوَعْدُوهُ الْمَعُونَةَ بِأَنْفُسِهِمْ . فَفَعَلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِاجْتِمَاعِهِمْ ، ضَمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَيْهِ مَسَالِحَهُ ، وَعَسْكَرَ بِفَنَاءِ مَدِينَةِ حَمْصَ ، وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ قَنْسَرِينَ إِلَيْهِمْ ، فَاسْتَشَارَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْمُنَاجَزَةِ أَوِ التَّحْصِينِ ، فَأَشَارَ بِالْمُنَاجَزَةِ ، وَأَشَارَ سَائِرُهُمْ بِالتَّحْصِينِ وَمَكَاتِبَةِ عُمَرَ ، فَأَطَاعَهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِذَلِكَ .

وكان عمر قد اتخذ بكل مِصْرٍ خِيُولًا عَلَى قَدَرِهِ مِنْ فُضُولِ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ عُدَّةً لِكُونِ إِنْ كَانَ ، فَكَانَ بِالْكَوْفَةِ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَرَسٍ ، وَالْقَيْسِ عَلَيْهَا سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيُّ ، وَفِي كُلِّ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ

(١) ابن الأثير والطبري : « من قيس يقال له خريس » .

(٢) الطبري وابن الأثير : « القيسى » .

(٣) ابن الأثير ٢ : ٣٧٠ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٥٩٩ .

الثانية على قدره ، فإن كانت ثابتة ركبها المسامون وساروا إلى أن يتجهز الناس .

وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص : أن أندب الناس مع القعقاع ابن عمرو وسرّحهم من يومهم ، فإن أبا عبيدة قد أحيط به .

وكتب إليه أيضا : سرّح سهيل بن عدي إلى الرقة ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استشاروا الروم على أهل حمص ، وأمره أن يسرّح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين ، ثم ليقتصد حران والرها ، وأن يسرّح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وأن يسرّح عياض بن غنم ، فإن كانت حرب فأمّرتهم إلى عياض . فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومه نحو حمص .

وخرج عياض بن غنم ومن ندب إلى الجزيرة ، وتوجه كل أمير منهم إلى الكورة التي أمر عليها ، وخرج عمر من المدينة ، وأتى الجابية إعانة لأبي عبيدة ، فلما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص خبر الجنود الإسلامية تفرقوا إلى بلادهم ، فأشار خالد على أبي عبيدة بالخروج إلى الروم ، فخرج إليهم وقاتلهم ، وفتح الله عليه ، وقدم القعقاع بعد ثلاثة أيام ، فكتبوا إلى عمر بالفتح ويقدم المدد عليهم والحكم في ذلك .

فكتب إليهم : أن أشركوهم في المغنم ، فإنهم نفروا إليكم ، وانفرك لهم عدوكم ، وقال : جزى الله أهل الكوفة خيرا ، يكفون حوزتهم ويمدون الأمصار ، فلما فرغوا رجعوا . والله أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر فتح الجزيرة وأرمينية

قد اختلف أصحاب التواريخ في فتح الجزيرة وأرمينية ، فمنهم من يقول : إن ذلك من فتوح أهل العراق ، ومنهم من يقول : إنها من فتوح أهل الشام . والأكثر على أنها من فتوح أهل الشام ، ونحن نذكر القولين إن شاء الله تعالى :

فأما من قال : إنها من فتوح العراق فإنه يقول (١) : إن سعد بن أبي وقاص لما أمره عمر رضي الله عنه أن يبعث الجنود التي ذكرناها أتينا إلى نصيبين وحران والرها والجزيرة مع من ذكرنا ، وإن كان قتال فأمرهم إلى عياض بن غنم . فخرج عياض ومن معه ، فأرسل سهيل بن عدي إلى الرقة ، فصالحوه على الذمة ، وخرج عبد الله بن عتيان على الموصل إلى نصيبين ، فلقوه وفعلوا كفعل أهل الرقة ، وخرج الوليد بن عقبة ، فقدم على عرب الجزيرة من ربيعة وتذوخ ، فنهض معهم مسلمهم وكافرهم إلا إباد بن نزار ، فإنهم دخلوا إلى أرض الروم ، ولما أخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض إليه سهيلا وعبد الله ، وسار بالناس إلى حران ، فأجابه أهلها إلى الجزيرة ، فقبل منهم . ثم إن عياضا سرح سهيلا وعبد الله إلى الرها ، فأجابوهما إلى الجزيرة ، وأجروا كل ما أخذوا من الجزيرة عنوة مجرى الذمة ، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحا ، ورجع سهيل وعبد الله إلى الكوفة .

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٧٢ ، تاريخ الطبري ٤ : ٥٣ .

قال : ولَمَّا بلغَ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ إِيَادَا دَخَلَتِ الرُّومَ ، كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يَتَهَدَّدُهُ إِنْ لَمْ يُخْرِجْهُمْ ، فَأَخْرَجَهُمْ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، وَتَفَرَّقَتْ [بَقِيَّتُهُمْ] ^(١) مِمَّا بِلَى الشَّامَ وَالْجَزِيرَةَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَكَلَّ إِيَادَى فِي أَرْضِ الْعَرَبِ مِنْ أَوْلَئِكَ الْأَرْبَعَةِ آلَافِ .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : إِنْ فَتَحَ الْجَزِيرَةَ كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ ، وَقَالَ : إِنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ : إِذَا فَتَحَ اللَّهُ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ فَابْعَثْ جُنْدًا إِلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَعَثَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ ، وَ [بَعَثَ] ^(٢) مَعَهُ جَيْشًا فِيهِ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَعُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ ، فَسَارَ عِيَاضُ وَنَزَلَ عَلَى الرُّهَا ، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا وَأَهْلُ حَرَّانَ ، ثُمَّ بَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ إِلَى نَصِيبِينَ فَافْتَتَحَهَا ، وَسَارَ عِيَاضُ إِلَى دَارَا فَافْتَتَحَهَا . وَوَجَّهَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ إِلَى إِرْمِينِيَّةِ الرَّابِعَةِ فَقَاتَلَ أَهْلَهَا ، ثُمَّ صَالَحَهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، فَعَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَكُونُ الْجَزِيرَةُ وَإِرْمِينِيَّةٌ مِنْ فُتُوحِ الْعِرَاقِ .

وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهَا مِنْ فُتُوحِ الشَّامِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ سَيَّرَ عِيَاضَ بْنَ غَنْمٍ إِلَيْهَا فَفَتَحَهَا ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الْجَابِيَةِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ عِيَاضَ ابْنَ غَنْمٍ - إِذْ أَخَذَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى الْمَدِينَةِ - فَصَرَفَهُ إِلَيْهِ ، فَسَيَّرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَفَتَحَهَا ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةَ .

وَقِيلَ : إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ لَمَّا تَوَقَّيَ اسْتَخْلَفَ عِيَاضًا ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ

(١) مِنْ ص .

(٢) مِنْ ص .

كتابُ عمرَ بولاية حِمَصَ وقنُسرينَ والجَزيرةَ ، فسار إلى الجزيرة
في سنة ثمانى عشرة للتَّصَف من شعبان في خمسة آلاف ، وعلى ميمنتِهِ
سعيدُ بنُ عامر الجُمَحِيّ ، وعلى ميسرته صفوانُ بن المعطل ، وعلى
مقدمته ميسرة بن مسروق ، فانتَهت طليعةُ عِيَاض إلى الرُّقَّة ، فأغاروا
على الفلاحين ، وحَصَرُوا المدينة ، وبثَّ عِيَاض السَّرايا ، فأتَوْه
بالأُسرَى والأطعمة ، وحَصَرَهَا سِتَّةَ أَيَّام ، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الصَّلْحَ ،
فصالحَهُمْ على أنفُسِهِمْ وذَراريِهِمْ وأموالِهِمْ ومدينتِهِمْ . وقال عِيَاضُ :
الأَرْضُ لَنَا ، قد وَطَّئْنَاهَا وَمَلَكْنَاهَا ، فَأَقْرَأْهَا في أيديهم على الخَرَجِ ،
وَوَضَعَ عَنْهُمْ الجَزِيَّةَ . ثم سار إلى حَرَّانَ فجعل عليها عسكرا ،
عليهم صفوانُ وحبيبُ بنُ مُسلمة ، فحَصَرَاهَا ، وسار هو إلى الرُّهَا ،
فقاتلَهُ أَهْلُهَا ثم انهزَمُوا ، فحَصَرَهُمْ في مدينتِهِمْ ، فطلبوا الصَّلْحَ
فصالحَهُمْ ، وعاد إلى حَرَّانَ ، فوجد صَفْوَانَ وَحَبِيبًا قد غلبا على حُصُونِ
وَقُرَى من أَعْمَالِهَا ، فصالحَهُ أَهْلُ حَرَّانَ على مثلِ صلحِ الرُّهَا ، وَفَتَحَ
سُمَيْسَاطَ ، وَأَتَى سَرُوجَ ورَاسَ كَيْفَا والأَرْضَ البَيْضَاءَ : فصالحَهُ
أَهْلُهَا على مثلِ صلحِ الرُّهَا ، ثم غَدَرَ أَهْلُ سُمَيْسَاطَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ
وفتَحَهَا ، ثم أَتَى قُرَيَّاتِ الفُرَاتِ ، وهى جنسُ مَنبِيجَ وما يليها ففتَحَهَا ، وبعث
حبيبُ بنُ مُسلمة إلى مَلَطِيَّةَ ففتَحَهَا عَنوةً ، على يدِ حبيبٍ أَيْضًا ،
وَرَتَّبَ فِيهَا جُنُودًا من المسلمين مع عاملها . قال : وسار عِيَاضُ إلى
رَأْسِ عَيْنٍ ، وهى عينُ الوَرْدَةِ ، فامتنعت عليه ، فَتَرَكَهَا ، وسار
إلى تَلِ مَوْزَنَ ففتَحَهَا على صلحِ الرُّهَا سنة تسع عشرة . وسار إلى
أَمِدَ ، فصالحَهُ أَهْلُهَا بعد قتالٍ ، وفتح مَيَّافَارِقِينَ على صلحِ الرُّهَا
ثم سار إلى نَصِيبِينَ ، فقاتلَهُ أَهْلُهَا ، ثم صالحَهُ على مثلِ ذلك ،

وَفَتَحَ طُورَ عَبدِينَ ، وَحَصَنَ مَاردِينَ . وَقَصَدَ المَوْصِلَ ، فَفَتَحَ أَحَدَ
 الحِصْنَيْنِ . وَقِيلَ : لَمْ يَصِلْهَا ، وَأَتَاهُ بِطَرِيقِ الزَّوْزَانِ فَصَالَحَهُ ، ثُمَّ
 سَارَ إِلَى أَرْزَنَ فَفَتَحَهَا ، وَدَخَلَ الدَّرْبَ إِلَى بَدْلَيْسَ ، وَبَلَغَ خِلَاطَ
 فَصَالَحَهُ بِطَرِيقِهَا ، وَأَنْتَهَى إِلَى الْعَيْنِ الْحَامِضَةِ مِنْ إِرْمِينِيَّةَ ، ثُمَّ عَادَ
 إِلَى الرُّقَّةِ وَمَضَى مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ حِمِصَ ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ ؛
فَعَلِ هَذَا الْخَبَرُ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ فَتُوحِ أَهْلِ الشَّامِ .
 وَعَلَى كَلَا الْقَوْلَيْنِ فَفَتَحَهَا عَلَى يَدِ عِيَاضِ بْنِ عَنَمَ .

قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ عِيَاضُ اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَعِيدَ بْنَ عَامِرِ
 ابْنِ حَنْبَلٍ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا وَمَاتَ ، فَاسْتَعْمَلَ عُمَيْرَ بْنَ سَعْدِ
 الْأَنْصَارِيِّ ، فَفَتَحَ رَأْسَ عَيْنَ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ . وَقِيلَ : إِنَّ عِيَاضًا
 أَرْسَلَ صَمِيرَ بْنَ سَعْدٍ إِلَيْهَا فَفَتَحَهَا . وَقِيلَ : إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 أَرْسَلَ أَبَا مَوْسَى الْأَشْعَرِيَّ إِلَى رَأْسِ عَيْنَ بَعْدَ وَفَاةِ عِيَاضَ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

• • •

انْتَهَى فَتُوحُ الشَّامِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلْنَذْكُرْ فَتُوحَ
 الْعِرَاقِ ، وَمَا وَالَاهُ .
 وَإِذَا أَنْتَهَتْ الْفُتُوحَاتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرْنَا الْغَزَوَاتِ إِلَى أَرْضِ
 الرُّومِ مِنَ الشَّامِ .

ذكر فتوح العراقيين وما والاها من بلاد فارس

وغيرها وغزو الترك وفتح خراسان وسجستان وغير ذلك من الوقائع

كان ابتداء أمر العراق أن المثنى بن حارثة الشيباني قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه ، فأوصى أبو بكر عمرَ بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه إلى العراق ، فلما أصبح عمرُ من الليلة التي مات فيها أبو بكر ندبَ الناس إلى الخروج مع المثنى بن حارثة ، ثم بايع الناس ، وندبهم وهو يُبايع ثلاثاً ، فلم ينتدب أحدٌ إلى فارس ، وكانوا أنقلَ الوجوه على المسلمين ، وأكرهها إليهم لشدة سلطانهم وشؤكيتهم ، فلما كان اليوم الرابع ندب الناس إلى العراق ، فكان أولَ منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، وهو والد المختار ، وسعد بن عبيدة الأنصاري ، وسليط بن قيس ، وهوبدري . وتتابع الناس ، وتكلم المثنى بن حارثة ، فقال : أيها الناس ، لا يعظمُ عليكم هذا الوجه ، فإننا قد فتحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقي السواد ، ونلنا منهم ، واجترأنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها . فاجتمع الناس . وقيل لعمر : أمرَ عليهم رجلا من التابعين من المهاجرين والأنصار ، فقال : : والله لا أفعل ، إنما رفعهم الله تعالى بسببهم ومُسارعتهم إلى العدو ، فإذا فعل فعلهم قوم ، وتناقلوا هم ، كان الذين ينفرون خفافاً وثقالاً ويسبقون أولى بالرياسة ، والله لا أؤمرُ عليهم إلا أولَهم انتداباً ، ثم دعا أبا عبيد وسعداً وسليطاً . وقال لسعد وسليط : لو سبقتماه لوليتكما ، وأمرَ أبا عبيد ، وقال له : اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشرِكهم في الأمر ،

ولم يَمْنَعْنِي أَنْ أَوْمَرُ سَلِيطًا إِلَّا سُرْعَتَهُ إِلَى الْحَرْبِ ، وَفِي التَّسْرِعِ إِلَى الْحَرْبِ ضَبَاعٌ ، وَأَوْصَى أَبَا عُبَيْدٍ بِجُنْدِهِ .

وَأَمَرَ عُمَرَ الْمُثَنَّى بِالتَّقَدُّمِ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمَرَهُمْ بِاسْتِنْفَارِ مَنْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ مِنْ أَهْلِ الرُّدَّةِ ، فَفَعَلُوا ، وَسَارَ الْمُثَنَّى فَقَدِمَ الْحِيرَةَ فِي عَشْرِ ، وَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدٍ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ .

وَاللَّهُ مَسْبُحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

ذِكْرُ وَقْعَةِ النَّمَارِقِ

كَانَتْ (١) هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ بُورَانَ كَانَتْ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْفُرْسِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رُسْتَمِ بْنِ الْفَرَخَزَادِ - وَكَانَ عَلَى فَرَجِ خُرَاسَانَ - فَحَضَرَ ، فَتَوَجَّهَتْ ، وَدَعَتْ مَرَاذِبَةَ فَارِسَ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا ، فَدَانَتْ لَهُ فَارِسٌ ، فَكَتَبَ رُسْتَمُ إِلَى الدَّهَّاقِيِّنَ أَنْ يَثُورُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، وَبَعَثَ فِي كُلِّ رُسْتَاقٍ رَجُلًا يَثُورُ بِأَهْلِهِ ، فَبِعَثَ جَابَانَ إِلَى فِرَاتٍ بَادِقَلَى ، وَبَعَثَ نَرْسِيَّ إِلَى كَشْنَكِرَ ، وَوَاعَدَهُمْ يَوْمًا ، وَبَعَثَ جُنْدًا لِمُصَادَمَةِ الْمُثَنَّى ، وَبَلَغَ الْمُثَنَّى الْخَبِيرَ فَحَذِرَ ، وَعَجَلَ جَابَانَ وَنَزَلَ النَّمَارِقَ ، وَثَارُوا ، وَخَرَجَ أَهْلُ الرُّسَاتِيقِ مِنْ أَعْلَى الْفُرَاتِ إِلَى أَسْفَلِهِ ، وَخَرَجَ الْمُثَنَّى مِنَ الْحِيرَةِ ، فَنَزَلَ خَفَّانَ لَشَلًّا يُؤْتَى مِنْ خَلْفِهِ ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ أَقَامَ أَيَّامًا لَيْسَتْ بِرِيحٍ هَوِ وَأَصْحَابِهِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى جَابَانَ بِشَرِّ كَثِيرٍ بِالنَّمَارِقِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَجَعَلَ الْمُثَنَّى عَلَى الْخَيْلِ ، وَكَانَ عَلَى مُجَنَّبَتَيْنِ جَابَانَ جُسْنَسَ مَاهٍ وَمَرْدَانِشَاهٍ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا بِالنَّمَارِقِ قِتَالًا شَدِيدًا ،

(١) ابن الأثير ٣ : ٢٩٨ ، الطبري ٣ : ٤١٦ .

فَهَزَمَ اللَّهُ الْفُرْسَ ، وَأَسَرَ جَابَانَ ، أَسْرَهُ مَطْرِبُنْ فِضَّةَ التَّيْمِي ، وَأَسَرَ
مِرْدَانِشَاهَ ، أَسْرَهُ أَكْتَلُ بْنُ شَمَاحِ الْعُكْلِيُّ فَقَتَلَهُ . وَأَمَّا جَابَانُ فَإِنَّهُ
خَدَعَ مَطْرَا ، وَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَوْمُنَنِي ، وَأَعْطِيكَ غَلَامِينَ أَمْرَدَيْنِ
خَفِيفَيْنِ فِي عَمَلِكَ ، وَكَذَا وَكَذَا ؟ فَخَلَّى عَنْهُ ، فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ ،
وَأَتَوْا بِهِ أَبَا عُبَيْدٍ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ جَابَانَ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ ؛ فَقَالَ :
لَأَنْتِي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَقْتُلَهُ ، وَقَدْ أَمَّنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ
الوَاحِدِ ، مَا لَزِمَ بَعْضُهُمْ فَقَدْ لَزِمَ كُلُّهُمْ ، وَتَرَكَهُ .

وَأَرْسَلَ فِي طَلَبِ مَنْ انْهَزَمَ حَتَّى أَذْخَلُوهُمْ عَسْكَرَ نَرْسِي وَقَتَلُوا
مِنْهُمْ . وَاللَّهُ سَبِيحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

ذِكْرُ وَقْعَةِ السَّقَاطِيَةِ بِكُسْكُرٍ

وَلَمَّا ^(١) لَحِقَ مَنْ انْهَزَمَ مِنَ الْفُرْسِ بِكُسْكُرٍ وَبِهَا نَرْسِي ، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ
الْمَلِكِ ، سَارَ أَبُو عُبَيْدٍ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّمَارِقِ ، وَالْمُثَنَّى فِي تَعَبِثِهِ الَّتِي
قَاتَلَ فِيهَا ، وَكَانَ عَلَى مَجْنِبَتَيْ نَرْسِي بِنْدَوِيَّةٍ وَزِيرَوِيَّةٍ ابْنَا بَسْطَامِ
خَالَ الْمَلِكِ ، وَمَعَهُ أَهْلُ بَارَوْشَمَا وَالزَّوَابِي ، وَكَانَتْ بُورَانُ وَرُئْسَمُ
قَدْ بَلَغَهُمَا خَبِيرُ هَزِيمَةِ جَابَانَ ، فَبِعَثَا الْجَالِينُوسَ إِلَى نَرْسِي مَدَدًا ،
فَعَايَلَهُمُ أَبُو عُبَيْدٍ ، فَالْتَفَعُوا مِنْ مَكَانٍ يُدْعَى السَّقَاطِيَةِ ، فَاقْتَتَلُوا
قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمَتِ الْفُرْسُ ، وَهَرَبَ نَرْسِي وَغَلَبَ الْمُسْلِمُونَ
عَلَى عَسْكَرِهِ وَأَرْضِهِ ، وَجَمَعُوا الْغَنَائِمَ .

وَأَقَامَ أَبُو عُبَيْدٍ وَبِعَثَ الْمُثَنَّى إِلَى بَارَوْشَمَا ، وَبِعَثَ وَالِقَا إِلَى

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٩٩ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤٥٠ .

الزَّوَابِي ، وعاصمًا إلى نهر جُور ، فهزموا من كان قد تجمَّع هناك وأخزَبوا ، وسَيَّوْا أَهْلَ زَنْدَوَرْدَ وغيرها ، وبذلَ لَهُم قَرُوحَ وفرونداذ على أَهْلِ بَارُوسَمَا والزَّوَابِي وَكَسَكَرَ ونهر جَوْبَرِ الخراج مُعْجَلًا ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَصَارُوا صُلْحًا .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيِّدنا محمد .

ذكر وقعة الجالينوس

قال : ولَمَّا^(١) بعث رُسُتَمُ الجالينوسَ سارَ فَنَزَلَ بِبَاقُسِيَاثَا مِنْ بَارُوسَمَا ، فَمَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَهُوَ عَلَى تَعِيَّتِهِ فَالْتَقَوْا بِهَا وَاقْتَتَلُوا ، فَهَزَمَ اللَّهُ الْفَرَسَ ، وَهَرَبَ الْجَالِينُوسُ ، وَغَلَبَ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى تِلْكَ النُّوَاحِي ، ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى قَدِمَ الْحِيرَةَ .

ذكر وقعة قس الناطف

ويقال لها : وَقْعَةُ الْجِسْرِ وَوَقْعَةُ الْمَرْوَحَةِ

ومقتل أبي عُبَيْدٍ وَغَيْرِهِ

لَمَّا^(٢) رَجَعَ الْجَالِينُوسُ إِلَى رُسْتَمٍ مِنْهَزِمًا ، قَالَ رُسْتَمُ : أَيُّ الْعَجَمِ أَشَدُّ عَلَى الْعَرَبِ ؟ قَالُوا : بِهِمْ جَاذِبُهُ الْمَعْرُوفُ بِدِي الْحَاجِبِ - وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذُو الْحَاجِبِ لِأَنَّهُ كَانَ يَعَصِبُ حَاجِبِيَهُ بِعِصَابَةٍ لِيَرْفَعَهَا كِبْرًا - فَوَجَّهَهُ وَمَعَهُ فَيْدُهُ ، وَرَدَّ الْجَالِينُوسَ ، وَقَالَ لِبِهِمْ : إِنْ أَنْهَزَمَ

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٠٠ ، وذكرها الطبري في الموقعة التي قبلها .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٣٠١ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤٥٤ .

الجالينوس مرة ثانية فأضرب عنقه . فأقبل بهمن جاذويه ومعه « درفس كابيان » راية كسرى ، وكانت من جلود النمر ، طولها اثنا عشر ذراعاً في عرض ثمانية أذرع ، فنزل بقس الناطف ، وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة ، فرأت امرأته دومة أم المختار أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب ، فشرب أبو عبيد ومعه نفر ، فأخبرت أبا عبيد بما رأت ، فقال : هذه إن شاء الله الشهادة ، وعهد إلى الناس وقال : إن قُتِلْتُ فعلى الناس فلان ، فإن قُتِلَ فلان ... حتى أمر الذين شربوا من الإناء ، ثم قال : إن قُتِلَ [أبو القاسم] (١) فعلى الناس المثنى . وبعث إليهم بهمن جاذويه يقول : إنا أن تعبوا إلينا ونَدْعُكم والعبور ، وإنا أن تدعونا نعبره إلحكم ، فنهاه الناس عن العبور ، فأبى وترك الرأى ، وقال : لا تكونوا أجراً على الموت منا ، فعبروا إليهم على جسر عقده ابن صلوبا للفريقين ، فالتقوا واقتتلوا ، فلما نظرت الخيول إلى الفيكة وإلى خيل الفرس ، عليهم التجافيف ، رأت شيئاً منكراً لم يكن رأت مثله ، فلم تقدم عليهم ، فاشتد الأمر على المسلمين ، فخرج أبو عبيد والناس ، ثم مشوا إليهم فصافحهم بالسيف ، فجعلت الفيكة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم ، فنادى أبو عبيد : اختوشوا الفيكة وأقطعوا بطناها ، واقلبوا عنها أهلها ، ووثب هو على الفيل الأبيض فقطع بطانه ودفع الذين عليه ، وفعل القوم مثل ذلك ، فما تركوا فيلاً إلا خطوا رخله ، وقتلوا أصحابه . وأهوى الفيل لأبي عبيد فضربه أبو عبيد بالسيف ، وخبطه الفيل بيده فوق قوطه وقام عليه ، فلما بصر به

النَّاسُ تَحْتَ الْفَيْلِ خَشَعَتْ أَنْفُسُ بَعْضِهِمْ ، ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءُ الَّذِي كَانَ أَمْرُهُ بَعْدَهُ ، فَقَاتَلَ الْفَيْلَ حَتَّى تَنَحَّى عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ ، فَاجْتَرَّهُ الْمُسْلِمُونَ فَأَحْرَزُوهُ ، ثُمَّ قَتَلَ الْفَيْلَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَعْدَ أَبِي عُبَيْدٍ ، وَتَتَابَعَ سَبْعَةٌ مِنْ ثَقِيفٍ كُلَّهُمْ يَأْخُذُ اللَّوَاءَ وَيُقَاتِلُ حَتَّى يَمُوتَ ، ثُمَّ أَخَذَ الْمُثَنَّى اللَّوَاءَ فَهَرَبَ عَنْهُ النَّاسُ ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ الشَّقْفَى ذَلِكَ بَادِرًا إِلَى الْجِسْرِ فَقَطَعَهُ ، وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَمْوَالُكُمْ أَوْ تَنْظَرُوا . وَحَازَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجِسْرِ ، فَتَوَاتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفُرَاتِ فَفَرَّقَ ، وَحَمَى الْمُثَنَّى وَفُرْسَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ النَّاسَ ، وَقَاتَلَ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِيَّ حَمِيَّةً لِلْعَرَبِ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ جَاءَ الْعُلُوجُ وَعَقَدُوا الْجِسْرَ ، وَعَبَّرَ النَّاسُ ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ قُتِلَ عِنْدَ الْجِسْرِ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ ، وَعَبَّرَ الْمُثَنَّى وَحَمَى جَانِبَهُ ، فَلَمَّا عَبَرَ ارْقَضَ عَنْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَبَقِيَ الْمُثَنَّى فِي قِلْعَةٍ ، وَكَانَ قَدْ جُرِّحَ وَأُثْبِتَ فِيهِ حَلْقٌ مِنْ دِرْعِهِ . وَهَلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةٌ آلَافٍ بَيْنَ قَتِيلٍ وَغَرِيقٍ ، وَهَرَبَ أَلْفَانِ وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَقُتِلَ مِنَ الْفُرْسِ سِتَّةُ آلَافٍ ، وَأَخْبَرَ عَمْرُ عَمَّن سَارَ فِي الْبِلَادِ اسْتِحْيَاءً مِنَ الْهَزِيمَةِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ فِي جِلٍّ مِنِّي ، أَنَا فِئَةٌ كُلُّ مُسْلِمٍ ، بِرَحْمَةِ اللَّهِ أَبَا عُبَيْدٍ ! لَوْ كَانَ أَنْحَازٌ إِلَيَّ لَكُنْتُ لَهُ فِئَةً (١) .

قال : وَأَرَادَ بِهِمْ جَادُوِيَّةَ الْعَبُورِ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ فَاتَاهُ الْخَبِيرُ بِاخْتِلَافِ الْفُرْسِ ، وَأَنْهُمْ قَدْ ثَارُوا بِرُشْتَمَ ، فَارْجِعْ إِلَى الْمَدَائِنِ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر وقعة أليس الصغرى

قال ^(١) : لما عاد ذوالحاجب لم يشعر جابان ومردأنشاه بما جاء به من الخبر ، فخرجا حتى إذا أخذَا بالطريق ، وبلغ المثنى فعلهما ، فاستخلف على الناس عاصم بن عمر ، وخرج في جريدة ^(٢) خيل يريدُهما ، فظنَّا أنه هارب ، فأعترضاه ، فأخذهما أسيرين . وخرج أهل أليس على أصحابهما فأتوه بهنَّ أسرى ، فعقد لهم بها ذمة ، وقتلَهما وقتلَ الأسرى . والله تعالى أعلم .

ذكر وقعة البويب

ولما ^(٣) بلغَ عمرَ بن الخطاب - رضى الله عنه - وقعة الجسر ، ندبَ الناسَ إلى المثنى ، وكان فيمن ندبَ بجيلة ، وأمرهم إلى جرير بن عبد الله ، فاتوا العراق ، وقالوا : لا نكون إلا بالشام ، فعزم عليهم عمرُ ونفلهم رُبْعَ الخمس ، فأجابوا ، وسيرهم إلى المثنى ، وبعثَ عِصْمَةُ بن عبد الله الضَّبِّيَ فيمن معه ، وكتبَ إلى أهل الرِّدة فلم يأتِه أحدٌ إلا رَمَى به المثنى . وبعثَ المثنى الرُّسُلَ إلى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ ، فتوافوا إليه في جَمْعٍ عَظِيمٍ ، وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النَّمِرِيّ في جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ النَّمِرِ ، نَصَارَى ، وقالوا : نقاتلُ مع قومنا . وبلغ الخبر رُسُتُمَ وَالْفَيْرُزَانَ فَبَعَثَا مِهْرَانَ الْهَمْدَانِيَّ إِلَى الْحِيرَةِ ، فَسَمِعَ الْمَثْنَى ذَلِكَ وَهُوَ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَخَفَّانَ ، فَاسْتَعْبَطَنَ فُرَاتَ بَادِقُلَى ،

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٠٣ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤٥٩ .

(٢) الجريدة : خيل لا رجالة فيها .

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٣٠٣ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤٦٠ .

وكتب إلى جرير وعِصْمَة وَمَنْ أَتَاهُ مِنَ الْأُمْدَادِ بِالْخَبَرِ ، وَأَمَرَهُمْ بِقَصْدِ
 الْبُؤَيْبِ ، وَمِهْرَانَ بِإِزَائِهِ مِنْ وَرَاءِ الْفُرَاتِ ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْبُؤَيْبِ
 مِمَّا يَلِي الْكُوفَةَ الْيَوْمَ ، وَأَرْسَلَ مِهْرَانُ إِلَى الْمُثَنَّى يَقُولُ : إِمَّا أَنْ تَعْبَرَ
 إِلَيْنَا ، وَإِمَّا أَنْ نَعْبَرَ إِلَيْكَ ، فَقَالَ الْمُثَنَّى : اعْبُرُوا ، فَعَبَرَ مِهْرَانُ فَنَزَلَ
 بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ ، وَعَبَّى الْمُثَنَّى أَصْحَابَهُ ، وَكَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ،
 فَأَمَرَهُمْ بِالْإِفْطَارِ لِيَقْوُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، فَأَفْطَرُوا ، وَأَقْبَلَ الْفُرْسُ فِي
 ثَلَاثَةِ صُفُوفٍ ، مَعَ كُلِّ صَفٍّ فَيْلٌ ، وَرَجَالَتُهُمْ أَمَامَ فَيْلِهِمْ ، وَلَهُمْ
 زَجَلٌ^(١) .

فَقَالَ الْمُثَنَّى : إِنَّ الَّذِي تَسْمَعُونَ فَشَلٌ ، فَالزَّمُوا الصُّمْتَ ، ثُمَّ
 التَقُوا ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ وَأَعْظَمَ ، فَقُتِلَ مِهْرَانُ ، قَتَلَهُ غَلَامٌ نَصْرَانِيٌّ
 مِنْ تَغْلِبَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى فَرَسِهِ ، فَجَمَعَ الْمُثَنَّى سَلْبَهُ لِمُصَاحِبِ خَيْلِهِ ،
 وَكَانَ التَّغْلِبِيُّ قَدْ جَلَبَ خَيْلًا هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ تَغْلِبَ ، فَلَمَّا رَأَوْا الْقِتَالَ
 قَاتَلُوا مَعَ الْعَرَبِ ، وَانْهَزَمَتِ الْفُرُسُ ، وَسَبَقَهُمُ الْمُثَنَّى إِلَى الْجِسْرِ
 فَأَفْتَرَقَ الْأَعَاجِمُ مُصْعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ ، وَأَخَذَتْهُمْ خِيُولُ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَقُتِلَ مِنْهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، فَكَانُوا يَحْزُرُونَ^(٢) الْقَتْلَى مِائَةَ أَلْفٍ ،
 وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْأَغْشَارَ ، وَأُخْصِيَ مِائَةُ رَجُلٍ ، قَتَلَ كُلُّ رَجُلٍ
 مِنْهُمْ عَشْرَةً . وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى اللَّيْلِ ، وَمِنَ الْغَدِ إِلَى اللَّيْلِ ،
 وَأَرْسَلَ الْمُثَنَّى الْخَيْلَ فِي طَلَبِ الْعَجَمِ ، فَبَلَّغُوا السَّيْبَ ، وَغَنِمُوا مِنْ
 الْغَنَائِمِ وَالسَّبَبِيِّ وَالْبَقَرِ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَقَسَّمَهُ الْمُثَنَّى فِيهِمْ ، وَنَقَلَ
 أَهْلَ الْبَلَاءِ ، وَأَعْطَى بِحَبِيلَةِ رُبْعِ الْخُمْسِ . وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الَّذِينَ تَبِعُوا

(١) زجل ، أى صوت .

(٢) الحزور : التخمين .

من أَنهزم يعرفونه بسلامتهم ، وأَنَّهُ لا مانعَ دونَ القومِ ، ويستأذنونَه في الإقدام ، فأذنَ لهم ، فأغاروا حتى بلغوا ساباط . فتحصَّنَ أهلُه منهم ، وأستباحوا القرى ، ورجعت مَسالِحُ الفُرسِ إليهم ، وسرَّهم أَن يترُكوا ما وراء دجلة .

ذكر خبر سوقى الخنافس وبغداد

قال (١) : ثم خَلَّفَ المثنى بالحيرة بشير بن الخصاصية ، وسار يَمْخُرُ السَّواد ، وأرسل إلى ميسان ودُشَّت ميسان ، وأذن المَسالِح ، ونَزَلَ أَلَيْس (قرية من قرى الأنبار) ، وجاء المثنى رجلان أحدهما أنباري فدلَّه على سُوقِ الخَنَافِس ، والثاني جيري ودَّله على سُوقِ بغداد ، فبدأ بِسُوقِ الخَنَافِس ؛ لأنَّها كانت تقوم قبل سوق بغداد ، وكان يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسَّواد ، وتخفِّرهم ربيعة وقُضاة ، فأغار المثنى على الخنافس يوم سُوقها ، فانتسَف السُّوق وما فيها ، وسلب الخُفراء ، ثم رجع فأتى الأنبار ، فنزل أهلها إليه ، وأتوه بالأغلاف والزاد ، وأخذ منهم الأدلاء على سُوقِ بغداد ، وسار ليلاً ، فصَبَّحهم في أسواقهم فوضع السيفَ فيهم ، وأخذَ ماشاء ، وقال لأصحابه : لا تأخذوا إلَّا الذهبَ والفضةَ والحُرَّ من كلِّ شيء ، ثم عاد راجعاً حتى أتى الأنبار ، وكان مَنْ خلفه من المسلمين يَمْخُرُونَ السَّواد ، ويُسْتَنُونَ الغاراتِ ما بين أسفل كَسْكَر وأسفل الفُرات ، وجسورٍ مِثْقَب إلى عَيْنِ التَّمَر ، ولَمَّا رَجَعَ المثنى إلى الأنبار بعثَ الْمُضَارِبَ (٢) إلى الكِبَاث ، وعليه فارس العُنَابِ التُّغَلَبِي ، ثم لحِقهم

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٣٠٦ ، الطبري ٣ : ٤٧٢

(٢) ابن الأثير : « المضارب العجلي »

الْمُثَنَّى فَسَارَ مَعَهُمْ ، فَوَجَدُوا الْكَبَاثَ وَقَدْ سَارَ مِنْ كَانَ بِهِ عَنْهُ ، فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ خَلْفَهُمْ ، فَفَقَتَلُوا فِي أُخْرِيَّاتِ أَصْحَابِ فَارَسِ الْعُنَابِ ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ وَرَجَعُوا إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَسَرَّحَ الْمُثَنَّى فُرَاتَ بْنَ حَيَّانَ التَّغْلَبِيَّ وَعُتَيْبَةَ بْنَ النَّهَّاسِ ، وَأَمَرَهُمَا بِالْغَارَةِ عَلَى أَحْيَاءِ بَنِي تَغْلِبَ بِصُفْيَيْنَ ، ثُمَّ أَتَبَعَهُمَا وَاسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ عَمْرُو بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ الْهَجِيمِيُّ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ صُفْيَيْنَ فَرُّ مِنْهَا ، وَعَبَّرُوا الْفُرَاتَ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَفَنِيَ الزَّادُ الَّذِي كَانَ مَعَ الْمُثَنَّى وَأَصْحَابِهِ ، فَأَكَلُوا رَوَاحِلَهُمْ إِلَّا مَا لَبَدُ مِنْهُ حَتَّى جَلَوْهَا ، ثُمَّ أَدْرَكُوا عَيْرًا مِنْ أَهْلِ دَبَا وَحَوْرَانَ فَفَقَتَلُوا مِنْهَا ، وَأَخَذُوا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ تَغْلِبَ كَانُوا خُفْرَاءَ ، وَأَخَذُوا الْبَعِيرَ فَقَالَ لَهُمُ الْمُثَنَّى : دُلُّونِي ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمْنُونِي عَلَى أَهْلِي وَمَالِي ، وَأَدُلُّكُمْ عَلَى حَيٍّ مِنْ تَغْلِبَ ، فَأَمَّنَهُ الْمُثَنَّى ، وَسَارَ بِهِمْ يَوْمَهُ ، فَهَجَمَ الْعَشِيُّ عَلَى الْقَوْمِ وَالنَّعَمَ صَادِرَةً عَنِ الْمَاءِ ، وَأَصْحَابُهَا جُلُوسٌ بِأُفْنِيَةِ الْبُيُوتِ ، فَفَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الذَّرِيَّةَ ، وَأَسْتَأَقَ الْأَمْوَالَ .

وَأَخِيرَ الْمُثَنَّى أَنَّ جُمُوهُورَ مَنْ سَلَكَ الْبِلَادَ قَدْ انْتَجَعَ شَاطِئُ دِجْلَةَ ، فَخَرَجَ الْمُثَنَّى وَعَلَى مَجْنَبَيْهِ النُّعْمَانُ بْنُ عَوْفٍ وَمَطَرُ الشَّيْبَانِيَّانِ ، وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ حَذِيفَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْغَلْفَانِيُّ ، فَسَارُوا فِي طَلَبِهِمْ فَأَدْرَكُوهُمْ بِتَكْرِيتَ ، فَأَصَابُوا مَا شَاءُوا مِنَ النَّعَمِ ، وَعَادُوا إِلَى الْأَنْبَارِ .

وَمَضَى عُتَيْبَةُ وَفُرَاتُ وَمَنْ مَعَهُمَا حَتَّى أَغَارُوا عَلَى صُفْيَيْنَ ، وَبِهَا النُّورُ وَتَغْلِبَ مُتَسَانِدِينَ ، فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى رَمَوْا طَائِفَةً مِنْهُمْ فِي الْمَاءِ ، فَجَعَلُوا يَنَادُونَهُمْ : الْغَرَقَ الْغَرَقَ ! وَجَعَلَ عُتَيْبَةُ وَفُرَاتُ يُدْمِرَانِ (١)

الناس ويناديانهم : تغريق بتخريق ! يذكّرانهم يوماً من أيام الجاهلية ، كانوا حرقوا فيه قوماً من بكر بن وائل في غيضة من الغياض . ثم رجعوا إلى المشنى وقد غرقوهم . فبلغ ذلك عمر ، فبعث إلى عتيبة وفرات ، فاستدعاهما وسألهما عن قولهما ، فأخبراه أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب دخل^(١) ، إنما هو مثل ، فاستحلفهما على ذلك وردّهما إلى المشنى .

وكانت هذه الوقائع التي ذكرناها بالعراق في سنة ثلاث عشرة . ثم كانت وقعة القادسية ، والله أعلم .

ذكر خبر القادسية وأيامها

كان^(٢) ابتداء أمر القادسية أن الفرس لما مات ملكها أزدشير تفرقت آراؤها ، وكان المسلمون قد فتحوا من بلادهم ما ذكرناه في خلافة أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - في حياة أزدشير ، ثم تابعوا الغارات عليهم ، فاجتمعت الفرس وقالوا ليرثسهم والفيروزان - وهما على أهل فارس - : لا زال بكما الاختلاف حتى أوهنتما^(٣) أهل فارس ، وأطمعتما فيهم عدوهم .

فاجتمعوا واستدعوا نساء كسرى وسراريه ، وكشفوا عن بقى من نسل الملوك الأكاسرة ، قتلوهم على يزديجرد ، من ولد شهريار ابن كسرى ، فاستدعوه وملكوهم عليهم وأطاعوه . فبلغ خبرهم المشنى ابن حارثة ، فكتب بذلك إلى عمر ، فلم يصل الكتاب حتى نقص

(١) دخل ، أى وتر ، وفى ك : « دخل » تحريف .

(٢) ابن الأثير ٢ : ٣٠٩ وما بعدها ، تاريخ الطبرى ٣ : ٤٧٧ وما بعدها ، وذكر ذلك في حوادث سنة ١٤ .

(٣) ص : « أوهيتا » .

من كان له عهدٌ من أهل السَّوَادِ ، فخرج المثنى حتى نَزَلَ بِذِي قَارِ ،
ونزل النَّاسُ بِالطُّفِّ في عسكر واحد .

ولما وصل كتابُ المثنى إلى عمر قال : والله لَأَضْرِبَنَّ مَلُوكَ الْعَجَمِ
بِمُلُوكِ الْعَرَبِ ، وكتب إلى عماله على العرب : أَلَّا يَدْعُوا مَنْ لَهُ نَجْدَةٌ
أَوْ رَأْيٌ ، أَوْ فَرَسٌ ، أَوْ سِلَاحٌ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَيْهِ ، وذلك في ذِي الْقَعْدَةِ
سنة ثلاث عشرة .

فاجتمع إليه النَّاسُ ، ولم يَدْعُ رَئِيسًا وَلَا ذَا رَأْيٍ وَشَرَفٍ ،
وَلَا خَطِيبًا وَلَا شَاعِرًا إِلَّا اسْتَشَارَهُمْ فِي الْخُرُوجِ بِنَفْسِهِ لَغَزْوِ الْفُرْسِ ،
وَأَجْمَعَ رَأْيُ وَجُوهِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْعَثَ رَجُلًا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَضُمَّ إِلَيْهِ الْجُنُودَ ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ،
وَكَانَ عَلَى صِدْقَاتِ هَوَازِنَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ بِأَنْتَخَابِ ذَوِي الرِّأْيِ
وَالنَّجْدَةِ وَالسَّلَاحِ ، فَجَاءَ كِتَابَهُ إِلَى عُمَرَ يَقُولُ : قَدْ انْتَخَبْتُ لَكَ
أَلْفَ فَارِيسٍ ، كُلُّهُمْ لَهُ نَجْدَةٌ وَرَأْيٌ ، إِلَيْهِمْ انْتَهَتْ أَحْسَابُهُمْ .
فَأَمَرَهُ بِحَرْبِ الْعِرَاقِ وَضَمَّ إِلَيْهِ الْجِيُوشَ ، فَخَرَجَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ،
وَأَمَلَهُ عَمْرٌ بَعْدَ خُرُوجِهِ بِالْفَقَى يَمَانِي ، وَالْفَقَى نَجْدِي . وَكَانَ الْمَثْنَى بْنُ
حَارِثَةَ فِي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ، فَلَمَّا سَارَ سَعْدٌ تَوَقَّى الْمَثْنَى قَبْلَ وَصُولِهِ ،
وَأَجْتَمَعَ مَعَ سَعْدٍ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ ، ثُمَّ أَتَتْهُ قِبَائِلُ الْعَرَبِ : فَكَانَ جَمِيعُ
مِن شَهْدِ الْقَادِسِيَّةِ بِضْعَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا ؛ مِنْهُمْ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ بِذُرْيَا ،
وِثْلُ ثَمَانَةِ وَبِضْعَةِ عَشَرَ مِمَّنْ كَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ فِيمَا بَيْنَ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ
إِلَى مَا فَوْقَ ذَلِكَ ، وَثَلَاثُمِائَةٍ مِمَّنْ كَانَ شَهْدُ الْفَتْحِ ، وَسَبْعُمِائَةٍ مِمَّنْ
أَبْنَاءُ الصَّحَابَةِ ، فَعَبَّاهُمْ سَعْدٌ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَمَرَ الْأُمَرَاءَ ، وَعَرَّفَ عَلَى

كلَّ عشرة عريفا ، وجعل أهل السَّابِقة على الرِّايات ؛ وسار بالجيوش
 حتى نزل القادسيَّة بين العتيق والخندق بحيال القنطرة ، وأقام بها
 شهرا لم يأتِهِ من الفُرس أحدٌ ، فأرسلَ عاصِمُ بن عمرو يطلبُ غنما
 أوبقرا ، فلم يقدر عليها ، وتحصَّن منه من هُناك ، فأصاب رجلاً بجانب
 أجمَةٍ ، فسأله عن البقر والغنم ، فقال : لا أعلم ؛ فصاح ثورٌ
 من الأجمَةِ : كذبَ عدُوُّ الله ، ها نحن ، فدخل جلدو الله ، فاستاق
 البقر وأتى بها العسكر ، فقسَّمها سعد على النَّاس . ثم بثَّ الغارات
 بين كسكرو الأنبار ، فحوَّوا من الأَطعمة ما قام بهم زماناً ، فاستغاث
 أهل السَّواد إلى يزْدَجِرد وقالوا : إنا أن تدفع العرب ، وإنا أن نُعطِيهم
 ما بأيدينا ، فأرسل إلى رُستم وأمره بالمسير للقاء المسلمين ،
 فاستغفاه من ذلك وسأله أن يُجهزَ الجالينوس ، فأبى يزْدَجِرد
 إلا مسيره ، فعسكر بساباط . ثم استغفاه ثانية من المسير ،
 فأبى عليه .

واتَّصَلَت الأخبار بسعد ، فكتب إلى عمر فأجابه : لا تكربنك
 ما يأتيك عنهم ، وأستعين بالله ، وتوكلُ عليه ، وأبعث إليه رجلاً
 من أهل المناظرة والجلد يدعونه . فإنَّ الله تعالى جاعلُ دعاءهم
 توهيناً لهم ؛ فأرسل نفراً ، منهم : النُّعمانُ بن مُقرن ، ويُسَـر بن
 أبي رُهم ، وحَمَلَة بن جُوَيَّة ، وحَنْظَلَة بن الربيع ، وفُرات بن حَيَّان ،
 وعَدِي بن سُهَيْل ، وعُطارِد بن حاجب ، والمغيرة بن زُرارة الأسدي ،
 والأشعث بن قيس ، والحارث بن حسان ، وعاصم بن عمرو ،
 وعمرو بن معدى كَرِب ، والمغيرة بن شُعبَة ، والمثنى بن حارثة ، إلى

يَزْدَجِرْدُ دُعَاةً ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ، فَأَحْضَرَ وُزْرَاءَهُ ، وَأَحْضَرَ رُؤُسْتُمْ ،
 وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَقُولُ لَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَذِنَ
 إِلَيْهِمْ ، وَأَحْضَرَ التَّرْجُمَانِ ، وَقَالَ لَهُ : سَلُّهُمْ مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ وَمَا دَعَاكُمْ
 إِلَى غَزْوِنَا ، وَالْوَلُوكُوعُ بِيَلَادِنَا ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّنَا تَشَاغَلْنَا عَنْكُمْ أَجْتَرَأْتُمْ
 عَلَيْنَا ! فَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّنٍ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ شِئْتُمْ تَكَلَّمْتُ عَنْكُمْ ،
 وَمَنْ شَاءَ أَثَرْتُهُ . قَالُوا : بَلْ تَكَلِّمْ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ رَحِمَنَا ، فَأَرْسَلَ
 إِلَيْنَا رَسُولًا يَأْمُرُنَا بِالْخَيْرِ : وَيَنْهَانَا عَنِ الشَّرِّ ، وَوَعَدَنَا عَلَى إِجَابَتِهِ
 خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمْ يَدْعُ قَبِيلَةً إِلَّا وَقَارَبَهُ مِنْهَا فِرْقَةٌ ، وَتَبَاعَدَ
 عَنْهُ فِرْقَةٌ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ نَبْتَدِئَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَرَبِ فَبَدَأْنَا بِهِمْ ،
 فَدَخَلُوا مَعَهُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، مَكْرَهُ عَلَيْهِ فَأَغْتَبَطَ . وَطَائِعُ فَازْدَادَ ،
 فَعَرَفْنَا جَمِيعًا فَضَّلَ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضُّيْقِ ،
 ثُمَّ أَمَرْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يَكُونُ مِنَ الْأُمَمِ فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْصَافِ ، فَنَحْنُ
 نَدْعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا ، وَهُوَ بَيْنَ حَسَنِ الْحَسَنِ ، وَقَبِيحِ الْقَبِيحِ كُلِّهِ ،
 فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِّ هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرٍّ مِنْهُ ، الْعِزِّيَّةُ ، فَإِنْ
 أَبَيْتُمْ فَلِلنَّاجِزَةِ ، وَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَمْنَا
 عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ .
 وَإِنْ بَدَلْتُمْ الْعِزِّيَّةَ قَبْلَنَا وَمَنَعْنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ .

فَنَكَلَّمُ يَزْدَجِرْدُ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ أُمَّةً فِي الْأَرْضِ أَشَقَى وَلَا أَقْلُ
 عَدَدًا ، وَلَا أَسْوَأَ ذَاتَ بَيِّنٍ مِنْكُمْ ، قَدْ كُنَّا نُوَكِّلُ بِكُمْ قَرَى الصُّوَاخِي
 فَيَكْفُونَنَا أَمْرَكُمْ ، وَلَا تَطْمَعُوا أَنْ تَقُومُوا لِفَارِسَ ، فَإِنْ كَانَ عَذْرُ
 لِحِقِّكُمْ فَلَا يَغْرَنُكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ كَانَ الْجَهْدُ فَرَضْنَا لَكُمْ قُوَّتًا إِلَى خِيضِكُمْ ،

وَأَخْرَجْنَا مِنْكُمْ كِسْفًا مِمَّا نَكُونُ ، وَمَلَكْنَا عَلَيْكُمْ مِلْكًا يَرْتَفِقُ بِكُمْ .
فَأَسْكَنْتَ (١) الْقَوْمَ .

فَقَامَ الْمَغِيرَةُ بْنُ زُرَّارَةَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ رَعُوسُ
الْعَرَبِ وَوُجُوهُهُمْ ، وَهُمْ أَشْرَافُ يَسْتَحْيُونَ مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَلَيْسَ
كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ قَالُوهُ ، وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ،
فَجَاوَبَنِي لِأَكُونُ الَّذِي أَبْلَغَكَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ
مِنْ سُوءِ الْحَالِ فَهِيَ عَلَى مَا وَصَفْتَ أَوْ أَشَدَّ ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ سُوءِ عَيْشِ
الْعَرَبِ ، وَإِرْسَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ نَحْوَ قَوْلِ النُّعْمَانِ ،
وَقِتَالِ مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ الْجَزْيَةِ ، ثُمَّ قَالَ : اخْتَرْتُ إِنْ شِئْتَ الْجَزْيَةَ عَنْ
يَدِي وَأَنْتَ صَاحِرٌ ، وَإِنْ شِئْتَ السَّيْفَ ، أَوْ تُسَلِّمَ فَتَنْجِي نَفْسَكَ .

فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ الرَّسَلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمْ ، ثُمَّ قَالَ : لَا شَيْءَ لَكُمْ
عِنْدِي ، وَاسْتَدْعَى بِوَقْرٍ (١) مِنْ تُرَابٍ ، فَقَالَ : احْمِلُوهُ عَلَى أَشْرَفِ
هَؤُلَاءِ ثُمَّ سُوقُوهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ . ارْجِعُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ
فَاعْلِمُوهُ أَنَّي مُرْسِلٌ إِلَيْكُمْ [رَسَمَ] (٢) حَتَّى يَدْفِنَكُمْ وَيُدْفِنَهُ مَعَكُمْ
فِي خَنْدَقِ الْقَادِسِيَّةِ ، ثُمَّ أَوْرَدَهُ بِلَادَكُمْ حَتَّى أَشْغَلَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ
بِأَشَدِّ مِمَّا نَالَكُمْ مِنْ سَابُورٍ .

فَقَامَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو لِيَأْخُذَ التُّرَابَ ، وَقَالَ : أَنَا أَشْرَفُهُمْ ، أَنَا
سَيِّدُ هَؤُلَاءِ ، فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ وَخَرَجَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكَبَهَا وَأَخَذَ التُّرَابَ ،
وَقَالَ لِسَعْدِ عِنْدَ عَوْدِهِ : أَبْشِرْ فَقَدْ وَاللَّهِ أَعْطَانَا اللَّهُ أَقَالِيدَ مَلِكِهِمْ (٤) .

(١) أَسْكَنْتَ ، مَثَلُ سَكَتَ .

(٢) الْوَقْرُ : الْحَمْلُ الثَّقِيلُ .

(٣) مِنْ ص .

(٤) الْأَقَالِيدُ : جَمْعُ أَقْلُودَ وَهُوَ الْمِفْتَاحُ .

وقال يَزْدَجِدُ لرُسْمٍ : ما كنتُ أرى أَنَّ في العَرَبِ مثْلَ هؤلاء .
 ما أنتم بأحسن جواباً منهم ، ولقد صدقني القومُ ، لقد وعدوا
 أمراً ليُدْرِكْنَهُ أو ليموتُنَّ عليه ، على أني وجدت أفضلهم
 أحقهم حيث حمل الترابَ على رأسه .

فقال رُسْمٌ : أيُّها الملك ؛ إِنَّه أعقلهم . وخرج رُسْمٌ وبعث في أثر
 الوفد ، وقال لنِقْتَه : إن أدركهم الرسولُ تلاقينَا أرضنا ، وإن
 أعزَّوه سلبكم الله أرضكم . فرجع الرسولُ من الحيرة بفواتهم .
 فقال : ذهب القومُ بأرضكم من غير شك ، وكان منجماً كاهناً .

ولما سار الوفدُ أغار سوادُ بنُ مالك التميمي على النجاف والقراض ،
 فاستاق ثلثمائة دابة من بعير وحمار وثور ، وأوقرها سمكا ، وصَبَحَ
 العسكرُ ، فقسَّمه سعدُ بين الناس ؛ فسمي يومَ الحيتان . وكانت
 السرايا تَسْرِي إلى طلب اللحم ، فإنَّ الطعامَ كان كثيراً عندهم .
 وكانوا يُسمُّون الأيامَ بها ، منها يومُ الأباقر ويومُ الحيتان . وبعث سعدُ
 سريةً أخرى ، فأغاروا فأصابوا إبلًا لبني تغلب والنمير فاستاقوها .

وسار رُسْمٌ من ساباط . وبعث على مُقَدَّمَتِهِ الجالينوس في أربعين
 ألفاً ، وخرج هو في ستين ألفاً ، وساقته في عشرين ألفاً ، وجعل
 في الميمنةَ الهرمزان ، وفي الميسرة مهران بن بهرام الرازي . وأرسل
 سعد السرايا ورشتهم بالنجف ، والجالينوس بين النجف والسيلحين .
 وطاف في السوادِ ، فبعث سواداً وحُمَيْضَةً كلُّ منهما في مائة ، فأغاروا
 على النهرين ، وبلغ رُسْمُ الخبر ، فأرسل إليهم خيلاً ، وسمع سعدُ
 أنَّ خبَلَه قد غلَّتْ ، فأرسل عاصمَ بنَ عمرو وجابراً الأزدي في آثارهم .

فلحقهم عاصمٌ وخيئلُ فارسٌ تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم ، فلما
 رآته الفُرسُ هربوا ، ورجع المسلمون بالانثام . وأرسل سعدُ عمرو
 ابن مَعْدَى كِربَ وطيحةَ الأسدَى طليعةً ، فسارا في عشرةٍ ، فلم
 يسيروا إلَّا فرسَخًا وبَعْضَ آخَرٍ حَتَّى رَأَوْا مَسَالِحَهُمْ وَسَرَحَهُمْ عَلَى
 الطُّفُوفِ قَدْ مَلْشُوا ، فَرَجَعَ عَمْرُو وَمَنْ مَعَهُ ، وَأَبَى طُليحةُ إِلَّا التَّقَدَّمَ ،
 ومضى حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَ رُسْتَمَ ، وبات فيه ، فهتكَ أَطْنَابُ بَيْتِ رَجُلٍ
 واقتاد فرسه ، ثم هتكَ عَلَى آخِرِيَّتِهِ وحلَّ فرسه ، ثم فعل بآخر
 كذلك ، ثم خرج يَعدُّو به فرسه ، ونَذَرَ بِهِ ^(١) النَّاسُ ، فَرَكِبُوا فِي
 طَلَبِهِ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَحِقَهُ فَارِسٌ مِنَ الْجُنْدِ فَقَتَلَهُ طُليحةُ ، ثم آخَرُ
 فقتله ، ثم ثالث ، فرأى مَضْرَعُ صَاحِبِيَّهِ وهما أَبْنَا عَمَّهُ ، فآزَدَادَ
 حَنَقًا ، فلحق بِهِ طُليحةُ ، فكَرَّ عَلَيْهِ طُليحةُ فَأَسْرَهُ ، وَلَحِقَ النَّاسُ ،
 فرَأَوْا فَارِسِيَّ الْجُنْدِ قَدْ قُتِلَا وَأَسِرَ الثَّالِثُ ، وَقَدْ شَارَفَ طُليحةُ عَسْكَرَهُ
 فَأُحْجَبُوا عَنْهُ ، ودخل طُليحةُ عَلَى سَعْدٍ وَمَعَهُ الْفَارِسُ وَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرُ ،
 فِسَّأَلَ التَّرْجَمَانُ الْفَارِسِيَّ فَطَلَبَ الْأَمَانَ ، فَأَمَنَّهُ سَعْدُ ، فقال :
 أَخْبِرْكُمْ عَنْ صَاحِبِكُمْ هَذَا قَبْلَ أَنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْ قُتْلٍ ؛ بَاشَرْتُ
 الْحُرُوبَ مِنْذُ أَنَا غُلَامٌ إِلَى الْآنَ ، وَسَمِعْتُ بِالْأَبْطَالِ ، وَلَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ
 هَذَا ، أَنَّ رَجُلًا قَطَعَ عَسْكَرَيْنِ إِلَى عَسْكَرٍ فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَخْدُمُ
 الرِّجْلَ مِنْهُمْ الْخَمْسَةُ وَالْعَشْرَةُ ، فلم يَرِضْ أَنْ يَخْرُجَ كَمَا دَخَلَ حَتَّى
 سَلَبَ فُرْسَانَ الْجُنْدِ ، وَهَتَكَ عَلَيْهِمُ الْبُيُوتَ ، فَلَمَّا أَذْرَكَنَاهُ قَتَلَ
 الْأَوَّلَ ، وَهُوَ يُعَدُّ بِالْفِ فَارِسَ ، ثم الثَّانِي وهو نَظِيرُهُ ، ثم أَذْرَكَنَاهُ أَنَا ،
 وما خَلَفْتُ بَعْدِي مَنْ يُعَدُّنِي ، وَأَنَا الثَّائِرُ بِالْقَتِيلَيْنِ ، فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

وَأَسْتُؤِسِرْتُ ، ثُمَّ أَخْبِرَهُ عَنِ الْفَرَسِ . وَأَسْلَمَ وَلِزِمَ طَلِيحَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَاءِ بِالْقَادِسِيَّةِ ، وَسَمَاءُ مَعَهُ مُسْلِمًا .

ثُمَّ سَارَ رُسْتُمُ وَقَدَّمَ الْجَالِينُوسَ وَذَا الْحَاجِبَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ، وَكَانَ بَيْنَ مَسِيرِهِ مِنَ الْمَدَائِنِ وَوُضُولِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، رَجَاءً أَنْ يَضْجَرُوا فَيَنْصَرَفُوا ، وَوَقَّفَ عَلَى الْعَتِيقِ بِحِيَالِ [عَسْكَر] ^(١) مَعْدٍ ، وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثَةُ وَثَلَاثُونَ فَيْلًا ، مِنْهَا فَيْلُ سَابُورَ الْأَبِيضِ ، وَكَانَتِ الْفَيْلَةُ تَأْلُفُهُ . وَبَاتَ رُسْتُمُ لَيْلَتَهُ . ثُمَّ أَصْبَحَ وَأَرْسَلَ إِلَى مَعْدٍ أَنْ أَرْسِلْ إِلَيْنَا رَجُلًا نَكَلِّمُهُ وَيَكَلِّمُنَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رُبْعَى بْنُ عَامِرٍ ، فَأَظْهَرَ رُسْتُمُ زِينَتَهُ ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَبَسَطَ الْبُسْطَ . وَالنَّمَارِقَ وَالْوَسَائِدَ الْمَنْسُوجَةَ بِالذَّهَبِ ، وَأَقْبَلَ رُبْعَى عَلَى فَرَسِهِ ، وَسَيْفُهُ فِي خِرْقَةٍ ، وَرُمُحُهُ مَشْدُودٌ بِعَصَبٍ [وَقَدْ] ^(٢) ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبُسْطِ . قِيلَ لَهُ : انْزِلْ ، فَحَمَلَ فَرَسَهُ عَلَيْهَا ، وَنَزَلَ وَسَطَهَا بُوَسَادَتَيْنِ شَقَّيْهَا ، وَأَدْخَلَ الْحَبْلَ فِيهِمَا ، فَلَمْ يَنْهَوْهُ وَأَرْوَهُ التَّهَاقُوتَ ، وَعَلَيْهِ دِرْعٌ ، وَأَخَذَ عِبَادَةً بِعَيْرِهِ فَتَدَرَّعَهَا وَثَمَدَهَا عَلَى وَسْطِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : ضَعْ سِلَاحَكَ ، فَقَالَ : لِمَ آتَيْتُمْ فَأَضَعُ سِلَاحِي بِأَمْرِكُمْ ، أَنْتُمْ دَعَوْتُمُونِي ، فَأَخْبِرُوا رُسْتُمَ ، فَقَالَ : ائْذَنُوا لَهُ .

فَأَقْبَلَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُمُحِهِ وَيُقَارِبُ خُطْوَةً ، فَلَمْ يَدْعُ نَعْرُوقَةً وَلَا يَسَاطًا إِلَّا أَفْسَدَهُ وَهَتَكَهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ رُسْتُمِ جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَرَكَزَ رُمُحَهُ عَلَى الْبُسْطِ . فَقِيلَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّا لَا نَسْتَحِلُّ الْقُعُودَ عَلَى زِينَتِكُمْ ، فَقَالَ لَهُ التَّرْجُمَانُ - وَاسْمُهُ عَبُودُ

(١) مِنْ ص .

(٢) مِنْ ص .

من أهل الحيرة - ما جاء بكم ؟ قال : الله ، وهو بعثنا لنُخرج مَنْ يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سَعَتِهَا ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ، فمن قَبِلَ ذلك قَبَلْنَا منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه ، ومن أباه قاتلناه حتى يَقْضِيَ الله إلى الجنة أو الظفر .

فقال رستم : قد سمعنا قولكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم ، وإن مما سنلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نُمَكِّن الأعداء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فأنظر في أمرك ، واختَرِ واحدة من ثلاث بعد الأجل : إما الإسلامَ وندعك وأرضك ، أو الجزية فتقبل نكف عنك ، وإن احتجبت إلينا نصرناك ؛ أو المئابذة في اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، وأنا كفيْلٌ بذلك عن أصحابي .

فقال : أسيّد أصحابك أنت ؟ قال : لا ، ولكننا كالجسد الواحد ، بعضنا من بعض ، يُجِيرُ أَدْنَانَا على أَعْلَانَا .

فخلا رستم برؤساء قومه ، فقال : هل رأيتم أو سمعتم كلاماً قطّ أعزّ وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن نُمِيلَ إلى دين هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ! فقال : وَيَحْكُم ! لا تنظروا إلى الثياب ، ولكن أنظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ؛ إنَّ العربَ تستخفُّ باللباس ، وتَصُونُ الأحساب ؛ ليسوا مثلكم .

فلما كان من الغد أرسل رستم إلى سعد : أن أبعث إلينا ذلك الرجل ، فبعث إليهم حذيفة بن محصن ، فأقبل في نحو من ذلك

الزَّيِّ ، فلم ينزل عَنْ فَرَسِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رُئُوسِهِمْ . فقال له : انزل ، قال : لا أفعل ، فقال : ما جاء بك ولم يَأْتِ الْأَوَّلُ ؟ قال : إِنَّ أَمِيرَنَا يُحِبُّ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا فِي الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ ، وهذه تَوْبَتِي . فقال : ما جاء بكم ؟ فاجابه نحو الأول . فطلب رُسُومَ المَوَادِّعَةِ إِلَى يَوْمٍ مَا . فقال : نعم ، ثلاثاً مِنْ أَمْسٍ ، فردّه .

وَأَقْبَلَ رُئُوسَهُمْ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! أَلَا تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ جَاءَنَا الْأَوَّلُ بِالْأَمْسِ فَقَلَبْنَا عَلَى أَرْضِنَا ، وَحَقَّرَ مَا نُعْظَمُ ، وَأَقَامَ فَرَسَهُ عَلَى زِبْرِجِنَا (١) ؛ وَجَاءَ هَذَا الْيَوْمَ فَوَقَفَ عَلَيْنَا وَهُوَ فِي يُعْمِنُ الطَّاوِرَ ، يَقُومُ عَلَى أَرْضِنَا كُونَنَا .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَرْسَلَ أَنْ أَبْعَثُوا لَنَا رَجُلًا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ، وَعَلَيْهِمُ التِّيْجَانُ وَالشِّيَابُ الْمَنَسُوجَةُ بِالذَّهَبِ ، وَبُسْطُهُمْ عَلَى غُلَّةٍ سَهْمٍ (٢) ، لَا يُوصَلُ إِلَى صَاحِبِهِمْ حَتَّى يُمَشَى عَلَيْهَا ، فَأَقْبَلَ الْمَغِيرَةُ حَتَّى جَلَسَ مَعَ رُئُوسِهِمْ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَأَنْزَلُوهُ وَمَعَكَوهُ (٣) ؛ فَقَالَ : قَدْ كَانَ يَبْلُغُنَا عَنْكُمْ الْأَحْلَامُ (٤) ، وَلَا أَرَى قَوْمًا أَشْفَةَ مِنْكُمْ ؛ إِنَّا مَعْتَمِرُ الْعَرَبِ لَا يَسْتَعْبِدُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَظَنَنْتُ أَنَّكُمْ تَوَاسُونَ قَوْمَكُمْ كَمَا نَتَوَاسَى ، فَكَانَ أَحْسَنَ مِنْ الَّذِي صَنَعْتُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي أَنَّ بَعْضَكُمْ أَرِيَابُ بَعْضٍ ؛ وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَسْتَقِيمُ فِيكُمْ وَلَا يَضُنُّهُ أَحَدٌ ، وَأَنَا لَمْ آتِكُمْ وَلَكِنْ دَعَوْتُمُونِي ، الْيَوْمَ عَلِمْتُ

(١) الزبرج : الزينة من وثى أو جواهر .

(٢) الغلوة : مقدار مرمى السهم .

(٣) معكوه : دلكوه بالتراب .

(٤) الأحلام : جمع حلم وهو العقل .

أَنْكُمْ مَغْلُوبُونَ ، وَأَنْ مُلْكًا لَا يَقُومُ عَلَى هَذِهِ السَّيْرِ وَلَا [عَلَى] (١)
هَذِهِ الْعُقُولُ .

فَقَالَتِ السَّفَلَةُ : صَدَقَ وَاللَّهِ الْأَعْرَابِيُّ .

وَقَالَتِ الدَّهَاقِينُ (٢) : وَاللَّهِ لَقَدْ رَمَى بِكَلَامٍ لَا يَزَالُ عَبِيدُنَا
يَنْزِعُونَ إِلَيْهِ ، قَاتِلَ اللَّهِ أَوَّلَيْنَا حِينَ كَانُوا يُصَغَّرُونَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ !
ثُمَّ تَكَلَّمَ رُسْتَمُ ، فَحَمِدَ قُوَّتَهُ ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُمْ ، وَذَكَرَ تَمَكُّنَهُمْ
فِي الْبِلَادِ ، وَقُوَّةَ سُلْطَانِهِمْ ، وَذَكَرَ مَعِيشَةَ الْعَرَبِ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَاقَةِ ،
وَقَالَ : كُنْتُمْ تَقْصِدُونَنَا إِذَا قَحِطَتْ بِلَادُكُمْ ، فَنَأْمُرُ لَكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ
التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ ، ثُمَّ نَرُدُّكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ
إِلَّا الْجَهْدَ فِي بِلَادِكُمْ ، فَأَنَا أَمْرُ لَأَمِيرِكُمْ بِكُشُوءٍ وَبَغْيٍ وَأَلْفِ دِرْهَمٍ ،
وَأَمْرُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِوَقْرِ (٣) تَمْرٍ وَتَنْصَرِفُونَ عَنَّا ؛ فَلَمَّا لَسْتُ أَشْتَهِي
أَنْ أَقْتُلَكُمْ .

فَتَكَلَّمَ الْمَغِيرَةُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ وَرَزَقَهُ ، فَمَنْ صَنَعَ شَيْئًا فَلِنَّمَا هُوَ بِصُنْعِهِ . فَأَمَّا الَّذِي
ذَكَرْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَأَهْلَ بِلَادِكَ فَنَحْنُ نَعْرِفُهُ ، وَاللَّهُ صَنَعَهُ بِكُمْ ،
وَوَضَعَهُ فِيكُمْ ، وَهُوَ لَهُ دُونُكُمْ ؛ وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرْتَ فِينَا مِنْ سُوءِ الْحَالِ
وَالضَّبَقِ فَلَسْنَا نُشْكِرُهُ ، وَاللَّهُ أَبْتَلَانَا بِهِ ، وَالْدُّنْيَا دُولٌ ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ
الرِّخَاءِ يَتَوَقَّعُونَ الشَّدَائِدَ حَتَّى تَنْزِلَ بِهِمْ ، وَلَوْ شَكَرْتُمْ مَا آتَاكُمْ اللَّهُ تَعَالَى
لَكَانَ شُكْرُكُمْ يَقْصُرُ عَمَّا أُوتِيتُمْ ، فَأَسَلَمَكُمْ ضَعْفُ الشُّكْرِ

(١) من ص وابن الأثير .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان . وهو زعيم فلاحي العجم ، أو رئيس الإقليم .

(٣) الوقر ، بالكسر : الحمل .

إلى تغيير الحال ، ولو كنا فيما ابتليتنا به أهل الكُفْرِ لكان عظيم ما ابتلينا به مُستجلباً من الله رحمة يُردُّ بها عنا ؛ إِنَّ الله تبارَكَ وتعالى بعثَ فينا رسولاً ؛ ثم ذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ من ذكر الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال . وقال : إِنَّ عِيَالَنَا قد ذاقوا طعامَ بلادكم ، فقالوا : لاصْبِرْ لثأبنا . فقال رُسُومُ إِذَا تَمُوتُونَ دُونَهُ ! فقال المغيرة : يَدْخُلُ من قُتِلَ مِنَّا الجَنَّةُ ، ومن قُتِلَ مِنكم النار ، وَيُظَفَّرُ من بَقِيَ مِنَّا بَقِيَ مِنكم . فَاسْتَشَاطَ رُسُومُ غَضَباً ، ثم حَلَفَ ألا يَرْتَفِعَ الصُّبْحُ غَدًا حَتَّى أَقْتَلَكم أَجْمَعِينَ .

وأنصرف المغيرة ، وخلا رُسُومُ بِأَهْلِ غَارَسَ وقال : أَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنكم ! هَؤُلَاءِ وَاللهِ الرُّجَالُ ، صَادِقِينَ كَانُوا أَمْ كَاذِبِينَ ! وَاللهِ لَئِنْ كَانَ بَلَغَ مِنْ عَقْلِهِمْ وَصَوْنِهِمْ لَسَرَّهْمُ ألا يَخْتَلِفُوا ، فَمَا قَوْمٌ أَبْلَغَ لِمَا أَرَادُوا مِنْهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَمَا يَقُومُ لَهُؤُلَاءِ شَيْءٌ . فَلَجُّوا وَتَجَلَّدُوا ، فقال : أَطِيعُونِي يَا أَهْلَ فَارَسَ ؛ إِنِّي لَأَرَى اللهُ فِيكُمْ نِقْمَةً لَا تَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا .

ثم أَرْسَلَ إِلَيْهِ سَعْدُ ثَلَاثَةً مِنْ قَوَى الرُّأْيِ ، فقالوا له : إِنَّ أَمِيرَنَا يَدْعُوكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا وَلَكَ ؛ وَالْعَافِيَةُ أَنْ تَقْبَلَ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، وَنَرْجِعَ إِلَى أَرْضِنَا وَنَرْجِعَ إِلَى أَرْضِكَ ، وَدَارُكُمْ لَكُمْ وَأَمْرُكُمْ فِيكُمْ ، وَمَا أَصَبْتُمْ كَانَ زِيَادَةً لَكُمْ دُونَنَا ، وَكُنَّا عَوْنًا لَكُمْ عَلَى مَنْ أَرَادَكُمْ ، فَاتَّقِ اللهُ وَلَا يَكُونَنَّ هَلَاكُ قَوْمِكَ عَلَى يَدَيْكَ ، وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَنْ نَغْتَبِطَ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا أَنْ تَدْخُلَ فِيهِ ، وَتَطْرُدَ [بِهِ] ^(١) الشَّيْطَانَ عَنْكَ ؛ فَقَالَ

لهم : إِنَّ الْأَمْثَالَ أَوْضَحُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَهْلَ جَهْدٍ وَقَشْفٍ ^(١) ، لَا تَنْتَصِفُونَ وَلَا تَمْتَنِعُونَ ، فَلَمْ تُسَيِّءْ جِوَارِكُمْ ، وَكُنَّا نَمِيرُكُمْ ^(٢) وَنُحْسِنُ إِلَيْكُمْ ، فَلَمَّا طَعِمْتُمْ طَعَامَنَا ، وَشَرِبْتُمْ شَرَابَنَا ، وَصَفْتُمْ لِقَوْمِكُمْ ذَلِكَ ، وَوَعَدْتُمُوهُمْ ثُمَّ أَتَيْتُمُونَا ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُنَا كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَ لَهُ كَرْمٌ ، فَرَأَى فِيهِ ثُعْلُبًا ، فَقَالَ : وَمَا ثُعْلُبٌ ! فَاِنْتَطَلَقَ الثُّعْلُبُ فِدَعَا الثُّعَالِبِ إِلَى ذَلِكَ الْكَرْمِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ شَدَّ صَاحِبُ الْكَرْمِ النَّقْبَ الَّذِي كُنَّ يَدْخُلْنَ مِنْهُ فَقَتَلَهُنَّ . فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى هَذَا الْحِرْصِ وَالْجَهْدِ ، فَارْجِعُوا وَنَحْنُ نَمِيرُكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَشْتَهِي أَنْ أَقْتُلَكُمْ . وَمَثَلُكُمْ أَيْضًا كَالَّذِي بَابِ يَرَى الْعَسَلَ فَيَقُولُ : مَنْ يُؤْصِلُنِي إِلَيْهِ وَلَهُ دِرْهَمَانِ ، فَإِذَا دَخَلَهُ غَرِقَ وَنَشِبَ ^(٣) ، فَيَقُولُ : مَنْ يُخْرِجُنِي وَلَهُ أَرْبَعَةُ دِرَاهِمٍ ؟

وَقَالَ : مَا دَعَاكُمْ إِلَى مَا صَنَعْتُمْ ، وَلَا أَرَى عَدَدًا وَلَا عُذَّةً ! قَالَ : فَتَكَلَّمُ الْقَوْمُ ، وَذَكَرُوا سُوءَ حَالِهِمْ ، وَمَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْ إِرْسَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاخْتِلَافِهِمْ أَوَّلًا ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْجِهَادِ ، وَقَالُوا : وَأَمَّا مَا ضَرَبْتَنَا مِنَ الْأَمْثَالِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ غَرَسَ أَرْضًا وَاخْتَارَ لَهَا الشَّجَرَ ، وَأَجْرَى إِلَيْهَا الْأَنْهَارَ وَزَيَّنَّهَا بِالْقُصُورِ ، وَأَقَامَ فِيهَا فَلَاحِينَ يَسْكُنُونَ قُصُورَهَا وَيَقُومُونَ عَلَى جَنَاتِهَا ، فَخَلَا

(١) : القشف نذر الجلد وسوء الحال .

(٢) نميركم : نطعمكم .

(٣) نشب ، أى وقع فيها لا محاسن منه .

الفلاحون في القصور على ما لا يحب ، فأطال إمهالهم فلم يستجيبوا^(١) ،
 فدعا إليها غيرهم وأخرجهم منها ، فإن ذهبوا عنها يختطفهم الناس ،
 وإن أقاموا فيها صاروا خولا^(٢) لهؤلاء ، فيسومونهم الخسف أبداً ،
 والله لو لم يكن ما نقول حقاً ولم يكن إلا الدنيا لما صبرنا عن الذي
 نحن فيه من لذيل عيشكم ، ورأينا من زبرجكم ، ولقار عناكم^(٣) عليه ،
 فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبّر إليكم ؟ فقالوا : بل أعبروا
 إلينا . ورجعوا من عنده عشيّاً ، وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا
 مواقفهم ، وأرسل إليهم شأنكم والعبور ، فأرادوا الجواز على القنطرة
 فمنعهم المسلمون ، وقالوا : أما شيء غلبناكم عليه فلا نردّه عليكم ،
 فباتوا يسكرون^(٤) العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى الصباح ،
 وجعلوا طريقاً ، واستم بعد ما ارتفع النهار . ورأى رستم من الليل كأن ملكاً
 نزل من السماء ، فأخذ قسيّاً أصحابه فختّم عليها ، ثم صعد بها
 إلى السماء ، فاستيقظ مهموماً ، وأستدعى خاصته فقصّها عليهم ، وقال :
 إن الله ليعظنا لو أتعظنا ، ثم ركب ، وعبر وعليه درعان ومغفر ، وأخذ
 سلاحه وعبر الفرس العتيق ، ثم كانت الحرب . والله تعالى أعلم
 بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

جروب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

(١) ابن الأثير : « فلم يستجيبوا » .

(٢) خولا : خدما .

(٣) قارمناكم : قاتلناكم .

(٤) سكر النهر : سقاء بالتراب .

ذكر يوم أرمات

كان^(١) يوم أرمات يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة ؛ وذلك أن القُرْسَ لَمَّا عَبَرُوا الْعَتِيقَ ، جلس رُسَمٌ على سَرِيرِهِ وضرب عليه عليه طَيَّارَهُ ، وَعَبَّى فِي الْقَلْبِ ثمانية عشر قِيلاً ، عليها الصناديقُ وَالرَّجَالُ ، وفي المجنبتين خمسة عشر^(٢) ؛ ثمانية وسبعة ، وأقام الجالينوس بينه وبين مِئْمَنَتِهِ ، والفَيْرُزَانِ بينه وبين مِيسَرَتِهِ ، وكان يَزْدَجِرْدُ قَدْ وَصَّعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُسَمِ رَجَالاً عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ رَجُلًا^(٣) ، أولَهم على بابِ إِيوانِهِ ، وآخرهم مع رُسَمِ ، فكلُّمَا فَعَلَ شَيْئًا قَالَ الَّذِي مَعَهُ لِلَّذِي يَلِيهِ : كان كذا وكذا ، ثم يقول الثَّانِي : ذلك للثالث ، وهكذا إلى أن يَنْتَهِيَ إلى يَزْدَجِرْدُ في أسرع وقت .

قال : وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مَوَاقِفَهُمْ ، وكان بسعدٍ دَمَامِيلُ وَعِرْقُ النِّسَاءِ ، فلا يستطيعُ الْجُلُوسَ ؛ إِنَّمَا هُوَ مُكَبٌّ عَلَى وَجْهِهِ ، وفي صدرِهِ وِسَادَةٌ ، وهو على سطحِ القصرِ يُشْرِفُ عَلَى النَّاسِ ، فذكر النَّاسُ ذلك ، وعابه بعضهم فقال في ذلك شعرا :

نُقَاتِلُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ^(٤) وسعدٌ ببابِ القَادِسِيَّةِ مُعْصِمُ
فَأَبْنَاءُ وَقَدْ آمَتِ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ ونِسوةٌ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمٌ

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٢٤ ، وأرمات هو اليوم الأول من أيام القادسية .

(٢) ابن الأثير : « وفي المجنبتين ثمانية أو سبعة » .

(٣) كذا في ابن الأثير وفي ك « رجل » .

(٤) في ياقوت : « ألم ير أن الله أنزل نصره » .

فبلغت أبياته سعدًا ، فقال : اللهم إن كان كاذبًا وقال الذي قاله رياءً وسُفْهَةً فاقطع عني لسانه ، فإنه لواقفٌ في الصَّفِّ يومئذٍ أتاه سَهْمٌ غَرَبٌ (١) ، فأصاب لسانه ، فما تكلم بكلمةٍ حتى لَحِقَ بالله تعالى . ونزل سعدٌ إلى النَّاسِ فاعتذر إليهم ، وأراهم ما به من القُرُوحِ في فَخْذَيْهِ وَالْيَتِيَةِ ، فعذَرَهُ النَّاسُ وَعَلِمُوا حاله . ولَمَّا عَجَزَ عن الرُّكُوبِ اسْتَخْلَفَ خَالِدَ بْنَ عُرْفُطَةَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَخْطَلِفَ عليه ، فَأَخَذَ نَفَرًا مِمَّنْ شَغِبَ عليه فحبَسَهُمْ في القَصْرِ ، منهم أَبُو مِخْجَنَ الثَّقَفِيُّ ، وقيل : بل كان قد حُبِسَ في الخمر .

وَأَعْلَمَ سَعْدُ النَّاسَ أَنَّهُ قد اسْتَخْلَفَ خَالِدًا ، وَإِنَّمَا يَأْمُرُهُمْ خَالِدٌ بِأَمْرِهِ ، فَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا . وَأَرْسَلَ سَعْدٌ نَفَرًا مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ ، مِنْهُمْ الْمُغْبِرَةُ ، وَحَذِيفَةُ ، وَعَاصِمٌ ، وَطَلْحَةُ ، وَقيسُ الْأَسَدِيُّ ، وَغَالِبٌ ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبٌ وَأَمْثَالُهُمْ ، وَمِنَ الشُّعْرَاءِ : الشَّمَاخُ ، وَالْحُطَيْثَةُ وَأَوْسُ بْنُ مَغْرَاءَ ، وَعَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ وَغَيْرُهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِتَحْرِيطِ النَّاسِ عَلَى الْقِتَالِ ففَعَلُوا ، وَكَانَ صَفُّ الْمُشْرِكِينَ عَلَى شَفِيرِ الْعَتِيقِ ، وَصَفُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَائِطِ قُدَيْسٍ ، وَالْخَنْدَقُ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَالْعَتِيقِ ، وَأَمَرَ سَعْدُ النَّاسَ ففَقَرَعُوا سُورَةَ الْجِهَادِ ، وَهِيَ الْأَنْفَالُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ الْقُرَاءُ مِنْهَا قَالَ سَعْدٌ : الزُّمُّوا مَوَاقِفَكُمْ حَتَّى تُصَلُّوا الظُّهْرَ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ قَانِي مُكَبِّرٌ فَكَبِّرُوا وَاسْتَعْمَلُوا ، فَإِذَا سَمِعْتُمُ الثَّانِيَةَ فَكَبِّرُوا وَلِتُسْتَتِمَّ عُدَّتُكُمْ (٢) ، ثُمَّ إِذَا كَبُرَتْ الثَّالِثَةُ فَكَبِّرُوا ، وَلِيُنْشِطَ فُرْسَانُكُمْ النَّاسَ ، فَإِذَا كَبُرَتْ الرَّابِعَةُ فَارْخَفُوا

(١) سهم غرب : لا يدري رايه .

(٢) ابن الأثير : « والبوا هذبكم » .

حَتَّى تُخَالِطُوا عَدُوَّكُمْ ، وَقُولُوا : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَلَمَّا كَبُرَ
سَعْدُ الثَّالِثَةُ بَرَزَ أَهْلُ النَّجْدَاتِ فَأَنْشَبُوا الْقِتَالَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ
الْفُرْسِ أَمْثَالُهُمْ ^(١) .

فبرز غالب بن عبد الله الأسدى ، فخرج إليه هُرْمُزٌ ، وكان من
ملوك الباب ، وكان متوجًّا ، فَأَسْرَهُ غَالِبٌ وَأَتَى بِهِ سَعْدًا . وَخَرَجَ عَاصِمُ
ابن عمرو ^(٢) فَطَارَدَ فَارِسِيًّا ، فَانْهَزَمَ : فَاتَّبَعَهُ عَاصِمٌ حَتَّى خَالَطَ صَفَّهُمْ
فَحَمَوْهُ ، فَأَخَذَ عَاصِمٌ رَجُلًا عَلَى بَغْلٍ وَعَادَ بِهِ ، فَإِذَا هُوَ خَبَّازُ الْمَلِكِ ،
مَعَهُ طَعَامٌ مِنْ طَعَامِ الْمَلِكِ وَخَبِيصَةٌ ^(٣) ، فَاتَى بِهِ سَعْدًا فَتَنَقَّلَهُ ^(٣)
أَهْلُ مَوْقِفِهِ .

وخرج فارسي يُطَلَبُ الْبِرَازَ ، فبرز إليه عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرِبَ ،
فَأَخَذَهُ وَجَلَدَ بِهِ الْأَرْضَ وَذَبَحَهُ ، وَأَخَذَ سِوَارِيَهُ وَمِنْطَقَتَهُ .

وَحَمَلَتِ الْفِيلَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَفَرَّقَتْ بَيْنَ الْكَتَائِبِ ، فَتَفَرَّتْ
الْخَيْلُ ، وَكَانَتِ الْفُرُسُ قَدْ قَصَدَتْ بِجِيلَةً بِسَبْعَةِ عَشَرَ فَيْلًا ،
فَتَفَرَّتْ خَيْلُ بَجِيلَةٍ ، فَكَادَتْ بِجِيلَةٍ تَهْلِكُ لِنِفَارِ خَيْلِهَا عَنْهَا وَعَمَّنْ
مَعَهَا .

(١) بعدما في ابن الأثير : « فاعتذروا الطعن والضرب » ، وقال غالب بن عبد الله

الأسدى :

قد علمت واردات المناخ ذات اللسان والبيان الواضح

أنى سام البطل المناخ وفارج الأمر المهم الفادح

(٢) في ابن الأثير : وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللب مثل اللجين إذ تغشاه الذهب

أنى امرؤ يمانية السبب مثل علي مثلك يفره العتب

(٢) الخبيصة : نوع من الحلوى .

(٣) نقله : أعطاه ، والنقل الغنيمة .

فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى بَنِي أَسَدٍ أَنْ دَافِعُوا عَنْ بَجِيلَةٍ وَمَنْ مَعَهَا ، فَخَرَجَ
 طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَحَمَّالُ بْنُ مَالِكٍ فِي كَتَائِبِهِمَا ، فَبَاشَرُوا الْفَيْلَةَ
 حَتَّى عَدَلَهَا رُكْبَانُهَا ، وَخَرَجَ إِلَى طَلِيحَةَ عَظِيمٌ مِنْهُمْ ، فَقَتَلَهُ طَلِيحَةُ .
 وَقَامَ (١) الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فِي كَنْدَةَ ، فَأَزَالُوا مَنْ بِلَازَاهُمْ مِنَ الْفُرْسِ ،
 ثُمَّ حَمَلَ الْفُرْسُ ، وَفِيهِمْ ذُو الْحَاجِبِ وَالْجَالِيئُوسُ ، وَالْمُسْلِمُونَ
 يَنْتَظِرُونَ التَّكْبِيرَةَ الرَّابِعَةَ مِنْ سَعْدٍ ، فَاجْتَمَعَتِ الْفُرْسُ عَلَى أَسَدٍ
 وَمَعَهُمْ تِلْكَ الْفَيْلَةُ فَتَبَتُوا لَهُمْ ، وَكَبَّرَ سَعْدُ الرَّابِعَةَ ، فَزَحَفَ الْمُسْلِمُونَ
 إِلَيْهِمْ ، وَرَحَا الْحَرْبُ تَدَوُّرٌ عَلَى أَسَدٍ ، وَحَمَلَتِ الْفَيْلُ عَلَى الْمَيْمَنَةِ
 وَالْمَيْسَرَةِ ، فَحَادَتِ الْخِيُولُ عَنْهَا ، فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو ،
 فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ بَنِي تَمِيمٍ ، أَمَا عِنْدَكُمْ لِهَذِهِ الْفَيْلَةِ مِنْ حِيلَةٍ ؟ قَالُوا :
 بَلَى وَاللَّهِ .

ثُمَّ نَادَى عَاصِمٌ فِي رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ رُمَاءً وَآخَرِينَ ، [لَهُمْ] (٢) ثِقَافَةٌ ،
 فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّمَاءِ ؛ ذُبُّوا رُكْبَانَ الْفَيْلَةِ عَنْهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَيَا مَعْشَرَ
 [أَهْلِ] (٢) الثَّقَافَةِ ؛ اسْتَنْذِرُوا الْفَيْلَةَ ، فَقَطَّعُوا وَضْنَهَا (٣) .
 وَخَرَجَ يَحْمِيهِمْ وَقَدْ جَالَتِ الْمَيْمَنَةُ وَالْمَيْسَرَةُ ، وَأَقْبَلَ أَصْحَابُ عَاصِمٍ ؛
 فَأَخَذُوا بِأَذْنَابِ الْفَيْلَةِ فَقَطَّعُوا وَضْنَهَا ، وَارْتَفَعَ عَوَاوُهُمْ ، فَمَا بَقِيَ
 فَيْلٌ إِلَّا عَوًى ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهَا ، وَنَفَسَ عَنْ أَسَدٍ ، وَرَدَّ الْفُرْسُ عَنْهُمْ إِلَى
 مَوَاقِفِهِمْ ، وَدَامَ الْقِتَالُ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَحَتَّى ذَهَبَتْ هَذَاهُ (٤) .

(١) ك : ه وهذا قام .

(٢) من ص .

(٣) الوضن : جمع وضين : وهو بطلان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير كالخزام للسر .

(٤) هذاه من الليل : جزء منه .

من الليل ، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ، وقد أصيب من أسد تلك الليلة خمسمائة ، وكانوا رذءا للناس ، وكان عاصم حامية للناس .

وكان سعد تزوج سلمى امرأة المثنى بن حارثة بعده ، فلما جال الناس في هذا اليوم ، جعل سعد يتململ جزعا على الناس وهو لا يطيق الجلوس ، فلما رأت ما يصنع الفرس ، قالت : وامئناه ، ولا مثنى للخيل اليوم ! فلطم وجهها وقال : أين المثنى عن (١) هذه الكتيبة التي تدور عليها الرجا ؟ يعني أسدا وعاصما ، فقالت : أغيرة وجبنا ! فقال : والله لا يعذريني أحد أن لم تعذريني ، وأنت ترين ما بي . والله تعالى أعلم بالصواب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ذكر أغواث

قال : (٢) لما أصبح سعد وكل بالقتلى من ينقلهم ليدفنوا ، وأسلم الجرحى إلى النساء يقمن عليهم ، فبينما الناس على ذلك إذ طلعت نواصي الخيل من الشام ، وكان عجر لما فتحت دمشق قد كتب إلى أبي عبيدة يأمره بإرسال أهل العراق ، فأرسلهم وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، فتعجل القعقاع ، فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم ، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشارا وهم ألف ، كلما بلغ عشرة مد البصر سرحوا عشرة ، وتقدم هو في عشرة ، فأتى الناس فسلم عليهم .

(١) ك : « من » .

(٢) هو اليوم الثاني من أيام القادسية .

ويُثَرِّمهم بالجُنُودِ ، وَحَرَّضَهُم عَلَى الْقِتَالِ ؛ وَقَالَ : اصْنَعُوا كَمَا أَصْنَعُ ، وَطَلَّبَ الْبِرَازَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ذُو الْحَاجِبِ ، فَعَرَفَهُ الْقَعْقَاعُ ، وَنَادَى :
بِالْأَشَارَاتِ أَنِّي عُبِيدٌ وَسَلِيْطٌ . وَأَصْحَابُ الْجَيْشِ ! وَاقْتَتِلَا ، فَقَتَلَهُ
الْقَعْقَاعُ .

وَجَعَلَتْ خَيْلُهُ تَرُدُّ إِلَى اللَّيْلِ ، وَتَشْطُ النَّاسُ ، وَكَأَنَّ لِمَنْ تَكُنْ
بِالْأَمْسِ مَصِيبَةً ، وَانْكَسَرَتِ الْأَعْجَمُ لِقَتْلِ ذِي الْحَاجِبِ ، فَطَلَبَ
الْقَعْقَاعُ الْبِرَازَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْفِيرِزَانُ وَالْبِنْدَوَانُ ، فَانْضَمَّ
إِلَى الْقَعْقَاعِ الْحَارِثُ بْنُ ظَبْيَانَ ، وَنَادَى الْقَعْقَاعُ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ،
بِاشْرَوْهُمْ بِالسُّيُوفِ ، فَإِنَّمَا يُحْصَدُ النَّاسُ بِهَا ، فَأَقْتَتَلُوا حَتَّى الْمَسَاءِ ،
فَلَمْ يَرَ أَهْلُ فَارَسَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مَا يُعْجِبُهُمْ ، وَأَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ
الْقِتْلَ ، وَلَمْ يَقَاتِلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى فِيلَةٍ ؛ كَانَتْ تَوَابِيتُهَا قَدْ
تَكَسَّرَتْ بِالْأَمْسِ ، فَاسْتَأْذَنُوا عَدْلَهَا ، وَحَمَلَ بَنُو عَمِّ الْقَعْقَاعِ عَشْرَةَ
عَشْرَةَ عَلَى إِبِلٍ قَدْ أَلْبَسُوهَا وَجَلَّلُوهَا وَبَرَّقَعُوهَا ، وَظَافَتْ بِهِمْ خِيُولُهُمْ
تَحْمِيهِمْ ، وَأَمَرَهُمُ الْقَعْقَاعُ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى خَيْلِ الْفُرْسِ يَتَشَبَّهُونَ
بِالْفِيلَةِ ، فَفَعَلُوا فِي يَوْمٍ أَغْوَاثَ ، كَمَا فَعَلَ الْفُرْسُ فِي يَوْمِ أَرْمَاثَ ،
فَتَفَرَّتْ خَيْلُ الْفُرْسِ مِنَ الْإِبِلِ ، فَلَقُوا مِنْهَا أَعْظَمَ مَا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ
مِنَ الْفِيلَةِ ، وَحَمَلَ الْقَعْقَاعُ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثِينَ حِمْلَةً ، كُلَّمَا طَالَعَتْ قِطْعَةً
حَمَلَ حِمْلَةً ، وَأَصَابَ فِيهَا ، وَقِيلَ : وَكَانَ آخِرُهُمْ يُزْرَجُوهَا الْهَمْدَانِيَّ .

وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ ، وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَقِيلَ :
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُمَيْرٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غُبَرَةَ

ابن عوف بن قيس ، وهو ثقيف ، قد حُيس في القصر وقيد .
واختلف في سبب ذلك ؛ فقيل : كان قد خالف على خالد بن عرفة
خليفة سعد ، وقيل : بل كان عمر قد جلده في الخمر مراراً ثمانية
وهو لا يتوب ولا يُقْلَع ، فنفاه إلى جزيرة في البحر ، وبعث معه رجلاً ،
فهرب منه ولحق بسعد ، فكتب إليه عمرُ بحبسِه . وقيل : بل كان
مع سعد ، فأتى به وهو سكران ، فأمر به إلى القيْد ، فلما التحم
القتال قال :

كفى حزنًا أن تردِّي الخيل بالقنا وأترك مشدودًا على وثاقها
إذا قمتُ عنائي الحديدُ وأغلقتُ مصارعُ من دوني تقيمُ المُنَادِيا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ فقد تركوني واحدًا لا أخاليًا
وقد شَفَّ جسمي أنفي كلَّ شارقٍ أعالج كَبَلًا مُضْمَمًا قد برانيا
فلله دري يومَ أتركُ مؤدقًا وتذهلُ عني أَسْرَقِي ورجاليًا
حبيسًا عن الحربِ العوانِ وقد بدتُ وإعمالٍ غيري يومَ ذاكِ العواليًا
ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهدِهِ لئن فرجتُ ألا أزورَ الحوانيا

ثم قال لسلامي ابنه خَصَفَة امرأة سعد : وَيَحْك ! خَلِينِي ، ولكِ
عهدُ الله إن سلمني الله أن أجِيءَ حتى أضعَ رجُلِي في القَيْدِ ، وإن قُتِلْتُ
أمترحتم مني ، فحلَّتْ عنه ، فوثبَ على فرسٍ لسعدٍ يقال لها :
البَلَقَاء ، ثم أخذ الرُّمَحَ وأنطلقَ حتى كان بحيالِ المَيْمَنَةِ كَبَر ،
ثم حَمَلَ على مَيْسَرَةِ الفُرْسِ ، ثم رَجَعَ من خَلْفِ المسلمين وحَمَلَ على

مَيِّمَتِيهِمْ ، وَكَانَ يَقْصِفُ (١) النَّاسَ قَصْفًا مُنْكَرًا ، فَتَعْجَبُ النَّاسُ مِنْهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ مِنْ أَصْحَابِ هَاشِمٍ ، أَوْ هَاشِمِ نَفْسِهِ . وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : هُوَ الْخَضِرُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْلَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تُبَاشِرُ الْحَرْبَ لَقُلْنَا إِنَّهُ مَلَكَ .

وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْفُرْسِ : الصَّبْرُ صَبْرُ الْبَلْقَاءِ ، وَالطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مِحْجَنٍ . وَأَبُو مِحْجَنٍ فِي الْقَيْدِ ، فَلَمَّا أَنْتَصَفَ اللَّيْلُ وَتَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ وَالْفُرْسُ ، أَقْبَلَ أَبُو مِحْجَنٍ فَدَخَلَ الْقَصْرَ ، وَأَعَادَ رِجْلَيْهِ فِي الْقَيْدِ ، وَقَالَ :

لَقَدْ عَلِمْتُ ثَقِيفٌ غَيْرُ فَخْرٍ بِنَانَا نَحْنُ أَكْرَمُهُمْ سُيُوفَا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَضْبَرُهُمْ إِذَا كَرِهُوا الْحُتُوفَا (٢)
وَأَنَا وَفْدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَإِنْ عَمِيُوا فَسَلِّبْهُمْ عَرِيقَا (٣)
وَلَيْلَةَ قَادِسٍ لَمْ يَشْعُرُوا بِي وَلَمْ أَشْعُرْ بِمَخْرَجِي الزُّحُوفَا
فَإِنْ أَحْبَسْتُ فَذَلِكُمْ بَلَائِي وَإِنْ أَتْرَكَ أَذِيقَهُمُ الْحُتُوفَا

فَقَالَتْ لَهُ سَلْمَى : فِي أَيِّ شَيْءٍ حَبَسَكَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا حَبَسَنِي بِحَرَامٍ أَكَلْتُهُ وَلَا شَرِبْتُهُ ؛ وَلَكِنِّي كُنْتُ صَاحِبَ شَرَابٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَنَا أَمْرٌ شَاعِرٌ يَدِبُ الشُّعْرُ عَلَى لِسَانِي ، فَقُلْتُ مَرْتَجِلًا فِي ذَلِكَ أَبْيَانَا : إِذَا مِتُّ فَادْفِنْنِي إِلَى أَصْلِ كَرَمَةٍ تُرَوِّى عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَّا أَذُوقَهَا

(١) يقصف الناس : يضرهم ضرباً منكراً .

(٢) الحتوف : القتل .

(٣) العريق : رئيس الجماعة .

فلذلك حَبَسْنِي ، فلَمَّا أَصْبَحْتَ أَنْتَ سَعْدًا فَصَالِحْتَهُ وَأَخْبَرْتَهُ
 بِخَبْرِ أَبِي مُحَجَّجٍ ، فَأَطْلَقَهُ ، وقال : اذهب ، فما أَنَا بِمُؤَاخِذِكَ بِشَىْءٍ
 تَقُولُهُ حَتَّى تَفْعَلَهُ ، قال : لَا جَرَمَ [وَاللَّهِ] ^(١) لَا أُجِيبُ لِسَانِي إِلَى
 قَبِيحٍ أَبَدًا .

وقد قيل : إِنَّ سَعْدًا لَمَّا أُخْبِرَ بِأَمْرِ دَعَاةٍ وَحَلَّ قُبُودَهُ ، وقال :
 لَا تُجَلِّدَنَّ عَلَى الْخَمْرِ أَبَدًا : فقال أَبُو مُحَجَّجٍ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَشْرِبُهَا
 أَبَدًا ، فقد كُنْتُ أَنَفُ أَنْ أَدْعَهَا مِنْ أَجْلِ جَلْدِكَم .
 وقيل : بل قال : قد كُنْتُ أَشْرِبُهَا إِذْ يَقَامُ عَلَيَّ الْحَدُّ وَأَطْهَرُ
 مِنْهَا ، فَمَآ إِذْ بَهَرَجْتَنِي ^(٢) فوالله لَا أَشْرِبُهَا أَبَدًا .

ذكر يوم عماس ، وهو اليوم الثالث

قال : ^(٣) وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَبَيْنَ الصَّفَيْنِ مِنْ صَرْعَى
 الْمُسْلِمِينَ أَلْفَانِ مِنْ جَرِيحٍ وَقَتِيلٍ ، وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ عَشْرَةُ آلَافٍ ،
 فَنَقَلَ الْمُسْلِمُونَ قَتْلَاهُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ ، وَجَرَّحَاهُمْ إِلَى النِّسَاءِ ، [وَكَانَ
 النِّسَاءُ] ^(٤) وَالصُّبَّيَّانِ يَحْفَرُونَ الْقُبُورَ وَيُدَاوُونَ الْجَرْحَى . وَأَمَّا قَتْلَى
 الْمُشْرِكِينَ فَبَيْنَ الصَّفَيْنِ لَمْ يُنْقَلُوا ، وَبَاتَ الْقَعَقَاغُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
 يُسَرِّبُ أَصْحَابَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فَارَقَهُمْ فِيهِ ، وقال : إِذَا طَلَعَتِ
 الشَّمْسُ فَاقْتُلُوا مِائَةَ مِائَةٍ ، فَإِنْ جَاءَ هَاشِمٌ فَذَاكَ ، وَإِلَّا جَدَّدْتُمْ لِلنَّاسِ
 رَجَاءً جَدِيدًا . وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ .

(١) من ص .

(٢) بهرجتى : زيفتى ولم تسمع قول .

(٣) ابن الأثير ٢ : ٣٣١ وما بعدها ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٥٥٠ وما بعدها

(٤) من ص

فلما بزغت الشمس أقبل أصحاب القعقاع ، فحين رآهم كبر وكبر المسلمون ، وتقدموا وتكثبت (١) الكتائب ، واختلف الطعن والضرب ، والمدد متتابع ، فما جاء آخر أصحابه حتى انتهى إليهم هاشم ، فأخبر بما صنع القعقاع ، فعبى أصحابه سبعين سبعين ، وكان فيهم قيس بن هبيرة المعروف بابن المكشوح المرادى ، فكبر وكبر المسلمون ، ثم حمل على الفرس فقاتلهم حتى خرق صفهم إلى العتيق ثم عاد ، وكانت الفرس قد أصلحوا نوابيتهم وأعادوها على الفيئة ، وأقبلت الرجال حول الفيئة يحمونها أن تقطع وضئها ، ومع الرجال فرسان يحمونهم ، فلم تنغير الخيل منهم كما كانت ، لا اختلاط. خيل الفرس ورجالها بها .

قال : ولما رأى سعد الفيول ، وقد فرقت الكتائب وعادت لفعليها ، أرسل إلى القعقاع وعاصم أبنى عمرو : أن أكفياني الفيل الأبيض ، وكان بإزائهما والفيول كلها آلفة له .

وقال لحمال والرئيل : أكفياني الفيل الأجرب وكان بإزائهما ، فحمل القعقاع وعاصم برؤحيهما وتقدما في خيل ورجل حتى وضعاها في عيني الفيل الأبيض ، فنفض رأسه ، وطرح ساسته ، ودلى مشفره . فضربه القعقاع ، فرمى به ووقع لجنبه ، وقتلوا من كان عليه . وحمل حمال والرئيل الأسديان على الفيل الأجرب ، فطعنه حمال في عينه فاقعى ، ثم استوي ، وضربه الرئيل فابان مشفره ، فتحير الفيل ، إذا جاء إلى صف المسلمين زجروه بالرماح ليرجع ، وإذا أتى صف الفرس نحسوه ليتقدم ، فولى الفيل وألقى نفسه في العتيق ،

وتبعته الفيلة فخرمت صفوف الأعاجم. وأقتتل الفريقان حتى المساء
 وهم على السواء ، فلما أمسى الناس اشتد القتال ، وصبر الفريقان
 فخرجًا على السواء . ثم كانت ليلة الهرير . والله سبحانه وتعالى
 أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد .

ذكر ليلة الهرير

قيل: (١) وإنما سُميت بذلك لتركهم الكلام ، وإنما كانوا يهرون
 هَرِيرًا ، وهى الليلة التى تلى يوم عماس . قال : وخرج مسعود بن
 مالك الأسدي ، وعاصم بن عمرو ، وقيس بن هبيرة وأشباہهم ،
 فطاردوا القوم ، فإذا هم لايشئون ولا يريدون غير الزحف ، فقدّموا
 صفوفهم ، وزاحفهم الناس بغير إذن سعد ، فكان أول من زاحفهم
 القعقاع ، فقال سعد : اللهم اغفرها له وأنصره ، قد أذنت له إذ لم
 يستأذنى . ثم قال : أرى الأمر ما فيه هذا ، فإذا كبرت ثلاثا
 فاحملوا ، فكبر واحدة ، فحملت أسد ثم النخع ، ثم بجيلة ،
 ثم كندة ، وسعد يقول عند حملة كل منهم : اللهم اغفرها لهم ،
 وانصرهم ؛ ثم زحف الرؤساء ، ورخا الحرب تلور على القعقاع ،
 ولما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا ، وخالطوا القوم ،
 فاستقبلوا الليل بعد ما صلوا العشاء ، وأقتتلوا ليلتهم إلى الصبح ،
 فلما كان عند الصبح انتهى الناس ، فاستدل سعد بذلك على أنهم
 الأغلون .

ذكر يوم القادسية وقتل رستم

وهزيمة الفرس

قال : وَأَصْبَحَ النَّاسُ مِنْ لَيْلَةِ الْهَرِيرِ - وَتُسَمَّى لَيْلَةُ الْقَادِسيَّةِ -
وَهُمْ حَسْرَى ، لَمْ يُغْمِضُوا لَيْلَتَهُمْ كُلَّهَا ؛ فَسَارَ الْقَعْقَاعُ فَقَالَ : إِنَّ
الدَّائِرَةَ بَعْدَ سَاعَةٍ لَمْ يَدْأِ الْقَوْمَ ، فَاصْبِرُوا سَاعَةً وَأَحْمِلُوا ؛ فَإِنَّ
النَّضْرَ مَعَ الصَّبْرِ .

فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ صَمَدُوا لِرُسْتَمَ حَتَّى خَالَطُوا
الَّذِينَ دُونَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ الْقِبَائِلُ قَامَ فِيهِمْ رُؤُسَاوُهُمْ ، وَقَالُوا :
لَا يَكُونَنَّ هَؤُلَاءِ أَجَدَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ مِنْكُمْ ، وَلَا هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْفُرسَ -
أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ مِنْكُمْ ، وَحَمَلُوا وَخَالَطُوا مَنْ بِلَازَانِهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا حَتَّى قَامَ
قَائِمُ الظُّهيرةِ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ زَالَ الْفَيْرُزَانُ وَالْهُرْمُزَانُ ، فَتَأَخَّرَا
وَتَبَتَا حَيْثُ أَنْتَهَيَا ، وَأَنْفَرَجَ الْقَلْبُ وَرَكَدَ عَلَيْهِمُ النَّقْعُ ^(١) ،
وَهَبَتْ رِيحٌ عَاصِفٌ دُبُورٌ ، فَقَلَعَتْ طَيَّارَ رُسْتَمَ عَنْ سَرِيرِهِ ، فَهَوَى
فِي الْعَتِيقِ ، وَمَالَ الْغِبَارُ عَلَى الْفُرسِ ، وَأَنْتَهَى الْقَعْقَاعُ وَمَنْ مَعَهُ
إِلَى السَّرِيرِ فَعَثَرُوا بِهِ ، وَقَدْ قَامَ رُسْتَمُ عَنْهُ حِينَ أَطَارَتِ الرِّيحُ الطَّيَّارُ ،
وَاسْتَظَلَّ بِظِلِّ بَغْلٍ مِنْ بَغَالٍ كَانَتْ قَدِ دِمَتْ عَلَيْهَا حُمُولٌ ، فَضْرَبَ
مِلَالُ بْنُ عُلْفَةَ ^(٢) حِمْلَ الْبَغْلِ الَّذِي تَحْتَ رُسْتَمَ ، فَقَطَعَ حَبَالَهُ
وَسَقَطَ عَلَيْهِ ، فَأَزَالَهُ رُسْتَمُ عَنْ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ ضْرَبَهُ هِلَالٌ ضَرْبَةً ، فَفَرَّ
نَحْوَ الْعَتِيقِ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِيهِ ، فَاقْتَحَمَهُ هِلَالٌ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ بِرِجْلِهِ

(١) النَّقْعُ : التَّرَابُ . (٢) لَهُ : هَلْطَمَةٌ .

ثم خرج به ، وضرب جبينه بالسيف حتى قتله ، ثم صعد على السرير وقال : قتلْتُ رستم وربَّ الكعبة ؛ إلىَّ إلىَّ ! فنقله سعد سلَّبه ، وكان قد أصابه الماء ، ولم يظفر بقلنسوته ، وكانت بمائة ألف .

وقيل : إنَّ هلالَ بن علفة لما قصد رستم رماه بنُشابة أثبتتُ قدمه بالركاب ، فحمل عليه هلالٌ فضرَّبه فقتله ، ثم احتزَّ رأسه فعلقه ونادى : قتلْتُ رُستم ! فانهزم قلبُ المشركين ، وقام الجالينوس على الرِّدَم (١) ، ونادى الفرس إلى العبور : وانهزموا وأخذهم السيف والإسار ، وأخذَ ضِرارُ بنُ الخطَّاب الدُّرْقُس ، وهو العَلَمُ الأكبر الذي كان للفرس ، فعوض عنه بثلاثين ألفا ، وكانت قيمته ألف ألفٍ ومائتي ألفٍ ، وجُعِلَ في بيتِ المال .

وقُتِلَ في هذه المعركة من الفرس عشرةُ آلافٍ سوى من قُتِلَ قبلها ، وأما المُقتَرنونُ فما أفلتَ منهم مخيرٌ ، وهم ثلاثون ألفا .

وقُتِلَ من المسلمين قبل ليلةِ الهرير ألفان وخمسمائة ، وقُتِلَ في ليلةِ الهرير ويومِ القادسية ستةُ آلاف ، فدُفِنوا بالخنْدَق ، ودُفِنَ من كان قبل ليلةِ الهرير على مشرق .

* * *

وكان ممن استشهد في حربِ القادسية بنو خنساء الأربعة ، وكان من خبرهم أنَّ أمهم الخنساء الشاعرة بنتَ عمرو بنِ الشريد السلميَّة ، حضرت القادسيةَ معها بنوها الأربعة ، وهم رجالٌ ، فقالت لهم من أولِ الليل : يابتي ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتُم مختارين ،

ووالله الذى لا إله إلا هو ، إنَّكم لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ ، كما أنَّكم بنو امرأة واحدة ، ما خُنتُ آبائكم ، ولا فَضَّخْتُ خَالَكُمْ ، ولا هَجَّنتُ حَسَبَكُمْ ، ولا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ ؛ وقد تَعَلَّمُونَ ما أَعَدَّ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ من الثَّوَابِ الْجَزِيلِ فى حَرْبِ الْكَافِرِينَ ، واعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ ، خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ؛ يقول الله عزَّ وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١) ، فإذا أَصْبَحْتُمْ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَالِمِينَ ، فاغْدُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِينَ ، وبالله على أعدائه مُسْتَنْصِرِينَ ، فإذا رَأَيْتُمُ الْحَرْبَ قد شَمَرَّتْ عن سَاقِهَا ، وَأَضْطَرَمَّتْ لَطًى عَلَى سُبَّاقِهَا (٢) ، وَجُلِّلَتْ نَارًا عَلَى أَوْرَاقِهَا ، فَتَيْمَّمُوا وَطِيسَهَا ، وَجَالِدُوا رَئِيسَهَا ؛ عند احتِدَامِ خَيْمِيسَهَا ، (٣) تَظْفَرُوا بِالْغَنَمِ وَالْكَرَامَةِ ، فى دارِ الْخُلْدِ وَالْمُقَامَةِ . فخرج بنوها قَابِلِينَ لِنُصْحِهَا ، عَازِمِينَ عَلَى قَوْلِهَا ، فَلَمَّا أَضَاءَ لَهُمُ الصَّبْحُ بَاكِرُوا مَرَكَزَهُمْ ، وَأَنْشَأَ أَوْلَهُمْ يَقُولُ :

يا إِخْوَتِي إِنَّ الْعَجُوزَ النَّاصِحَةَ قد نَصَحَتْنا إِذْ دَعَتْنَا الْبَارِحَةَ
مَقَالَةً ذاتَ تَبْيَانٍ وَاضِحَةٍ فبَاكِرُوا الْحَرْبَ الْفُضْرُوسَ الْكَالِحَةَ
وإِنَّمَا تَلْقَوْنَ عِنْدَ الصَّائِحَةِ من آلِ سَاسَانَ كِلَابًا (٤) نَابِحًا
قد أَيْقَنُوا مِنْكُمْ بَوَاقِعَ الْجَائِحَةِ وَأَنْتُمْ بَيْنَ حَيَاةٍ صَالِحَةٍ
• أَوْ مَوْتَةٍ تَوْرِثُ غُنْمًا رَابِحَةً •

(١) سورة آل عمران ٢٠٠ .

(٢) الاستيعاب : « ساقها » .

(٣) الحميس : الجيش .

(٤) الاستيعاب : « الكلاب » .

وتقدّم فقاتلَ حتى قُتِلَ ، ثم حَمَلَ الثَّانِي وهو يقول :
 إِنَّ العَجُوزَ ذَاتُ حَزْمٍ وَجَلَدٍ وَالنَّظِيرَ الْأَوْفَى وَالرَّأْيَ السَّدَدَ
 قَدْ أَمَرْتَنَا بِالسَّدَادِ وَالرَّشَدِ نَصِيحَةً مِنْهَا وَبِرًّا بِالْوَلَدِ
 فَبَادِرُوا الْحَرْبَ حُمَاةً فِي الْعَدَدِ إِمَّا لِفَوْزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَيْدِ
 أَوْ مَبِيتَةٍ تُورِثُكُمْ غَمَّ الْأَبَدِ (١) فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْشِ الرَّغَدِ
 وَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ . ثُمَّ حَمَلَ الثَّالِثُ وهو يقول :

وَاللَّهُ لَا نَعْصِي الْعَجُوزَ حَرْفًا قَدْ أَمَرْتَنَا حَدْبًا وَعَظْفًا
 نُضْحًا وَبِرًّا صَادِقًا وَلُطْفًا فَبَاكِرُوا الْحَرْبَ الضَّرُوسَ زَحْفًا
 حَتَّى تَلْفُؤُوا آلَ كَسْرَى لَفًّا أَوْ تَكْشِفُوهُمْ عَنْ حِمَاكُم كَشْفًا
 إِنَّا نَرَى التَّقْصِيرَ مِنْكُمْ ضَعْفًا وَالْقَتْلَ مِنْكُمْ نَجْدَةً وَغُرْفًا (٢)
 وَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ . ثُمَّ حَمَلَ الرَّابِعُ وهو يقول :

لَسْتُ لَخْنَسَاءٍ وَلَا لِلْأَحْرَمِ وَلَا لَعَمْرٍو ذِي السَّنَاءِ الْأَقْدَمِ
 إِنْ لَمْ أَرِذْ فِي الْجَيْشِ جَيْشَ الْأَعْمِ مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ خِصْمٌ خِصْرِمِ
 إِمَّا لِفَوْزٍ عَاجِلٍ وَمَغْنَمِ أَوْ لَوْفَاةٍ فِي السَّبِيلِ الْأَكْرَمِ
 وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ (٣) .

فَبَلَّغَهَا الْخَبِيرُ ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو
 مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرٍّ رَحِمَتِهِ .

فَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُعْطَى الْخَنْسَاءَ أَرْزَاقَ

(١) الاستيعاب : « عز الأبد » .

(٢) الاستيعاب : « فيكم نجدة وزلن » .

(٣) الاستيعاب : ٤ : ٨٢٧ وما بعدها .

أولادها الأربعة ؛ لكل واحد مائتي درهم ؛ حتى قبض رضى الله عنه .
حكاه أبو عمر بن عبد البر في ترجمة الخنساء .

* * *

نعود إلى بقية أخبار القادسية ؛ قال :

وجُمِعَ من الأسلاب والأموال ما لم يُجمع قبله مثله ؛ وأمر سعد
القعقاع وشرحبيل باتباعهم ، وخرج زهرة بن الحوية التميمي
في آثارهم في ثلثمائة فارس ، فلحق الجالينوس ، فقتله زهرة وأخذ سلبه ،
وقتلوا أكثر الفرس وأسروهم .

قيل : رى شاب من النخع وهو يسوق ثمانين أسيراً من الفرس ،
وكان الرجل يشير إلى الفارسي فيأتيه فيقتله ؛ وربما أخذ سلاحه
فقتله به ؛ وربما أَمَرَ الرجل فقتل صاحبه .

ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة
من الفرس قد نصبوا راية وقالوا : لا نبرح حتى نموت . فقتلهم
سلمان ومن معه ، وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة
من الفرس ، استحيوا من الفرار ، فقصدتهم بضعة وثلاثون من رؤساء
المسلمين ، لكل كتيبة منها رئيس ، فقتلهم المسلمون .

وكتب سعد إلى عمر بالفتح ، وبعده من قتلوا ، ومن أصيب
من المسلمين ، وسمى من يعرف ، وبعده بذلك سعد بن عُميلة
الفراري ، واستأذنه فيما يفعل . وأقام بالقادسية ينتظر جوابه ، فأمره
بالمسير إلى المدائن ، وأن يخلف النساء والصبيان بالعتيق ، ويجعل

مَعَهُمْ جُنْدًا كَثِيفًا ، وَيَشْرِكُهُمْ فِي كُلِّ مَغْزٍ ؛ مَا دَامُوا يَخْلَفُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي عِيَالَتِهِمْ ؛ فَفَعَلَ .

قيل : وكانت وقعة القادسية في سنة ستَّ عشرة . وقيل : في سنة خمس عشرة ، وأوردَهَا أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيُّ في سنة أربع عشرة ، وأوردَهَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْأَثِيرِ في تاريخه الكامل ، في حوادث سنة أربع عشرة ؛ وذكر الخلاف فيهما . والله سبحانه وتعالى أعلم .
فلنذكر ما كان بعد القادسية والله تعالى أعلم .

* * *

ذكر ما كان بعد القادسية من الحروب والأيام

يوم بُرْس : ويوم بَابِل ، ويوم كَوْثَى .

وهذه الوقائع والأيام التي نذكرها في هذا الموضع تحت هذه الترجمة ، قد أوردَهَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْأَثِيرِ - رحمه الله - في تاريخه (الكامل) (١) في حوادث سنة خمس عشرة ، كَأَنَّهُ رَجَّحَ قولَ أَهْلِ الْكُوفَةِ : إِنَّ وقعة القادسية كانت في سنة خمس عشرة .

قال : لما فرغ سعدٌ من القادسية أقامَ بها بعد الفتح شهرين ، وكاتبَ عمرَ فيما يفعل : فكتبَ إليه بالمسير إلى المدائن كما قدَّمنا ، فسار من القادسية لأيَّامٍ بَقِيْنَ من شَوَّال ، وكلُّ النَّاسِ فَارِسَ (٢) ، قد نَقَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مَا كَانَ فِي عَشْكَرِ الْفُرسَ ، فوصلتْ مُقَدِّمَةُ الْمُسْلِمِينَ بِرَسٍ وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِّ ، وَزَهْرَةُ بْنُ الْحَوِيَّةِ وَشُرْحَبِيلُ

(١) الكامل ٢ : ٣٥٤ .

(٢) ابن الأثير : « وكل الناس مؤد » .

ابن السَّمُط ، فَلَقيَهُم بِها بِصِبهري في جمع من الفرس ، فهزمهم المسلمون إلى بابل ، وبها رؤساء القادسية : النّخِيجان ، ومهران الرّازي ، والهَرَمزان وأشباههم .

وقد استعملوا عليهم الفَيْرِزان : وقدم عليهم بصِبهري منهزماً من بُرس ، فوقع في النهر ، ومات من طعنة ، كان طعنه زُهرة ، ولما هُزِمَ بصِبهري أقبل بسطام دِهقان بُرس ، فصالح زُهرة ، وعَقَدَ للمسلمين الجُسور ، وأخبرهم بمن آجتماع ببابل من الفُرس ، فأرسل زهرة إلى سَعْدَ يَعرفه بذلك ، فقَدِمَ سعد إلى بُرس ، وسير زُهرة في المقدّمة ، وأتبعه عبد الله وشرحبيل وهاثما ، فنزلوا على الفَيْرِزان ببابل ، وأقتتلوا ، وانهزم الفُرس ، وانطلقوا على وَجْهَيْنِ :

فسار الهَرَمزان نحو الأهواز ، فأخذها ، وأخرج الفَيْرِزان نحو نهاوند ، فأخذها وبها كنوز كِسري .

وسار النّخِيجان ومهران إلى المدائن ، وقطع الجِسر ، وأقام سعد ببابل ، وقَدِمَ زُهرة بين يديه بُكَيْرُ بن عبد الله اللَّيْثي ، وكثير بن شهاب السَّعْدِي حين عَبَرا الصَّراة ، فالحقا بأخريات القوم ، وفيهم فيومان والفُرْخان فقتلاههما : وجاء زُهرة فجاز سُوراً ، وتقدّم نحو الفُرس وقد نزلوا بين كوثي والدير ، وقد استخلف النّخِيجان ومهران على جنودهما شَهْرِيار ، فنازلَهُم زُهرة ، فبرزوا لِقِيتاله ، وطاب شَهْرِيار المِبارزة ، فخرج إليه أبو نَباتة نايلُ بن جُعْثَم الأعرجي ، وكان من شُجْعانِ تَمِيم ، فَظَفِرَ به وقتله ، وأخذ فرسه وسواريه

وَسَلَبَهُ ، وَأَنْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَأَقَامَ زُهْرَةَ بِكُوَيْتٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ سَعْدٌ ،
فَقَدِمَ إِلَيْهِ نَائِلًا وَأَنْبَسَهُ سِلَاحَ شَهْرِيَارٍ وَسَوَارِيهِ ، وَأَرْكَبَهُ بِرِذْوَنِهِ ،
فَكَانَ أَوَّلَ عَرَبِيٍّ سُوِّرَ بِالْعِرَاقِ . وَأَقَامَ سَعْدٌ بِهَا أَيَّامًا .

وقيل : كانت هذه الوقائع في سنة ست عشرة . والله أعلم
بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

ذكر خبر بهر سير وهي المدينة الغربية

قال (١) : ثم مضى زُهْرَةَ إِلَى بَهْرَسِيرٍ فِي الْمَقْدُمَاتِ ، فَتَلَقَّاهُ شِيرَزَادُ
دِهْقَانِ سَابَاطٍ . بِالْصُّلْحِ ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى سَعْدٍ فَصَالَحَهُ عَلَى الْجَزِيَّةِ ،
وَلَقِيَ سَعْدَ كَتِيبَةِ كِسْرَى الَّتِي تُدْعَى بُورَانَ ، وَكَانُوا يَحْلِفُونَ كُلُّ
يَوْمٍ إِلَّا يَزُولَ مُلْكُ فَارَسَ مَا عَشْنَا ، فَهَزَمَهُمْ ، فَقَتَلَ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ
الْمَقْرَظَ . وَهُوَ أَسَدٌ كَانَ كِسْرَى قَدْ أَلْفَهُ ، فَقَبِلَ سَعْدُ رَأْسَ هَاشِمِ
وَبِعْتَهُ فِي الْمَقْدَمَةِ إِلَى بَهْرَسِيرٍ ، وَوَصَّلَهَا سَعْدٌ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَلَمَّا رَأَوْا
إِيوَانَ كِسْرَى ، كَبَّرَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَقَالَ : هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ ، وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَكَانُوا كُلُّمَا وَصَلَتْ طَائِفَةٌ كَبَّرُوا ،
ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ نَزْوُلُهُمْ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذكر فتح المدائن الغربية وهى بهرسير

كان^(١) فتحها في صفر سنة ست عشرة . وذلك أن سعد بن أبي وقاص نزل عليها وحاصرها شهرين ، ونصب عليها عشرين منجنيقا ، وقاتل أهلها قتالا شديداً ، وأرسل سعد الخيول ، فأغارَتْ على من ليس له عهد ، فأصابوا مائة ألف فلاح ، فأرسل سعد إلى عمر يستأذنه ، فقال : من جاءكم ممن يُعين عليكم فهو أمانهم ، ومن هرب فأدر كنموه فسانكم به ، فخلّى سعد عنهم ، وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة ؛ فترجعوا .

قال : وأشدّ الحصار على أهل المدائن الغربية ، حتى أكلوا السنائير والكلاب ، فبينما هم يحاصرونهم إذ أشرف عليهم رسول ، فقال : يقول لكم الملك : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلِكُم ؟ أما سبيتم ! لا أشبع الله بطونكم ! فقال له أبو مفضل الأسود بن قُطبة ، وقد أنطقه الله عز وجل بما لا يدرى لاهو ولا من معه ، فرجع الرجل ، فقطع الفرس دجلة إلى المدائن الشرقية التي فيها الإيوان ، فقال له من معه : يا أبا مفضل ، ما قلت للرسول ؟ قال : والله ما أدرى^(٢) ، وأرجو أن أكون قد نطقْتُ بالذي هو خير^(٣) ، فنادى سعد في

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) ابن الأثير : « والذي بعث محمدا بالحق ما أدرى » .

(٣) بعدها في ابن الأثير : « وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم » .

النَّاسَ ، فَنهَلُّوا إِلَيْهِمْ (١) ، فَمَا ظَهَرَ عَلَى الْمَدِينَةِ [أَحَدٌ] (١)
وَلَا خَرَجَ إِلَّا رَجُلٌ يُنَادِي بِالْأَمَانِ ، فَأَمَّنُوهُ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : مَا بَقِيََ فِي
الْمَدِينَةِ أَحَدٌ يَمْنَعُكُمْ ؛ فَدَخَلُوا فَمَا وَجَدُوا فِيهَا غَيْرَ الْأَسَارَى وَذَلِكَ
الرَّجُلُ ، فَسَأَلُوهُ : لِأَيِّ شَيْءٍ هَرَبُوا ؟ فَقَالَ : بَعَثَ إِلَيْكُمْ الْمَلِكُ
بِالصُّلْحِ فَأَجَبْتُمُوهُ : أَلَّا صُلِّحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَبَدًا حَتَّى نَأْكُلَ عَسَلَ
أَفْرِيلُونَ بِأَنْتُرُجَّ كُوْتَى ؛ فَقَالَ الْمَلِكُ : يَاوَدَلْتِيهِ (٢) ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ
تَكَلَّمْنَ عَلَى أَلْسِنَتِهِنَّ تَرُدُّ عَلَيْنَا ، فَسَارُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْقُصُوصَى ، وَدَخَلَ
الْمُسْلِمُونَ الْمَدِينَةَ ، وَأَنْزَلَهُمْ سَعْدَ الْمَنَازِلِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) نهلوا : هموا .

(٢) من ابن الأثير .

(٣) في الأصول : « تأويله » ، وصوابه من ابن الأثير .

ذكر فتح المدائن الشرقية

التي فيها إيوان كسرى

قال (١): وأقام سعدٌ ببهرسير أياماً من صفر ، ثم قصد المدائن ، وقطع دجلة ، وهي تقذف بالزبد لكثرة المد ؛ وكان سبب عبوره أن عرجاً (٢) جاءه فقال : ما مقامك ؟ لا يأتي عليك ثالث حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن ، فهيجته ذلك على العبور ، فقام وخطب الناس ، وقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم هذا البحر ، فلا تخلصون إليه معه ، ويخلصون إليكم في سفنهم إذا شاءوا ، وليس وراءكم ما تخافون منه ، فقد كفاكم الله أهل الأيام ، وقد رأيت من الرأي أن تجاهدوا العدو ؛ إلا أنني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم ؛ فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشيد ، فافعل .

فندب الناس على العبور ، وقال : من يبدأ ويحمي لنا الفراض (٣) حتى تتلاحق به الناس ؛ لكيلا يمنعوهم من العبور ؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس في ستمائة من أهل النجدات : فاستعمل عليهم عاصماً ، فتقدمهم عاصم في ستين فارساً ، قد اقتحموا دجلة ، فلما رأهم الأعاجم ، وما صنعوا أخرجوا للخيال التي تقدمت مثلها ، فاقترحوا عليهم دجلة ، فلقوا عاصماً وقد دنا من الفراض ، فقال عاصم : الرماح الرماح ! أشرعوها ، وتوخوا العيون ، فالتقوا ،

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٥٦ .

(٢) العلاج : الرجل من كفار الميم .

(٣) الفراض : جمع قرصة ، وهي محطة السفن من النهر .

فقطعهم المسلمون في عيونهم ، فولَّوْا ولحِقَهم المسلمون ، فقتلوا
 أكثرهم ، ومن نجا صار أعور ، وتلاحقَ الستمائة بالسُّتين^(١) .
 ولما رأى سعدُ عاصماً على الفِراض قد منعها ؛ أذن للنَّاس في
 الافتحام ، وقال : نستعين بالله ، ونتوكلُ عليه ، حسبنا الله ونعم
 الوكيل ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليُّ العظيم . وأفتحهم النَّاس
 دِجَلَةً يتحدثون كما يتحدثون في البَرِّ ، وطَبَّقُوا دِجَلَةً حَتَّى مَا يُرَى
 مِنَ الشَّاطِئِ شَيْءٌ .

قال : ولم يكن بالمدائن أعجب من دُخول الماء ، وكان يُدعى
 يَوْمَ الجَرَاثِمِ ، لا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا ائْتَشَرَتْ^(٢) له جُرْثُومَةٌ مِنَ الْأَرْضِ
 يَسْتَرِيحُ عَلَيْهَا ؛ حَتَّى مَا يَبْلُغُ الْمَاءُ حِزَامَ فَرَسِهِ ، فَعَبَّرُوا سَالِمِينَ ،
 لَمْ يَعْدَمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَلَا عُدِمَ لِأَحَدٍ شَيْءٌ إِلَّا قَدَحٌ لِلْمَلِكِ بْنِ عَامِرٍ
 سَقَطَ . مِنْهُ فَجَرَى فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ الرِّيحُ إِلَى الشَّاطِئِ ، فَأَخَذَهُ
 صَاحِبُهُ ، فَلَمَّا رَأَى الْفُرْسُ عُبُورَهُمْ خَرَجُوا هُرَابًا نَحْوَ حُلُوانَ ، وَكَانَ
 يَزْدَجِرْدُ قَدْ قَدِمَ عِيَالُهُ إِلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ . وَلَمَّا هَرَبَ حَمَلُ أَصْحَابِهِ
 مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا قَدَّرُوا عَلَيْهِ مِمَّا خَفَ ، وَمِنْ النِّسَاءِ وَالذَّرَارِيِّ ،
 وَتَرَكَوا فِي الْخَزَائِنِ مِنَ الْمَتَاعِ وَالشِّيَابِ وَالْأَلْطَافِ مَا لَا تُدْرِكُ قِيَمَتُهُ ،
 وَتَرَكَوا مَا قَدْ أَعَدُّوه لِلْحِصَارِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَالْغَنَمِ وَالْبَقَرِ ، وَكَانَ فِي
 بَيْتِ الْمَالِ ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفٍ ، أَخَذَ مِنْهَا رِسْمٌ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ
 النِّصْفَ ، وَبَقِيَ النِّصْفُ .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ الْمَدَائِنَ كَتِيبَةُ الْأَهْوَالِ ، وَهِيَ كَتِيبَةُ

(١) بِهَا فِي ابْنِ الْأَثِيرِ : « غَيْرُ مُتَعَمِّينَ » .

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « ائْتَشَرَتْ » .

عاصم بن عمرو ، ثم كَتِيبَةُ الْخَرَسَاءِ وَهِيَ كَتِيبَةُ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو ،
فَأَخَذُوا فِي سِكَكِهَا وَأَحَاطُوا بِالْقَصِيرِ الْأَبْيَضِ وَبِهِ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ
الْفُرْسِ ، فَأَجَابُوا ^(١) إِلَى الْجَزِيَّةِ وَالذَّمَّةِ ، فَتَرَاجَعَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْمَدَائِنِ
عَلَى مِثْلِ عَهْدِهِمْ ، وَنَزَلَ سَعْدُ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ ، وَسَرَّحَ زُهْرَةَ فِي
آثَارِهِمْ إِلَى النَّهْرَوَانِ ، وَ[سَرَّحَ] ^(٢) مِقْدَارَ ذَلِكَ فِي كُلِّ جِهَةٍ .

وَكَانَ سَلْمَانَ الْفَارَسِيُّ رَائِدَ الْمُسْلِمِينَ وَرَاعِيَهُمْ . دَعَا أَهْلَ
بُهْرَسِيرِ ثَلَاثًا ، وَأَهْلَ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ ثَلَاثًا . وَاتَّخَذَ سَعْدُ إِيوَانَ
يَسْرَى مُصَلًّى ، وَلَمْ يَغْيَرْ مَا فِيهِ مِنَ التَّمَاثِيلِ ، وَلَمَّا دَخَلَ الْإِيوَانَ ،
قَرَأَ : (كَمْ تَرَكُّوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعَيْوُنٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) ^(٣) .
وَصَلَّى فِيهِ صَلَاةَ الْفَتْحِ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ ^(٤) ،
وَأَتَمَّ الصَّلَاةَ لِأَنَّهُ نَوَى الْإِقَامَةَ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ أُقِيمَتْ بِالْمَدَائِنِ
فِي صَفَرٍ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ .

(١) فِي ابْنِ الْأَثِيرِ : « وَدَعَاهُمْ فَاسْتَجَابُوا عَلَى تَأْدِيَةِ الْجَزِيَّةِ » .

(٢) زِيَادَةُ مِنْ ابْنِ الْأَثِيرِ .

(٣) سُورَةُ الدِّخَانِ ٢٥-٢٨ .

(٤) يَمْدَحُهَا فِي ابْنِ الْأَثِيرِ : « وَلَا يَصِلُ جَمَاعَةٌ » .

ذكر ما جمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها

قال : ^(١) وجعل سعدُ على الأقباض عمرو بن عمرو بن مِقْرَن ، وعلى القِسْمة سلمان بن ربيعة الباهلي ، فجمع ما في القصر والإيوان والدور ، وأحصى ما يأتيه به أهلُ الطُّلب ، وَوَجَدُوا بِالْمَدَائِنِ قِبَابَا تُرْكِيَّةً مملوغةً سلالاً مختومةً برصاصٍ فيها آنيةُ الذهب والفضة ، فكان الرجل يطوف ويبيعُ الذهبَ بالفضة مثلاً ^(٢) بمثل ، ورأوا كافوراً كثيراً فحسبوه ملحاً فعجنوا به فوجدوه مرّاً . وأدرك الطُّلبُ مع زهرة جماعةً من الفُرس على جسرِ النهرِوان فآزدهموا عليهم ، فوقع منهم بغلٌ في الماء فأخذه المسلمون وفيه حليّة كسرى وثيابه ، وخرزاته ووشاحه ، ودرعه المَجْوهر . ولحق بعضُ المسلمين بَغْلَيْنِ مع فارسين فقتلهما ، وأخذَ البَغْلَيْنِ فأوصلهما إلى صاحبِ الأقباض ، وهو يكتب ما يأتيه به الناس ، فاستوقفه حتى ينظرَ ما جاء به ؛ فإذا على أحدهما سَفْطَان ^(٣) فيهما تاجُ كسرى مُفسَخاً ^(٤) ، وكان حمله على أسطوانتين ، وفيه الجَوْهر ، وعلى البغلِ الثاني سَفْطَان فيهما ثيابُ كسرى من الدُّيباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجَوْهر ، وغير الدُّيباج منسوجاً منظوماً . وأدرك القعقاعُ فارسياً فقتله وأخذ منه عِيبَتَيْنِ في إحداهما

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٥٨ .

(٢) ابن الأثير : « مثائلي » .

(٣) السفط : وعاء كالجواني ، وفي الأصلين « يسقطان » تحريف ؛ صوابه من ابن

الأثير .

(٤) ابن الأثير : « مرصع » .

خمسةُ أسيافٍ ، وفي الأخرى ستةُ أسيافٍ ، وأذرع منها دِرْعُ كِسْرَى ،
ومَخَافِرُهُ وَسَيْفُهُ ، ودِرْعُ هِرْقَلٍ وَسَيْفُهُ ، ودِرْعُ شُوبِينَ وَسَيْفُهُ ،
ودِرْعُ سِيَاوَنَ وَسَيْفُهُ ، ودِرْعُ النعمانِ وَسَيْفُهُ ، وبقيةُ السيوفِ
لهُرْمُزٍ وَقُبَاذٍ وَفَيْرُوزٍ .

وكان الفُرسُ قد استلبوا أذراعَ ملوك الهند والترك والرومِ
وسبوقهم لما غزَوْهم ، فأحضر القعقاع ذلك إلى سعد فخيرَه في الأسيافِ
فاختار سيفَ هِرْقَلٍ ، وأعطاه دِرْعَ بَهْرَامٍ ، ونفلَ سائرَها إلا سيفَ
كِسْرَى [وسيف] ^(١) النعمانِ ، فبعثَ بهما إلى عُمَرَ بن الخطاب ؛
لتسمعَ العربُ بذلك بعد أن حَسَبَهُما في الأُخماسِ ، وبعثَ بتاج
كِسْرَى وحليَّتهِ وثيابهِ إلى عُمَرَ ليراه المسلمون .

قال : وأدركَ عِصْمَةُ بنُ خالدٍ الضُّبِّيَّ رجلينِ معهما حمارانِ ،
فقتل أحدهما وهرب الآخرُ ، وأخذَ الجِمارَيْنِ وأتى بهما إلى صاحبِ
الأقباضِ ، فإذا على أحدهما سَفْطَانٌ في أحدهما فَرَسٌ من ذهبٍ بِسَرَجٍ
من فِضَّةٍ على ثفره ولبَّته ^(٢) الياقوتُ والزُّبرجدُ ، ولجأٌ كذلك ،
وفارسٌ من فِضَّةٍ مُكَلَّلَةٌ بالجَوهَرِ . وفي الآخرِ ناقةٌ من فِضَّةٍ عليها
شليل ^(٣) من ذهبٍ ، وكلُّ ذلك منظومٌ بالياقوتِ ، وعليها رَجُلٌ
من ذهبٍ مُكَلَّلٌ بالجَوهَرِ ، كان كِسْرَى يصنعُها على أنسطوانتَي التَّاجِ .
وأدَّى المسلمون الأمانةَ في المَغْنَمِ ، ولما جُمِعَتِ الغنائمُ خَمَسُها سعدُ ، وقسَّم
مابقيَ من الخُمسِ والنَّفَلِ ^(٤) بين الناسِ ، وكانوا ستينَ ألفاً كلُّهم فارسٌ ،

(١) من ص . (٢) ابن الأثير : « ولباه » .

(٣) الشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل على حيز البعير من وراء الرجل .

(٤) النفل بالفتح : الغنية .

أَصَابَ كُلًّا مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَنَقَلَ مِنَ الْأَخْمَاسِ فِي أَهْلِ الْبَلَاءِ ، وَقَسَمَ
الْمَنَازِلَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَحْضَرَ الْعِيَالَاتِ فَأَنْزَلَهُمْ فِي الدُّورِ ، فَأَقَامُوا
بِالْمَدَائِنِ ؛ حَتَّى نَزَلُوا إِلَى الْكَوْفَةِ بَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنْ جُلُولَاءِ ، وَتَكَرُّبِ
وَالْمَوْصِلِ .

قال : وَأَرْسَلَ سَعْدُ فِي الْخُمْسِ كُلِّ شَيْءٍ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ الْعَرَبُ ، وَأَرَادَ أَنْ
يُخْرِجَ خُمْسَ الْقَطِيفِ فَلَمْ تَعْتَدِلْ قِسْمَتُهُ ، فَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ : هَلْ تَطِيبُ
نَفُوسَكُمْ بِأَرْبَعَةِ أَخْمَاسِهِ ، وَنَبْعَثُ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [يَضَعُهُ] ^(١) حَيْثُ
يَشَاءُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى عُمَرَ .

وَالْقَطِيفُ : بِسَاطٌ . وَاحِدٌ طَوْلُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ مِثْلُ ذَلِكَ
مِقْدَارَ جَرِيبٍ . كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ إِذَا ذَهَبَ الرِّيَاحِينَ بَعْدَ الْأَتْنَاءِ شَرَبُوا
عَلَيْهِ ، فَكَانَتْهُمْ فِي رِيَاضٍ ، فِيهِ طُرُقٌ كَالْقُصُورِ ، وَفُصُوصٌ كَالْأَنْهَارِ ،
أَرْضُهُ مُذَهَّبَةٌ ، وَخِلَالُ ذَلِكَ فُصُوصٌ كَالدَّرِّ ، وَفِي حَافَاتِهِ كَالْأَرْضِ
الْمَزْرُوعَةِ وَالْمُبْقَلَةِ بِالنَّبَاتِ وَالْوَرَقِ مِنَ الْحَرِيرِ عَلَى قُضْبَانِ الذَّهَبِ ،
وَأَزْهَارِهِ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَثَمَارُهُ الْجَوْهَرُ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى عُمَرَ اسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ ، فَأَشَارُوا بِقَطْعِهِ ،
فَقَطَّعَهُ بَيْنَهُمْ ، فَأَصَابَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِطْعَةً مِنْهُ ،
فَبَاعَهَا بِعِشْرِينَ أَلْفًا ، وَلَمْ تَكُنْ أَجْوَدَ مِنْ غَيْرِهَا .

ذكر وقعة جلولاء وفتح حلوان

كانت ^(١) وقعة جلولاء في أول ذي القعدة سنة ست عشرة ،
 بينها وبين المدائن تسعة أشهر ، وسببها أن الفرس لما هربوا من
 المدائن انتهوا إلى جلولاء ، فافتרכת الطرق بأهل أذربيجان والباب ،
 وأهل الجبال وفارس ، فقالوا : إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً ،
 وهذا مكان يفرق بيننا ، فهلّموا فلنجتمع للعرب به ، وأنقاتلهم
 فإن كانت لنا فهو الذي نحب ، وإن كانت الأخرى كنّا قد قضينا
 الذي علينا ، وأبلىنا عذراً . فاجتمعوا واحتفروا خندقاً ، واجتمعوا
 فيه على مهران الرازي ، وتقدم يزديجورد إلى حلوان ، فبلغ ذلك سعدا ،
 فأرسل إلى عمر ، فبعث إليه أن سرّح هاشم بن عتبة بن أبي وقاص
 إلى جلولاء ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وإن هزم الله
 الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل ، وليكن الجند اثني
 عشر ألفاً . ففعل سعد ذلك .

وسار هاشم من المدائن في وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام
 العرب ، فمرّ ببابل مهرود ، فصالحه دهقانها ، على أن يفرش له
 جريب الأرض دراهم ففعل ، ثم قدّم جلولاء فحاصرهم في خنادقهم ،
 وأحاط بهم ، وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون إلا إذا أرادوا ،
 وراجعهم المسلمون نحو ثمانين يوماً ، كل ذلك ينصر المسلمون

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٤ وما بعدها ابن الأثير ٢ : ٣٦١ وما بعدها .

عليهم ، وجعلت الأمدادُ تَرِدُ من يَزْدَجِرْدُ إلى مِهْران ، ومن سَعْدٍ إلى المسلمين .

وخرج الفُرسُ يوماً فقاتلوا قتالاً شديداً ، وأرسل الله عليهم ريحاً حتى أظلمت عليهم البلاد ، فسقط فرسانهم في الخندق ، فجعلوا فيه طُرُقاً تصعد منها خيلهم ، ففسد الخندق ، فنهض المسلمون وأقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، ولا لَيْلَةَ الهَرِير ، إلا أنه كان أعجل . وأنتهى القَعْقَاعُ من الوجه الذي زَحَفَ منه إلى باب الخندق ، وأمر منادياً فنادى : يا معشر المسلمين ، هذا أميركم قد دخل الخندق ، فأقبلوا إليه ، ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله ، فحملوا وهم لا يشكُّون أنَّ هاشماً في الخندق ، فإذا هم بالقَعْقَاعُ ، نأهزم الفُرسُ يَمْنَةً ويسرة ، وأتبعهم المسلمون ، فلم يُفْلِتْ منهم إلا القليل ، وقُتِلَ منهم يومئذٍ مائة ألف ، فجللت القتلى المجال ، وما بين يديه وما خلفه ، فسميتْ جُلُولاء بما جلَّلها من قتلاهم ^(١) ، وسار القَعْقَاعُ في الطلب حتى بلغ خانقين ، فأدرك مِهْرانَ الرازي فقتله ، وأدرك الفَيْرُزان ، فنزل وتوقَّل ^(٢) في الجبل فنجا ، وأصاب القَعْقَاعُ سبائاً فأرسلهم إلى هاشم فقسَّمهم ، فأستولدهنَّ المسلمون ، ومن يُنسب إلى ذلك السبي أمُّ الشَّعْبِي .

قال : ولما بلغت الهزيمةُ يَزْدَجِرْدُ سار من حُلوان نحو الرِّي ، واستخلف على حُلوان خُسرْشَنوم ^(٣) ، فلما وصل القَعْقَاعُ قصرَ

(١) بعدما في ابن الأثير : « ففى جلُولاء الوقية » .

(٢) رقل في الجبل : صعد ، كقول .

(٣) ابن الأثير : « خسرْشَنوم » .

شِيرِينَ خَرَجَ إِلَيْهِ خَسْرَشْنُومَ ، وَقَدِمَ إِلَيْهِ الزَّيْنَبِيُّ دِهْقَانُ حُلْوَانَ ،
فَقَتَلَهُ الْقَعْقَاعَ ، وَهَرَبَ خَسْرَشْنُومَ ، وَأَسْتَوَلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى حُلْوَانَ ،
وَكَانَ فَتَحَهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَبَقِيَ الْقَعْقَاعُ بِهَا إِلَى أَنْ تَحُولَ مَعَهُ
إِلَى الْكَوْفَةِ ، فَلَحِقَهُ ، وَأَسْتَخْلَفَ عَلَى حُلْوَانَ قُبَادَ ، وَكَانَ أَصْلُهُ خُرَاسَانِيًّا ،
وَكَتَبُوا إِلَى عَمْرِ بِالْفَتْحِ ، وَاسْتَأْذَنُوهُ فِي الْمُبُورِ فَبَأَى ، وَقَالَ :
لَوِدِدْتُ أَنَّ بَيْنَ السُّوَادِ وَالْجَبَلِ سَدًّا لَا يَخْلُصُونَ إِلَيْنَا وَلَا نَخْلُصُ
إِلَيْهِمْ ، حَسْبُنَا مِنَ الرَّيْفِ السُّوَادَ ، إِنِّي آثَرْتُ سَلَامَةَ الْمُسْلِمِينَ
[عَلَى الْأَنْفَالِ] (١) .

قال : وَجُمِعَتِ الْغَنَائِمُ وَتُسِمَتْ بَعْدَ الْخَمِيسِ ، فَأَصَابَ كُلُّ
فَارِسٍ تِسْعَةَ آلَافٍ ، وَتِسْعَةٌ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَقُسِمَ الْفَيْءُ عَلَى ثَلَاثِينَ
أَلْفًا .

وقيل : إِنَّ الْغَنِيمَةَ كَانَتْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَبَعَثَ سَعْدٌ بِالْخَمِيسِ
إِلَى عَمْرِ ، وَهُوَ سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفٍ ، وَبَعَثَ الْحَسَابَ مَعَ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ،
فَكَلَّمَهُ عَمْرٌُ فَبِأُجَاءَ لَهُ ، فَوَصَفَهُ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌُ : هَلْ تَسْتَطِيعُ
أَنْ تَقُومَ فِي النَّاسِ بِمِثْلِ مَا كَلَّمْتَنِي ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ
أَهْيَبَ فِي صَدْرِي مِنْكَ ، فَكَيْفَ لَا أَقْوَى عَلَى هَذَا مَعَ غَيْرِكَ !
فَقَامَ فِي النَّاسِ فَتَكَلَّمَ بِمَا أَصَابُوا وَبِمَا صَنَعُوا ، وَبِمَا يَسْتَأْنِفُونَ مِنْ
مِنِ الْإِنْسِيَاكِ فِي الْبِلَادِ .

فَقَالَ عَمْرٌُ : هَذَا الْخَطِيبُ الْمِضْقَعُ ، فَقَالَ : إِنَّ جُنْدَنَا [بِالْفِعَالِ] (١)
أَطْلَقُوا أَلَيْسَتَنَا .

قال : ولَمَّا قَدِمَ الخُمُسُ على عمرَ قال : والله لا يُجِنُّهُ سَقْفٌ حَتَّى أَقْسِمَهُ ، فَبَاتَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ وعبدُ الله بنُ الأَزْقَمِ يَحْرُسَانِهِ في المَسْجِدِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عمرُ جَاءَ في النَّاسِ فَكَشَفَ عَنْهُ ، فَلَمَّا جَاءَ ونَظَرَ إلى يَاقوتِهِ وَزَبَرَ جَدِّهِ وَجَوْهَرِهِ بِكِي ، فَقَالَ عبدُ الرحمنِ ابنُ عوفٍ : مَا يُبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمَوْطِنُ شُكْرٍ . فَقَالَ عمرُ : [وَاللَّهِ مَا ذَاكَ يَبْكِيَنِي ، وَبِاللَّهِ] ^(١) مَا أَعْطَى اللَّهُ هَذَا قَوْمًا إِلَّا تَحَاسَدُوا وَتَبَاعَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا إِلَّا أَلْقَى اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ .

وَمَنَعَ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قِسْمَةِ السَّوَادِ لِتَعَذُّرِ ذَلِكَ بِسَبَبِ الْأَجَامِ وَالْغِيَاضِ ، وَمَقْيِضِ ^(٢) الْمِيَاءِ ، وَمَا كَانَ لِبُيُوتِ النَّارِ ، وَلِسَكِّ الْبُرْدِ ، وَمَا كَانَ لِكُسْرَى وَمَنْ مَعَهُ ، وَخَافَ الْفِتْنَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُقَسِّمَهُ ، وَمَنَعَ مِنْ بَيْعِهِ ، فَلَا يَحِلُّ بَيْعُ شَيْءٍ مِنْ أَرْضِ السَّوَادِ مَا بَيْنَ حُلُوانٍ وَالْقَادِسيَّةِ .

قال : وَأَشْتَرَى جَرِيرٌ أَرْضًا على شَاطِئِ الْفُرَاتِ ، فَرَدَّ عمرُ ذَلِكَ الشَّرَاءَ وَكَرِهَهُ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) من ابن الأثير .

(٢) ابن الأثير : « وَتَبْيِضُ الْمِيَاءُ » .

ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة وفتح الأبله

قد اختلف المؤرخون في وقت ولايته البصرة ، وهل كانت من قبل عمر بن الخطاب أو من قبل سعد بن أبي وقاص بأمر عمر . فأما من يقول : إن ولايته من قبل عمر ، فإنه جعلها في سنة أربع عشرة ، وأن نزوله البصرة كان في شهر ربيع الأول أو الآخر ، بعثه عمر إليها ، وكان بالبصرة قطبة بن قتادة السدوسي يغير بتلك النواحي ، كما يغير المشني بالحيرة ، فكتب إلى عمر يعلمه مكانه ، وأنه لو كان معه عدد يسير لظفر بمن قبله من العجم ، فنفاهم عن بلادهم . فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر ، ووجه إليه شريح بن عامر أحد بني سعد بن بكر ، فاقبل إلى البصرة ونزل بها قطبة ، ومضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس ، وفيها مسلحة الأعاجم ، فقتلوه .

فبعث عمر عتبة بن غزوان ، وقال له : إني قد استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومات العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، ويعينك عليها . وقد كتبت إلى الغلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة ، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو ، فإذا قدم عليك فاستشره وأدع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية ، وإلا فالسيف ، وأوصاه ثم قال له : انطلق أنت ومن معك ، حتى إذا كنتم في [أفصى]^١ أرض العرب ، وأذنني أرض العجم فاقبموا .

فسار عُتْبَةُ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْمَرِيدِ ^(١) تَقَدَّمُوا حَتَّى بَلَغُوا
حِيَالَ الْجِسْرِ ، فَتَزَلُّوا ، فَبَلَغَ صَاحِبَ الْفَرَاتِ خَبْرَهُمْ ، فَأَقْبَلَ
فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَالْتَقَوْا فَقَاتَلَهُمْ ، عُتْبَةُ بَعْدَ الزَّوَالِ وَهُوَ فِي خُمْسَمَائِهِ ،
فَقَتَّلَهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَاحِبُ الْفَرَاتِ ، فَأُخِذَ أَسِيرًا .

وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ : إِنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ أَرْسَلَهُ ، فَقَالَ : إِنَّ
الْبَصْرَةَ مُصْرَتْ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ بَعْدَ جُلُولَاءِ وَتَكْرِيتِ ، فَأَرْسَلَهُ
سَعْدٌ إِلَيْهَا بِأَمْرِ عُمَرَ ، وَإِنَّ عُتْبَةَ لَمَّا نَزَلَ الْبَصْرَةَ أَقَامَ بِهَا نَحْوَ شَهْرٍ ،
فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأُبُلَّةِ ، وَكَانَ بِهَا خُمْسَمَائِهِ أُسُورَ ^(٢) يَحْمُونَهَا ، وَكَانَتْ
مَرْفَأَ الشُّفَنِ مِنَ الصَّيْنِ ، فَقَاتَلَهُمْ عُتْبَةُ فَهَزَمَهُمْ ، حَتَّى دَخَلُوا الْمَدِينَةَ ،
وَرَجَعَ عُتْبَةُ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَأَلْقَى اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْفُرْسِ ، فَخَرَجُوا
عَنِ الْمَدِينَةِ وَحَمَلُوا مَا خَفَّ ، وَعَبَرُوا الْمَاءَ ، وَأَخْلَوْا الْمَدِينَةَ وَدَخَلَهَا الْمُسْلِمُونَ
وَأَصَابُوا مَتَاعًا وَسِلَاحًا وَسَبْيًا ، فَاقْتَسَمُوهُ بَعْدَ أَنْ خَمَسَهُ عُتْبَةُ ، وَكَانَ
الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَمِائَةٍ ، وَكَانَ فَتْحُهَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ أَوْ شَعْبَانَ ، ثُمَّ نَزَلَ
مَوْضِعَ مَدِينَةِ الرُّزْقِ ، وَخَطَّ مَوْضِعَ الْمَسْجِدِ ، وَبَنَاهُ بِالْقَصَبِ . وَكَانَ
أَوَّلَ مَوْلُودٍ وَلِدَ بِالْبَصْرَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، فَلَمَّا وَلِدَ نَحَرَ أَبُوهُ
جَزُورًا فَكَفَّنْتَهُمْ لِقَلَّةِ النَّاسِ ، ثُمَّ جَمَعَ اللَّهُ أَهْلَ دَسْتُمِيَّانَ ، فَلَقِيَهُمْ عُتْبَةُ
فَهَزَمَهُمْ وَأَخَذَ مَرْزُبَانَهَا أَسِيرًا ، وَأَخَذَ قَتَادَةَ مِنْطَقَتَهُ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى
عُمَرَ مَعَ أَنَسِ بْنِ حُجَيْبٍ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : كَيْفَ النَّاسُ ؟ فَقَالَ : انْهَالَتْ
عَلَيْهِمُ الدُّيُنَا ، فَهُمْ يَهِيلُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، فَرَعَبَ النَّاسُ فِي الْبَصْرَةِ
فَاتَّوْهَا ، وَاسْتَعْمَلَ عُتْبَةُ مَجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ عَلَى جَمَاعَةٍ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى

(١) المرید : سوق بالبصرة .

(٢) الأسوار ، بضم الهنزة ، الفارس من فرسان العجم ، وجمعه أساوره .

الْفُرَاتِ واستخلفَ المَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ عَلَى الصَّلَاةِ ؛ إِلَى أَنْ يَقْدَمَ مُجَاشِعٌ
فَإِذَا قَدِمَ فَهُوَ الْأَمِيرُ .

وسارَ عَتَبَةُ إِلَى عُمَرَ ، فَطَفِرَ مُجَاشِعٌ بِأَهْلِ الْفُرَاتِ . وَجَمَعَ الْفِيلَكَانَ
(عَظِيمَ مِنَ الْقُرُسِ) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، فَلَقِيَهُ بِالْمَرْغَابِ
فَاقْتَتَلُوا . فَقَالَ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ : لَوْ لَحِقْنَا بِهِمْ ، فَكُنَّا مَعَهُمْ ؛ فَاتَّخَذْنَ
مِنْ خُمُرِهِنَّ رَايَاتٍ ، وَسَرْنَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَكَتَبَ الْمَغِيرَةُ إِلَى عُمَرَ بِالْفَتْحِ ، فَقَالَ عُمَرُ لِعَتَبَةَ : مِنْ أَسْتَعْمَلْتَ
بِالْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ : مُجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ . قَالَ : أَسْتَعْمِلْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
الْوَبَرِ عَلَى أَهْلِ الْمَدَرِ ، وَأَخْبِرْهُ مَا كَانَ مِنَ الْمَغِيرَةِ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ
إِلَى عَمَلِهِ ، فَمَاتَ بِالطَّرِيقِ . وَقِيلَ فِي وَفَاتِهِ غَيْرُ ذَلِكَ :

وَكَانَ مِنْ سُبَيْيَ مِنْ مَيْسَانَ يَسَارُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، وَأَرْطَبَانِ
جَدَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ بْنِ أَرْطَبَانَ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

ذَكَرَ فَتْحَ تَكْرِيتٍ وَالْمَوْصِلِ

وَفِي ^(١) سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ فِي جَمَادَى فُتِحَتْ تَكْرِيتٌ ؛ وَذَلِكَ
أَنَّ الْأَنْطَاقَ سَارَ مِنَ الْمَوْصِلِ إِلَى تَكْرِيتٍ ، وَخَذَقَ عَلَيْهِ لِيَحْمِيَ أَرْضَهُ
وَمَعَهُ الرُّومُ وَإِيَادُ ، وَتَغْلِبُ ، وَالنَّعِيرُ ، وَالشَّهَارِجَةُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ
سَعْدًا فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ ، فَأَمَرَهُ : أَنْ سَرَّحَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُتَمِّمِ ،
وَاسْتَعْمِلَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ رَبِيعًا بْنَ الْأَفْكَلِ ، وَعَلَى الْخَيْلِ عَرْقَجَةَ
ابْنَ هَرَثَمَةَ .

فسار عبدُ الله إلى تكريت ، وحصر الأنطاك ومن معه أربعين يوماً ، وتزاحفوا في المدة أربعة وعشرين زحفاً ، ثم أرسل عبدُ الله إلى العرب الذين مع الأنطاك يدعُوهم إلى الإسلام ، فأسلموا ، وأعلموا أنَّ الروم قد نقلوا متاعهم إلى السفن ، فأرسل إليهم : إذا سمعتم التكبير فاعلموا أنَّنا على أبواب الخندق ، فخذوا الأبواب التي تلي دجلة ، وكبروا ، واقتلوا من قدرتم عليه ، ففعلوا ذلك ، وأخذت الروم السيوف من كل جانب .

وأرسل عبدُ الله ربيعاً بنَ أفكل إلى الحصنين وهما نينوى وهو الحصن الشرقي ، والموصل وهو الحصن الغربي : وقال : اسبق الخبر ، وسرَّح معه تغلب ، وإياد ، والنمير ، فأظهروا الظفر والغنيمة ، وبشروهم ، ووقفوا بالأبواب . وأقبل ابنُ الأفكل فافتحهم الحصن فسألوا الصلح : وصاروا ذمةً ، وقُسمت الغنيمة ، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف ، وسهمُ الرَّاجل ألف درهم ، وبعثوا بالأخماس إلى عمر ، ووئى الموصل ربيعاً بنَ الأفكل ، والخراج عرقجة بنَ هرثة .

وقيل : إنَّ فتحَ الموصل كان في سنة عشرين لما استعمل عمرُ عتبة بنَ قرقَد لقضدِها ، وأنه فتحَ المَرَج ، وبانهذرا ، وباعذرا ، وجيتون ، وداسن وجميع معاقل الأكراد ، وقردى وبازبدي : وجميع أعمال الموصل .

وقيل : إنَّ عياض بنَ غنم لما فتح بلد أتى الموصل ففتح أحدَ الحصنين ، وبعثَ عتبة بنَ قرقَد إلى الحصن الآخر ، ففتحه على الجزية والخراج ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر فتح ما سبذان

لما (١) رجع هاشمُ بنُ عتبةَ بن أبي وقاص من جلولا إلى المدائن بلغ سعدًا أن آذين بن الهُرْمُزَان قد جمع جمعًا وخرج بهم إلى السَّهْل ، فأرسل إليهم ضِرَارَ بنَ الخطَّاب في جيش ، فالتقوا بسَهْلٍ مَسْبَدَانٍ وأقتتلوا ، فأسرع المسلمون في المشركين ، وأخذ ضِرَار آذينَ أسيرًا فقتله ، ثم خرج في الطَّلَب حتى أنهى إلى السَّيْرَوَان ، فأخذ مَسْبَدَان عَنُوةً ، وهرب أهلها في الجبال ، فدعاهم فاستجابوا له ، وأقام بها حتى تحوَّل سعدٌ إلى الكوفة ، فسار إليه ، وأستخلف على مَسْبَدَانَ أبنَ الهُدَيْلِ الأَسَدِيّ ، فكانت أحدُ فُروجِ الكوفة .

وقيل : إن فتحها كان بعد وقعة نَهاوَنَد ، والله أعلم .

ذكر فتح قرقيسيا

وفي (٢) سنة ست عشرة أيضا ، أرسل سعدُ بن أبي وقاص عمرَ بن مالك بن عتبة في جند ، وجعل على مقدّمته الحارث بن يزيد العامريّ ، فخرج نحو هيت ، فنازل من بها ، وقد خندقوا عليهم ، وكان أهل الجزيرة لما أمدّوا هرقل على أهل حِمص كما ذكرنا ، بعثوا جنودًا إلى أهل هيت ، فلما رأى عمرُ اعتصامهم بخندقهم ، ترك الأخبية على حالها ، وخلف عليهم الحارث (٣) في نصف الناس ،

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٦٦ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٣٦٦ .

(٣) ابن الأثير : « الحارث بن يزيد » .

وسار بالنَّصَفِ الثَّانِي إِلَى قَرْقِيسِيَا ، فَجَاءَهَا عَلَى غِرَّةٍ فَأَخَذَهَا عَنُوةً ،
فَأَجَابُوا إِلَى الْجَزِيَّةِ . وَكُتِبَ إِلَى الْحَارِثِ : إِنَّهُمْ اسْتَجَابُوا فَخَلَّ
عَنْهُمْ فَلْيُخْرِجُوا وَإِلَّا خَنَدِيقَ عَلَى خَنَدَقِهِمْ خَنَدَقًا ، وَاجْعَلْ أَبْوَابَهُ
مِمَّا يَلِيكَ حَتَّى أَرَى رَأْيِي . فَرَأَسَلَهُمْ ، فَأَجَابُوا إِلَى الْعُودِ إِلَى بِلَادِهِمْ ،
فَتَرَكَهُمْ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ
وَالْمَآبُ .

ذكر فتح الأهواز ومناذر ونهر تيرى

وفى ^(١) سنة سبع عشرة فُتِحَتْ الْأَهْوَازُ ، وَمَنَاذِرُ وَنَهْرُ تِيرَى ،
وقيل : كان في سنة ست عشرة ^(٢) ، وكان سببُ هذا الفتح :
أَنَّ الْهَرْمُزَانَ ، وَهُوَ أَحَدُ الْبِيُوتَاتِ السَّبْعَةِ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ لَمَّا أَنهَزَمَ
يَوْمَ الْقَادِسيَّةِ قَصْدَ خُوزِشْتَانَ فَمَلَكَهَا ، وَكَانَ يُغِيرُ عَلَى أَهْلِ بَيْسَانَ ،
وَدَسْتُمَيْسَانَ مِنْ مَنَاذِرَ ، وَنَهْرُ تِيرَى ، فَاسْتَمَدَّ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ أَمِيرُ
الْبَصْرَةِ سَعْدًا ، فَأَمَدَّهُ بِنُعَيْمِ بْنِ مُقَرَّنٍ وَنُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَأَمَرَهُمَا
أَنْ يَأْتِيَا أَعْلَى مَيْسَانَ وَدَسْتُمَيْسَانَ حَتَّى يَكُونَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَهْرِ تِيرَى ،
وَوَجْهَ عُتْبَةَ بْنُ غَزْوَانَ سُلَيْمَى بْنُ الْقَيْنِ ، وَحَرْمَلَةَ بْنَ مُرَيْطَةَ -
وَكَانَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ - فَتَنَزَلَا عَلَى حُدُودِ مَيْسَانَ ، وَدَسْتُمَيْسَانَ بَيْنَهُمَا
وَبَيْنَ مَنَاذِرَ ، وَدَعَا بَنِي الْعَمِّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا غَالِبُ الْوَائِلِيِّ ، وَكُلَيْبُ
ابْنُ وَائِلٍ وَالْكَلْبِيُّ ، تَوَاعَدُوا فِي يَوْمٍ ، أَنَّ سُلَيْمَى وَحَرْمَلَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى
الْهَرْمُزَانَ ، وَأَنَّ غَالِبًا وَكُلَيْبًا يَثُورُ أَحَدُهُمَا بِمَنَاذِرَ ، وَالْآخَرُ بِنَهْرِ تِيرَى ،

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ : ٣٧٩ وما بعدها .

(٢) ابن الأثير : د وقيل سنة عشرين .

فلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْمَوْعِدِ خَرَجَ سُلَيْمَى وَحَرْمَلَةُ صَبِيحَتَهَا ، وَأَنْهَضَا نُعِيمًا
وَمِنْ مَعَهُ ، وَالتَقَوْا هُمُ وَالْهَمُّ مِزَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَنَهْرَ تِيرِي ، وَاقْتَتَلُوا ،
فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ الْمَدْدُ مِنْ قَبْلِ غَالِبٍ وَكَلْبِيبٍ ، وَأَتَى الْهَرْمُزَانَ
الْعَبْرُ بِأَخْذِ مَنَازِرٍ وَنَهْرَ تِيرِي ، فَانْهَزَمَ بَيْنَ مَعَهُ ، فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ
مِنْهُمْ مَا شَاءُوا ، وَاتَّبَعُوهُمْ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى شَاطِئِ دُجَيْلٍ ، وَأَخَذُوا
مَا دُونَهُ ، وَعَسَكَرُوا بِجِبَالِ سُوقِ الْأَهْوَازِ ، وَصَارَ دُجَيْلٌ بَيْنَ
الْهَرْمُزَانِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَعِنْدَهَا طَلَبَ الْهَرْمُزَانُ الصُّلْحَ ،
فَاسْتَأْمَرُوا عَتَبَةً ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ عَلَى الْأَهْوَازِ كُلِّهَا وَمِهْرَجَانَ قَذَقِ
مَا خِلا نَهْرَ تِيرِي وَمَنَازِرَ ، وَمَا غَلَبُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوقِ الْأَهْوَازِ ؛
فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ ، وَجَعَلَ عَتَبَةُ سُلَيْمَى بْنُ الْقَيْثِ عَلَى مَنَازِرِ
مَسْلُحَةً ، وَأَمَرَهَا إِلَى غَالِبٍ ، وَجَعَلَ حَرْمَلَةُ عَلَى نَهْرِ تِيرِي ، وَأَمَرَهَا إِلَى
كَلْبِيبٍ ، فَكَانَ سُلَيْمَى وَحَرْمَلَةُ عَلَى مَسَالِحِ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ غَالِبٍ
وَكَلْبِيبٍ وَبَيْنَ الْهَرْمُزَانِ اخْتِلَافٌ فِي حُدُودِ الْأَرْضَيْنِ ، فَحَضَرَ سُلَيْمَى وَحَرْمَلَةُ
لِيَنْظُرَا ^(١) فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَوَجَدَا ^(٢) الْحَقَّ بِيَدِ غَالِبٍ وَكَلْبِيبٍ فَحَالًا ^(٣)
بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا ، فَكَفَرَ الْهَرْمُزَانُ وَمَنَعَ مَا قَبْلَهُ ، وَاسْتَعَانَ بِالْأَكْرَادِ
وَكَثَّفَ [جُنْدَهُ] ^(٤) .

فَكَتَبَ سُلَيْمَى وَمِنْ مَعَهُ إِلَى عَتَبَةٍ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرِءَ فَأَمَرَهُ بِقَضَائِهِ ،
وَأَمَدَّ الْمُسْلِمِينَ بِحُرْقُوصِ بْنِ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ ، وَكَانَتْ لَهُ صُخْبَةٌ ،
وَأَمَرَهُ عَلَى الْقِتَالِ ، وَمَا غَلَبَ عَلَيْهِ .

(١) ك ، ص : « لِيَنْظُرُوا » والصواب ما أثبت من ابن الأثير .

(٢) ك : « فَوَجَدُوا » .

(٣) ك : « فَحَالًا » بِالْجِيمِ .

(٤) من ابن الأثير .

وسار الهرمزان ومن معه ، وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز وأرسلوا إليه : [إمّا] ^(١) أن تعبر إلينا أو نَعْبُرْ إليك . قال : اعبروا إلينا ، فعبروا فوق الجسر ، وأقتتلوا ممّا يلي سوق الأهواز ، فانهزم الهرمزان وسار إلى رامهرمز ، وفتح خرّقوص سوق الأهواز ونزل بها ، واتّسقت له بلادها إلى تَستَر ، ووَضَعَ الجزية ، وكتب بالفتح إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وبعث إليه بالأخماس .

ذكر صلح الهرمزان

وأهل تَستَر مع المسلمين

ولما ^(٢) انهزم الهرمزان من سوق الأهواز ، جهّز خرّقوص جزء ابن معاوية في أثره ، فاتّبعه وقتل من أصحابه حتى انتهى إلى قرية الشّعر ، فأعجزه الهرمزان ، فمال جزء إلى دُورق ، وهى مدينة سُرق ، فأخذها صافية ، ودعا من هرب إلى الجزية ، فأجابوه .

وكتب إلى عمر وعتبة بذلك ، فكتب عمر إليه وإلى خرّقوص بالمُعَامَ فيما غلبا عليه حتى يأمرهما بأمره ، فعمر جزء البلاد ، وشقّ الأنهار ، وأحيا الموات ، ورأسلهم الهرمزان في طلب الصلح ، فأجاب عمر إلى ذلك ، وأن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم ، فأصطلحوا على ذلك .

ونزل خرّقوص جبل الأهواز ، فشقّ على الناس الاختلاف إليه ،

(١) من ص .

(٢) ابن الأثير ٢ : ٣٨٢ .

فبلغ ذلك عمر ، فأمره بنزول السَّهْلِ ، وألا يَشُقَّ على مسلمٍ ولا مُعَاهِدٍ ، ويَقَى حُرُوقَ إلى يومِ صَفِين ، ثم صار حُرُورِيًّا وشَهِدَ النَّهْرَوانَ مع الخوارج . والله تعالى أعلم بالصواب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر فتح رامهرمز

قد (١) اختلف النَّاسُ في وقتِ هذا الفَتْحِ ، فقيل : كان في سنة سَبْعَ عشرة . وقيل : سنة تسعَ عشرة . وقيل : في سنة عشرين .

وكان سببُه أن يَزْدَجِرِدَ وهو بِمَرْوَلَمْ يَزَلْ يُؤَيِّرُ أَهْلَ فَارِسَ ، أَسْمًا على ما خرج من مُلْكِهِمْ ، فتمَحَرَّكُوا وتكاتَبُوا هم وأهل الأَهْوَازِ وتعاقدوا على النُّصْرَةِ ، فَنَمَى الخَيْرُ إلى حُرُوقِ بنِ زُهَيْرٍ ، وَجَزءُ وسُلْمَى وحَزْمَلَةُ ، فَكَتَبُوا إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِذلك . فَكَتَبَ عمرُ إلى سَعْدٍ : أَنِ ابْعَثْ إلى الأَهْوَازِ جُنْدًا كَثِيفًا مع النُّعْمَانِ ابنِ مَقْرَنٍ وَعَجَلْ : فَلْيَنْزِلُوا بِإِزاءِ الهَرَمْزَانِ وَيَتَحَقَّقُوا أَمْرَهُ .

وكتب إلى أبي موسى الأشعري ، وهو على البصرة : أَنِ ابْعَثْ إلى الأَهْوَازِ جُنْدًا كَثِيفًا ، وَأْمُرْ عَلَيْهِمُ سَهْلَ بنَ عَدِيٍّ ، أَخَا سَهِيلٍ ، وَابْعَثْ معه البراءَ بنَ مَالِكٍ وعَرْفَجَةَ بنَ هَرِثَةَ وغيرهم ، وعلى أهل الكوفة والهبصرة جميعًا أَبُو سَبْرَةَ بنَ أَبِي رُهم .

فخرج النُّعْمَانُ بنُ مَقْرَنٍ في أَهْلِ الكُوفَةِ : وسار إلى الأَهْوَازِ على

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٨٣ ، ابن الأثير ٢ : ٣٨٢ .

البغال ، يَجْنُبُونَ ^(١) الخيل ، فخلَفَ حُرْقُوصًا وَسَلَمَى وَحَرْمَلَةً ،
وسار نحو الهرمزان وهو برامهرْمُز . فلَمَّا سَمِعَ الهرمزان بِمَسِيرِ النعمان
إِلَيْهِ ، بَادَرَ رَجَاءً أَنْ يَقْتِطِعَهُ ، فَالْتَقِيَا بِأَرْبُك (موضع عند الأهواز) ،
واقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْهَرْمَزَانَ ، فَتَرَكَ رَامَهُرْمُزَ ،
وَنَزَلَ تُسْتَرَ ، وسار النعمان إلى رَامَهُرْمُزَ فَنَزَلَهَا وَضَعِدَ عَلَى إِيذِج ^(٢)
فصالحه تَبَرُّوِيَّةَ عَلَيْهَا وَرَجَعَ إِلَى رَامَهُرْمُزَ ، وَأَقَامَ بِهَا ، وَوَصَلَ
أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَنَزَلُوا سَوْقَ الْأَهْوَازِ ، وَهُمْ يُرِيدُونَ رَامَهُرْمُزَ .

فَأَتَاهُمْ خَبَرُ الْوَقْعَةِ وَمَسِيرِ الْهَرْمَزَانَ إِلَى تُسْتَرَ ، فَسَارُوا نَحْوَهُ ،
وسارَ أَيْضًا النُّعْمَانُ وَحُرْقُوصٌ وَسَلَمَى وَحَرْمَلَةٌ وَجَزَاءُ ، فَاجْتَمَعُوا
عَلَى تُسْتَرَ ، وَبِهَا الْهَرْمَزَانُ وَجُنُودُهُ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ وَالْجِبَالِ وَالْأَهْوَازِ ،
وَهُمْ فِي الْخَنَادِقِ ، وَأَمَدَّهُمْ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ،
وَجَعَلَهُ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ : وَعَلَى جَمِيعِ النَّاسِ أَبُو سَبْرَةَ ، فَحَاصَرُوهُمْ
أَشْهُرًا ، وَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ .

وَقَتَلَ الْبِرَاءُ بْنُ مَالِكٍ فِي هَذَا الْحَصَارِ مِائَةً مُبَارَزٍ بِسِوَى مَنْ قُتِلَ
فِي غَيْرِ الْمُبَارَازَةِ ، وَقَتَلَ مِثْلَهُ مَجْزُوءَةُ بْنُ ثَوْرٍ وَكَعْبُ بْنُ ثَوْرٍ ،
وَزَا حَقَّهُمُ الْمُسْلِمُونَ ^(٣) أَيَّامَ تُسْتَرَ ثَمَانِينَ زَحْفًا يَكُونُ مَرَّةً لَهُمْ
وَمَرَّةً عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ زَحْفٍ فِيهَا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، قَالَ
الْمُسْلِمُونَ : يَا بَرَاءُ ، اقْسِمِ عَلَى رَبِّكَ لِيَهْزِمَنَّهُمْ ، وَكَانَ مُجَابِبَ الدَّعْوَةَ
فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَهْزِمْهُمْ لَنَا ، وَاسْتَشْهِدْنِي ، فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ

(١) يقال : جنب الدابة إذا قادها إلى جنبه .

(٢) الطبري : « ثم صعد لايذج » .

(٣) الطبري : « المشركون » .

خنادقهم ، ثم أقتحموها عليهم ، فدخلوا مدينتهم ^(١) ، وأحاطوا بها المسلمون ، فضاقت المدينة بهم . فبينما هم كذلك إذ خرج إلى النعمان رجلٌ يَسْتَأْذِنُهُ عَلَى أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَدْخَلٍ يَدْخُلُونَ مِنْهُ ، وَرُمِيَ فِي نَاحِيَةِ أَبِي مُوسَى بِسَهْمٍ مَكْتُوبٍ عَلَيْهِ : إِنْ أَمْتَمْتُمُونِي دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَكَانٍ تَأْتُونَ مِنْهُ الْمَدِينَةَ ، فَأَهْنُوهُ فِي سَهْمٍ ، وَرُمِيَ إِلَيْهِمْ بِسَهْمٍ آخَرَ وَقَالَ : اسْلُكُوا مَنْ قَبْلَ مَخْرَجِ الْمَاءِ ؛ فَإِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَهَا . فَتَدْبِرُ أَبُو مُوسَى النَّاسَ فَانْتَدَبُوا ، وَتَدْبِرُ النُّعْمَانُ أَصْحَابَهُ مَعَ الرَّجُلِ الَّذِي جَاءَهُمْ ؛ فَالْتَقَوْا هُمْ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَى مَخْرَجِ الْمَاءِ ، فَدَخَلُوا فِي السَّرْبِ ، وَلَمَّا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ كَبُرُوا وَكَبِرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَارِجٍ ، وَفُتِحَتِ الْأَبْوَابُ فَاجْتَلَدُوا فِيهَا ، فَأَنَامُوا كُلُّ مُقَاتِلٍ .

وَقَصَدَ الْهَرَمَزَانَ الْقَلْعَةَ ، فَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَلَحِقَ بِهِ جَمَاعَةٌ ، وَظَافَ بِهِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْبِلَادَ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى حُكْمِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَأَوْثَقُوهُ وَأَقْتَسَمُوا مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ قَسَمُ الْفَارَسِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَالرَّاجِلِ أَلْفًا .

وَجَاءَ صَاحِبُ السَّهْمِ وَالرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بِنَفْسِهِ فَأَهْنُوهُمَا ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ مَعَهُمَا .

وَخَرَجَ أَبُو سَبْرَةَ فِي أَثَرِ الْمُنْهَزِمِينَ إِلَى السُّوسِ ، فَنَزَلَ عَلَيْهَا ، وَمَعَهُ النُّعْمَانُ وَأَبُو مُوسَى ، وَكَتَبُوا إِلَى عُمَرَ ، فَكَتَبَ بِرَدِّ أَبِي مُوسَى إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَانْصَرَفَ إِلَيْهَا ، وَأَرْسَلَ أَبُو سَبْرَةَ وَفَدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِيهِمْ : أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، وَمَعَهُمْ

(١) الطبري : « وأرذوا إلى مدينتهم » .

الهُزْمَانُ فَقَدِمُوا بِهِ الْمَدِينَةَ وَالْبَسُوهُ كُسُوتَهُ مِنَ الدِّيَابِاجِ الْمُنْذَهَبِ ،
وَتَاجُهُ كَانَ مُكَلَّلًا بِالْيَاقُوتِ وَ [عَلَيْهِ] ^(١) حِلْيَتُهُ بِلِيرَاهِ عَمْرٍو وَالْمُسْلِمُونَ .
فَوَجَدُوا عَمْرٍو فِي الْمَسْجِدِ مُتَوَسِّدًا بُرْنُسَهُ ، وَكَانَ قَدْ لَبِسَهُ لِوَفْدٍ قَدِيمٍ
عَلَيْهِ مِنَ الْكَوْفَةِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفُوا تَوَسَّدَهُ وَنَامَ ، فَجَلَسُوا وَهُوَ نَائِمٌ
وَالدَّرَةُ فِي يَدِهِ .

فَقَالَ الْهُزْمَانُ : أَيْنَ عَمْرٍو ؟ فَقَالُوا : هُوَ ذَا ، فَقَالَ : أَيْنَ حُرُّهُ
وَحُجَّابُهُ ؟ فَقَالُوا : لَيْسَ لَهُ حَارِسٌ وَلَا حَاجِبٌ وَلَا كَاتِبٌ . فَقَالَ :
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا ، قَالُوا : بَلْ يَعْملُ بِعَمَلِ الْأَنْبِيَاءِ ! وَكَثُرَ
النَّاسُ [^(٢)]

فَاسْتَيْقَظَ عَمْرٍو وَاسْتَوَى جَالِسًا ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَلَا الْهُزْمَانُ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّ بِالْإِسْلَامِ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ ، فَأَمَرَ
بِنَزْعِ مَا عَلَيْهِ ، فَتَنَزَّعُوهُ وَالْبَسُوهُ ثَوْبًا صَفِيْقًا ^(٣) . فَقَالَ لَهُ عَمْرٍو :
كَيْفَ رَأَيْتَ عَاقِبَةَ الْغَدْرِ ، وَعَاقِبَةُ أَمْرِ اللَّهِ ! فَقَالَ : يَا عَمْرٍو ، إِنَّا
وَأَيَّاكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانَ اللَّهُ قَدْ خَلَّى بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ [فَغَلَبْنَاكُمْ] ^(٤) ،
فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ مَعَكُمْ غَلَبْتُمُونَا . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرٍو : مَا حُجَّتُكَ وَمَا عُذْرُكَ
فِي أَنْتِقَاضِكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ تَقْتُلَنِي قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَكَ .
قَالَ : لَا تَخَفْ ذَلِكَ ، وَأَسْتَسْقِ مَاءً ، فَأَتِي بِكَ فِي قَدَحٍ غَلِيظٍ .
فَقَالَ : لَوْ مِتُّ عَطَشًا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَشْرَبَ فِي مِثْلِ هَذَا ، فَأَتِي بِهِ فِي

(١) من تاريخ الطبري .

(٢) ثوب صفيق : ثخين كثير الغزل ، ضد السخيف .

(٣) بكلمة من ص .

إناء يرضاه . فقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب . فقال له عمر : لا بأس عليك حتى تشربه ، فأكفاه ؛

فقال عمر : أعيذوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش . فقال : لا حاجة لي في الماء ؛ وإنما أردت أن أستأمن به . قال : فإني قاتلك ، قال : قد أمنتني . قال : كذبت ، قال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، قد أمنتته . فقال : يا أنس ، أنا أومن قاتل مجزاة ابن ثور والبراء بن مالك !

وكان الهرمزان قتلها بيده في هذه الواقعة ، ثم قال : والله لتأتيني بمخرج أو لأعاقبتك ، قال : قد قلت لا بأس عليك حتى تخبرني وحي تشرب ، فقال عمر رضي الله عنه : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا أن تسلم ، فأسلم ، ففرض له في ألفين في كل سنة ، وأنزله المدينة . والله أعلم .

ذكر فتح السوس

ولما ^(١) نزل أبو سبرة على السوس في سنة سبع عشرة بعد فتح تستر كان بها شهر يار أخو الهرمزان ، فأحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات ، كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين ، فأشرف عليهم الرهبان والقسيسون ، فقالوا : يا معشر العرب ، إننا عهدنا إلينا علماؤنا أن السوس لا يفتحها إلا الدجال ، أو قوم فيهم الدجال ، فإن كان فيكم فستفتحونها ، وكان صاف بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان . ثم ناوش أهلها المسلمين مرة ، وصاحوا بهم

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٨٩ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٢ : ٣٨٦ وما بعدها .

وغازطوهم ، فَأَتَى صَافِ بَابَ الشُّوسِ فَدَقَّهُ بِرَجْلِهِ ، فَقَالَ : انْفَتِحْ ،
وهو غَضَبَانٌ فَتَقَطَّعَتِ السَّلَاسِلُ ، وَتَكَسَّرَتِ الْأَغْلَاقُ ، وَتَفْتَحَتْ
الْأَبْوَابُ ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَلْقَى الْمُشْرِكُونَ بِأَيْدِهِمْ ، وَتَنَادَوْا :
الصُّلْحَ الصُّلْحَ ! فَأَجَابَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوهَا عَنُودًا ،
وَاقْتَسَمُوا مَا أَصَابُوا ، ثُمَّ افْتَرَقُوا .

فسارَ النعمان حتى أتى أهلَ نهاوند ، وكان كتابُ عمرَ قد وردَ
بضرفه إليها لما تجمعت الأعاجمُ بها ، وسارَ المقترِبُ ، فنزل على
جُنْدِيسَابُور . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر مصالحة جنديسابور

قال ^(١) : وسار المسلمون عن الشُّوس في سنة سبع عشرة ،
فنزلوا جُنْدِيسَابُور وَزَرَ ^(٢) بَنُ عَبْدِ اللَّهِ يَحَاصِرُهُمْ ، فَأَقَامُوا بِهَا ،
فَلَمْ يَفْجَأُ النَّاسَ إِلَّا وَقَدْ فُتِحَتْ الْأَبْوَابُ ، وَأَخْرَجُوا أَسْوَاقَهُمْ ، وَخَرَجَ
أَهْلُهَا ، فَسَأَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالُوا : أَرْسَلْتُمْ إِلَيْنَا بِالْأَمَانِ فَقَبِلْنَاهُ
وَأَقَرَرْنَا بِالْحِزْبَةِ [على أن تمنعونا] ^(٣) فَقَالُوا : مَا فَعَلْنَا ، فِإِذَا
عَبْدٌ يُدْعَى مُكْنِفًا ^(٤) كَانَ أَصْلُهُ مِنْهَا ، فَعَلْ هَذَا ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : هُوَ
عَبْدٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالُوا : نَحْنُ لَنَعْرِفُ الْعَبْدَ مِنَ الْحُرِّ ، فَإِنْ شِئْتُمْ
فَاغْدِرُوا ، فَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَجَازَ
ذَلِكَ ، وَأَنْصَرَفُوا عَنْهُمْ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمُ الْوَكِيلُ .

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٨٧ .

(٢) ابن الأثير : « رين » .

(٣) من ص وابن الأثير .

(٤) ابن الأثير : « مكثفا » .

ذكر انسحاق الجيوش الاسلامية في بلاد الفرس

وفي سنة سبع عشرة أذن عمرُ رضى الله عنه للمسلمين في الانسياح في بلادِ الفُرس ، وكان سبب ذلك أنَّ عمرَ لما أتى بالهُرمزان قال للوفدِ : لعلَّ المسلمين يُؤذونَ أهلَ الذِّمةِ ، فلهذا يَنْتَقِضونَ بكم ! قالوا : ما نعلمُ لَّا وِفاءَ . قال : فكيف هذا ! فلم يشفه أحدٌ ، قال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ، إنَّك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وإنَّ مَلِكَ فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يُقاتلوننا مادام مَلِكهم فيهم ، ولم يجتمع مَلِكٌ متفقان حتى يُخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيتُ أنا لَمْ نأخذ شيئاً بعد شئٍ إلا بانيبِ عاثمهم وعُدْهِم ، وأنَّ مَلِكهم هو الذى يَبْعَثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تَأْذَنَ لنا فنَسِيح في بلادهم . ونَزِيل مَلِكهم ، فهناك يَنْقَطع رجاءُ أهلِ فارس . فقال : صَدَقْتَنِي والله ، ورجع إلى قوله ، وأنتهى إلى رأيه ، وأذن للمسلمين في الانسياح . فَأَمَرَ أبا موسى الأشعريَّ أن يسير من البَصْرَةِ إلى منقطع ذِمَّةِ البَصْرَةِ ، فيكون هنالك حتى يَأْتِيَهُ أَمْرُهُ ، وبعث بالوَيْة من ولَّاهُ مع سُهَيْلِ بْنِ عَدِيٍّ ، فدفع لواءَ خُرَاسَانَ إلى الأحنف بن قيس ، ولواءَ أَرْدَشِيرِ خُرَّةَ وسابُور إلى مُجَاشِع بن مسعود السُّلَميِّ ، ولواءَ إصْطَخْرَ إلى عثمان بن أبي العاص الثَّقَفِيَّ ولواءَ فَسَاوَدرا بجرد إلى سارية ابن زُنَيْم الكِنَانِيَّ ، ولواءَ كِرْمَانَ إلى سُهَيْلِ بْنِ عَدِيٍّ ، ولواءَ سَجِسْتَانَ ، إلى عاصم بن عمرو : ولواءَ مُكْرَانَ إلى الحكم بن عُمَيْرِ الثَّغَلِيَّ ، فخرجوا ولم يَتَهِئاً مسيرهم إلى سنة ثمانى عشرة ، وأمدهم عمرُ بِنَقِيرٍ من أهل الكوفة ، فَأَمَدَ سُهَيْلَ بْنَ عَدِيٍّ بِعَبْدِ اللَّهِ بن عبدِ اللَّهِ بن

عُثْبَان ، وأَمَدُ الْأَخْنَفِ بَعْلَقَمَةَ بْنِ النَّضْرِ ، وبعبد الله بن عَقِيل
وبرَبِيعِ بْنِ عَامِر ، وأَمَدُ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بَعْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرِ الْأَشْجَعِيِّ ،
وأَمَدُ الْحَكَمِ بْنِ عُمَيْرِ بِشَهَابِ بْنِ الْمُخَارِقِ .

وقيل : كان ذلك في سنة إحدى وعشرين . وقيل : في سنة
اثنين وعشرين ، وسنذكره إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لِفَتْوحِ هذه
الجهات والمسِيرِ إليها ، والله تعالى أعلم .

ذكر غزوة فارس من البحرين

كانت هذه الغزوة في سنة سبع عشرة ، وكان عمرُ رضى الله
عنه يقول : لما أُخِذَتِ الْأَهْوَازُ وما يليها : ودُدْتُ أَنْ يبيننا وبين
فارسَ جبلاً من نارٍ لا نَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْهُ ، ولا يَصِلُونَ إِلَيْنَا .

وكان العلاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ فِي خِلافةِ أَبِي بَكْرٍ رضى
الله عنه فَعَزَلَهُ عَمْرٌ ، ثُمَّ أَعَادَهُ ، وَكَانَ يَنَائِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ،
فَفَازَ الْعَلَاءُ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ بِالْفَضْلِ ، فَلَمَّا ظَفِرَ سَعْدٌ بِأَهْلِ
الْقَادِسيَّةِ ، وَأَزَاحَ الْأَكَاسِرَةَ جَاءَ بِأَعْظَمَ مِمَّا فَعَلَهُ الْعَلَاءُ . فَأَرَادَ
الْعَلَاءُ أَنْ يَصْنَعَ فِي الْفُرْسِ شَيْئاً ، فَلَمْ يَنْظُرْ فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ
بِجَدٍّ ، وَكَانَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَهَاهُ وَغَيْرَهُ عَنِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ .

فَنَدَبَ الْعَلَاءُ النَّاسَ إِلَى فَارِسَ ، فَأَجَابُوهُ ، وَفَرَّقَهُمْ جُنُوداً ، فَجَعَلَ
عَلَى أَحَدِهَا الْجَارُودُ بْنُ الْمُعَلَّى ، وَعَلَى الْآخَرِ سَوَّارُ بْنُ هَمَّامٍ ، وَعَلَى
الْآخَرِ خُلَيْدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي ، وَخُلَيْدُ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ ، وَحَمَلَهُمْ
فِي الْبَحْرِ إِلَى فَارِسَ ، فَخَرَجُوا مِنَ الْبَحْرِ إِلَى إِصْطَخَرَ ، وَبِلَازِئِهِمْ أَهْلُ

فارس ، وعليهم الهريذ ، فحالت الفرس بين المسلمين وبين سُفْنِهِمْ ،
فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً بِمَكَانٍ يُدْعَى طَاوُس ، فَقُتِلَ ابْنُ السَّوَارِ وَالْجَارُودُ ،
وَكَانَ خَلِيدٌ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يِقَاتِلُوا رِجَالَهُ ، فَقَتَلُوا مِنَ الْفَرَسِ مَقْتَلَةً
عَظِيمَةً ، ثُمَّ خَرَجُوا يَرِيدُونَ الْبَصْرَةَ ، وَلَمْ يَجِدُوا فِي الرِّجُوعِ إِلَى الْبَحْرِ
سَبِيلًا ، وَأَخَذَتِ الْفَرَسُ عَلَيْهِمْ طَرِيقَهُمْ ، فَعَسَكُرُوا وَامْتَنَعُوا .

فَلَمَّا بَلَغَ عَمْرٌ مَا صَنَعَ الْعَلَاءُ ، أَرْسَلَ إِلَى عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ بِأَمْرِهِ
بِإِنْفَازِ جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بِفَارَسَ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا ، وَقَالَ :
إِنِّي قَدْ أُلْقَيْتُ فِي رُوعِي كَذَا وَكَذَا ، نَحْوَ الَّذِي وَقَعَ ، وَأَمَرَ الْعَلَاءُ
بِاثْقَالِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ تَأْمِيرُ سَعْدٍ عَلَيْهِ .

فَشَخَّصَ الْعَلَاءُ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعٍ ، وَأَرْسَلَ عُتْبَةُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ
مِقَاتِلٍ ، فِيهِمْ : عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَرْفَجَةُ بْنُ هَرَثَمَةَ وَالْأَحْنَفُ
ابْنُ قَيْسٍ وَغَيْرُهُمْ ، فَخَرَجُوا عَلَى الْبِغَالِ يَجْنُبُونَ الْخَيْلَ ، وَعَلَيْهِمْ
أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُحْمٍ حَتَّى التَّقَى بِخُلَيْدٍ ، وَتَوَالَتِ الْأُمْدَادُ ، فَفَتَحَ اللَّهُ
عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَا تَسَاءَلُوا . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر وقعة نهاوند وفتحها

كَانَتْ (١) هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ . وَقِيلَ : فِي سَنَةِ
ثَمَانِي عَشْرَةَ . وَقِيلَ : فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةَ .

وَكَانَ الَّذِي هَبَّجَ أَمْرَ نَهَاوَنْدَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا خَلَصُوا جُنْدَ الْعَلَاءِ ،
وَفَتَحُوا الْأَهْوَاذَ ، كَاتِبَ الْفَرَسَ مَلِكَهُمْ ، وَهُوَ بَمَرْو ، وَحَرَّكُوهُ ،

(١) ابن الأثير ٣ : ٢ وبامبدها ، وتاريخ الطبري ٤ : ١١٤ وبامبدها .

فَكَاتَبَ الْمُلُوكَ مَا بَيْنَ الْبَابِ وَالسُّنْدِ وَخُرَاسَانَ وَخُلُوفَانَ ، فَاجْتَمَعُوا بِنَهَاوَنْدَ ، وَلَمَّا وَصَلَهَا أَوَّاهُ لَهَا بَلَّغَ سَعْدًا الْخَبِيرُ ، فَكَتَبَ بِهِ إِلَى عَمْرٍ ، وَثَارَ بِسَعْدِ أَقْوَامٌ وَوَشَّوْا بِهِ ، وَالْبُؤَا عَلَيْهِ ، وَسَعَوْا إِلَى عَمْرٍ وَلَمْ يَشْغَلْهُمْ مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ عَنْهُ .

فَقَالَ عَمْرٍ : وَاللَّهِ لَا يَمْنَعُنِي مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا لَدَيْكُمْ ، وَكَانَ مِنْ عَزْلِ سَعْدٍ مَا نَذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَوَادِثِ السَّنِينَ .

وَقَدِمَ سَعْدٌ عَلَى عَمْرٍ ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عُتْبَانَ ، فَاقْرَأَهُ عُمَرُ .

قَالَ : وَنَفَرْتُ مَلُوكُ الْأَعَاجِمِ لِكِتَابِ بَزْدَجِرْدَ ، وَاجْتَمَعُوا بِنَهَاوَنْدَ عَلَى الْفَيْرِزَانَ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفِ مَقَاتِلٍ . وَكَانَ سَعْدٌ قَدْ كَاتَبَ عَمْرٍ بِالْخَبِيرِ كَمَا ذَكَرْنَا ، ثُمَّ شَافَهُ بِهِ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ يَسْتَأْذِنُونَكَ فِي الْأَنْسِيَا حَ ، وَأَنْ يَبْدِئُوهُمْ لِيَكُونَ أَهْيَبَ لَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ .

فَجَمَعَ عَمْرُ النَّاسَ وَأَسْتَشَارَهُمْ ، وَقَالَ : هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَسِيرَ فِيمَنْ قَبْلِي وَمَنْ قَدَرْتُ عَلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ مَنْزِلًا وَسْطًا بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَضْرَيْنِ ، ثُمَّ أَسْتَنْفَرَهُمْ فَأَكُونُ لَهُمْ رِدْعًا ؛ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَقْضَى مَا أَحَبَّ ؛ فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ صَبَبْتُهُمْ فِي بِلَادِهِمْ . فَقَالَ لَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَعْلَمْتُكَ الْأُمُورَ ، وَعَجَمْتُكَ الْبَلَايَا ^(١) ، وَاحْتَنَكْتُكَ التَّجَارِبَ ، وَأَنْتَ وَشَأْنُكَ ، وَأَنْتَ وَرَأْيُكَ ، لَا تَنْتَبِهُ فِي يَدَيْكَ ، وَلَا تَكِلْ عَلَيْكَ ، إِلَيْكَ هَذَا الْأَمْرُ ،

فمررنا نطع ، وادعنا نجب ، واخملنا نركب ، وقذنا ننقد ؛ فإنك ولي هذا الأمر ؛ وقد بلوت وجربت واختبرت ، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار . ثم عاد فجلس .

فعاد عمر لمقالته ، فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال : أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم ، وإلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ، ثم تسير أنت بأهل الحرمين إلى الكوفة والبصرة ، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ؛ فإنك إذا سرت^(١) قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم . وقد كنت أعز عزا ، وأكثر . يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقى بعد نفسك من العرب باقية ، ولا تمتنع من الدنيا بعزير ، ولا تلوذ منها بحريز . إن هذا يوم له مابعد من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ، ولا تغب عنه . وجلس .

فعاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمقالاته ، فقام إليه على بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : أما بعد ، يا أمير المؤمنين ، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم ، سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم ، سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها ، وأقطارها ، حتى يكون ماتدع وراءك أهم إليك ممابين يديك من العورات ، والعيالات . [أقرر هؤلاء]^(٢) في أمصارهم ، واكتب لأهل

(١) ابن الأثير : « إذا سرت بمن معك » .

(٢) من ابن الأثير .

البَصْرَةِ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ ، فَرَقَةٌ فِي حَرَمِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ ، وَفَرَقَةٌ فِي أَهْلِ عَهْدِهِمْ ؛ حَتَّى لَا يَنْتَفِضُوا ، وَلَتَسِيرَ فَرَقَةٌ إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِالْكُوفَةِ مَدَدًا لَهُمْ . إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ قَالُوا : هَذَا أَمِيرُ الْعَرَبِ فِي أَصْلَافِهَا ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلِمَتِهِمْ ^(١) عَلَيْكَ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ فَاللَّهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا تَكْرَهُ . وَأَمَّا عَدَدُهُمْ ؛ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نَقَاتِلُ فِيهَا مَضَى بِالْكَثَرَةِ ؛ وَلَكِنْ بِالنَّصْرِ . فَقَالَ عُمَرُ : هَذَا هُوَ الرَّأْيُ ، وَكُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَتَابِعَ عَلَيْهِ . وَقِيلَ : إِنَّ طَلْحَةَ وَعُثْمَانَ أَشَارَا عَلَيْهِ بِالْمُقَامِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : أَشِيرُوا عَلَيَّ بِرَجُلٍ أَوْلِيَهُ ذَلِكَ الثَّغَرُ ، وَلِيَكُنْ عِرَاقِيًّا . فَقَالُوا : أَنْتَ أَعْلَمُ بِجُنْدِكَ ، وَقَدْ وَقَدُوا عَلَيْكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَوَّلَيْنِ أَمْرَهُمْ رَجُلًا لِيَكُونَنَّ أَوَّلَ الْأَيْسَنَةِ إِذَا لَقِيَهَا غَدًا . فَقِيلَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : النَّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرٍ الْمُزَنِّي . فَقَالُوا : هُوَ لَهَا .

وَكَانَ النَّعْمَانُ يَوْمَئِذٍ مَعَ جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدْ افْتَتَحُوا جُنْدَ نِسَابُورِ وَالسُّوسِ كَمَا قَدَّمْنَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَمْرِهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى مَاهٍ ، فَيَجْمَعُ ^(٢) الْجِيُوشَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا سَارَ بِهِمْ إِلَى الْفِيرْزَانَ وَمِنْ مَعَهُ .

وَقِيلَ : بَلْ كَانَ النَّعْمَانُ بِكُنُسَكُرَ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَعْزِلَهُ وَيَبْعَثَهُ إِلَى جَيْشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بِأَمْرِهِ بِنَهَاوَنْدَ ، فَسَارَ ، وَكَتَبَ عُمَرُ

(١) ك : « لِكَلِمَتِهِمْ » .

(٢) ابن الأثير : « لَتَجْمَعُ » .

إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان أن يستنفر^(١) الناس مع النعمان .
فندب الناس ، فخرجوا وعليهم خديفة بن اليمان ، ومعه نعيم
ابن مقرن ، فقدموا على النعمان ، وتقدم عمر إلى الجند الذين كانوا
بالأهواز أن يشغلوا الفرس عن المسلمين ، وعليهم المقرب ، وحرملة ،
ووزقاء ، فأقاموا بتخوم أصفهان ، وقطعوا أمداد فارس عن أهل
نهاوند ، واجتمع الناس على النعمان ، وفيهم خديفة بن اليمان ،
وابن عمر ، وجريز بن عبد الله البجلي والمغيرة بن شعبة ، وغيرهم .

فرحل [النعمان]^(٢) وعبي أصحابه وهم ثلاثون ألفاً ، فجعل
على مقدمته نعيم بن مقرن ، وعلى مجنبته خديفة وسويد بن مقرن ،
وعلى المجردة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود .
وقد توافقت إليه أمداد المدينة ، فيهم المغيرة بن شعبة ، فالتهاوا
إلى الأسبيذهان ، والفرس وقوف على تعبيتهم ، وأميرهم الفيرزان ،
وعلى مجنبته الزردق وبهم جاذويه ، وقد توافى إليه بنهاوند كل
من غاب عن القادسية . فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس ،
فتزلزلت الأعاجم ، وحطت العرب الأثقال ، وضرب فسطاط النعمان ،
فابتدره أصحاب الكوفة ، من كان من أشرافها ، فضربوه ، منهم : خديفة
ابن اليمان ، وعقبة بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير بن
الخصاصية ، وحنظلة الكاتب ، وجريز بن عبد الله البجلي ،
والأشعث بن قيس الكندي وسعيد بن قيس الهمداني ، ووائل

(١) ابن الأثير : « يستنفر » .

(٢) من ص .

ابن حُجْر وغيرهم ، فلم يُرْ بُنَادُ فسطاطٍ بالعِراقِ كهؤلاء ، وأنشَبَ النُّعْمَانُ القتالَ بعد حَطِّ الأثقالِ فاقتتلوا يومَ الأربعاء والخميس ، والحَرْبُ بينهم سَجَالٌ ، ثم أَنْجَحُوا في خَنَادِقِهِمْ يومَ الجُمُعَةِ ، وحَصَرَهُمُ المسلمون ، وأقاموا عليهم ما شاء الله ، والفرُّسُ بالخيارِ إنْ شَاءُوا خَرَجُوا ، وإنْ شَاءُوا أَقَامُوا ، فخاف المسلمون أن يطولَ أمرُهُمْ ، حتى إذا كان يومَ الجمعةِ تَجَمَّعَ أَهْلُ الرَّأْيِ من المسلمين ، وقالوا : نراهم علينا بالخيار ، وأتوا النُّعْمَانُ في ذلك ، وهو يروى في الَّذِي رَأَوْا فِيهِ ، فَأَخْبَرُوهُ : فبعث إلى مَنْ بَقِيَ من أَهْلِ النَّجْدَاتِ والرَّأْيِ ، فَأَحْضَرَهُمْ ، وقال : قد تَرَوْنَ المشركين واعتصامَهُم بِخَنَادِقِهِمْ ومُدَّتِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ إِلَيْنَا إِلَّا إِذَا شَاءُوا ، وَلَا يَقْدِرُ المُسْلِمُونَ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ ، وقد تَرَوْنَ الَّذِي فِيهِ المسلمون من التَّضَاقِيقِ ، فما الرَّأْيُ الَّذِي بِهِ نَسْتَخْرِجُهُمْ إِلَى المَنَاجِزَةِ ، وَتَرَكْنَا التَّنْطِيلَ ؟

فَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ نُثْبِيٍّ ، وَكَانَ أَكْبَرَ النَّاسِ [يَوْمَئِذٍ سِنًا] (١) ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الْأَسْنَانِ ، فَقَالَ : التَّحَصُّنُ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ مِنَ الْمُطَاوَلَةِ عَلَيْهِمْ ، فَدَعَهُمْ وَقَاتِلْ مَنْ أَتَاكَ مِنْهُمْ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ رَأْيَهُ [جَمِيعًا] (٢)

وَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ فَقَالَ : نَاهِدُهُمْ وَكَاثِرُهُمْ وَلَا تَحْفَظُهُمْ ، فَرَدُّوا جَمِيعًا عَلَيْهِ رَأْيَهُ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا تُنَاطِحُ بِنَا الْجُدْرَانِ ، وَهِيَ أَعْوَانُ عَلَيْنَا .

(١) من ابن الأثير .

(٢) من ابن الأثير .

فقال طليحةُ بنُ خويلد الأسدي : أرى أن تبعث خيلاً مؤدية لينشبوا القتالَ ، فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطرادا ، فإننا لم نستطدّ لهم في طولِ ماقاتلتناهم ، فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا إلينا . فقاتلناهم حتى يقضى الله فيهم وفيما ما أحبّ ، فأمر [النعمان] القعقاعَ بنَ عمرو ، وكان على المجردة ، فأنشِبَ القتالَ ، وأخرجهم من خنادقهم كأنهم جبالٌ من حديد ، وقد تواءموا ^(١) ألا يفروا وقرن بعضهم ببعض ، كلُّ سبعة في قران ، وألقوا حَسَبَكَ الحديد بينهم ؛ لئلا ينهزموا ، فلما خرجوا نكص القعقاعُ ، فاغتمتها الأعاجمُ ففعلوا كما ظنَّ طليحةُ . وقالوا : هي هي .

ولحقَ القعقاعُ بالنَّاسِ : وانقطعَ الفُرْسُ عن حِصْنِهم ، وأمر النعمانُ أصحابه أن يلزموا الأرضَ ولا يُقاتلوا حتى يأذنَ لهم ، ففعلوا ، واستتروا بالحِجَفِ ^(٢) من الرَّمْيِ ، وأقبلَ المشركون يرمونهم حتى أفضوا فيهم الجراح ، والنعمانُ ينتظر بالقتالِ أحبَّ السَّاعاتِ كانت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك عند الزَّوالِ ، فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب النعمانُ فرسه ، وسار في النَّاسِ يُحرِّضهم على القتالِ ، ويذكرهم ويُمَنِّيهم الظَّفَرَ ، وقال : إني مكبرٌ ثلاثاً ، فإذا كبرتُ الثالثة فإني حَائلٌ ، فاحيلوا ، فإن قُتِلْتُ فالأمير بعدي حذيفة ، فإن قُتِلَ ففلان ، حتى عدَّ سبعةً آخرهم المغيرةُ ، ثم قال : اللهم أعزِّ دينك بنصرِ عبادك . وقيل : بل قال : اللهم إني أسألك أن تُقِرَّ عيني اليومَ بفتحٍ يكون فيه عزُّ الإسلام ، وأقبضني شهيداً .

(١) ابن الأثير : « تواءموا » .

(٢) الحِجَف : التروس من جلود بلاشب .

فبكى الناس ثم رجع إلى موقفه ، فكبر ثلاثاً ، والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال ، وحمل وحمل الناس ، وانقضت رايته نحوهم انقضاص العقاب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بوقعة كانت أشد منها ، وصبر المسلمون صبراً عظيماً ، وأنهم زعم الأعاجم ، وقُتل منهم ما بين الزوال والإعتام ما طَبَّقَ أَرْضَ المعركة حتى زَلِقَ الناس والدواب في الدماء ، فلما أقرَّ الله عين النعمان بالفتح استشهد ، زَلِقَ به فرسه فصرع . وقيل : بل رُمِيَ بسهم في خاصرته فمات ، فسجَّاه أخوه نعيم بن مقرن بثوب ، وأخذ الراية وناولها حذيفة ، وتقدَّم إلى موضع النعمان .

وقال المغيرة : اكنموا مُصابَ أميركم ، لئلا يَهُونَ الناس ، ودام القتال في الفُرُوس حتى أظلم الليل ، فانهزموا ، ولزِمهم المسلمون وعَمِيَ عليهم قَصْدُهم ، فأخذوا نحو اللَّهَب^(١) الذي كانوا دونه ، فوقعوا فيه ، فكان الواحدُ منهم يقع فيقع عليه سِتَّةٌ ، بعضهم على بعض في قياد واحد فيقتلون جميعاً ، وعقرهم حَسَكُ الحديد ، فمات منهم في اللَّهَبِ مائة ألفٍ أو يزيدون سوى من قُتِلَ منهم في المعركة .

وقيل : قُتِلَ في اللَّهَبِ ثمانون ألفاً ، وفي المعركة ثلاثون ألفاً سوى من قُتِلَ في الطَّلَبِ ، ولم يُفْلِتْ^(٢) إلاَّ الشريد ، ونجا الفَيْرِزان من الصَّرْعَى ، فهَرَبَ نحو هَمْدان ، وأتبعه^(٣) نعيم بن مقرن ، وقَدِمَ

(١) اللهب : شق في الجبل .

(٢) كذا في ابن الأثير ، وفي الأصول : « لم يقتل » .

(٣) ابن الأثير : « فاتبعه » .

القعقاعُ أَمَامَهُ ، فَأَدْرَكَهُ بِشَنِيَّةٍ هَمْدَنَ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مَشْحُونَةٌ مِنْ بَغَالٍ وَحُمْرٍ مُوقِرَةٍ عَسَلًا .

فَجَبَسَهُ الدَّوَابُّ (١) فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ طَرِيقًا نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ ، وَصَعِدَ فِي الْجَبَلِ ، فَأَدْرَكَهُ الْقَعْقَاعُ ، فَقَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الثَّنِيَّةِ ، وَقَالُوا : إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ ، وَاسْتَأْقُوا تِلْكَ الدَّوَابَّ بِأَحْمَالِهَا ، وَسُمِّيَتْ الثَّنِيَّةُ ثَنِيَّةَ الْعَسَلِ ، وَدَخَلَ الْمَنْهَزَمُونَ هَمْدَانَ ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي آثَارِهِمْ ، فَنَزَلُوا عَلَيْهَا ، وَأَخَذُوا مَا جَوْلَهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خُسْرُشْنُومُ اسْتَأْمَتَهُمْ .

وَلَمَّا تَمَّ الظَّفَرُ لِلْمُسْلِمِينَ جَعَلُوا يَسْأَلُونَ عَنْ أَمِيرِهِمُ النُّعْمَانَ ، فَقَالَ لَهُمْ أَخُوهُ مَعْقِلٌ : قَدْ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ [بِالْفَتْحِ] (٢) وَخَتَمَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ ، فَاتَّبَعُوا حَذِيفَةَ ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ نَهَاوْنْدَ يَوْمَ الْوَقْعَةِ [بَعْدَ الْهَزِيمَةِ] (٣) وَاخْتَوُوا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْتَةِ وَغَيْرِهَا وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَسْلَابِ وَالْأَنَاثِ وَجَمْعُوهُ إِلَى صَاحِبِ الْأَقْبَاضِ ، وَهُوَ السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ . وَانْتَظَرُوا إِخْوَانَهُمُ الَّذِينَ عَلَى هَمْدَانَ مَعَ نُعَيْمٍ وَالْقَعْقَاعِ ، فَاتَّاهُمُ الْهَرَبِيُّذُ صَاحِبُ بَيْتِ النَّارِ ، وَقَالَ لِحَذِيفَةَ ، أَتُؤْمِنُنِي وَمَنْ شِئْتَ ، عَلَى أَنْ أُخْرِجَ لَكَ ذَخِيرَةً لِكُسْرَى تُرِكَتْ عِنْدِي لِنَوَائِبِ الزَّمَانِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، فَأَحْضَرُ جَوْهَرًا نَفِيسًا فِي سَقَطَيْنِ ، فَأَرْسَلُهُمَا (٤) مَعَ الْأَخْمَاسِ إِلَى عَمْرِو بْنِ رَضَى اللَّهِ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ حَذِيفَةَ مِنْهَا ، وَأَرْسَلَ مَا بَقِيَ (٥) مَعَ السَّائِبِ بْنِ الْأَقْرَعِ الثَّقَفِيِّ .

(١) بعدهما في ابن الأثير : على أجله .

(٢) من ابن الأثير .

(٣) ابن الأثير : « فأرسلهما » .

(٤) ابن الأثير : « الباقى » .

قال السائب : فلما فرغت القسمةُ احتملتُ السَّفْطَيْنِ ، وجئتُ بهما إلى عمر ، فإذا هو قد خَرَجَ يَتَوَقَّعُ الْأَخْبَارَ ، وكان قد رأى الواقعة فباتَ يَتَمَلَّمَلُ ، فقال ما وراءك ؟ فقلتُ : فتح اللهُ على المسلمين ، واستشهد النُّعْمَانُ بْنُ مَقْرَنٍ ، فَأَعْظَمَ الْفَتْحَ ، واسترجَعَ على النُّعْمَانِ وَيَكِي حَتَّى نَشَجَ ^(١) ، ثُمَّ أَخْبَرْتَهُ بِالسَّفْطَيْنِ فقال لى : أَذْخِلُهُمَا بَيْتَ الْمَالِ حَتَّى نَنْظُرَ فِي شَأْنِيهِمَا ، وَالْحَقُّ بِجُنْدِكَ .

قال : ففعلت ، وخرجت مسرعاً إلى الكوفةِ ، وباتَ عمرُ ، فلما أصبح بعث في أثرى رسولا ، فما أدركنى حتى دخلتُ الكوفةَ ، فَأَنْخْتُ بَعِيرِي ، وَأَنَاخَ بَعِيرُهُ عَلَى عِرْقُوبٍ بَعِيرِي ، وقال ، الْحَقُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

قال : فركبتُ معه ، وقدمتُ على عمرَ ، فلما رآنى قال : مالى وللسائب ! قلت : وماذا ؟ قال : ويحك ، والله ما هو إلاَّ أَنْ نَمْتُ اللَّيْلَةَ الَّتِي خَرَجْتَ فِيهَا ، فَأَنْتَ الْمَلَانِكَةُ نَسْتَحْتُنِي إِلَى السَّفْطَيْنِ يَشْتَعْلَانِ نَارًا ، يَقُولُونَ ، لَنَكُوبَنَّكُ بِهِمَا ، فَأَقُولُ : إِنِّي سَأَقْسِمُهُمَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَخَذَهُمَا عَنِّي فَبِعَهُمَا فِي أُعْظِيَةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْزَاقِهِمْ .

قال : فخرجتُ بهما فوضعتُهما في مسجدِ الكوفةِ ، فابتاعهما مَنَى عمرو بن حُرَيْثٍ الْمَخْزُومِيُّ بِأَلْفَى أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا إِلَى أَرْضِ الْأَعَاجِمِ فباعهما بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ أَلْفٍ ، فما زال أَكْثَرُ أَهْلِ الكوفةِ مَالًا .

قال : وكان سَهْمُ الْفَارِسِ بِنَهَاوَنْدُسْتَةَ آلَافٍ ، وَالرَّاجِلُ أَلْفَيْنِ .

(١) نشج الباكي : غص بالبكاء من غير انتحاب .

ولمّا قدم سبئُ نهاوند المدينة ، جعل أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بنِ شُعْبَةَ لا يَلْقَى منهم صغيراً إلا مَسَحَ رأسه وبكى ، وقال : أكلَ عمرُ كبدى ، وكان من نهاوند ، فأسرته الروم ، وأسرهُ المسلمون .

وكان المسلمون يسمّون [فَتَحُ] ^(١) نهاوند فَتَحَ الفُتُوح ، لأنّه لم يكن لِلْفُرْسِ بعده اجتماعٌ ، ومَلَكَ المسلمون بلادهم . والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله وحده .

ذكر فتح دينور والصيمرة وغيرهما

لما ^(٢) أنصرف أبو موسى الأشعريُّ من نهاوند ، وكان قد جاء مدداً على بعث أهل البصرة ، فمرَّ بالدينور ، فأقام عليها خمسة أيام ، وصالحه أهلها على الجزية ، ومضى ، فصالحه أهل الشيروان على مثل صلحهم ، وبعث السائب الأقرع إلى الصيمرة وهى مدينةٌ مهرجان قدق ففتحها صلحاً : والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيّدنا محمد .

ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما

لما ^(٣) أنهزم المشركون من نهاوند دخلَ مَنْ سَلِمَ منهم همذان ، فحاصرهم نعيمُ بنُ مقرن والقعقاعُ بنُ عمرو ، فلما رأى ذلك خسر شنوم استأمنهم ، وقبِلَ الجزية على أن يضمنَ همذان ودستى ، وألاً يؤثى المسلمون منهم ، فأجابوه إلى ذلك وأمنوه هو ومن معه

(١) من ص .

(٢) ابن الأثير ٣ : ٧ .

(٣) ابن الأثير ٣ : ٧ .

من الفُرس ، وأقبل كلُّ من كان هَرَب ، وبلغ الخبرُ أهلَ الماهين ،
فاقتلدوا بخسرشَنوم ، وراسلوا حُدَيْفَةَ ، فأجابهم ، ودخل مائة دينار ،
وبَهَرَ اذان على مثل ذلك . وكان قد وُكِّل النُسَير بن ثورٍ بقلعةٍ قد لجأ
إليها قومٌ ، فحاصَرهم وأفتتَحها ، فنسبت إلى النُسَير .

ولما رجع نُعَيْمٌ والقَعَقَاع ، كَفَرَ أهلُ هَمْدَانَ مع خسرشَنوم ،
فخرج نعيمٌ بن مقرنٍ إليها في سنة اثنتين وعشرين ، واستولى على
جميع بلادها وحاصرها ، فسأله أهلها الصلح ففعل ، وفتحها الثانية ،
وقبل منهم الجزية . وقيل إن فتحها كان في سنة أربع وعشرين ،
بعد وفاة عمرَ بستة أشهر . والله أعلم .

قال : وبينما نعيمٌ بهمدان في الفتح الثاني ، وهو في اثني عشر
ألفاً من الجند ، فكتب الديلم ، وأهل الرى ، وأذربيجان ، إذ خرج
موتى في الديلم ، ونزل بواج الروذ ، وأقبل الزينبي أبو الفرخان
في أهل الرى وأقبل إسفنديار أخو رستم في أهل أذربيجان ، فاجتمعوا
وتحصن منهم أمراء المساليح ، وبعثوا إلى نعيم بالخبر ، فاستخلف
يزيد بن قيس الهمداني ، وخرج إليهم ، فاقتتلوا بواج الروذ قتالاً
شديداً ، وكانت وقعة عظيمة تعدلُ وقعة نهاوند ، فانهزم الفُرس
أقبح هزيمة ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأرسل نعيم إلى عمر بقصد
الرى ، وقتال من بها ، والمقام بها بعد فتحها .

وقيل : إن المغيرة بن شعبة ، وهو عامل الكوفة أرسل جرير
ابن عبد الله إلى همدان ، فقاتله أهلها ، وأصيب بسهم في عينه ،
فقال : أحسبها عند الله الذي زين بها وجهي .

وقيل : كان فَتَحَهَا على يد المغيرة نفسه . وقيل : فَتَحَهَا قَرْظَةُ
ابنُ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ رضى الله عنه ، والله تعالى أعلم وهو حَسْبُنَا
ونعم الوكيل .

ذكر فتح أصبهان وقم وقاشان

وفى ^(١) سنة إحدى وعشرين بَعَثَ عمرُ رضى الله عنه عبدَ الله
ابنَ عبد الله بنِ عَثْبَانَ إلى أَصْبَهَانَ ، وكان شجاعاً من أَشرافِ الصَّحابة ،
ووجوهِ الْأَنْصَارِ ، وأمه بَائِي موسى الْأَشْعَرِيُّ ، وجعل على مجَنَّبِيهِ
عبدَ الله بنَ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيِّ وعصمة بن عبد الله ، فسار إلى نَهَا وَنَدَ
ورجعَ حذيفةً إلى عمله على ما سَقَتِ دِجْلَةُ وما وراهما . وسار عبدُ الله
فيمَن كان معه ومن تَبِعَهُ من جُنْدِ النُّعْمَانِ الَّذِينَ يَنْهَائِهِمْ عَنْ أَصْبَهَانَ ،
وعلى جُنْدِهَا الْأَسْبِيذَانِ ، وعلى مَقْدَمَتِهِ شَهْرِيَارُ بْنُ جَادَوِيهِ (شيخٌ
كبيرٌ) فى جمعٍ عظيمٍ ، فالتقى المسلمون ومقدمةَ المشركين برُستاقٍ
لأَصْبَهَانَ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فبرزَ الشَّيْخُ ودعا إلى الْبِرَازِ ،
فبرزَ له عبدُ الله بنَ وَرْقَاءَ فَقَتَلَهُ عبدُ الله ، وانهمزَ الْفَرَسُ ؛ فَسُمِيَ
ذلك الرُّسْتَقُ برُستاقِ الشَّيْخِ ، وصالَحَهُمُ الْأَسْبِيذَانِ على الرُّسْتَقِ ،
وهو أولُ رُسْتَقٍ أُخِذَ مِنْ أَصْبَهَانَ .

ثم سار عبدُ الله إلى مدينة جَمِيٍّ ، وهى مدينةُ أَصْبَهَانَ ،
والمَلِكُ بِأَصْبَهَانَ الْفَازُوسَفَانِ ، فَنَزَلَ بِهَا ، وحاصرها ، فصالَحَهُ

الملك عليها ، على الجزية على من أقام ، وأن يُجزى من أخذت أرضه
عنوة مجزاهم ومن أبي وذهب كانت أرضه للمسلمين .

وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الأهواز ، وقد صالح القوم ،
فدخل القوم في الذمة إلا ثلاثين رجلاً من أهل أصبهان لحقوا بكرمان ،
ودخل عبد الله ومن معه المدينة ، وكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه :
أن يبرح حتى تقدم على سهيل بن عدي ، حتى تكون معه على قتال من
يكرمان . فاستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع ، ولحق بسهيل
قبل وصوله إلى كرمان ، وأفتتح أبو موسى قم وقاشان .

ذكر فتح قزوین وأبهر و زنجان

وفي (١) سنة اثنتين وعشرين بعث المغيرة بن شعبة وهو أمير الكوفة
البراء بن عازب في جيش إلى قزوین ، وأمره أن فتحها أن يغزو الديلم .
فسار حتى أتى أبهر ، وهو حصن ، فقاتلوه ، ثم طلبوا الأمان ،
فأمنهم وصالحهم ، ثم غزا قزوین ، فأرسل أهلها إلى الديلم يطلبون
النصرة منهم ، فوعدهم ، فوصل المسلمون إليهم ، فخرجوا لقتالهم
والديلم وقوف على الجبل لا يمدون يداً ، فلما رأى أهل قزوین ذلك
طلبوا الصلح ، فصالحهم على مثل صلح أبهر . وغزا الديلم حتى
أدوا إليه الإنابة ، وغزا جيلان والطيلسان ، وفتح زنجان عنوة .
ولما ولي الوليد بن عتبة الكوفة ، غزا الديلم ، وجيلان ،
وموقان ، والبير والطيلسان ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر فتح الرى

قال^(١) : وسار نعيمُ بنُ مقرنٍ من وَاَجِ الرُّودِ بِأَمْرِ عَمْرٍو حَتَّى قَدِمَ الرِّىَ ، وَخَرَجَ الزَّيْنَبِيُّ أَبُو الْفَرَّخَانِ مِنْهَا ، فَلَقِيَ نَعِيمًا طَالِبًا وَمَسَالِمًا وَمُحَالِفًا لِمَلِكِ الرِّىِ وَهُوَ سِيَاوِخْشُ بْنُ مِهْرَانَ بْنِ بَهْرَامِ بْنِ جُوبِينَ ، فَاسْتَمَدَّ سِيَاوِخْشُ أَهْلَ دُنْبَاوَنْدَ وَطَبْرِسْتَانَ وَقُومِسَ ، وَجُرْجَانَ ، فَأَمْدُودَهُ ، وَالتَّقْوَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسْجِدِ جَبَلِ الرِّىِ الَّذِى بِجَانِبِ مَدِينَتِهَا ، فَأَقْتَتَلُوا .

وَكَانَ الزَّيْنَبِيُّ قَالَ لِنَعِيمٍ : إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَثُرُوا وَأَنْتَ فِي قِلَّةٍ ، فَابْعَثْ مَعِيَ خِيَلًا لَأَدْخُلَ بِهَا مَدِينَتَهُمْ مِنْ مَدْخَلٍ لَا يَشْعُرُونَ بِهِ ، وَنَاهِذَهُمْ أَنْتَ ، فَإِذَا خَرَجْنَا نَحْنُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَثْبُتُونَ لَكَ . فَبِعَثَ مَعَهُ خِيَلًا مِنَ اللَّيْلِ ، عَلَيْهِمْ ابْنُ أَخِيهِ الْمُنْذَرُ بْنُ عَمْرٍو ، فَأَدْخَلَهُمُ الزَّيْنَبِيُّ الْمَدِينَةَ ، وَالْقَوْمُ لَا يَشْعُرُونَ ، وَبَيْتَهُمْ نَعِيمٌ ، فَشَغَلَهُمْ عَنْ مَدِينَتِهِمْ ، وَاقْتَتَلُوا وَصَبَرُوا حَتَّى سَمِعُوا التَّكْبِيرَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَأَنْهَزَمُوا ، وَقَتِلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَفَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالرِّىِ نَحْوًا مِمَّا فِي الْمَدَائِنِ ، وَصَالِحَهُمُ الزَّيْنَبِيُّ عَلَى الرِّىِ ، وَأَخْرَبَ نَعِيمٌ مَدِينَتَهُمْ ، وَهِيَ الَّتِى يُقَالُ لَهَا : الْعَيْقَةُ . فَأَمَرَ الزَّيْنَبِيُّ فَبَنَى مَدِينَةَ الرِّىِ ، وَكُتِبَ نَعِيمٌ إِلَى عَمْرٍو بِالْفَتْحِ ، وَبِعَثَ بِالْأَخْمَاسِ ، وَرَاسَلَهُ الْمَضْمُغَانُ فِي الصُّلْحِ عَلَى شَيْءٍ يُفْتَدَى بِهِ مِنْهُ عَلَى دُنْبَاوَنْدَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ .

وَقَدْ قَبِلَ : إِنَّ فَتْحَ الرِّىِ كَانَ عَلَى يَدِ قَرِظَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ

الخَزْرَجِيُّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ ، حَكَاهُ أَبُو عَمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .
 وَقِيلَ : فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ . وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
 أَعْلَمُ . بِالصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَ .

ذِكْرُ فَتْحِ قَوْمِ جَرَجَانٍ وَطَبْرِسْتَانَ

قَالَ ^(١) : لَمَّا أُرْسِلَ نُعَيْمُ بْنُ مَقْرُنٍ إِلَى عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْفَتْحِ وَالْأَخْمَاسِ كَتَبَ إِلَيْهِ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 بِإِرسالِ سُويْدِ بْنِ مَقْرُنٍ وَمَعَهُ هِنْدُ بْنُ عَمْرٍو وَغَيْرُهُ إِلَى قَوْمِ جَرَجَانٍ ،
 فَسَارَ سُويْدٌ نَحْوَهَا ، فَلَمْ يَقُمْ لَهُ أَحَدٌ ، فَأَخَذَهَا سِلْمًا ، وَعَسَكَرَ بِهَا ،
 وَكَاتَبَهُ الَّذِينَ لَجُّوا إِلَى طَبْرِسْتَانَ مِنْهُمْ ، وَالَّذِينَ أَخَذُوا الْمُقَالِيزَ ،
 فَأَجَابَهُمْ إِلَى الصُّلْحِ وَالْجِزْيَةِ ، وَكَتَبَ لَهُمْ بِذَلِكَ .

ثُمَّ سَارَ سُويْدٌ إِلَى جَرَجَانٍ ، فَعَسَكَرَ بِسِنْدَامٍ ، وَكَتَبَ إِلَى مَلِكِ
 جَرَجَانٍ وَهُوَ رُزْبَانَ سُولَ ، فَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ وَكَفَايَةِ حَرْبِ جَرَجَانٍ ،
 وَأَنْ يَعِينَهُ سُويْدٌ إِنْ غَلِبَ ، فَأَجَابَهُ سُويْدٌ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَلَقَّاهُ رُزْبَانَ قَبْلَ
 دُخُولِهِ جَرَجَانَ ، وَدَخَلَ مَعَهُ ، وَعَسَكَرَ سُويْدٌ بِهَا حَتَّى جَبَى الْخَرَاجَ ،
 وَسَدَّ فُرُوجَهَا بِتُرْكٍ دِهِيستانَ ، وَرَفَعَ الْجِزْيَةَ عَمَّنْ قَامَ مَعَهُ مِمَّنْ مَنَعَهَا ،
 وَأَخَذَهَا مِنَ الْبَاقِينَ .

وَقِيلَ : كَانَ فَتْحُهَا فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ . وَقِيلَ : فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ
 فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ .

قَالَ : وَأُرْسِلَ الْإِصْبَهَيْدُ صَاحِبُ طَبْرِسْتَانَ إِلَى سُويْدِ بْنِ الصُّلْحِ ،
 عَلَى أَنْ يَتَوَادَعَهَا وَيَجْعَلَ لَهُ شَيْئًا عَلَى غَيْرِ نَضْرٍ وَلَا مَعُونَةٍ عَلَى أَحَدٍ ،

فقبل ذلك منه ، وكتب له كتاباً ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

ذكر فتح أذربيجان

كان (١) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعث بُكَيْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى أَذْرَبَيْجَان ، وَأَمَرَ نَعِيمَ بْنَ مَقْرُنٍ أَنْ يَمْدُهُ بِسِمَاكِ بْنِ خَرْشَةَ ، فَأَمَدَهُ بِهِ بَعْدَ فَتْحِ الرَّيِّ ، فَسَارَ بُكَيْرٌ حَتَّى طَلَعَ بِجِبَالِ جَرْمِيدَانَ ، فَطَلَعَ عَلَيْهِ إِسْفَنْدِيَارُ بْنُ الْفَرْخَزَادِ مَهْزُومًا مِنْ وَاجِ الرُّودِ ، فَأَقْتَتَلُوا ، فَهَزَمَ اللَّهُ الْفُرسَ وَأَخَذَ إِسْفَنْدِيَارَ أَسِيرًا ، فَقَالَ لَهُ إِسْفَنْدِيَارُ : الصُّلْحُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْحَرْبُ ؟ قَالَ : بَلِ الصُّلْحُ . قَالَ : أَمْسِكْنِي عِنْدَكَ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ أَذْرَبَيْجَانِ إِنْ لَمْ أَصَالِحْ عَلَيْهِمْ ، أَوْ أَجِءَ لَهُمْ لَمْ يَقُومُوا لَكَ ، وَجَلُّوا إِلَى الْجِبَالِ الَّتِي حَوْلَهَا ، وَمَنْ كَانَ عَلَى التَّحْصِينِ تَحَصَّنَ لِيَوْمٍ مَا ، فَأَمْسَكَهُ عِنْدَهُ وَصَارَتْ إِلَيْهِ الْبِلَادُ (٢) إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حِصْنٍ . وَقَدِمَ عَلَيْهِ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ ، وَإِسْفَنْدِيَارُ فِي أَسْرِهِ ، وَقَدْ افْتَتَحَ (٣) مَايْلِيه ، وَافْتَتَحَ عُتْبَةُ بْنُ قَرْقَدٍ مَايْلِيه .

وكتب بُكَيْرٌ إِلَى عُمَرَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي التَّقَدُّمِ ، فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ نَحْوَ الْبَابِ ، وَأَنْ يَسْتَخْلِفَ عَلَى مَا افْتَتَحَهُ : فَاسْتَخْلَفَ عُتْبَةُ بْنُ قَرْقَدٍ ، فَاقْرَأَ عُتْبَةُ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ عَلَى عَمَلِ بُكَيْرٍ الَّذِي كَانَ افْتَتَحَهُ ، وَجَمَعَ عُمَرُ أَذْرَبَيْجَانَ كُلَّهَا لِعُتْبَةَ بْنِ قَرْقَدٍ . وَكَانَ بَهْرَامُ بْنُ الْفَرْخَزَادِ قَصْدَ

(١) ابن الأثير ٢ : ١٣ .

(٢) من ابن الأثير .

(٣) ك : . . انفتح .

طريقَ عُتْبَةَ ، فاقتتلوا ، فانهزم بهرامٌ ، فلما بلغ خبره إسفنديار وهو
 في الإِسار عند بُكَيْرٍ ، قال : الآن تمَّ الصُّلحُ ، وطُفِئَتْ نيران الحربِ ،
 فصالحه وأجاب أهلُ أذربيجانَ إلى ذلك ، وعادتْ يسلماً ، وكتب
 بكيرٌ وعُتْبَةُ بذلك إلى عمرَ ، وبعثا بالخُمُسِ .

ولما جمع عمرُ لِعُتْبَةَ عَمَلَ بُكَيْرٍ ، كَتَبَ لِأَهْلِ أذربيجانَ كتاباً
 بالصُّلحِ .

ذكر فتح الباب

كان^(١) فتح الباب في سنة اثنتين وعشرين ، وكان عمر رضى الله تعالى عنه ردّ أبا موسى الأشعريّ إلى البصرة ، وبعث سراقه بن عمرو ، وكان يدعى ذا النور^(٢) إلى الباب ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن ابن ربيعة ، وكان يدعى ذا النور أيضا ، وعلى مجنبيته^(٣) حذيفة بن أسيد الغفاريّ وبكبير بن عبد الله الليثي ، وكان بكير قد سبقه إلى الباب عند منصرفه من أذربيجان ، وجعل على المقاييم سلمان بن ربيعة الباهليّ .

وكان عمر قد أمدّ سراقه بحبيب بن مسلمة من الجزيرة ، وجعل مكانه زياد بن حنظلة ، فسار سراقه وعبد الرحمن بن أمّامة ، فلما أطلّ عبد الرحمن على الباب كاتبه ملكها شهر يار ، (من ولد شهر يار الملك) ، واستأمنه على أن يأتيه ، ففعل ، فأتاه فقال له : إني نازل بإزاء عدوّ كلّب ، وأمم مختلفة ليس لهم أحساب^(٤) ، ولا ينبغي لدى الحسب والعقل أن يعينهم على ذى الحسب ، وأنتم قد غلبتم على بلادى وأنا منكم . ويدى فى أيديكم ، وجزيّى إليكم ، والنصر لكم ، والقيام بما تحبون ، فلا تسومونا الجزية ، فتودّوننا لعدوّكم ، فسيرد عبد الرحمن إلى سراقه ، فلقية بمثل ذلك ، وقال : لا بدّ من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو ، فاتّفقا على ذلك ، وأجازده عمر رضى الله عنه - وأرضاه واستحسنه .

(١) ابن الأثير ٣ : ١٤

(٢) ك : « ذا النور » .

(٣) ك : « مجنبيه » .

(٤) ك : « حساب » .

ذكر فتح موقان

ولما ^(١) قَرَعَ سُرَاقَةُ من البابِ أَرْسَلَ بُكَيْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَسَلْمَانَ ابْنَ رَبِيعَةَ ، وَحَبِيبَ بْنَ مُسْلِمَةَ وَحَذِيفَةَ بْنَ أَسِيدٍ إِلَى أَهْلِ تِلْكَ الْجِبَالِ الْمُحِيطَةِ بِأَرْمِينِيَّةَ : فَوَجَّهَهُ بُكَيْرًا إِلَى مُوقَانَ ، وَحَبِيبًا إِلَى تَفْلَيْسَ ، وَحَذِيفَةَ إِلَى جِبَالِ اللَّانِ ، وَسَلْمَانَ إِلَى الْوَجْهِ الْآخَرِ ، وَكُتِبَ مُرَاقَاةً بِالْفَتْحِ وَبِإِسْمَالِهِمْ إِلَى عَمْرِ : فَسُرَّ بِذَلِكَ .

ثُمَّ مَاتَ سُرَاقَةُ بَعْدَ أَنْ اسْتَوْثَقَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَاسْتُخْلِفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَ رَبِيعَةَ ، وَلَمْ يَفْتَتِحْ أَحَدٌ مِنَ الْقَوَادِ إِلَّا بِكَيْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ صَالِحُ أَهْلِ مُوقَانَ عَلَى الْجَزِيرَةِ ؛ عَلَى كُلِّ مُخْتَلَمٍ دِينَارٌ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَضَى أَهْلُ مُوقَانَ ، ثُمَّ تَرَجَعُوا .

وَقِيلَ : كَانَ الْفَتْحُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَأَقْرَعَ عُمَرُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى قَرْجِ الْبَابِ ، وَأَمَرَهُ بِغَزْوِ التُّرْكِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

ذكر غزو الترك

قَالَ ^(٢) : وَلَمَّا أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ رَبِيعَةَ بِغَزْوِ التُّرْكِ خَرَجَ بِالنَّاسِ [حَتَّى قَطَعَ الْبَابَ] ^(٣) فَقَالَ لَهُ شَهْرِيَارُ : مَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ؟ قَالَ : أُرِيدُ بِلَنْجَرٍ وَالتُّرْكِ . قَالَ : إِنَّا لَنَرْضَى مِنْهُمْ

(١) ابن الأثير ٣ : ١٤ .

(٢) ابن الأثير ٣ : ١٤ .

(٣) من ابن الأثير .

[أَنْ يَدْعُونَا مِنْ دُونِ الْبَابِ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَكُنَّا لَا نَرْضَى حَتَّى نَغْزُوهُمْ فِي دِيَارِهِمْ ، وَتَالَلَّهِ إِنْ مَعَنَا أَقْوَامًا لَوْ يَأْذَنُ لَنَا أَمِيرُنَا فِي الْإِمْعَانِ لَبَلَّغْتُ بِهِمُ الرُّومَ . قَالَ : وَمَا هُمْ ؟ قَالَ : أَقْوَامٌ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ بَنِيَّةً فَلَا يَزَالُ النَّصْرُ مَعَهُمْ ، فَغَزَا بَلَنْجَرٍ ، فَقَالُوا : مَا أَجْتَرَأُ عَلَيْنَا إِلَّا وَمَعَهُ الْمَلَائِكَةُ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الْمَوْتِ ، فَهَرَبُوا وَتَحَصَّنُوا ، وَرَجَعَ بِالْغَنِيمَةِ وَالظَّفَرِ . وَقَدْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ الْبَيْضَاءُ عَلَى رَأْسِ مِائَتَيْ فَرَسٍ مِنْ بَلَنْجَرٍ ، وَعَادَ وَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ غَزَاهَا أَيَّامَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَزَوَاتٍ ، فَظَفِرَ كَمَا كَانَ يَظْفَرُ .

ثُمَّ غَزَاهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي حَقِّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَذَكَّرُهُ ، فَتَدَامَرَتِ التُّرُكُ وَاجْتَمَعُوا فِي الْغِيَاضِ ، فَرَمَى رَجُلٌ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِسَهْمٍ عَلَى غُرَّةٍ ، فَقَتَلَهُ ، وَهَرَبَ الرَّامِيُّ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ التُّرُكُ إِلَى الْمُسْلِمِ وَقَدْ قُتِلَ خَرَجُوا عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَأَقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَنَادَى مُنَادٍ مِنَ الْجَوِّ : صَبِرًا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَمَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ ! فِقَاتِلْ حَتَّى قُتِلَ ، وَانْكَشَفَ أَصْحَابُهُ ، وَأَخَذَ الرَّايَّةَ أَخُوهُ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَنَادَى مُنَادٍ مِنَ الْجَوِّ : صَبِرًا سَلْمَانُ . فَقَالَ سَلْمَانُ : أَوْتَرَى جَزَعًا ! وَخَرَجَ بِالنَّاسِ عَلَى جِيْلَانٍ إِلَى جُرْجَانٍ ، وَلَمْ تَمْنَعَهُمْ هَذِهِ الْحَرْبُ مِنْ [اتِّخَاذِ جَسَدٍ] ^(١) عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَهُمْ يَسْتَسْبِقُونَ بِهِ حَتَّى الْآنَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ لَانَبِيَّ بَعْدَهُ .

ذكر غزو خراسان

وفي^(١) سنة اثنتين وعشرين غزا الأحنفُ بنُ قيس خُراسانَ ،
على قول بعضهم . وقيل : بل كان في سنة ثمان عشرة ،
وسببُ ذلك أنَّ يزْدَجِردَ لما سار إلى الرِّيِّ بعد هزيمة أهل جُلولاءَ ،
أنتهى إليها ، وبها أبان جاذوئيه ، فوثب أبان عليه وأخذه . فقال
يزْدَجِردُ : يا أبان ، تغدري ! قال : لا ؛ ولكن قد تركتُ مُلكك ،
فصار في يد غيرك ، فأحببتُ أن أكتب على ما كان لي من شيء ،
وأخذ خاتم يزْدَجِردَ وأكتب الصَّكَّ بكل ما أعجبه ، وختم عليها
ورَدَّ الخاتم ، ثم أتى بعد ذلك سعدًا فردَّ عليه كل شيء في كتابه .
وسار يزْدَجِردُ من الرِّيِّ إلى أصبَهانَ ، ثم إلى كرمانَ والنَّارَ معه ،
ثم قصدَ خُراسانَ والنَّارَ معه ، فنزل مروَ ، وبني للنار بيتًا ، وأطمأنَّ
وأمنَ أن يؤتَى ، ودانَ له من بقي من الأعاجم .

وكاتبَ الهُرمزانَ ، وأثار أهلَ الجبالِ والفيروزانَ ، فنكثوا ، فأذنَ
عمرُ رضى الله عنه للمسلمين فدخلوا بلادَ القُريسَ ، فسار الأحنفُ
إلى خُراسانَ فدخلها من الطَّبَسِينِ ، فافتتح هِراةَ عَنوةً ، واستخلفَ عليها
صُحَّارَ بنَ صَخرَ العبدي . وقيل فيه : صُحَّارُ بنُ عباس بن شراحبيلٍ ؛
ثم سار نحو مروَ الشَّاهِجَانِ ، فأرسل إلى نَيْسابورَ مطرفَ بن عبد الله
ابن الشَّخِيرِ ، وإلى سَرْخَسَ الحارث بن حَسَّانَ .

فلَمَّا دَنَا الْأَحْنَفُ مِنْ مَرَوْ ، خَرَجَ يَزْدَجِرْدُ مِنْهَا إِلَى مَرَوْ الرُّودُ ،
وَنَزَلَ الْأَحْنَفُ مَرَوْ الشَّاهِجَانِ .

وَكُتِبَ يَزْدَجِرْدُ إِلَى خَاقَانَ مَلِكِ التُّرْكِ وَإِلَى مَلِكِ الصُّغْدِ
وَإِلَى مَلِكِ الصِّينِ يَسْتَعْدُّهُمْ .

وَخَرَجَ الْأَحْنَفُ مِنْ مَرَوْ الشَّاهِجَانِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا خَالِدُ
ابْنُ التُّعْمَانِ الْبَاهَلِيُّ بَعْدَ أَنْ لَحِقَتْهُ أَمْدَادُ الْكُوفَةِ . فَلَمَّا سَمِعَ بِهِ يَزْدَجِرْدُ
سَارَ مِنْ مَرَوْ الرُّودَ إِلَى بَلَخَ ، وَنَزَلَهَا الْأَحْنَفُ ، وَالتَّقَى أَهْلُ الْكُوفَةِ
وَيَزْدَجِرْدُ بِبَلَخَ ، فَانْهَزَمَ يَزْدَجِرْدُ ، وَعَبَّرَ النَّهْرَ ، وَلَحِقَ الْأَحْنَفُ
بِأَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَافْتَتَحَ مَا بَيْنَ نَيْسَابُورَ إِلَى
طَخَارِيسْتَانَ ، وَعَادَ إِلَى مَرَوْ الرُّودُ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى طَخَارِيسْتَانَ رِغْقَى
ابْنَ عَامِرٍ ، وَكُتِبَ إِلَى عَمَرَ بِالْفَتْحِ . فَقَالَ عَمَرُ : وَدِدْتُ أَنْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهَا بَحْرًا مِنْ نَارٍ . فَقَالَ عَلِيُّ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ
أَهْلَهَا سَيَنْقُضُونَ [مِنْهَا] ^(١) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَكُتِبَ إِلَى الْأَحْنَفِ
أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى مَا دُونَ النَّهْرِ وَلَا يَجُوزَهُ .

قَالَ : وَلَمَّا عَبَرَ يَزْدَجِرْدُ مَهْزُومًا ، أَنْجَدَهُ خَاقَانَ التُّرْكِ ، وَأَهْلُ
قَرْغَانَةَ وَالصُّغْدِ ، فَرَجَعَ يَزْدَجِرْدُ وَخَاقَانَ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَتَزَلَّ بَلَخَ .
وَرَجَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى الْأَحْنَفِ بِمَرَوْ الرُّودَ ، فَنَزَلَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ بِهَا ،
وَكَانَ الْأَحْنَفُ لَمَّا بَلَغَهُ خَبْرُ عُبُورِ يَزْدَجِرْدِ وَخَاقَانَ النَّهْرَ إِلَيْهِ ، خَرَجَ
لِيَلَّا يَتَسَمَّعُ ، لَعَلَّهُ يَسْمَعُ بَرَأْيَ يَنْتَفِعُ بِهِ ، فَمَرَّ بِرَجُلَيْنِ يُنْقَبِيَانِ
عَلْفًا ، وَأَحَدُهُمَا يَقُولُ لِمُصَاحِبِهِ : أَسْنَدْنَا الْأَمِيرَ إِلَى هَذَا الْعَجَبِ ؛

فكان الشَّهْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا خَنْدَقًا ، وَكَانَ الْجَبَلُ فِي ظُهُورِنَا (١) ، فَلَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا ، وَكَانَ قِتَالُنَا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ رَجَوْتُ أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . فَرَجَعَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَمَعَ النَّاسَ وَرَحَّلَ بِهِمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ ، وَكَانَ مَعَهُ مِنَ الْبَصْرَةِ عَشْرَةُ آلَافٍ ، وَمِنَ الْكُوفَةِ نَحْوُ مِنْهُمْ .

وَأَقْبَلَتِ التُّرُكُ وَمَنْ مَعَهَا فَزَلُّوا بِهِمْ ، وَجَعَلُوا يُنَادُونَهُمْ وَيُرَاوِحُونَهُمْ وَيَنْجَحِرُونَ فِي اللَّيْلِ . فَخَرَجَ الْأَحْنَفُ لَيْلَةً طَلِيعَةً لِأَصْحَابِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ عَسْكَرِ خَاقَانَ وَقَفَ ، فَلَمَّا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ خَرَجَ فَارَسٌ مِنَ التُّرُكِ وَهُوَ مُطَوَّقٌ ، فَضَرَبَ بِطَبْلِهِ ، ثُمَّ وَقَفَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْأَحْنَفُ ، فَاقْتَتَلَا ، فَقَتَلَهُ الْأَحْنَفُ ، وَأَخَذَ طَوْقَهُ ، وَوَقَفَ وَاحِدَ آخِرٍ وَآخِرَ بَعْدِهِ ، فَفَعَلَ بِهِمَا كَذَلِكَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى سِكَرِهِ .

وَكَانَتْ عَادَةُ التُّرُكِ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثَةٌ مِنْ رِجَالِهِمْ أَكْفَاءٌ ، كُلُّهُمْ يَضْرِبُ بِطَبْلِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ بَعْدَهُمْ ، فَلَمَّا خَرَجُوا وَجَدُوا قُرْمَدَانِهِمْ ، فَتَطَيَّرَ خَاقَانٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : قَدْ طَالَ مُقَامُنَا ، وَأَصِيبُ فُرْسَانِنَا ، وَلَيْسَ لَنَا فِي قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ خَيْرٌ ، وَرَجَعَ .

وَارْتَفَعَ الشَّهَارُ وَلَمْ يَرَ الْمُسْلِمُونَ أَحَدًا ، وَأَنَاهُمْ الْخَبِيرُ بِأَنْصِرَافِ التُّرُكِ إِلَى بَلَخٍ ، وَكَانَ يَزْدَجِرُ دَتْرَكَ خَاقَانَ يُقَاتِلُ بِمَرُورِ الرُّودِ ، وَأَنْصَرَفَ إِلَى مَرُورِ الشَّاهِجَانِ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا تَحَصَّنَ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ وَمَنْ مَعَهُ ، فَحَصَرَهُمْ ، وَاسْتَخْرَجَ خَزَائِنَهُ مِنْ مَوْضِعِهَا .

وَأَرَادَ أَنْ يَلْحَقَ خَاقَانٌ لَمَّا بَلَغَهُ أَنْصِرَافُهُ عَنْ مَرُورِ الرُّودِ إِلَى بَلَخٍ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَارَسَ بِمِصَالِحَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَبَى ذَلِكَ ، فَاعْتَزَلُوهُ .

وقَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ ، وَاسْتَوَلَوْا عَلَى خَزَائِنِهِ ، وَتَوَجَّهَ هُوَ نَحْوَ خَاقَانَ وَعَبَرَ النَّهْرَ إِلَى قَرْغَانةَ ، وَأَقَامَ بِبَلَدِ التُّرْكِ مَدَّةَ خِلَافَةِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى أَنْ كَفَرَ أَهْلُ خِرَاسَانَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ ، فَكَاتَبُوهُ وَكَاتَبَهُمْ ، ثُمَّ قُتِلَ عَلَى مَا سَنَدَكَرَهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ .

قال : ثُمَّ أَقْبَلَ أَهْلُ فَارَسَ بَعْدَ انْهِزَامِ يَزْدَجَرْدَ عَلَى الْأَحْنَفِ ، وَصَالَحُوهُ وَدَفَعُوا لَهُ الْخَزَائِنَ ، وَتَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَاعْتَبَطُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، فَأَصَابَ الْفَارَسَ يَوْمَ يَزْدَجَرْدَ كَسَمُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ . وَسَارَ الْأَحْنَفُ إِلَى بَلْخَ وَنَزَلَهَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَرُو الرُّوذِ ، وَكَتَبَ بِهَذَا الْفَتْحِ إِلَى عُمَرَ .

قال : وَلَمَّا عَبَرَ خَاقَانَ وَيَزْدَجَرْدَ إِلَى النَّهْرِ ، لَقِيََا ^(١) رَسُولَ يَزْدَجَرْدِ الَّذِي كَانَ أَرْسَلَهُ إِلَى مَلِكِ الصِّينِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَلِكَ الصِّينِ قَالَ لَهُ : صِفْ لِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ ، فَإِنِّي أَرَاكَ تَذْكُرُ قَلَّةَ مِنْهُمْ ، وَكَثْرَةَ مِنْكُمْ ، وَلَا يَبْلُغُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الْقَلِيلِ مِنْكُمْ مَعَ كَثْرَتِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ عِنْدَهُمْ وَشَرٌّ فِيكُمْ . فَقَالَ : مَلَنِي عَمَّا أَحْبَبْتُ . فَقَالَ : أَيُؤْفُونَ بِالْعَهْدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا يَقُولُونَ لَكُمْ قَبْلَ الْقِتَالِ ؟ قَالَ : يَدْعُونَنَا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثٍ : إِمَّا دِينُهُمْ فَإِنْ أَحْبَبْنَا أَجَرُونَا مَجْرَاهُمْ ، أَوِ الْجِزْيَةَ ، أَوِ الْمُنَابَذَةَ . قَالَ : فَكَيْفَ طَاعَتُهُمْ فِي أُمُورِهِمْ ؟ قُلْتُ : أَطَوَّعُ قَوْمَ لَرِيشِيدِهِمْ . قَالَ : فَمَا يُحِلُّونَ وَمَا يَحْرُمُونَ ؟ فَأَخْبَرَهُ . قَالَ : هَلْ يُحِلُّونَ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يَحْرُمُونَ مَا أُحِلَّ لَهُمْ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَزَالُونَ عَلَى الظُّفْرِ

(١) ك : ه لقوا .

حتى يُحِلُّوا حَرَامَهُمْ وَيُحَرِّمُوا حَلَالَهُمْ ، ثم قال : أَخْبِرْنِي عَنْ لِيَايِسِهِمْ ، فَأَخْبِرَهُ ، وعن مَطَايَاهُمْ . قال : الْخَيْلُ الْعِرَابُ ، ووصفها لهم . قال : نِعَمَ الْحُصُونُ ! ووصف له الإبلَ وَبَرَكَهَا وَقِيَامَهَا . فقال : هذه صِفَةُ دَوَابِّ طِوَالِ الْأَعْنَاقِ .

وكتب معه إلى بَزْدَجَرْد : إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْكَ بِجُنْدٍ أَوَّلُهُ بِمَرَوْ وَآخِرُهُ بِالصُّيْنِ الْجَهَالَةُ بِمَا يَحَقُّ عَلَى ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَصَفَ لِي رَسُولُكَ لَوْ يَحَاوِلُونَ الْجِبَالَ لَهْدُوها ، وَلَوْ خَلَا لَهُمْ سَبِيلُهُمْ أَزَالُونِي مَا دَامُوا عَلَى مَا وَصَفَ ، فَسَأَلْتُهُمْ وَارَضَ مِنْهُمْ بِالْمُسَالَمَةِ ، وَلَا تَهْجِيهِمْ مَا لَمْ يَهْجُوكَ . . .

فَأَقَامَ بَزْدَجَرْدُ بِفَرَّغَانَةِ وَمَعَهُ آلُ كَسْرِي بِعَهْدٍ مِنْ خَاقَانَ .

قال : وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ الْفَتْحِ إِلَى عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جَمَعَ النَّاسَ وَخَطَبَهُمْ ، وَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى إِنْجَازِ وَعْدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا وَإِنْ مَلِكُ الْمَجُوسِيَّةِ قَدْ هَلَكَ ، فَلَيْسُوا يَمْلِكُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ شَيْبَرًا يَضُرُّ بِمُسْلِمٍ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْثَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَلَا تَبَدَّلُوا فَيَسْتَبْدِلَ اللَّهُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مِنْ قِبَلِكُمْ .

وقيل : إِنَّ فَتْحَ خُرَاسَانَ كَانَ فِي زَمَنِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَنَدَكَرَهُ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَوْضِعِهِ .

ذكر فتح شهرزور والصامغان

وفي (١) سنة اثنتين وعشرين كان فتح شهرزور ؛ فتحها عتبة ابن فرقد صلحاً على مثل صلح حلوان بعد قتال (٢) ، وصالح أهل الصامغان ، وداراباذ على الجزية والخراج ، وقتل خلقاً كثيراً من الأكراد ، وكتب إلى عمر : إن فتوحى قد بلغت أذربيجان ، فولاه إياها ، وولى هرثمة بن عرفة الموصل ، ولم تزل شهرزور وأعمالها مضمومة إلى الموصل حتى أفردت عنها في آخر خلافة الرشيد . والله تعالى أعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله وحده .

ذكر فتح توج

كان (٣) فتحها في سنة ثلاث وعشرين ؛ وذلك أنه لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا إلى بلاد فارس أمراء عليها ، كان معهم سارية بن زعيم ، فساروا ، وأهل فارس مجتمعون بتوج ، فلم يقصدهم المسلمون ، وتوجه كل أمير إلى الجهة التي أمر بها ، وبلغ ذلك أهل فارس ، فافترقوا إلى بلدانهم ، كما افترق المسلمون ، فكانت تلك هزيمتهم وتششت أمورهم ، فقصدتهم مجاشع بن مسعود بسابور وأزدشير فالتقوا بتوج ، وأقتتلوا ما شاء الله ، ثم انهزم الفرس

(١) ابن الأثير ٣ : ١٩ .

(٢) بعدها في ابن الأثير : « فكانت المقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت » .

(٣) ابن الأثير ٣ : ١٩ .

وَقَتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ شَرًّا قِتْلَةً ، وَغَنِمُوا مَا فِي عَسْكَرِهِمْ ، وَحَصَرُوا تَوَجَّجَ
فَافْتَتَحُوهَا ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَغَنِمُوا مَا فِيهَا .

وتوج هي [التي] (١) استنقذتها جيوش العلاء بن الحضرمي
أيام طائوس ، ثم دُعُوا إِلَى الْجَزِيَةِ فَرَجَعُوا وَأَقْرَبُوا بِهَا ، وَأَرْسَلَ مَجَاشِعُ
ابْنُ مَسْعُودٍ بِالْبَشَارَةِ وَالْأَخْمَاسِ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

ذكر فتح إصطخر وجور وكازرون والنوبندجان

ومدينة شيراز وأرجان وسينيز وجنابا وجهرم

وفد (٢) سنة ثلاث وعشرين قصد عثمان بن أبي العاص (٣)
إصطخر (٤) فالتقى هو وأهلها بجور ، فاقتتلوا ، وأنهزم الفرس ،
وفتح المسلمون جور ، ثم إصطخر ، وقتلوا ما شاء الله ، وفر منهم
من فر . فدعاهم عثمان إلى الجزية والذمة ، فأجابته الهزيمة إليها ، وترجعوا .
وكان عثمان قد جمع الغنائم وخمسها ، وبعث الخمس إلى عمر ،
وفتح كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها .

وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز ، وأرجان ، وفتح سينيز
على الجزية والخراج . وقصد عثمان أيضا جنابا ففتحها ، وفتح هو وأبو
موسى مدينة شيراز ، ولقيهم جمع من الفرس بناحية جهرم [فهزمهم] (٥)
وفتحها .

(١) من ابن الأثير .

(٢) ابن الأثير ٣ : ٢٠ .

(٣) ابن الأثير : و أبي العاص الثقفي .

(٤) ابن الأثير : « أهل إصطخر » .

(٥) من ص .

وقيل : إِنَّ فَتْحَ إِصْطَخَر كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ ، وَاللَّهُ سَبِيحَانَهُ
وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر فتح فساودا رابجرد

وفي ^(١) سنة ثلاث وعشرين أيضا قصد سارية بن زُئيم الدَّيْلِي
فَسَاوَدَا رِبَجْرَدَ ، وَأَنْتَهَى إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَحَاصَرَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
ثُمَّ اسْتَمْدُوا وَتَجَمَّعُوا ، وَتَجَمَّعَتْ إِلَيْهِمُ الْأَكْرَادُ مِنْ فَارَسَ ^(٢) ،
فَدَهَمَ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَأَتَاهُمُ الْفُرْسُ مِنْ كُلِّ جَنْبٍ ، فَرَأَى
عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعْرَكَتَهُمْ وَعَدَدَهُمْ
فِي سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ ، فَنَادَى مِنَ الْغَدَاةِ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ
فِي السَّاعَةِ الَّتِي رَأَى فِيهَا مَا رَأَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ قَدْ رَأَاهُمْ وَالْعَدُوَّ
فِي صَحْرَاءَ ، إِنْ أَقَامَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا أَحِيطَ بِهِمْ ، وَإِنْ اسْتَنَدُوا إِلَى الْجَبَلِ
لَمْ يُؤْتُوا إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ .

فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي رَأَيْتُ هَذَيْنِ الْجَمْعَيْنِ
وَأَخْبَرَ بِحَالِهِمَا ، وَصَاحَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَخْطُبُ : يَا سَارِيَّةُ ،
الْجَبَلُ الْجَبَلُ ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا ، وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ
أَنْ يُبَلِّغَهُمْ .

فَسَمِعَ سَارِيَّةُ وَمَنْ مَعَهُ الصَّوْتَ ، فَلَجَّشُوا إِلَى الْجَبَلِ ، ثُمَّ قَاتَلُوهُمْ
فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ . وَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ مَغَانِمَ ، وَأَصَابُوا سَفَطًا فِيهِ جَوْهَرٌ ،
فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهُمْ سَارِيَّةُ ، وَبَعَثَ بِهِ وَبِالْفَتْحِ مَعَ رَجُلٍ إِلَى عُمَرَ ، فَقَدِمَ

(١) ابن الأثير ٣ : ٢١ .

(٢) ابن الأثير : « أكراد فارس » .

عليه ، وأخبره الخبر ، وقصة الجوهر ، فصاح به عمر وقال :
لا ولا كرامة ! اقسمه بين الجُندِ ، وطرده ، وردَّ السِّفَطِرِ .

وسأل أهل المدينة الرسولَ ، هل سمعوا يومَ الوقعة شيئاً ؟ قال :
سمِعْنَا : « يا ساريةَ الجبلِ » . وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إليه ،
ففتحَ الله سبحانه وتعالى علينا . والله أعلم بالصواب ، وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

ذكر فتح كرمان

وفيها (١) قصَدَ سُهَيْلُ بْنُ عَدِيٍّ كَرْمَانَ ، ولحقه عبدُ الله بنُ
عبدِ الله بنِ عَبَّانٍ ، وحُثِدَ [له] (٢) أهلُها واستعانوا بالقُفُصِ ،
فأقَتَلُوا فِي أَدْنَى أَرْضِهِمْ ، فقتَلَ النُّسَيْرُ بْنُ عَمْرِو الْعِجْلِيُّ مَرْزُبَانَهَا (٣) ،
وفتحها المسلمون .

وقيل : إِنَّ الَّذِي فَتَحَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلِ بْنِ زُرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ
فِي خِلَافَةِ عُمَرَ ، ثُمَّ أَتَى الطَّبَّاسِينَ مِنْ كَرْمَانَ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ :
أَقْطِعْنِي الطَّبَّاسِينَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ . فَقِيلَ : إِنَّهَا رُسْتَاقٌ ، فَأَمْتَعَ .

(١) ابن الأثير ٣ : ٢٢ .

(٢) من ص .

(٣) المرزبان : من ألقاب رؤساء الفرس .

ذكر فتح سجستان

في (١) سنة ثلاث وعشرين أيضا قصدَ عاصم بن عمرو سجستان ، ولحقه عبدُ الله بنُ عُصَير ، فاستقبلَهم أهلُها فالتَقُوا في أدنى أرضِهم ، فهزَمَهم المسلمون وأتبعوهم حتى حاصروهم بزرنج ، فطلبوا الصلح على زرنج وما سادوا عليه من الأرضين ، وأضطلحوها على الخراج ، فكانت سجستانُ أعظمَ من خراسان وأبعدَ فُروجاً ، يُقاتِلون القنْدَهَارَ والتُّرْكَ ، وأممًا كثيرةً .

وقيل في فتحِ سِجِسْتَان غيرُ هذا ، وسنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه .

ذكر فتح مكران

وفيها (٢) قصدَ الحكمُ بنُ عمرو التغلبيَّ مُكْرَانَ ، ولحقَ به شهابُ بنُ المخارق وسهيلُ بنُ عديّ وعبدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ عَتْبَانَ ، فانتَهَوْا إلى دُوَيْنِ النَّهْرِ ، وأهلُ مُكرانَ على شاطئه ، فاستمدَّ ملكُهم ملكَ السُّنْدِ ، فأمدَّه بجيشٍ كثيرٍ ، فالتَقُوا مع المسلمين فهزَمُوا ، وقُتِلَ منهم في المعركة مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم أيامًا ، حتى انتهَوْا إلى النَّهْرِ ، ورجع المسلمون إلى مُكْرَانَ فأقاموا بها ، وكتبَ الحكمُ إلى عمرَ بالفتح ، وبعثَ إليه بالأخماس مع صُحَّارِ العَبْدِيِّ . فلَمَّا قَدِمَ المدينةَ سَأَلَهُ عُمَرُ عن مُكْرَانَ ،

(١) ابن الأثير ٣ : ٢٢ .

(٢) ابن الأثير ٣ : ٢٣ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هي أرض سهلها جبلٌ ، وماؤها وشلٌ ، وتمرها دقلٌ ، وعدوها بطلٌ ، وخبرها قليلٌ ، وشرها طويلٌ ، والكثير منها قليلٌ ، والقليل بها ضائعٌ ، وما وراءها شرٌّ منها .

فقال عمر : أسجأُ أنت أم مُخبرٌ ! لا والله لا يغزوها لي جيشٌ أبداً ، وكتب إلى مُسهل والحكم ألاَّ يُجوزنَّ مكرانَ أحدٍ من جنودِكما ، وأمرهما ببيعِ الفيلةِ التي غنمها المسلمون ، وقسم أثمانها على الغانمين .

ذكر فتح بيروذ من الأهواز

وهي بفتح الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من أسفل ، وضمِّ الراء وسكون الواو وذال معجمة .

قال : لما^(١) فصلت الخيولُ إلى الكُور اجتمع ببيروذ جمعٌ كثير من الأكراد وغيرهم ، وكان عمرُ رضى الله عنه قد عهد إلى أبي موسى أن يسيرَ إلى أقصى ذمة البصرة كما ذكرنا ؛ حتى لا يؤتى المسلمون في أعقابهم . فسار أبو موسى وألتقى معهم في شهر رمضان ، سنة ثلاث وعشرين ببيروذ من بين نهرِ تيرى ومناذير ، فقام المهاجرُ ابنُ زياد وقد تحنَّط ، فقاتلَ حتى قُتلَ ، وأشدَّ جزعُ الربيعِ بنِ زياد على أخيه المهاجر ، وعظم عليه فقدُّه ، فرقَّ له أبو موسى وأستخلفه على جُنده .

وخرج أبو موسى حتى بلغ أذربهان ، وكان مع المسلمين بها حتى

فُتِحَتْ ، ثم رجع إلى البَصْرَةِ ، وفتح الربيعُ بنُ زيادَ بَيْرُودَ ، وَغَنِمَ ما كان تَجْمَعُ بها .

وَأَوْفَدَ أَبُو موسى وَفْدًا إلى عَمَرَ بِالْأَحْمَاسِ ، وَطَلَبَ ضَبَّةَ بنِ مِحْصَنٍ الْغَنَوِيِّ أَنْ يَكُونَ فِي الْوَفْدِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَبُو موسى ، وَكَانَ أَبُو موسى قَدْ اخْتَارَ مِنْ سَبْيِ بَيْرُودَ سَتَيْنَ غُلَامًا . فَاِنْطَلَقَ ضَبَّةُ إلى عَمَرَ شَاكِبًا ، وَكَتَبَ أَبُو موسى إلى عَمَرَ يُخْبِرُهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ ضَبَّةُ عَلَى عَمَرَ سَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا ! فَقَالَ : أَمَا الرَّحْبُ فَمِنْ اللَّهِ ، وَأَمَّا الْأَهْلُ فَلَا أَهْلَ . ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَرُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : إِنَّ أَبَا موسى أُنْتَقَى سَتَيْنَ غُلَامًا مِنْ أَبْنَاءِ الدَّهَاقِينِ لِنَفْسِهِ ، وَلَهُ جَارِيَةٌ تُغْذَى جَفْنَةً ، وَتُعْشَى جَفْنَةً تُدْعَى عَقِيلَةَ ، وَلَهُ قَفِيزَانِ ، وَلَهُ خَاتِمَانِ ؛ وَفُوضَ إلى زيادِ بنِ أَبِي سُفْيَانَ أُمُورَ الْبَصْرَةِ ، وَأَجَازَ الْخَطِيئَةَ بِأَلْفِ .

فَاسْتَدْعَى عَمَرُ أَبَا موسى ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ حَجَبَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ ، فَسَأَلَ عَمَرُ ضَبَّةَ عَمَّا قَالَ : فَقَالَ : أَخَذَ سَتَيْنَ غُلَامًا لِنَفْسِهِ . فَقَالَ أَبُو موسى : دَلَلْتُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ لَهُمْ فِدَاءٌ ، فَفَدَيْتُهُمْ وَقَسَمْتُهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ ضَبَّةُ : مَا كَذَبَ وَلَا كَذَبْتُ ، وَقَالَ : لَهُ قَفِيزَانِ ، فَقَالَ أَبُو موسى : قَفِيزُ لَأَهْلِي أَقْوَتُهُمْ بِهِ ، وَقَفِيزُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَيْدِيهِمْ يَأْخُذُونَ بِهِ أَرْزَاقَهُمْ . فَقَالَ ضَبَّةُ : مَا كَذَبَ وَلَا كَذَبْتُ .

فَلَمَّا ذَكَرَ عَقِيلَةَ سَكَتَ أَبُو موسى وَلَمْ يَعْتَذِرْ ، فَعَلِمَ أَنَّ ضَبَّةَ قَدْ صَدَقَهُ . قَالَ : وَوَلَّى زِيَادًا ، قَالَ : رَأَيْتُ لَهُ رَأْيًا وَنُبْلًا

فَأَسْنَدَتْ إِلَيْهِ عَمَلِي . قَالَ : وَأَجَازَ الْحَطِيبَةُ بِأَلْفٍ ، قَالَ : سَدَدْتُ
فَمَهْ بِمَالِي أَنْ يَشْتِمَنِي ، فَرَدَّهُ عُمَرُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ زِيَادًا وَعَقِيلَةَ ،
فَفَعَلَ .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ زِيَادُ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَعَطَائِهِ وَالْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ ،
وَالْقُرْآنِ ، فَرَأَاهُ فَقِيهًا ، فَرَدَّهُ ، وَأَمَرَ أَمْرَاءَ الْبَصْرَةِ أَنْ يَسِيرُوا بِرَأْيِهِ ،
وَحَبَسَ عَقِيلَةَ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَالَ عُمَرُ : أَلَا إِنَّ ضَبَّةَ غَضِبَ عَلَى أَبِي
مُوسَى وَرَدَّهُ مُرَاعِمًا ، أَنْ فَاتَهُ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ ، وَكَذَبَ
فَأَفْسَدَ كَذِبُهُ صِدْقَهُ . فَلْيَاكُمُ وَالْكَذِبُ ! فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ .

ذكر خبر سلامة بن قيس الأشجعي والكراد

قال (١) : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ
جَيْشٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَ عَلَيْهِمْ أَمِيرًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ
جَيْشٌ ، فَبِعِثَ عَلَيْهِمْ سَلَمَةَ بْنَ قَيْسٍ الْأَشْجَعِيَّ وَقَالَ لَهُ : سِرْ بِأَسْمِ
اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، فَإِذَا لَقِيتُمْ عَدُوَّكُمْ
فَادْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوا وَأَقَامُوا بِدَارِهِمْ فَعَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ ،
وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْفَتَى نَصِيبٌ ، وَإِنْ سَارُوا مَعَكُمْ فَلَهُمْ مِثْلُ الَّذِي لَكُمْ ،
وَعَلَيْهِمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ أَبَوْا فَادْعُوهُمْ إِلَى الْجَزِيَةِ ، فَإِنْ أَجَابُوا
فَأَقْبَلُوا مِنْهُمْ ، وَإِنْ أَبَوْا فَقَاتِلُوهُمْ ، وَإِنْ تَحَصَّنُوا مِنْكُمْ وَسَأَلُوا أَنْ
يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، أَوْ ذِمَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَلَا تَجْبِيهِوهُمْ ،
فَإِنْكُمْ لَا تَنْدَرُونَ مَا حَكَمَ اللَّهُ رَسُولُهُ ، وَذِمَّتُهُمَا فِيهِمْ ، وَلَا تَغْلِبُوا ،
وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَلَا تُمَثِّلُوا .

فساروا حتَّى لقوا عدوًّا من الأكراد المشركين ، فدَعَوْهم إلى الإسلام أو الجزية ، فأَبَوْا فقاتلَهم وهَزَمَهم ، وقتلوا المُقاتِلَةَ ، وسَبَوْا الذَّرِيَّةَ فقسَّمَهَا بينهم ، ورأى سَلَمَةُ جوهرًا في سَفَطٍ ، فاسترضى عنه المسلمين وبعثه إلى عمَر ، فغضب ووجَّاه في عُتْقِ رسوله وأعادَه ، فباعه سَلَمَةُ ، وقسَمَ ثمنَه في المسلمين ، فكان الفَصُّ يباع بخمسةِ دراهمٍ ، وقيمتُه عشرون ألفًا .

ذكر فتوح مصر وما والاها

كان فتح مصرَ على يد عمرو بن العاص والزُّبَيْر بن العوَّام رضيَ الله عنهما ، وقد اختلفَ في السَّنةِ أَلَى فُتِحَتْ مصرُ فيها ، فقيل : في سنةِ عشرين . وقيل : سنةِ سِتِّ عشرة . والصحيح أنها فُتِحَتْ قبل عامِ الرَّمَادَةِ ، وكان عامُ الرَّمَادَةِ في سنةِ ثمانِي عشرة ؛ فإنَّ عمرو ابنَ العاصِ حملَ منها الطَّعَامَ إلى المدينة في بَحْرِ القُلْزُومِ على ما نذكره إن شاء الله تعالى في حوادث السَّنِينَ .

وقد اختلفَ أيضًا في سببِ مَسِيرِ عمرو إليها ، واختلفَ في كَيْفِيَّةِ الفتح ، وكيف كان .

وقد رَوَى الشيخُ أبو القاسم عبدُ الرحمن بن عبدِ الله بن عبدِ الحَكَم - رحمه الله - في فتوحِ مصرَ (١) أخبارًا بأَسَانِيدَ متَّصِلَةً إلى جماعةٍ ممَّنْ شَهِدُوا الفتحَ وغيرهم ، اختَصَرْنَا ذِكْرَهَا ، مَدَارُهَا على ابنِ كَهِيعَةَ عن عبدِ الله بن أبي جعفر وعيَّاش بن عباسِ العُتْبَانِيِّ وعلي بن يزيد

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٥٣ وما بعدها .

ابن أبي حبيب ، واللَّيْثُ بن سعد وغيرهم ، دخل حديثُ بعضهم في حديثِ بعض . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله وحده .

ذكر مسير عمرو الى مصر

قالوا : لما قدم عمرو بن الخطَّاب رضى الله عنه إلى الجابية ، قام إليه عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وخلاً به فقال : يا أمير المؤمنين ، أئذَّن لي أن أسيرَ إلى مصر ، وحرَّضه عليها وقال : إِنَّكَ إِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهَا كَانَتْ قُوَّةً للمسلمين وَعَوْنًا لَهُمْ ، وهى أكثر الأرض أموالاً ، وأعجزُ عن القتال والحرب . فتخوَّفَ عمرو على المسلمين وكَرِهَ ذلك ، فلم يَزَلْ عمرو يعظُم أمرها عنده ، ويهونُ عليه فتحها ، حتَّى رَكَنَ لذلك ، فعَقَدَ له على أربعة آلاف رجلٍ كلَّهم من عَكَ ، ويقال : ثلاثة آلاف وخمسمائة . وقيل : ثلثهم من غافق ، وقال له : يسِّرْ وأنا مستخيرُ الله في مسيرِكَ ، وسيأتيكَ كِتَابِي سريعاَ إِنْ شاء الله تعالى ، فإذا أَدْرَكَكَ كِتَابِي بالأنصرافِ عن مصرَ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَهَا ، أَوْ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فانصرف ، وإِنْ أَنْتَ وصَلْتَهَا قَبْلَ ذَلِكَ فامضِ لَوَجْهِكَ ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَاسْتَنْصِرْهُ .

فسار عمرو من جَوْفِ اللَّيْلِ : ولم يشعرُ به أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، واستخارَ عمرُ الله تعالى ، فكأنَّه تخوَّفَ على المسلمين في وجْهِهِمْ ذلك .

فكتب إلى عمرو أن ينصرف بمن معه ، فأدركه الكتاب (١) وهو

(١) ابن عبد الحكم : « فأدرك الكتاب عمرا » .

بَرْقَح ، فَتَخَوَّفَ إِنَّهُ هُوَ أَخَذَ الْكِتَابَ ، وَفَتَحَهُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْأَنْصِرَافَ ، فَلَمْ يَأْخُذْهُ مِنَ الرَّسُولِ ، وَدَافَعَهُ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا بَيْنَ رَفْعٍ وَالْعَرِيشِ ، فَسَأَلَ عَنْهَا ، فَقِيلَ : إِنَّهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، فَأَخَذَ الْكِتَابَ وَقَرَأَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةُ مِنْ مِصْرَ ؟ قَالُوا : بَلَى : قَالَ : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ إِلَيَّ وَأَمَرَنِي أَنْ لِحَقَنِي كِتَابُهُ وَلَمْ أَذْخُلْ مِصْرَ أَنْ أَرْجِعَ ، وَلَمْ يَلْحَقَنِي كِتَابُهُ حَتَّى دَخَلْنَا أَرْضَ مِصْرَ ، فَيَسِيرُوا وَأَمْضُوا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وقد قيل : إِنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ كَانَ بِفِلَسْطِينَ ، فَقَدِمَ ^(١) بِأَصْحَابِهِ إِلَى مِصْرَ بِغَيْرِ إِذْنِ عُمَرَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ ، فَكُتِبَ عُمَرُ إِلَيْهِ ، فَأَتَاهُ كِتَابُهُ وَهُوَ دُونَ الْعَرِيشِ ، فَلَمْ يَقْرَأْ كِتَابَهُ حَتَّى بَلَغَ الْعَرِيشَ فَقَرَأَهُ ، فَإِذَا فِيهِ :

مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ سِرْتَ إِلَى مِصْرَ وَمَنْ مَعَكَ ، وَبِهَا جُمُوعُ الرُّومِ ، وَإِنَّمَا مَعَكَ نَفَرٌ يَسِيرُ ، وَلَعَمْرِي لَوْ كَانُوا بِكُلِّ أُمَّتِكَ ^(٢) مَا كَانُوا لَذَلِكَ ، وَمَا سِرْتَ بِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَلَغْتَ مِصْرَ فَارْجِعْ .

فَقَالَ عَمْرُو : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَيْتُ أَرْضِ هَذِهِ ؟ قَالُوا : مِنْ مِصْرَ . فَتَقَدَّمَ كَمَا هُوَ . وَيُقَالُ : بَلْ كَانَ عَمْرُو فِي جَنْدِهِ بِقَيْسَارِيَّةَ ، فَكُتِبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعُمَرُ إِذْ ذَاكَ بِالْجَابِيَةِ ، وَهُوَ يَسْتَأْذِنُهُ عَلَى ^(٣) الْمَسِيرِ إِلَى مِصْرَ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَتَنَحَّوْا مِنْ مَنَازِلِهِمْ كَأَنَّهُمْ

(١) ك : « فتقدم » .

(٢) ابن عبد الحكم : « ثكل أمك » .

(٣) ك : « يستأذنه بالمسير » .

يريدون أن يتحولوا من منزلٍ إلى منزلٍ ، فسارَ بهم ليلاً ، فلما تقدّمه
أمراءُ الأجناد استنكروا فعله ، ورأوا أن قد غرّرَ ، فرفعوا ذلك إلى
عمرَ ، فكتبَ إليه :

إلى العاصي ابنِ العاص ، أما بعد ، فإنك قد غرّرتَ بمن معك ،
فإن أدركك كتابي ولم تدخلْ مصرَ فأرجع ، وإن أدركك وقد دخلتَ
فأمض ، وأعلم أني مُمِدُّك .

ويقال : إنَّ عمرَ رضى الله عنه كتب إلى عمرو بعد فتح الشام :
أن أندب النَّاسَ إلى المسيرِ معك ، فمن خفَّ معك فيسرْ به . وبعث
بالكتاب مع ثربك بن عبدة ، فندبهم عمرو ، وأسرعَ في الخروج ،
ثم دخل عثمانُ بنُ عفَّان رضى الله عنه على عمرَ ، فأخبره عمرُ
بذلك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ عمرًا فيه إقدامٌ وحُبٌّ للإمارة ،
فأخشى أن يخرجَ في غيرِ ثقةٍ ولا جماعةٍ ، فيعرضَ المسلمون للتهلكةِ
رجاءَ فرصةٍ لا يدرى تكون أم لا !

فندبَ عمرُ على كتابه إلى عمرو ، وكتبَ إليه أن ينصرفَ إن كان
لم يدخلْ أرضَ مصرَ على ما تقدّم .

قالوا : ونفرتْ راشدةٌ وقبائلُ من العربِ مع عمرو ، فسارَ بهم :
فأدركه عيْدُ النحرِ بالعريش ، فضحى هناك . ولما بلغ المقوقسَ مسيرُ
عمرو إلى مصرَ ، توجهَ إلى القسطنط ، وكان يجهزُ الجيوشَ على عمرو ،
وكان على القصرِ رجلٌ من الرومَ ، يقال له : الأغبرج واليا تحتَ
يدِ المقوقس .

وتقدّم عمرو فكان أول موضع قُوتِلَ به الفرما ، قاتله الروم هناك قتالاً شديداً .

قال : وكان بالإسكندرية أسقفٌ للقيبطِ يقال له : أبو ميامين ، فلما بلغه قدومُ عمرو كتبَ إلى القبطِ يُعلمُهُم أَنَّهُ لا يكونُ للرومِ دولةٌ ، وأنَّ ملكَهُم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقَى عمرو .

فيقال : إنَّ القبطَ الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذٍ لعمرو أعواناً ، ثم سار عمرو من الفرما لا يدافعُ إلّا بالأمرِ الخفيف ، حتى نزلَ بلبّيس فقاتلوه بها نحواً من شهرٍ حتى فتح الله عليه ، ثم مضى حتى أتى أمَّ دُمَيْن فقاتلوه بها قتالاً شديداً ، وأبطأ عليه الفتح ، فكتب إلى عمرَ يستمدُّه ، فأمدهُ بأربعةِ آلافٍ تمامَ ثمانيةِ آلافٍ ، فقاتلهم ، وجاء رجلٌ من لخمٍ - قيل : هو خارجةُ بنُ حُذافةَ إلى - عمرَ ، فقال له : أندبُ معي خيلاً حتى آتني من ورائهم عند القتال (١) ، فأخرج معه خمسمائةَ فارسٍ ، فسار بهم من وراء الجبلِ حتى دخلوا مُغارَ بني وائلِ قبيل الصّيحِ ، وكانت الرومُ قد خندقوا خندقاً ، وجعلوا له أبواباً ، وبثوا في أفنيئتها حَسَكَ الحديدِ ، فالتقى القومُ حينَ (٢) أَصْبَحُوا ، وخرجت الخيلُ من ورائهم فأنهزموا حتى دخلوا الحصنَ ، وهو القصرُ الذي يقال له : بابليون .

(١) ك : « الباب » .

(٢) ك : « حتى » .

ذكر حصار القصر وما قيل في كيفية الاستيلاء عليه

وانتقال الروم والقبط الى الجزيرة

قال ^(١) : ولما انهزموا إلى القصر حَصَرَهُم عمرو بن العاص ومن معه حينًا ، وقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا صَبَاحًا ^(٢) ، ثم كتب إلى عمر يستمده : فأمده بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف منهم رجل [وكتب إليه : قد أمددتك بأربعة آلاف] ^(٣) على كل ألف رجل : الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ، وعُباد بن الصامت ، وسَلَمَةُ بن مَخْلَد ، ومنهم من جعل بَدَل سَلَمَةَ خَارِجَةَ بن حُذَافَةَ

وقال عمر له في كتابه : اعلم أَنَّ مَعَكَ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، وَلَا يُغْلِبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلِيلٍ . وقيل : إِنَّهُ لَمَّا أَشْفَقَ عَمْرُو ، أَرْسَلَ الزُّبَيْرُ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا : فَلَمَّا قَدِمَ تَلَقَّاهُ عَمْرُو ، ثُمَّ أَقْبَلَا ، فَرَكِبَ الزُّبَيْرُ وَطَافَ بِالْخَنْدَقِ ، وَفَرَّقَ الرُّجَالَ حَوْلَهُ : وَأَلْحَ عَمْرُو إِلَى الْقَصْرِ ، وَنَصَبَ عَلَيْهِ الْمَنْجَنِيْقَ : وَأَبْطَأَ الْفَتْحُ . فَقَالَ الزُّبَيْرُ : إِنِّي أَهْبُ نَفْسِي لِلَّهِ وَأَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَوَضَعَ سُلَّمًا إِلَى جَانِبِ الْحِصْنِ مِنْ نَاحِيَةِ مُسَوِّقِ الْحَمَامِ ، ثُمَّ صَعِدَ : وَأَمَرَهُمْ أَنْهُمْ إِذَا سَمِعُوا التَّكْبِيرَ أَنْ يَجِيبُوهُ جَمِيعًا ، فَلَمَّ يَشْعُرُ الرُّومُ إِلَّا وَالزُّبَيْرُ عَلَى الْحِصْنِ يَكْبُرُ وَيَبْدُو السَّيْفُ : وَتَحَامَلَ النَّاسُ عَلَى السَّلْمِ حَتَّى

(١) ابن عبد الحكم ٦١ .

(٢) ابن عبد الحكم : « يصحهم ويميمهم » .

(٣) من ابن الحكم .

خشيَ عمرو أن ينكسرَ بهم ، فنهاهم ، ولمَّا صاروا بأعلى الحصن كبروا جميعاً ، وأجابهم المسلمون من خارجِ الحصنِ ، فما شكَّ أهلُ الحصنِ أن العربَ قد أقتحموا جميعاً ، فهربوا ، فعمدَ الزبيرُ وأصحابه إلى بابِ الحصنِ ففتحوهُ ، واقتحمه المسلمون ؛ فحينئذٍ سألَ المقوقسُ انْصُلَحْ على نفسه ومن معه ؛ على أن يقرضَ للعربِ على القبطِ دينارين على كُلِّ رجلٍ منهم ، فأجابهم عمرو إلى ذلك .

وكان مكنُّهم على بابِ القصرِ حتَّى فتحوه سبعةَ أشهرٍ ، والله تبارك وتعالى أعلم .

قال ابن عبدِ الحَكَم : وقد ^(١) سمعتُ في فَتْحِ القَصْرِ وَجْهًا آخَرَ ، ورواه بِسْنَدِهِ إلى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، عن جماعة من التَّابِعِينَ ، يَزِيدُ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ عَلَى حَدِيثِ بَعْضٍ ، قالوا : لَمَّا حَصَرَ المسلمون بَابِلِيُونَ ، وبِهِ جماعةٌ من الرُّومِ ، وَأَكَابِرُ القِبْطِ وعليهم المقوقسُ ، فقاتلهم شهراً ، فلمَّا رَأَى القومُ الجِدَّ من المسلمين تنحىَ المقوقسُ وجماعةٌ من أَكَابِرِ القِبْطِ وروُسائِهِمْ ، وخرجوا من بابِ القَصْرِ القِبْلِيِّ ، ودوتهم جماعةٌ يقاتِلون العربَ ، فلحقُّوا بالجزيرة .

قال : وهى موضعُ الصَّنَاعَةِ اليومَ ، وأَمَرُوا بِقَطْعِ الجِسْرِ ، وذلك في زَمَنٍ زيادةِ النِّيلِ ، وتخلَّفَ الأَعْيَرُجُ بالقَصْرِ بعدَ المقوقسِ ، ثم تحوَّلَ إلى الجزيرة في السُّفُنِ . والله أعلم .

ذكر ارسال المقوقس الى عمرو في طلب الصلح

وجواب عمرو له واجتماع المقوقس وعبادة بن الصامت

وما وقع بينهما من الكلام وقبول المقوقس الجزية

قال (١) : وأرسل المقوقس إلى عمرو يقول : إنكم قد ولجتم بلادنا (٢) ، وألحتم على قتالنا ، وطال مقامكم في أرضنا ؛ وإنما أنتم غصبه يسيرة ، وقد أظلتكم الروم ومعهم من العدد والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى في أيدينا ، فأبعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع منهم ؛ فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ؛ وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ؛ فلا ينفعنالكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا... ونحو ذلك من الكلام .

فلما أتت رسل المقوقس عمراً حبسهم عنده يومين وليلتين ؛ حتى خاف عليهم المقوقس وقال لأصحابه : أترو أنهم يقتلوا الرسل ويحبسونهم ، ويستحلون ذلك في دينهم ؟ وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين ، ثم ردهم عمرو . وأجابه مع رسله : إنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال : إما أن دخلتم في الإسلام وكنتم إخواننا ، وكان لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم

(١) ابن عبد الحكم ٦٥ .

(٢) ابن عبد الحكم : « في بلادنا » .

فَأَعْطَيْتُمُ الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ. وَإِنَّمَا أَن جَاهِدْنَاكُمْ بِالصَّبْرِ
وَالْقِتَالِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

فَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُ الْمُقَوِّسِ إِلَيْهِ ، قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ ؟
قَالُوا : رَأَيْنَا قَوْمًا ، أَلَمُوتُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَالتَّوَاضُّعُ أَحَبُّ
إِلَيْهِمْ مِنَ الرَّفْعَةِ ، لَيْسَ لِأَحَدِهِمْ فِي الدُّنْيَا رَغْبَةٌ وَلَا نَهْمَةٌ ؛ إِنَّمَا جُلُوسُهُمْ
عَلَى التُّرَابِ ، وَأَكْلُهُمْ عَلَى الرُّكَبِ ، وَأَمِيرُهُمْ كِرَاحِدٍ مِنْهُمْ ،
مَا يُعْرِفُ رَفِيعُهُمْ مِنْ وَضِيعِهِمْ ، وَلَا السَّيِّدُ فِيهِمْ مِنَ الْعَبْدِ ، وَإِذَا حَضَرَتِ
الصَّلَاةُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ : يَغْسِلُونَ أَطْرَافَهُمْ بِالْمَاءِ ، وَيَتَخَشَّعُونَ
فِي صَلَاتِهِمْ .

فَقَالَ الْمُقَوِّسُ : وَالَّذِي يُحْلِفُ بِهِ ، لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ اسْتَقْبَلُوا الْجِبَالَ
لَأَزَالُوهَا ، وَمَا يَقْوَى عَلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ ؛ وَلَئِنْ لَمْ نَغْتَنَمْ صَلَاحَهُمْ
الْيَوْمَ وَهُمْ مَحْضُورُونَ بِهَذَا النَّبْلِ لَمْ يُجِيبُونَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، إِذَا أَمَكَّنْتَهُمْ
الْأَرْضَ وَقَوَّوْا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَوْضِعِهِمْ . ثُمَّ رَدَّ رُسُلَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ،
أَنْ أَبْعَثُوا إِلَيْنَا رُسُلًا مِنْكُمْ ، نُعَايِنَهُمْ وَنَتَدَاخِي نَحْنُ وَهُمْ إِلَى مَا عَسَاهُ
أَنْ يَكُونَ فِيهِ صَلَاحٌ لَنَا وَلَكُمْ .

فَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَشْرَةَ نَفَرٍ ، أَحَدَهُمْ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ :
وَأَمْرُهُ أَنْ يَكُونَ مَتَكَلِّمَ الْقَوْمِ ، وَالْأُخْرَى يُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ دَعَاؤُهُ إِلَيْهِ إِلَّا إِلَى
إِخْدَافِ هَذِهِ الثَّلَاثِ خِصَالٍ .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى الْمُقَوِّسِ تَقَدَّمَ عِبَادَةُ ، فَهَابَهُ الْمُقَوِّسُ لِسَوَادِهِ :
فَقَالَ : فَخْرًا عَنِّي هَذَا الْأَسْوَدَ . وَقَدِّمُوا غَيْرَهُ يَكَلِّمُنِي . فَقَالُوا جَمِيعًا :
إِنَّ هَذَا الْأَسْوَدَ أَفْضَلُنَا رَأْيًا وَعِلْمًا ، وَهُوَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا . وَالْمَقْدَمُ

علينا ، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دُونَنَا بما أمره به ، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله ، قال : وكيف رَضِيتُمْ أَنْ يَكُونَ هذا الأسودُ أَفْضَلَكُمْ ، وإنما ينبغي أَنْ يَكُونَ دُونَكُمْ . قالوا : إِنَّه وإنْ كَانَ أسودَ كما تَرى ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِنَا مَوْضِعاً ، وَأَفْضَلِنَا سَابِقَةً وَعَقْلاً وَرَأياً ، وَلَيْسَ يُنْكَرُ السَّوَادُ فِينَا .

فقال المقوقسُ لِعُبَادَةِ : تَقَدَّمْ يَا أَسْوَدُ وَكَلِّمْنِي بِرَفْقٍ ، فَإِنِّي أَهَابُ سَوَادَكَ ، وَإِنْ أَشْتَدَّ كَلَامُكَ عَلَيَّ أَزْدَدْتُ^(١) لِدِلْكَ هَيْبَةً ، فَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ عُيَادَةُ فقال : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَكَ ، وَإِنْ فِيمَنْ خَلَفْتُ مِنْ أَصْحَابِي أَلْفَ رَجُلٍ كُلُّهُمْ أَشَدُّ سَوَاداً مِنِّي ، وَأَفْظَعُ مَنْظَرًا ؛ وَلَوْ سَمِعْتَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ لَكُنْتُ أَهْيَبَ لَهُمْ مِنْكَ لِي ، وَأَنَا قَدْ وَلَّيْتُ وَأَدْبَرْتُ شِبَابِي ، وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَعَ ذَلِكَ مَا أَهَابُ مِائَةَ رَجُلٍ مِنْ عِلْمِي لَوْ أَسْتَقْبَلُونِي جَمِيعًا ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابِي ؛ وَذَلِكَ إِنَّمَا رَغِبْنَا وَهَمَّنا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاتِّبَاعُ رِضْوَانِهِ ، وَلَيْسَ غَزَوْنَا مَعَنَ حَارِبِ اللَّهِ لِرَغْبَةٍ فِي دُنْيَا وَلَا طَلِبًا لِلْاِسْتِكْثَارِ مِنْهَا ؛ إِلَّا أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ ذَلِكَ لَنَا ، وَجَعَلَ مَا غَنِمْنَا مِنْ ذَلِكَ حَلَالًا ؛ وَمَا يُبَالِي أَحْفَنُ أَكَانَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ أَمْ كَانَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمًا ؛ لِأَنَّ غَايَةَ أَحْدُنَا مِنَ الدُّنْيَا أَكْلُهُ بِأَكْلِهَا يَسُدُّ بِهَا جَوْعَتَهُ لِلَّيْلِ وَنَهَارِهِ^(٢) ، وَشَمْلُهُ يَلْحَقُهَا . فَإِنْ كَانَ أَحْدُنَا لَا يَمْلِكُ إِلَّا ذَلِكَ كِفَاهًا ؛ وَإِنْ كَانَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ أَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الَّذِي بِيَدِهِ ، وَبَلَغَهُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِنَعِيمٍ ، وَرَخَاوُهَا لَيْسَ بِرَخَاءٍ ، وَإِنَّمَا النَّعِيمُ وَالرَّخَاءُ فِي الْآخِرَةِ ؛

(١) ك : « أزدت » ، تخريف .

(٢) ك : « ليله ونهاره » .

وبذلك أمرنا ربنا عز وجل ، وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون
همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويستتر عورته ، وتكون
هيمته وشغله في رضا ربه ، وجهاد عدوه .

فلما سمع الموقر ذلك منه ، قال لمن حوله : هل سمعتم مثل
كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره ، وإن قوله لأهيب عندي
من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ، ما أظن
ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها .

ثم أقبل على عبادة فقال : أيها الرجل الصالح ، قد سمعت
مقالتك ، وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغت ما بلغت
إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من كان إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ،
وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم
معروفون بالنجدة والشدة ، لا يبالي أحدكم من لقي ولا من قاتل ،
وإننا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلكم ،
وقد أقمت بين أظهرنا أشهراً ، وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم
وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقتلكم ، وقله ما بأيديكم ،
ونحن نطيب أنفسنا أن نصالحكم ، على أن نفرض لكل رجل منكم
دينارين ، ولأميركم مائة دينار ، ولخليفكم ألف دينار ، تقبضونها
وتتصرفون إلى بلادكم ، قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به .

فقال عبادة : يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك ، أما
ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، وأنا لا نقوى
عليهم ، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن

فيه ؛ إن كان ما قلْتُم حقا ؛ فذلك والله أرْعَبُ ما يكون في قِتالهم ،
وأشدُّ تحريضًا عليهم ؛ لأنَّ ذلك أعذَرُ لنا عند ربِّنا إذا قَدِمْنَا عليه ؛
إن قُتِلْنَا عن آخرنا كان أَمَكْنَ لنا في رِضوانِهِ وَجَنَّتِهِ ، وما من شيء
أَقْرَأَ عَيْنِنَا ولا أَحَبَّ إلينا من ذلك ، وإنا منكم حينئذٍ لَعَلَى إحدى
الحُسْنَيْنِ :

إِما أن تَعْظُمَ لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظَفِرْنَا بكم ، أو غنيمةُ
الآخرة إن ظَفِرْتُم بنا ؛ وإنَّها لأَحَبُّ الحَصْلَتَيْنِ إلينا بعد الاجتهادِ
مِنَّا ، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لنا في كتابِهِ : (كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (١) .

وما مِنَّا رجلٌ إلَّا وهو يدعو ربَّه صَبَاحًا ومساءً أَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ الشَّهَادَةَ
وَأَلَّا يَرُدَّهُ إلى بَلَدِهِ ، ولا إلى أَرْضِهِ ، ولا إلى أَهْلِهِ وولَدِهِ ، وَلَيْسَ
لأَحَدٍ مِنَّا هَمٌّ فِيمَا خَلْفَهُ ، وقد اسْتَوْدَعَ كُلُّ مِنَّا رَبَّه أَهْلَهُ وولَدَهُ ؛
وإنما هُمْنَا ما أَمَانَا .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّا في ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ من معاشِنَا وحالِنَا ، فنحن في أَوْسَعِ
السَّعةِ ؛ لو كانت الدنيا كُلُّهَا لنا ما أَرَدْنَا مِنْهَا لَأَنْفُسِنَا أَكْثَرَ ممَّا نحن
عليه ، فأنظرُ الَّذِي تُريدُ فَبَيْنَهُ لنا ؛ فليس بيننا وبينكم خَصْلَةٌ
نَقْبَلُهَا مِنْكَ ولا نَجِيبُكَ إِلَيْهَا إلَّا خَصْلَةٌ من ثلاثٍ ، فأخترُ أَيُّهَا شَفَتْ :
ولا تُطِيعَ نَفْسُكَ بالباطل ؛ بذلك أَمَرَنِي أَمِيرِي ، وبها أَمَرَهُ أَمِيرُ
المؤمنين ، وهو عهدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم مِنْ قَبْلُ إلينا .

إِما أَجَبْتُم إلى الإسلامِ الَّذِي هو الدِّينُ الَّذِي لا يَقْبَلُ اللهُ تعالى

غَيْرُهُ ، وَهُوَ دِينُ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ . أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نَقَاتِلَ مَنْ مَنَّا خَالَفَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ ؛ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ ، فَإِنْ فَعَلَ فَإِنَّ لَهُ مَالَنَا ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا ، وَكَانَ أَخَانًا فِي دِينِ اللَّهِ . فَإِنْ قَبِلْتَ ذَلِكَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فَقَدْ سَعَدْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَرَجَعْنَا عَنْ قِتَالِكُمْ ، وَلَمْ نَسْتَحِجْ أَذَاكُمْ ، وَلَا التَّعَرُّضَ لَكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْجَزِيَّةَ ، فَأَدُّوا إِلَيْنَا الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، نَعْمَلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ نَرْضَى بِهِ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي كُلِّ عَامٍ أَبَدًا ، مَا بَقِينَا وَبَقِيتُمْ ، وَنَقَاتِلُ مَنْ نَاوَأَكُمْ وَعَرَّضَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْضِكُمْ وَبِلَادِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَنَقُومُ بِذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ فِي ذِمَّتِنَا ، وَكَانَ لَكُمْ بِهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَيْنَا ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا الْمَحَاكِمَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى نَمُوتَ عَنْ آخِرِنَا ، أَوْ نَصِيبَ مَا نَرِيدُ مِنْكُمْ ، هَذَا دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ لَنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ غَيْرُهُ ، فَانْظَرُوا لِأَنْفُسِكُمْ .

فَقَالَ لَهُ الْمُقَوِّسُ : هَذَا مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا ، مَا تُرِيدُونَ إِلَّا أَنْ تَتَّخِذُونَا خَوَلَا أَوْ نَكُونَ لَكُمْ عِبِيدًا مَا كَانَتِ الدُّنْيَا .

فَقَالَ عُبَادَةُ : هُوَ ذَاكَ : فَأَخْتَرُ مَا شِئْتُ . قَالَ : أَفَلَا تَجِيبُونَنَا إِلَى خَصْلَةٍ غَيْرِ هَذِهِ الْخِصَالِ ؟ فَرَفَعَ عُبَادَةُ يَدَيْهِ فَقَالَ : لَا وَرَبُّ هَذِهِ السَّمَاءِ ، وَرَبُّ هَذِهِ الْأَرْضِ : وَرَبُّنَا وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ : مَا لَكُمْ عِنْدَنَا خَصْلَةٌ غَيْرُهَا ، فَأَخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ .

فَالْتَفَتَ الْمُقَوِّسُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : قَدْ فَرَّغَ الْقَوْمُ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ فَقَالُوا : أَوْ يَرْضَى أَحَدٌ بِهَذَا الذِّلِّ ! أَمَّا مَا أَرَادُوا مِنْ

دخولنا في دينهم فهذا ما لا يكون أبداً ، أن نترك دين المسيح بن مريم ،
وندخل في دين غيره ولا نعرفه . وأما ما أرادوا من أن يسبونا ويجعلونا
عبيداً أبداً ، فالموت أيسر من ذلك ، لو رضوا منا أن نُضعِفَ لهم
ما أعطيناهم مراراً كان أهون علينا .

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم ، فما ترى ؟ فراجع صاحبك
على أن نعطيكم في مرتكم هذه ما تمنيتُم وتَنصِرِفون .

فقام عبادة وأصحابه ، فقال المقوقس لمن حوله : أطيعوني
وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث ، فوالله ما لكم بهم طاقة ،
ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين .

قالوا : وأي خصلة تجيبهم إليها ؟ قال : إذا أخبركم ، أما
دخولكم في غير دينكم فلا أمرُكم به ، وأما قتالهم فإنا أعلم أنكم
لن تقبوا عليهم ، ولن تصبروا صبرهم ، ولا بُدَّ من الثالثة . قالوا :
أف نكون لهم عبيداً أبداً ؟ قال : نعم ، تكونون عبيداً مسيطرين
في بلادكم ، آمنين على أنفسكم ، وأموالكم وذرائعكم ، خير لكم
من أن تموتوا عن آخركم ، وتكونوا عبيداً تباعون وتمزقون
في البلاد ، مستعبدين أبداً في البلاد . أنتم وأهلكم وذرائعكم .

قالوا : فالموت أهون علينا . فأمروا بقطع الجسريين القسطنطين
والجزيرة ، وبالقصر من القبط والروم جمع كثير ، فألح عليهم المسلمون
عند ذلك بالقتال ، حتى ظفروا بمن في القصر ، فقتلوا منهم خلقاً
كثيراً ، وأسروا من أسروا ، وانهازت السفن كلها إلى الجزيرة .

هذا والمسلمون قد أحرق بهم الماء من كل وجه ، لا يقدرّون على أن

يَتَقَدَّمُوا نَحْوَ الصَّعِيدِ وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى ، وَالْمُقَوِّسِ يَقُولُ
لَأَصْحَابِهِ : أَلَمْ أَعْلِمْكُمْ هَذَا وَأَعَافَهُ عَلَيْكُمْ ؟ مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ فَوَاللَّهِ
لَنُجَبِّبَنَّهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوا طَوْعًا ، أَوْ لَنُجَبِّبَنَّهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَرْهًا ،
فَأَطِيعُونِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمُوا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَدْعَنُوا إِلَى الْجِزْيَةِ ، وَرَضُوا
بِهَا عَلَى صَلَاحٍ يَكُونُ بَيْنَهُمْ يَعْرِفُونَهُ .

فَأَرْسَلَ الْمُقَوِّسُ إِلَى عَمْرٍو يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى
إِجَابَتِكَ إِلَى خَصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ الَّتِي أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا ، فَلَبَّى ذَلِكَ
عَلَى مَنْ حَضَرَ نِي مِنَ الرُّومِ وَالْقَبِيطِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَفْتَاتَ عَلَيْهِمْ
فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَقَدْ عَرَفُوا نَصْحِي لَهُمْ ، وَحَبْنِي صَلَاحَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى
قَوْلِي ، فَأَعْطَنِي أَمَانًا أَجْتَمِعُ أَنَا وَأَنْتَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي وَأَصْحَابِكَ ؛
فَإِنْ أَسْتَقَامَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا تَمَّ ذَلِكَ لَنَا جَمِيعًا ، وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ رَجَعْنَا إِنْ
مَآكُنَّا عَلَيْهِ .

فَاسْتَشَارَ عَمْرٍو أَصْحَابَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالُوا : لَا تُجْبِهِمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ
الصُّلْحِ وَلَا الْجِزْيَةِ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَتَصِيرَ كُلُّهَا لَنَا فَيْثًا وَغَنِيمَةً
كَمَا صَارَ الْقَصْرُ لَنَا وَمَا فِيهِ .

فَقَالَ عَمْرٍو : قَدْ عَلِمْتُمْ مَا عَهْدُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَهْدِهِ ، فَإِنْ
أَجَابُوا إِلَى خَصْلَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ الَّتِي عَهْدُ إِلَيْهَا فِيهَا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا ،
وَقَبِلْتُ مِنْهُمْ مَعَ مَا قَدْ حَالَ هَذَا الْمَاءُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نُرِيدُ مِنْ قِتَالِهِمْ .
فَاجْتَمَعُوا عَلَى عَهْدٍ بَيْنَهُمْ ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يُفْرِصَ عَلَى جَمِيعِ
مَنْ بَصَرَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا مِنَ الْقَبِيطِ دِينَارِينَ عَنْ كُلِّ نَفْسٍ : شَرِيفُهُمْ

ووضيعهم وضعيفهم ، وَمَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ مِنْهُمْ ، لَيْسَ عَلَى الشَّيْخِ
الْفَائِي ، وَلَا عَلَى الصَّغِيرِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ ، وَلَا النِّسَاءُ شَيْءٌ ،
وَعَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمُ النَّزْلُ بِجَمَاعَتِهِمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، وَمَنْ نَزَلَ
عَلَيْهِ ضَيْفٌ وَاحِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ لَهُمْ ضِيَاةٌ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، مُفْتَرَضٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ لَهُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
لَا يُتَعَرَّضُ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، فَشَرِطَ هَذَا كُلَّهُ عَلَى الْقَيْطِ خَاصَّةً ،
وَأَخْصَوْا عِدَدَ الْقَيْطِ يَوْمِيذٍ خَاصَّةً مَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْجُزْيَةَ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِ
الْدِينَارَانِ ، رَفَعَ ذَلِكَ عَرَفَاوَهُمْ بِالْإِيمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ ، فَكَانَ جَمِيعُ مَنْ
أُحْصِيَ مِنْهُمْ بِمِصْرَ أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ أَلْفِ أَلْفِ نَفْسٍ ، فَكَانَتْ
فَرِيضَتُهُمْ يَوْمِيذٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفِ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

وَرَوَى عَنْ يَحْيَى بْنِ مَيْمُونٍ الْحَضْرَمِيِّ ، قَالَ : بَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ
ثَمَانِيَةَ أَلْفِ أَلْفٍ .

قَالَ : وَشَرِطَ الْمُقَوْقِسُ لِلرُّومِ أَنْ يُخَيَّرُوا ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ
أَنْ يُقِيمَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ أَقَامَ عَلَى ذَلِكَ لَازِمًا لَهُ ، مُفْتَرَضًا عَلَيْهِ
مِثْلُ أَقَامَ بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، وَمَا حَوْلَهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ كُلِّهَا ، وَمَنْ
أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا إِلَى أَرْضِ الرُّومِ خَرَجَ ، وَعَلَى أَنَّ لِلْمُقَوْقِسِ الْخِيَارَ
فِي الرُّومِ خَاصَّةً : حَتَّى يَكْتُبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يُعْلِنُهُ مَا فَعَلَ ، فَإِنْ
قَبِلَ ذَلِكَ وَرَضِيَهُ جَازَ عَلَيْهِمْ ، وَإِلَّا كَانُوا جَمِيعًا عَلَيْهِ ، وَكُتِبُوا بِهِ
كِتَابًا ، وَكُتِبَ الْمُقَوْقِسُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ كِتَابًا يُعْلِمُهُ بِالْأَمْرِ كُلِّهِ .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَقْبُحُ رَأْيَهُ وَيَعْجِزُهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَا فَعَلَ ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ

المسلمين بالروم إن أبا القبط القتال ، وكتب إلى جماعة الروم
بمثل ذلك .

فجمع المقوقس الروم وقال : اعلّموا يا معشر الروم أني والله
لا أخرج ممّا دخلت فيه ، بعد أن ذكر لهم شجاعة العرب وصبرهم
وجلدهم وحبهم الموت وغير ذلك من حالهم ، ثم قال : والله إنني لأعلم
أنكم ستخرجون غداً إلى قولي ورأيي ، وتتمنون أن لو كنتم أظعنوني ؛
وذلك أني قد عاينت ورأيت ، وعرفت ما لم يعاين الملك ، ولم يره
ولم يعرفه . أما يرصّي أحدكم أن يكون آمناً في دهره على نفسه وماله
وولده بدينارين في السنة !

ثم أقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له : إن الملك قد
كره ما فعلت ، وعجزني ، وكتب إلى وإلى جماعة الروم ألا ترضى
بصالحتك ، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك ، أو تظفر بهم ؛
ولم أكن أخرج ممّا دخلت فيه ، وعاهدتك عليه ؛ وإنما سلطان على
نفسى ومن أطاعني ، فقد تمّ صلح القبط فيما بينك وبينهم ؛ ولم يأت
من قبلكم نقض .

وأما الروم فأتانا منهم برىء ، وأنا أطلب إليك أن تُعطيني ثلاث
خصال ، قال عمرو : وما هي ؟ قال :

لا تنقض بالقبط ، وأدخلني معهم ، وأأزمنني ما أزرمتهم ، وقد
اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه ، فهم مقيمون لك
عل ما تحب .

وأما الثانية ، فإن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم

فلا تصالحهم حتى تجعلهم فينا وعبيداً ؛ فإنهم أهل ذلك ؛ فيأني
نصحتهم فاستغشوني (١) .

وأما الثالثة : فأطلب إليك إن أنا ميتٌ أن تأمرهم (٢) يدفنوني في
أبي يُحنس بالإسكندرية .

فأجابه عمرو إلى ما طلب على أن يقيموا له الجسرين جميعاً ،
والجسور ما بين القسطنطينية إلى الإسكندرية ، وقيموا لهم الأنزال
والضيافة والأمواق ، ففعلوا ذلك ، وسارت القبط أعواناً للمسلمين
على الروم .

معين التارخ لأهل التارخ

(١) ابن عبد الحكم ٧٣ : « فاستغشوا نصحي » .

(٢) ع : « إن تأمرهم يدفن » .

ذكر مسير عمرو لقتال الروم وما كان من الحروب بينهم

إلى أن فتحت الإسكندرية

قال (١) : واستعدت الروم واستجاشت ، وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم ، فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح ، فخرج إليهم عمرو بن العاص ، ومن معه ، وذلك حين أمكنه الخروج ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطريق ، وأقاموا الجسور والأسواق ، وخرج عمرو فلم يلق من الروم أحداً حتى بلغ ترنوط ، فلقى بها طائفة من الروم ، فقاتلوه قتالا خفيفاً ، فهزمتهم ، ومضى بمن معه حتى لقي جمع الروم بكم شريك ، فاقتتلوا به ثلاثة أيام ، ثم فتح الله على المسلمين ، وانهمز الروم .

وقيل : بل لما انهزموا من ترنوط ، بعث عمرو بن العاص شريك ابن سمي في آثارهم ، وكان على مقدمة عمرو : فأدركهم شريك عند الكوم (٢) ، فقاتلهم ، فمن الناس من يقول : إنه هزمهم ، ومنهم من يقول : إنه قاتلهم إلى الكوم ، فأعترض به ، وأحاطت به الروم ، فأمّر شريك أبا ناعمة مالك بن ناعمة الصدقي ، وهو صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له : أشقر صديف ، وكان لا يجارى ، فانحط عليهم من الكوم ، وطلبته الروم فلم تدركه ، فأتى عمراً

(١) ابن عبد الحكم ٧٣ .

(٢) ابن عبد الحكم : « عند الكوم الذي يقال له كوم شريك » .

فَأَخْبَرَهُ ، فَأَقْبَلَ عَمْرُو نَحْوَ الرُّومِ فَأَنْهَزَمُوا ، وَبِالْفَرَسِ الْأَشْقَرِ (١)
هَذَا سُمِّيَتْ خَوْخَةُ الْأَشْقَرِ الَّتِي بِمِصْرَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَفَقَ (٢) فَدَفَنَهُ
صَاحِبُهُ هُنَاكَ ، فَسُمِّيَ الْمَكَانُ بِهِ .

قال : ثُمَّ أَلْتَقَى عَمْرُو وَالرُّومَ لِسُلَيْطَسَ ، فَأَقْتَتَلُوا بِهَا قِتَالًا شَدِيدًا ،
ثُمَّ هَزَمَهُمُ اللَّهُ (٣) . ثُمَّ التَّقُوا بِالْكَرِيُونَ فَأَقْتَتَلُوا هُنَاكَ بِضِعَةِ عَشْرَ
يَوْمًا ، وَكَانَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو عَلَى الْمَقْدَمَةِ ، فَفَشَتْ فِيهِ الْجِرَاحَةُ
وَصَلَّى عَمْرُو بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، بِكُلِّ طَائِفَةٍ رَكْعَةً وَسَجْدَتَيْنِ .
ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلُوا مِنَ الرُّومِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَاتَّبَعُوهُمْ
حَتَّى بَلَغُوا الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ فَتَحَصَّنَ بِهَا الرُّومُ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِمْ حِصُونٌ مَنِيعَةٌ ،
حِصْنٌ دُونَ حِصْنٍ ، فَنَزَلَ الْمُسْلِمُونَ مَا بَيْنَ حُلُوتَةٍ إِلَى قَصْرِ فَارَسَ ،
إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ، وَمَعَهُمْ رُؤَسَاءُ الْقِبْطِ ، يَحْمِلُونَهُمْ بِمَا أَحْتَاجُوا مِنْ
الْأَطْعَمَةِ وَالْأَعْلَافِ .

هذا وَرَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ يَخْتَلِفُ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي الْمَرَاكِبِ ،
وَالْأَمْدَادُ تَأْتِيهِمْ مِنْ قِبَلِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : لَشَنَ ظَهَرَتْ الْعَرَبُ عَلَى
الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ كَانَ ذَلِكَ انْقِطَاعُ مُلْكِ الرُّومِ وَهَلَاكُهُمْ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ
لِلرُّومِ كُنَائِسٌ أَعْظَمُ مِنْ كُنَائِسِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَتَجَهَّزَ الْمَلِكُ لِبَيَاتِمِ
الْقِتَالِ بِنَفْسِهِ ، وَأَمْرًا لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الرُّومِ . وَقَالَ : مَا بَقَاءُ

(١) ابن عبد الحكم : « الفرس الأشقر الذي يقال له : « أشقر صدف » وكان لا يجارى سرعة » .

(٢) نفق ، أى هلك .

(٣) بعدها في ابن عبد الحكم : « وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة ، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو » .

١ الروم بعد الإسكندرية ! فلما فرغ من جهازه أهلكه الله فمات ، وكفى الله المسلمين مؤنته .

وكان موته في سنة تسع عشرة ، فكسر الله بموته شوكة الروم ، ورجع جمع كبير ومن كان توجه لإعانة أهل الإسكندرية ، فاستأذنت العرب عند ذلك ، وألحت بالقتال ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، فبرز رجل من الروم ، وبرز له مسلمة بن مخالد ، فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه ، وأهوى إليه ليقتله حتى حمأه رجل من أصحابه ، وكان مسلمة لا يقيم له ؛ ولكن غلبته المقادير ، فشق ذلك على المسلمين .

وكان مسلمة ثقیل البدن ، كثير اللحم ، فاشتد غضب عمرو ، وقال : ما بال الرجل المسنن الذي يشبه النساء يتعرض إلى مداخل الرجال ويتشبه بهم ! فعضب مسلمة من ذلك ولم يراجع ، ثم اشتد القتال حتى اقتحم المسلمون حصن الإسكندرية ، وقاتلوا فيه ، ثم جانت الروم حتى أخرجوهم جميعاً من الحصن ، إلا أربعة ، منهم عمرو ابن العاص ، ومسلمة بن مخالد ، فأغلقت الحصن عليهم ، والتجشوا إلى ديماس (١) من حمامات الروم ، فأنزل الروم روميًا يتكلم بالعربية ، فقال لهم : إنكم قد سرتُم أسارى في أيدينا ، فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم .

ثم قال لهم : إن في أيدي أصحابكم منا رجالاً أسروهم : ونحن نعطيكم اليهود ونفادي بكم أصحابنا ، ولا تقتلكم ، فأبوا عليهم .

(١) الديماس : الحمام .

ثم قال لهم الرومى : فهل لكم إلى خصلةٍ وهى نصَفٌ فيما بيننا وبينكم ، أن تُعطونا العهدَ ونعطيكُم مثله ؛ على أن يبرزَ منا رجلٌ ، ومنكم رجلٌ ، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتُم لنا ، وأمكنتمونا من أنفسكم ، وإن غلب صاحبكُم صاحبنا خَلَّينا سبيلكُم . فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه .

فبرزَ رجلٌ من الرومِ وقد وثقت الرومُ بنَجْدَتِهِ وشِدَّةِهِ ، فأراد عمرو أن يبرزَ فمنعه مَسْلَمَةٌ وقال : أنا أكفيكَ إن شاء الله . فقال عمرو : دُونِكَ ؛ فربَّما فرَّجها الله بك . فبرزَ مَسْلَمَةٌ للرومِ فَتَجَاوَلَا سَاعَةً ، ثم أعانَ الله مَسْلَمَةَ فقتله ، وكَبَّرَ وكَبَّرَ أصحابه ، ووفى لهم الرومُ بَما عاهدوهم عليه ، فَفَتَحُوا لهم بابَ الحِصْنِ ، فخرجوا ، والرومُ لا يَدْرُونَ أن أميرَ القومِ فيهم ، ثم بلغهم ذلك ، فاستَغفروا على ما فاتهم منه ، وَتَلِمَ عمرو واستَحْيَا من مقاتلِهِ لِمَسْلَمَةِ ما قال ، فاستغفر له عمرو .

قال (١) : وَلَمَّا أَبْطَأَ النَّتِيجُ على عمر ، كتب إلى عمرو :

أما بعدُ ، فقد عَجِبْتُ لِإِبطائِكُم عن فتحِ مصرَ ، وأذكُم نِقَمَاتِلُونِهِمْ مِنْهُ سَنَتَيْنِ ؛ وما ذاك إِلَّا لما أَخَذْتُمْ (٢) وَأَحْبَبْتُمْ من الدنيا ما أَحَبَّ عدوكم ، وإنَّ الله تعالى لا يَنْصُرُ قَوْمًا إِلَّا بِصِدْقِ نِبَاتِهِمْ . وقد كُنْتُ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ أَرْبَعَةَ نَقِيرٍ ، وأَعْلَمْتُكَ أَنَّ الرجلَ منهم مقامَ ألفِ رجلٍ على ما كُنْتُ أَعْرِفُ ؛ إِلَّا أنْ يَكُونُوا غَيْرَهُمْ ما غَيْرَ غَيْرِهِمْ ، فإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاخْطُبِ النَّاسَ وَخُصِّمَهُمْ عَلَى قِتَالِ

(١) ابن عبد الحكم : ٧٩ .

(٢) ابن عبد الحكم : « أَحَدْتُمْ » .

غَدُوهُمْ ، وَرَغَّبَهُمْ فِي الصَّبْرِ وَالنِّيَّةِ ، وَقَدَّمَ أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةَ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، وَمُرَّ النَّاسُ جَمِيعًا أَنْ تَكُونَ لَهُمْ صَدْمَةٌ كَصَدْمَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ الزَّوَالِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّهَا سَاعَةُ نَزُولِ الرَّحْمَةِ ، وَوَقْتُ الْإِجَابَةِ ، وَلِيُجِيعَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ وَيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ . ففعلوا ففتح الله عليهم .

قال (١) : ويقال : إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخاض في قتال الروم ، فقال له مسلمة : أرى أن تنظر إلى رجلٍ له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعقده على الناس ، فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيهم . فقال عمرو : ومن ذلك ؟ قال : عبادة بن الصامت . فدعا عمرو عبادة ، فأتاه وهو راكب على فرسه ، فلما دنا منه أراد النزول ، فعزم عمرو عليه ألا يفعل ، وقال : ذاولني يسنان رُمحك ، فذاوكة عبادة إياد ، فنزع عمرو عبادة عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم .

فتقدم عبادة فصاف (٢) الروم وقتلهم ، ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومئذ ذلك ، وكان حصارهم الإسكندرية أربعة عشر شهراً ، خمسة أشهر في حياة هِرَقْل ، وتسعة أشهر بعده . وفتحت يوم الجمعة مستهل المحرم : سنة عشرين ، وقتل من المسلمين على الإسكندرية في طول هذه المدة اثنان وعشرون رجلاً .

(١) ابن عبد الحكم ٧٩ .

(٢) كذا في ابن عبد الحكم ، وفي الأصول : « فصاف » .

ذكر الفتح الثاني وما وجد بالاسكندرية

وعدة من ضربت عليه الجزية

قال : : ولَمَّا (١) فُتِحَتْ ، الإسكندرية هرب الروم منها في البر والبحر ، فخلَّف عمرو من أصحابه بها ألف رجل ، ومضى في طلب من انهزم من الروم في البر ، فرجع من كان هرب منهم في البحر إلى الإسكندرية ، فقتلوا من كان بها من المسلمين إلا من هرب منهم ، وبلغ ذلك عمراً ، فكَرَّ راجعاً إليها ، فأتاه رجل يقال له ابن بَسَّامَة ، كان بواباً بالإسكندرية ، فسأل عمراً أن يؤتمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب ، فأجابه عمرو إلى ذلك ، ففتح له ابن بَسَّامَة ، فدخل عمرو ، وكان مدخله من ناحية القنطرة التي يقال لها قنطرة سُلَيْمان ، وكان مدخله الأول من باب المدينة الذي من ناحية كنيسة الذهب ، ووفى عمرو لابن بَسَّامَة (٢) .

وبعث عمرو إلى عمر بن الخطاب معاوية بن حُذَيْج بشيراً بالفتح ، فقال معاوية : ألا تكتب معي كتاباً ؟ فقال عمرو : وما أصنع بالكتاب ! ألسنت رجلاً عربياً تُبَلِّغُ الرسالة ، وما رأيت وحضرت ! فَقَدِمَ عَلَى عمر قَانْخِرْد (٣) الخبر ، فخرَّ ساجداً ، وجمع النَّاسَ وأخبرَهُمْ ، ثُمَّ كَتَبَ عمرو بعد ذلك إلى عُمَرُ :

(١) ابن عبد الحكم : ص ٨٠ وما بعدها .

(٢) يمدد في ابن عبد الحكم : « وقد بقى لابن بسامة عقب بالإسكندرية إلى اليوم » .

(٣) ابن عبد الحكم : « فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية » .

أما بعدُ ، فإنني قد فتحتُ مدينةَ لا أصفُ ما فيها ؛ غير أنني أصبْتُ فيها أربعةَ آلافِ بنية (١) ، بأربعةِ آلافِ حَمَامٍ ، وأربعين ألفَ يهوديٍّ عليهم الجزية ، وأربعمئةَ مَلْهُى للملوك .

قال ابن عبد الحَكَم (٢) : لَمَّا فَتَحَ عَمْرُو الإسكندريةَ وجد فيها اثني عشرَ ألفَ بَقَالٍ يَبِيعُونَ البَقْلَ الأخضرَ .

قال : ورحل (٣) منها في اللَّيْلَةِ التي دَخَلَ فيها عمرو بنُ العاصِ ، أو في اللَّيْلَةِ التي خافُوا فيها دُخُولَهُ سبعونَ ألفَ يهوديٍّ .

قال : وقال حسين بن شُفَى بن عبيد : كان بالإسكندرية فيما أُخْصِيَ من الحماماتِ اثنا عشرَ ديماسًا ، أصغرُ ديماسٍ منها يَسَعُ ألفَ مجلسٍ ، كلُّ مجلسٍ منها يَسَعُ جماعةَ نَفَرٍ . وكان عدَّةٌ منَ بالإسكندريةَ من الرومِ مائتي ألفٍ من الرِّجَالِ ، فلحقَ بأرض الرومِ أهلُ القوَّةِ ، وركبوا السُّفُنَ : وكان بها مائةُ مَرَكَبٍ من المراكبِ الكبارِ ، فَحُمِلَ فيها ثلاثون ألفًا مع ما قَدَرُوا عليه من المالِ والمتاعِ والأهلِ ، وبقِيَ من بَقِيَ من الأسارى مِمَّنْ بلغ الخراجُ ، فأُخْصِيَ يومئذٍ ستمائةَ ألفٍ سوى النساءِ والصِّبيانِ ، فاختلفَ النَّاسُ على عمروٍ في قَسْمِهِمْ ، وكان أكثرُ النَّاسِ يريدون قَسْمَهَا .

فكُتِبَ عمرو إلى عمرَ يَسْتَأْذِنُهُ في ذلك ، فكَتَبَ إليه عمرُ : لا تَقْسِمَهَا ، وذَرِّهمْ يكون خراجُهمَ قَيْئًا للمسلمين وقوَّةً لهم على جهادِ عدوِّهم ، فأقرَّها عمرو ، وكانت مصرُ كُلُّهَا صُلْحًا بفريضة دينارين

(١) ابن عبد الحكم : « مئة » تحريف .

(٢) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٨٢ .

(٣) ابن عبد الحكم : « رحل » .

دِينَارَيْنِ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ لَا يُزَادُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي جَزِيَّةِ رَأْسِهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُلْزَمُ بِقَدْرِ مَا يَتَوَسَّعُ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ وَالزَّرْعِ ، إِلَّا الْإِسْكَندَرِيَّةَ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُوَدُّونَ الْجَزِيَّةَ وَالْخَرَاجَ عَلَى قَدْرِ مَا يُرَى مِنْ وَلِيَّتِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْإِسْكَندَرِيَّةَ فُتِحَتْ عَنْوَةً مِنْ غَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ صُلْحٌ وَلَا ذِمَّةٌ .

قَالَ : وَكَانَتْ قُرَى مِنْ مِصْرَ قَاتَلَتْ الْمُسْلِمِينَ ، وَظَاهَرُوا الرُّومَ عَلَيْهِمْ ، وَهِيَ : بَلْهَيْبَ ، وَقَرْيَةَ الْخَيْسِ ، وَسُلْطَيْسَ ، وَقَرْسَطَا ، وَسَخَا . فَسُبُّوا ، فَوَقَعَتْ سَبَايَاهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فَرَدَّاهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى قُرَاهِمَ ، وَصَبَّرَهُمْ وَجَمَاعَةَ الْقَيْطِ ذِمَّةً ، وَكَتَبَ بَرْدَهُمْ .

وَقِيلَ : إِنَّمَا كَتَبَ عُمَرُ فِي أَهْلِ سُلْطَيْسَ خَاصَّةً يَقُولُ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيكُمْ ، فَخَيَّرُوهُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمَ فَهُوَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ اخْتَارَ دِينَهُ فَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرْيَتِهِ ، وَأَنْ تُجْعَلَ الْقُرَى الَّتِي ظَاهَرَتْ مَعَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ذِمَّةً لِلْمُسْلِمِينَ ، يَضْرِبُونَ عَلَيْهَا الْخَرَاجَ .

ذكر من قال ان مصر فتحت عنوة

قال (١) : وقد ذهب آخرون إلى أن مصرَ فتحت عنوةً بغير عهدٍ ولا عقدٍ .

روى عن سُفيانَ بنَ وهبَ الخولاني ، قال : لما فتحنا مصرَ بغير عهدٍ قام الزُبَيْرُ بنُ العوام ، فقال : أقسمها يا عمرو ، فقال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتبَ إلى أمير المؤمنين . فكتبَ إلى عمر ، فأجابهُ أن أقرها حتى يَغْزُو منها جَبَلُ الحَبَلَةِ . وقيل : إنَّ الزُبَيْرَ صولحَ على شيءٍ أرضى به .

وروى ابنُ لهيعةَ بسنده إلى عمرو بنِ العاصِ أنه قال : لقد قعدتُ مَقْعِدِي هذا وما لأحدٍ من قِبْطٍ صرَّ على عهدٍ ، إن شئتُ قتلتُ ، وإن شئتُ خمستُ ، وإن شئتُ بعتُ إلاَّ أهلَ أنطاكيَّةٍ ؛ فإنَّ لهم عهداً نوفي لهم به .

وعن ربيعةَ بنِ أبي عبدِ الرَّحْمَنِ أنَّ عمرو بنَ العاصِ فتحَ مصرَ بغير عهدٍ ولا عقدٍ ، وأنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ حبَّسَ درها وصرعها (٢) ؛ أن يخرجَ منه شيءٌ نظراً للإسلامِ وأهلِهِ .

وعن عروة بنِ الزُّبَيْرِ : أنَّ مصرَ فتحت عنوةً .

وعن عبدِ المَلِكِ بنِ جُنادة قال : كتبَ حَيَّانُ بنُ شَرِيحٍ - وكان من أهلِ مصرَ من موالى قريشٍ - إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيز يسأله أن يجعلَ

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٨٨ وما بعدها .

(٢) ابن عبد الحكم : « وصرها » .

جزية مَوْتَى القِبْطِ عَلَى أَحْيَائِهِمْ . فَسَأَلَ عِمْرَاكَ بْنُ مَالِكٍ ، فَقَالَ
عِمْرَاكَ : مَا سَمِعْتُ لَهُمْ بِعَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ^(١) .

فَكَتَبَ عِمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى حَيَّانَ ، أَنْ يَجْعَلَ جَزِيَةَ مَوْتَى
القِبْطِ عَلَى أَحْيَائِهِمْ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ قَالَ : خَرَجَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بَرِيدُ الإسْكَندَرِيَّةِ فِي سَفِينَةٍ ، فَأَحْتَاجَ إِلَى رَجُلٍ يُجَدِّفُ بِهِ ، فَسَخَّرَ
أَرْجُلًا مِنَ القِبْطِ ، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبِيدِ إِنْ أَحْتَجْتُ
لِلْيَهُمْ .

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ فَتْحُ مِصْرَ ، بَعْضُهَا بِعَهْدٍ وَذِمَّةٍ ،
وَبَعْضُهَا عَنُودٌ ، فَجَعَلَهَا عِمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَمِيعًا ذِمَّةً ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى
ذَلِكَ ، وَمَضَى ذَلِكَ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ الإسْكَندَرِيَّةِ وَبَنَائِهَا وَمَا اتَّفَقَ فِي ذَلِكَ

مِنَ الْأَعَاجِيبِ

لَمَّا رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤَرِّثِينَ اقْتَصَرُوا فِي أَخْبَارِ الإسْكَندَرِيَّةِ
عِنْدَ ذِكْرِهِمْ لِفَتْوحِهَا عَلَى مَا ذَكَرْتُ أَوْ نَحْوِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَصَرَ ذَلِكَ ،
وَاقْتَصَرَ عَلَى مَجْرَدِ الْفَتْحِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا إِلَى مَا يَسُودُ مِنْ أَخْبَارِهَا ،
أَثَرْتُ أَنْ أَضْمَّ إِلَى مَا شَرَحْتُهُ مِنْ أَخْبَارِ فَتْحِهَا ذِكْرَ أَخْبَارِ بَنَائِهَا ،
وَسَبَبِهِ وَمَا شَاهَدُوهُ بِأَبْنِيَّتِهَا مِنَ الْعَجَائِبِ : وَكَيْفَ تُحِيلَ عَلَى وَضْعِهَا
حَتَّى تَمُتَ ، وَدَفَعَ ظِلْمَةُ الضَّرْرِ عَنْ سُكَّانِهَا لَمَّا أَذْلَهَتْ ، لِأَنَّ
مِثْلَ هَذَا الثَّغْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي شَاعَ فِي الْآفَاقِ ذِكْرُهُ وَأَشْتَهَرَ ، وَحَمِدَ

(١) بِمَعْنَى ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ : « إِنَّمَا أَعْدَدُوا عُنُونًا بِمَنْزِلَةِ الْعَبِيدِ » .

من التجأ إليه ممن نبت به الغربة وعاقبة السفر ، وحقق باختياره
صديق الخبر عنه وتيقن الخبر ، لا يقتصر فيه على هذه النبذة التي
ذكرناها ، واللهمم التي أوردناها ؛ بل يتعين بسط القول فيه ،
وأن يتكلم المؤلف إذا انتهى إليه بملء فيه . وربما اعترض على
معترض لم يطالع مجموع ما ألفت ، ولا وقف على جملة ما صنفت ،
فيقول : كيف أقتصر على فتوح مصر على مجردة وهي أصل بلادها ،
وقاعدة عبادها ، وبسط القول في الإسكندرية وهي على الحقيقة من
مضافاتها ، وولاية من جملة ولاياتها ! وقد تجول فيه خيل الاعتراض ،
ويعدل عن الانشراح إلى الانقباض ، ويتوهم أن ذلك عن عجز
أو قصر ، وإن بسط العذر فيقول : عن ملال وضجر . وليس الأمر
- والله الحمد - كذلك ؛ لأننا ذكرنا أخبار مصر في كتابنا هذا في
أربعة مواضع سلفت منه ، فذكرنا خصائصها وما فضلت به على
غيرها في الباب الثاني من القسم الخامس من الفن الأول ، وكل ذلك
في السفر الأول من كتابنا في خصائص البلاد ، وذكرنا أخبار نيلها
في الباب السابع من القسم الرابع من الفن الأول في الأنهار ، وذكرنا
أخبار ما بها من المباني القديمة والآثار العظيمة ،
في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول .
وذكرنا أخبار من ملكها من ملوك الأمم قبل الطوفان وبعده ،
وما بنوه بها من المدن ، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي
وغير ذلك من المباني ، وما وضعوه بها من العجائب والطلسمات والحكم ،
وما آثروا من المعادن وما دبروه من الصنعة وما شقوه وأنبطوه من
الأنهار ، وغير ذلك من أخبارها وعجائبها ، وذلك في الباب الثاني

من القسم الرابع من الفن الخامس ، وهو في السفر الثاني عشر ،
والثالث عشر من هذا الكتاب ، فلا اعتراض بعد ذلك على ولا تقصير
تنتسب نسبته إلى .

ولنأخذ الآن في أخبار الإسكندرية ، قال أبو الحسن علي بن عبد الله
[المسعودي] رحمه الله في كتابه المترجم «بمروج الذهب» (١) .

ذكر جماعة من أهل العلم أن الإسكندر المقدوني لما استقام ملكه
في بلاده ، سار يختار أرضاً صحيحة الهواء ، والتربة والماء ، فأنتهى
إلى موضع الإسكندرية ، فأصاب في موضعها آثار بنيان وعمدا كثيرة
من الرخام ، وفي وسطها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند وهو
القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد : «أنا شدد بن عاد ،
شدت بساعدتي البلاد ، وقطعت عظيم العماد ، من الجبال والأطواد ،
وأنا بنيت إرم ذات العماد ، التي لم يبن مثلها في البلاد ، وأردت
أن أبني هاهنا كإرم ، وأنقل إليها كل ذي قدم وكرم» (٢) ،
من جميع العشائر والأمم ، وذلك إذ لا خوف ولا هرم ، ولا اهتمام
ولا سقم (٣) ، فأصابني ما أعجلني ، وعمّا أردت إليه قطعني
مع وقوع (٤) ما أطال همي وشجى ، قل نومي وسكني ، فارتحلت بالأمس
عن داري ، لا لقهر ملك جبّار ، ولا خوف جيش جرّار ، ولا عن
رغبة (٥) ولا صغار ، ولكن تمام الأقدار (٦) ، وأنقطاع الآثار ،

(١) مروج الذهب ١ : ٣٧٠ وما بعدها .

(٢) المسعودي : «إقدام وكرم» .

(٣) من المسعودي .

(٤) في الأصلين : «وقوعها» ، وما أثبتته من المسعودي .

(٥) المسعودي : «رغبة» .

(٦) المسعودي : «المقدار» .

وسلطان العزيز الجبار : فمن رأى أثرى ، وعرف خبرى ، وطول
عمرى ، ونفاذ بصرى ، وشدة حذرى ، فلا يغتر بالدنيا بعدى
وكلام كثير يرى فيه فناء الدنيا ، ويمنع من الاعتزاز بها ، والسكون
إليها ، لم يذكره المسعودى .

قال (١) : فنزل الإسكندر مفكراً يتدبر هذا الكلام ويعتبر ،
ثم بعث بحشر الصناع من البلاد ، وخط الأساس ، وجعل طولها
وعرضها أميالاً ، وأمر بنقل الرخام والمرمر والأحجار من جزيرة
صقلية ، وبلاد إفريقية ، وأفريطش ، وأقاصى [بحر] (٢) الروم (٣) .
وجزيرة رودس وغيرها ، فنقلت في المراكب : وأمر الصناع والفعلة
أن يدوروا بما رسم لهم من أساس المدينة ، وعمل على كل قطعة من
الأرض خشبة قائمة ، وجعل من الخشبة إلى الخشبة حبالاً منوطة بعضها
ببعض ، وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام كان أمام مضرية :
وعلق على العمود جرساً عظيماً مصوتاً ، وأمر الناس والقوام على الصناع
والبنائين والفعلة ، أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس أن يضعوا
أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها . وأحب الإسكندر
أن يجعله في وقت يختاره ، وطلعت سعاد (٤) يأخذه ، فحقق
الإسكندر يوماً برأسه ، فأخذته سنة في حال ارتقابه للوقت (٥) .
فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير فحركه ، وخرج صوت

(١) المصدر نفسه .

(٢) من المسعودى .

(٣) بعدها في المسعودى : « مما يل مصبه من بحر أقيانوس » .

(٤) المسعودى : « يختاره ذى طالع سعيد » .

(٥) المسعودى : « ارتقابه الوقت المحمود » .

الجرَس ، وتحركت الجبال ، وخفق ما عليها من الأجراس الصغار ،
وكان قد عمِلَ ذلك بحركات فلسفية .

فلما سمع الصنَّاعُ حسَّ أصواتِ الجرَس وصنعوا الأساس^(١)
دفعاً واحدةً وارتفع الضَّجيجُ بالتَّخميد والتَّقديس ، فاستيقظَ
الإسكندرُ من رَقَدَتِهِ ، وسألَ عن الخبرِ ، فأخبرَ به ، فقال :
أرَدْتُ أمراً والله أرادَ غيرُهُ ، وبأبى الله إلأما يُريدُهُ ، أرَدْتُ طولَ
بقائها ، وأرادَ الله سرعةَ فَنائها وخرابها ، وتداولَ الملوكِ إياها .

قال : ولما^(٢) أَحْكَمَ بِنَاوُهَا ، وثَبَّتَ أَساسُهَا ، وجَنَّ اللَّيْلُ
عليهم ، خرجتْ دوابُّ من البَحْرِ أَنتَ على جميعِ ذلكَ البُنيانِ ؛ فقال
الإسكندرُ حينَ أَصْبَحَ : هذا بَدْءُ الخرابِ في عُمْرانِها ، وتحقُّقُ مرادِ
الباري في زوالِها . وتطيرُ من فِعْلِ الدَّوابِّ ، وتكرَّرَ ذَلِكَ من فِعْلِ
الدَّوابِّ في كُلِّ يومٍ ، والإسكندرُ يوكِّلُ به من يحرسُهُ ، وهو يُضَيِّعُ
خراباً ، فقلِّقَ لذلك ، وراعه ما رأى ، ففكَّرَ ما الَّذي يَضُنُّعُ ! وأبَى
حيلةً يَعْمَلُ في رفعِ أَذى الدَّوابِّ عن المدينة ، فسَنَعَتْ له الفكرةُ
ليلةً ، فلما أَصْبَحَ أمرَ الصَّنَّاعَ أَنْ يَتَّخِذُوا تابوتاً من الخَشَبِ طوله
عشرة أذْرُعٍ في عرضِ خمسةِ أَشْبارٍ ، وجعلَ فيه جِاماتٍ من
الرُّجَاجِ ، وطَلَّيْتُ بالقَارِ وغيرِهِ من الأَطْلِيَّةِ الَّتِي تَمْنَعُ الماءَ أَنْ يَدْخُلَ
التَّابُوتَ ، وجعلَ فيه مواضعَ للحِبالِ ، ودخلَ فيه ومعه رجلانِ من
كُتَّابِهِ مَمَّنْ لَهُ عِلْمُ بَاتِّقَانِ التَّصْويرِ ، وأمرَ أَنْ يَسْتَر^(٣) عَلَيْهِ ، وعليهم باب

(١) المسعودي : « فلما رأى الصنَّاع تحرك الجبل وسمعوا تلك الأصوات وضعوا

الأساس ... »

(٢) المصدر نفسه ١ : ٣٧١ وما بعدها .

(٣) المسعودي : « أَنْ يَسْتَرَّ عَلَيْهِ الأُورَاب » .

التَّابُوتِ ، وَيُطْلَى بِتِلْكَ الْأَطْلِيَّةِ (١) ، وَأَمَرَ بِمَرْكَبَيْنِ ، فَعَلَّقَ التَّابُوتَ بَيْنَهُمَا وَجَعَلَ فِي أَسْفَلِهِ مِنَ الْخَارِجِ مَثْقَلَاتِ الرِّصَاصِ وَالْحَدِيدِ ، وَشَدَّ حَبَالَهُ إِلَى الْمَرْكَبَيْنِ ، وَأَخْرَجَهُمَا إِلَى اللَّحْجَةِ ، وَسَمَّرَ بَعْضَهَا بِخَشَبٍ إِلَى بَعْضٍ لِمَثَلٍ يَفْتَرِقَا ، وَأَرْخَوْا التَّابُوتَ فِي الْبَحْرِ ، فَاسْتَقَرَّ بِقَرَارِهِ ، فَنَظَرَ مِنْ تِلْكَ الْجَامَاتِ إِلَى دَوَابِّ الْبَحْرِ وَحَيَوَانَاتِهِ ؛ فَإِذَا بِصُورِ شَيْطَانٍ عَلَى أَمْثَالِ النَّاسِ ، رَعُوسُهُمْ كَرَعُوسِ السَّبَاعِ ، وَفِي أَيْدِيهِمُ الْقُتُوسُ وَالْمَقَامِعُ وَالْمَنَاشِيرُ ؛ يُحَاكُونَ بِذَلِكَ صُنَاعَ الْمَدِينَةِ ، فَاتَّبَعَتِ الْإِسْكَندَرُ وَمَنْ مَعَهُ تِلْكَ الصُّورَ ، وَأَحْكَمُوهَا فِي الْقَرَاظِيسِ عَلَى هَيْئَتِهَا وَأَشْكَالِهَا وَقُدُودِهَا ، ثُمَّ حَرَّكَ الْجِيَالَ ، فَرَفَعَهُ مَنْ بِالْمَرْكَبِ . فَلَمَّا خَرَجَ أَمَرَ الْمَصُورِينَ بِتَصْوِيرِ تِلْكَ الصُّورِ ، وَصُنْعِهَا مِنَ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ ، فَعُمِلَتْ تَمَاثِيلُهَا ، ثُمَّ نَصَبَهَا عَلَى الْأَعْمَدَةِ بِشَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَأَمَرَ بِالْبِنَاءِ فَبُنِيَ ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ ، وَظَهَرَتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ مِنَ الْبَحْرِ ، نَظَرَتْ إِلَى أَشْكَالِ صُورِهَا عَلَى الْعُمَدِ فَرَجَعَتْ إِلَى الْبَحْرِ وَلَمْ تُعَدِّ ، فَتَمَّ بِنَاءُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَشِيدَتْ ، فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى أَبْوَابِهَا : « هَذِهِ الْإِسْكَندَرِيَّةُ ، أَرَدْتُ أَنْ أَبْنِيَهَا عَلَى الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ ، وَالْبَيْمَنِ وَالسُّرُورِ ، وَالتَّيَّبَاتِ عَلَى الدُّهُورِ » (٢) ، فَلَمْ يُرِدِ الْبَارِي مَلِكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُفْنِيَ الْأُمَمِ أَنْ أَبْنِيَهَا (٣) ، كَذَلِكَ ؛ فَبْنِيَتْهَا وَأَحْكَمَتْهَا ، وَشِيدَتْ سُورَهَا ، وَآتَانِي اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [عِلْمًا وَحُكْمًا ، وَسَهْلًا فِي وَجُودِ الْأَسْبَابِ ، فَلَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَى فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ] (٤) وَمَا

(١) المسموئى : « الأطلية الدائمة الماء » .

(٢) المسموئى : « فى الدهور » .

(٣) المسموئى : « بنيناها »

(٤) من المسموئى .

أَرَدْتُهُ ، وَلَا أَمْتَنَعَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا طَلَبْتُهُ ، لَطْفًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصُنْعًا ،
وَصَلَاحًا لِعِبَادِهِ ^(١) مِنْ أَهْلِ عَصْرِي ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ . وَرَسَمَ بَعْدَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ كُلَّ مَا يَحْدُثُ
مِنَ الْعُمَرَاءِ وَالْخُرَابِ ، وَمَا يَزُولُ أَمْرُهَا إِلَيْهِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ دُثُورِ الْعَالَمِ .

وَكَانَ بِنَاوُهَا طَبَقَاتٍ ، وَتَحْتَهَا قَنَاطِرُ مَقْنَطَرَةٍ تُدَوِّرُهَا ^(٢) ،
وَيَسِيرُ تَحْتَهَا الْفَارُسُ ، وَبِيَدِهِ رُمْحٌ لَا يُطْبِقُ بِهِ حَتَّى يَدُورَ جَمِيعَ أَجْرَاجِهَا
وَقَنَاطِرِهَا : وَعَمِلَ لَتِلْكَ الْعُقُودِ وَالْأَبْرَاجِ مَخَارِيقَ لِلضُّبَاءِ ، وَمَنَافِدَ
لِلْهَوَاءِ .

قَالَ : وَكَانَتْ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ تَضِيئُ بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ مِضْبَاحٍ لَشِدَّةِ
بَيَاضِ الرِّخَامِ وَالْمَرْمَرِ : وَأَسْوَاقُهَا وَأَزْقَتُهَا وَشَوَارِعُهَا مَقْنَطَرَةٌ بِهَا لَثَلًا
يُصِيبُ أَهْلَهَا الْمَطَرُ .

قَالَ : وَكَانَ عَلَيْهَا سَبْعَةُ أَسْوَارٍ مِنْ أَحْجَارٍ ^(٣) مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ ،
بَيْنَهَا خَنَادِقُ ، بَيْنَ كُلِّ خَنَدَقٍ وَسُورٍ فَضْلٌ ^(٤) .

قَالَ : وَرَبَّمَا عُلِّقَ فِيهَا شِقَاقُ الْحَرِيرِ الْأَخْضَرِ لِأَخْتِطَافِ بَيَاضِ
السُّورِ أَبْصَارَ النَّاسِ لَشِدَّةِ بَيَاضِهِ ، فَلَمَّا سَكَنَهَا أَهْلُهَا كَانَتْ آفَاتُ
الْبَحْرِ تَخْطِفُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ ، فَيَصْبِحُونَ وَقَدْ فُقِدَ مِنْهُمْ الْعَدَدُ
الْكَثِيرُ ، فَأَهَمَّ ذَلِكَ الْإِسْكَانْدَرِ ، فَاتَّخَذَ الطُّلُوسَاتِ عَلَى أَعْمِدَةٍ هُنَالِكَ ،

(١) المسعودي : « صلاحاً لِعِبَادِهِ » .

(٢) المسعودي : « عليها دور المدينة » .

(٣) المسعودي : « من أنواع الحجارة » .

(٤) المسعودي : « فصلاً » .

تَدْعِي الْمَسَالَ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى هَذَا الْعَصْرِ ، فَأَمْتَنَعُ الدَّوَابُّ مِنْ
التَّعْرِضِ إِلَى أَهْلِهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَمِينُوا .

وَأَمَّا الْمَنَارَةُ فَقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي الْبَابِ الثَّالِثِ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ مِنْ
مِنْ الْفَنِّ الْأَوَّلِ فِي السَّفَرِ الْأَوَّلِ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى إِعَادَةِ ذِكْرِهَا ثَانِيًا .

* * *

نَعُودُ إِلَى أَخْبَارِ قُتُوحِ مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى :

ذكر تحول عمرو بن العاص من الإسكندرية

إلى القسطنطينية واختطاطه

قال (١) ابن لهيعة : إِنَّ عمروَ بْنَ العاصِ لَمَّا فَتَحَ الإسْكَندريَّةَ ورَأَى بيوتَهَا وبِنَاءَهَا : هَمَّ أَنْ يَسْكُنَهَا : وقال : مساكن قد لَقِينَاهَا . فكتب إلى عمرَ يَسْتَأْذِنُهُ في ذَلِكَ ، فسأَلَ عمرُ الرِّسُولَ : هل يَحُولُ بيني وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ إذا جرى النَّيْلُ .

فكتب عمرُ إلى عمرو : إني لا أُحِبُّ أَنْ يَنْزِلَ المسلمون مَنْزِلًا يَحُولُ بيني وبينهم الماء في شتاء ولا صيف . فَتَحَوَّلَ عمرو من الإسْكَندريَّة إلى القُسْطَاطِ ؛ وَإِنَّمَا سَمِيَتِ القُسْطَاطُ لِأَنَّ عمروَ بْنَ العاصِ لَمَّا تَوَجَّه إلى الإسْكَندرية ، أَمَرَ بِنَزْعِ قُسْطَاطِهِ ؛ فَإِذَا فِيهِ يَمَامٌ قد قَرَّخَ . فقال عمرو : لقد تَحَرَّمَ مِنَّا بِمُتَحَرِّمٍ : فَأَمَرَ بِهِ فَأُقِرَّ في موضعه ، وَأَوْصَى بِهِ صَاحِبَ القُصْرِ : فَلَمَّا قَفَلَ المسلمون من الإسْكَندرية قالوا : أَيْنَ نَنْزِلُ ؟ قالوا : القُسْطَاطُ - يريدون قُسْطَاطَ عمرو ، وكان مضروباً في موضع دار عمرو بن العاصِ الَّتِي عُمِرَتْ بعدُ - وَاخْتِطَّ عمروُ والمَسْجِدُ الجَامِعُ العُمَرِيُّ ، وكان ما حَوَّلَهُ حَدَائِقُ وَأَعْنَابُ ، فَنَصَبُوا العِجَالَ حَتَّى اسْتَقَامَتْ لَهُمْ ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ : فلم يَزَلْ عمرو قَائِماً حَتَّى وَضَعُوا القَبِيلَةَ ، وَاتَّخَذَ عمروُ في المَسْجِدِ مَنَبَراً .

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٩١ وما بعدها

فكتب إليه عمرُ بنُ الخطابِ رضى الله عنه :

أما بعدُ ، فإنه بلغنى أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين ،
أو ما يخصبك أن تقوم قائماً ، والمسلمون تحت قدميك ! فعزمتُ
عليك لما كسرتَه .

قال : واختطَّ الناس بعد ذلك . فكتب عمرو إلى عمر : إنا قد
اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع .

فكتب إليه عمر : أئني لرجل بالحجاز تكون له دارٌ بمصر ! وأمره
أن يجعلها سوقاً للمسلمين ، ففعلَ ، فكان يباع بها الرقيق .

قال : ولما اختطَّ المسلمون تركوا بينهم وبين البحر والحِصْنِ
فضاءً لتغريق دوابهم وإبادتها ، فلم يزل كذلك حتى ولى معاوية
ابن أبى سفيان : فاشتري دورَ قومٍ منهم ، وأقطعهم من ذلك الفضاء ،
فسميت القطائع ، وبنّاها أولئك دوراً لهم بدل دورهم .

قال : واختطَّ همدان ومنْ والاها الجيزة ، فكتب عمرو إلى عمر
يعرفه أمر الخطط .

فكتب إليه عمرُ يقولُ له : كيف رضيت أن تُفرّق أصحابك !
ولم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحدٍ من أصحابك . أن يكون بينك
وبينهم بحرٌ لا تدرى ما يفجّوهم . فلعلك لا تقدرُ على غيائهم حتى
ينزل بهم ما تكره ، فأجمعهم إليك ، فإن أبوا عليك وأعجبهم
موضعهم ، فأبني عليهم من قى المسلمين حصناً .

فعرض عمرو ذلك عليهم ، فأبوا ، وأعجبهم موضعهم بالجزيرة ،

فبنى لهم عمرو بن العاصِ الحصنَ الَّذِي بالجيزة ، في سنة إحدى وعشرين ، وفرغَ مِنْ بَنَائِهِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ . وَاللَّهُ سَيِّحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

ذكر خبر أصل النيل وكيف كانت عادة القبط

وإبطال عمرو تلك العادة

قال ^(١) أبْنُ لَهَيْعَةَ : لَمَّا فَتَحَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِصْرَ أَتَاهُ أَهْلُهَا حِينَ دَخَلَ بَوُونَةَ مِنْ أَشْهُرِ الْقِبْطِ ^(٢) ، فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ لِنَيْلِنَا هَذَا سَنَةً لَا يَجْرِي إِلَّا بِهَا ، فَقَالَ لَهُمْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : إِذَا كَانَ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً تَخْلُو مِنْ هَذَا الشَّهْرِ ، عَمَدْنَا إِلَى جَارِيَةِ بَكْرِ مِنْ أَبَوَيْهَا فَأَرْضَيْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ الْحُلِيِّ وَالشِّيَابِ أَفْضَلَ مَا يَكُونُ ، ثُمَّ أَلْقَيْنَاهَا فِي هَذَا النَّيْلِ . فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُو : إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ .

فَأَقَامُوا بَوُونَةَ وَأَبْيَسَ وَمَسْرَى ، لَا يَجْرِي كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا ، حَتَّى هَمَّوْا بِالْجَلَاءِ ، فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو ذَلِكَ كَتَبَ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ أَصَبْتَ ، إِنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِبِطَاقَةٍ فَأَلْقِهَا فِي دَاخِلِ النَّيْلِ إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي . فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابُ عَلَى عَمْرُو فَتَحَ الْبِطَاقَةَ ، فَإِذَا فِيهَا : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : إِلَى نَيْلِ أَهْلِ مِصْرَ :

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ١١٩ ، ١٥٠ .

(٢) فتوح مصر : « من أشهر العجم » .

أما بعدُ ، فإن كنتَ تَجْرِي من قَبْلِكَ فلا تَجْرِ ، وإن كان الله الواحدُ القَهَّارُ الَّذِي يُجْرِيكَ ، فنسألُ الله الواحدَ القَهَّارَ أن يُجْرِيكَ .
فألقي عمرو البطاقةَ في النيلِ قبل يومِ الصَّليبِ بيومٍ ، وقد تَهَيَّأ أهلُ مصرَ للجلاء ، فأصبحوا وقد أجرى الله^(١) عز وجل النيلَ ستةَ عشر ذراعاً في ليلةٍ ، وانقطعت تلك السنة السيئة عن أهلِ مصر .

ذكر ما قرر في أمر الجزية من الخراج

قال^(٢) : وكانت قريضة مصرَ لحفر خُلجَاتها ، وإقامة جسورها ، وعمارة قناطرها ، وقطع جزائرها مائة ألفٍ وعشرين ألفاً ، معهم الطُّور والمساحي والأداة يعتقبون ذلك لا يدعونه^(٣) شتاءً ولا صيفاً .

ثم كتبَ عمرُ بنُ الخطابِ رضى الله عنه إلى عمرو أن يُختمَ على رقاب أهل الذمة بالرصاص ، ويُظهروا مناطقهم ، ويجزوا نواصيتهم ، ويُرْكَبوا على الأكفِ عرضاً . وألاً يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه الموائس ، ولا يضربوا على النساء ، ولا على الأولدان ، ولا يدعوهن يتشبهن بالمسلمين في لبوسهم .

قال : ولما استوسق لعمر بن العاص الأمر ، وأقرقبط مصرَ على جباية الروم ، وكانت جبايتهم بالعدل : إذا عُمرت القرية ، وكثر أهلها زيدَ عليهم ، فإذا قلَّ أهلها وخربت نُقصوا . فكانوا يجمعون خراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة : فيبدرون^(٣) فيخرجون من الأرض فدادينَ لكتائسهم وحماماتهم . ثم يُخرجُ منها عددٌ لضيافة المسلمين :

(١) ابن عبد الحكم : « وقد أجره الله » .

(٢) ابن عبد الحكم ١٥١ وما بعده .

(٣) في الأصلين : « فيبدون » . وما أثبتته من فذوح مصر .

وَنُزُولِ السُّلْطَانِ ، فَإِذَا فَرَّغُوا ، نَظَرُوا إِلَى مَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ الصُّنَاعِ ۖ
وَالْأَجْرَاءِ فَقَسَّمُوا عَلَيْهِمْ بِقَدَرِ أَحْوَالِهِمْ ؛ فَإِنْ كَانَتْ فِيهَا جَالِيَةٌ قَسَّمُوا
عَلَيْهَا بِقَدَرِ أَحْوَالِهَا ، وَقَلَّمَا كَانَتْ تَكُونُ إِلَّا لِلرَّجُلِ السُّنْتَابِ أَوْ الْمَتَزَوِّجِ ،
ثُمَّ يُنْظَرُ مَا بَقِيَ مِنَ الْخَرَاجِ فَيُقَسَّمُونَهُ بَيْنَهُمْ عَلَى عَدَدِ الْأَرْضِ ،
ثُمَّ يَقْسِمُونَ ذَلِكَ بَيْنَ مَنْ يَرِيدُ الزَّرْعَ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِ طَاقَتِهِمْ ، فَإِنْ عَجَزَ
أَحَدُهُمْ شَكَاهُ ضَعْفًا عَنْ زَرْعِ أَرْضِهِ ، وَزَعُّوا ^(١) مَا عَجَزَ عَنْهُ عَلَى الْإِحْتِمَالِ ،
وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَرِيدُ الزِّيَادَةَ ، أُعْطِيَ مَا عَجَزَ عَنْهُ أَهْلُ الضَّعْفِ ؛
فَإِنْ تَشَاحَوْا قَسَّمُوا ذَلِكَ عَلَى عَدَّتِهِمْ ، وَكَانَتْ قِسْمَتُهُمْ عَلَى قَرَارِيطَ ،
الدِّنْيَارِ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِيرَاطًا ، يَقْسِمُونَ هَذِهِ الْأَرْضَ عَلَى ذَلِكَ .

قال : وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا
خَيْرًا » .

قال : وَجَعَلَ [عَلَيْهِمْ] ^(٢) لِكُلِّ فِدَانٍ نِصْفَ إِردَبٍ قَمْحًا ،
وَوَيْتَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ إِلَّا الْقُرْطَ فَلَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ ضَرْبِيَّةٌ ، وَالْوَيْتَةُ يَوْمُئِذٍ
سِتَّةُ أَمْدَادٍ كَأَنَّهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ الْبِدَارَ .

قال : وَرَوَى عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ
جَبَى مِصْرَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَقَالَ غَيْرُ اللَّيْثِ : جَبَاهَا الْمُقَوْفُسُ قَبْلَهُ بِسَنَةِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .
وَقَالَ اللَّيْثُ : وَجَبَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ حِينَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا
عُمَانُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ .

(١) فِي الْأَسْلَابِ : « زَعُّوا » وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ أَبِي عَبْدِ الْحَكَمِ . (٢) تَكْمِلَةٌ مِنْ ص .

فقال عثمان لعمر : يا أبا عبد الله : درت بَعْدَكَ اللِّقْحَةُ بِأَكْثَرِ
مِنْ دَرْمَا الْأَوَّلِ . فقال عمرو : أَضَرَرْتُمْ بِوَلَدِهَا .

وكتبَ عمرُ إلى عمرو أن يسألَ المقوقسَ عن مصرَ ، من أيِّ شَيْءٍ
تَأْتِي عِمَارَتُهَا وَخَرَابُهَا ؟ فسأله عمرو ، فقال : تَأْتِي عِمَارَتُهَا وَخَرَابُهَا مِنْ
وَجْهِ خَمْسَةِ ، أَنْ يُسْتَمَخَّرَجَ خَرَايجُهَا فِي إِبَّانٍ وَاحِدٍ ، عِنْدَ فَرَاغِ أَهْلِهَا
مِنْ زَرْعِهِمْ ، وَيُرْفَعُ خَرَايجُهَا فِي إِبَّانٍ وَاحِدٍ عِنْدَ فَرَاغِ أَهْلِهَا مِنْ عَصْرِ
كُرُومِهِمْ ، وَتُحْضَرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ خُلُجُهَا ، وَتُسَدُّ تُرْعُهَا
وَجُسُورُهَا : وَلَا يَقْبَلُ مَحَلُّ أَهْلِهَا ، يَرِيدُ الْبَغْيَ ، فَإِنْ فُعِلَ هَذَا فِيهَا
عَمِرَتْ ، وَإِنْ فُعِلَ بِخِلَافِ هَذَا خَرِبَتْ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَامُ
بِالصَّوَابِ .

ذكر خبر المقطم

رَوَى ^(١) عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : سَأَلَ الْمُقَوِّقُسُ عَمْرَو بْنَ
الْعَاصِ أَنْ يَبَيِّعَهُ سَفْحَ الْمُقْطَمِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَعَجِبَ عَمْرُو مِنْ
ذَلِكَ . وَقَالَ [أَكْتُبْ] ^(٢) فِي ذَلِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَتَبَ
بِذَلِكَ إِلَى عَمْرٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ، اسْأَلْهُ لِمَ أَعْطَاكَ بِهِ مَا أَعْطَاكَ
وَهِيَ لَا تُزْرَعُ وَلَا يُسْتَنْبِطُ بِهَا مَاءٌ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهَا ، فَسَأَلَهُ : فَقَالَ :
إِنَّا لَنَجِدُ صِفَتَهَا فِي الْكِتَابِ : أَنَّ فِيهَا غِرَاسَ الْجَنَّةِ . فَكَتَبَ بِذَلِكَ
إِلَى عَمْرٍ فَكَتَبَ عَمْرٌ إِلَى عَمْرٍ : إِنَّا لَا نَعْلَمُ غِرَاسَ الْجَنَّةِ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ ،

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ١٥٦ وما بعدها .

(٢) من ص وفتح مصر .

(٣) فتوح مصر : « ماء » .

فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ، ولا تبعه بشيء ، فكان أول رجل دفن فيها رجل من المغائر يقال له : عامر .

قالوا : والمقطم ما بين القصير إلى مقطع الحجاره ، وما بعد ذلك فمن البخوم .

وقد اختلِف في القصير : فقال ابنُ لَهيعة : ليس بـقَصِير موسى النبي عليه السلام ؛ ولكنه موسى السّاحر .

وقال كعبُ الأخبار : هو قصير عزيز مصر ، كان إذا جرى النيلُ يترفع فيه . ويقال : بل كان موقداً يُوقدُ فيه لفرعون إذا دُركب من متف إلى عينِ شمير : وكان على المقطم موقدُ آثر ؛ فإذا رأوا النارَ علِموا برُكوبه ، فأعدُّوا له ما يُريدُ ، وكذلك إذا انصرفت . والله تعالى أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر خبر خليج أمير المؤمنين

وهذا^(١) الخليج كانت السفنُ تسير فيه من مصر إلى بحر القلزم : تحملُ الطعامَ والأصنافَ إلى مكةَ والمدينة .

وكان من خبره على ما روى عن الليث بن سعد أن النَّاسَ بالمدينة أصابهم جُهدٌ شديدٌ في خلافةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ في عامِ الرَّمَادَةِ ، فكتبَ إلى عمرو :

من عبدِ الله أميرِ المؤمنين : إلى العاصي ابنِ العاص .
سلامٌ عليك ، أما بعد : فلعمري يا عمرو ما تُبالي إذا شُبعتَ

(١) فتوح مصر ١٦٢ وما بعدها .

أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معي : فيا غوثاه ، ثم يا غوثاه !
يردد قوله .

فكتب إليه عمرو :

لعبد الله عمرَ أفيِر المؤمنين ، من عمرو بن العاص .

أما بعد . فيا لبيك ثم يا لبيك ، وقد بعثت إليك بغير أولها
عندك وآخرها عندي ، والسلام عليك ورحمة الله .

وبعث إليه بغير عظيمة ، فكان أولها بالمدينة ، وآخرها بمصر
يتبع بعضها بعضاً ، فلما قدمت على عمر وسع بها على الناس ، ودفع
إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بغيراً بما عليه من الطعام . وبعث
عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص
أن يقسموها على الناس ، ويدفعوا ^(١) إلى أهل كل بيت بغيراً بما عليه ،
وأن يأكلوا الطعام ، وينحروا البعير فيأكلوا الحمة ، ويأندموا شحمه ،
ويحتذوا جلده ، وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام لِمَا أرادوا .
فوسع الله بذلك على الناس ، فلما رأى ذلك عمر حمد الله ، وكتب
إلى عمرو أن يقدم عليه ، هو وجماعة أهل مصر ، فقدموا عليه .

فقال عمر : يا عمرو ، إن الله تعالى قد فتح على المسلمين مصر ،
وهي كثيرة الخير والطعام ، وقد ألتقى في روعي لما أحببت من
الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم ^(٢) ، أن أحفر خليجاً من نيل
مصر حتى يسيل في البحر ؛ فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام .

(١) ك : « فدفعوا » .

(٢) يمهدها في ابن عبد الحكم « حين فتح الله عليهم مصر ، وجعلها قرة لهم ولجميع المسلمين » .

إلى المدينة ومكة ، فَإِنَّ حَمَلَهُ [على] ^(١) الظَّهْرَ يَتَعَذَّرُ ، وَلَا نَبْلُغُ مِنْهُ مَا نُرِيدُ . فَأَنْطَلِقُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ، فَتَشَاوَرُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى يَعْتَدِلَ فِيهِ رَأْيُكُمْ ، فَأَنْطَلِقُ عَمْرُو فَأَخْبَرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا : نَتَخَوَّفُ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذَا ضَرَرٌ عَلَى مِصْرَ ، فَفَرَرْنَا أَنْ تُعْظَمَ ذَلِكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَقُولَ لَهُ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَعْتَدِلُ وَلَا يَكُونُ ، وَلَا نَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا .

فَرَجَعَ عَمْرُو بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ ، فَلَمَّا رَأَى ضَحِكَ وَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ يَا عَمْرُو ، وَإِلَى أَصْحَابِكَ حِينَ أَخْبَرْتَهُمْ بِمَا أَمَرْتُ بِهِ ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا لَكَ كَذَا وَكَذَا . لِلَّذِي كَانَ مِنْهُمْ . فَقَالَ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ .

فَقَالَ عَمْرُو : يَا عَمْرُو : انْطَلِقْ بِعِزْمَةٍ مَنَى حَتَّى تَجِدَ فِي ذَلِكَ ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْكَ الْحَوْلُ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَانْصَرَفَ عَمْرُو : ثُمَّ احْتَفَرَ الْخَلِيجَ الَّذِي كَانَ فِي حَاشِيَةِ الْفُسْطَاطِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : خَلِيجُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَاقَهُ مِنَ النَّبْلِ إِلَى الْقُلْزُمِ ، فَلَمْ يَأْتِ الْحَوْلُ حَتَّى جَرَّتْ فِيهِ السُّفُنُ ، فَحَمَلَ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، فَتَفَعَّ اللَّهُ بِذَلِكَ أَهْلَ الْحَرَمِينَ ، وَسُمِّيَ خَلِيجَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُحْمَلُ فِيهِ الطَّعَامُ إِلَى زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثُمَّ ضَيَّعَهُ الْوَلَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَرِكَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الرَّمْلُ ، فَانْقَطَعَ ، فَصَارَ مُنْتَهَاهُ إِلَى ذَنْبِ التَّمَسَّاحِ مِنْ نَاحِيَةِ طَحَا الْقُلْزُمِ .

قال : ويقال : إِنَّ عمرو بنَ العاص قال لعمَرَ بنِ الخطَّاب .
لَمَّا قَدِمَ عليه : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قد عرفتَ أَنَّهُ كانتَ ثَانِيَنَا سَفْنُ
فيها تجارٌ من أَهلِ مِصرَ قَبْلَ الإسلامِ ، فَلَمَّا فَتَحْنَا مِصرَ انْقَطَعَ ذلكَ
الخليجُ ، وَأَسْتَدَّ ، وتركتهُ التُّجارُ ؛ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْفِرَهُ فَتُنْشِئْ
به سَفْنًا يُحْمَلُ فيها الطَّعامُ إلى الحِجازِ فَعَلْتَهُ . فقال له عُمَرُ : نعم ،
فأَفْعَل .

فَلَمَّا ذَكَرَ عَمْرُو ذلكَ لِأَصْحَابِهِ كَرِهوه على ما تَقَدَّمَ ، فَعَزَمَ
عُمَرُ على عَمْرٍو أَنْ يَحْفِرَهُ فَحَفَرَهُ .

ويقال : إِنَّ عَمْرَ بْنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا كَتَبَ إلى عَمْرٍو
بما كَتَبَ وَاسْتَعَاثَهُ ، كَتَبَ [عمرو] ^(١) إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَيَا لِبَيْكِ ثُمَّ يَا لِبَيْكِ ، أَتَتَكَ ^(٢) عِيرٌ أَوَّلُهَا عِنْدَكَ
وآخِرُهَا عِنْدِي ، مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ أَجِدَ السَّبِيلَ إلى أَنْ أَحْمِلَ إِلَيْكَ
فِي الْبَحْرِ . ثُمَّ إِنَّ عَمْرًا نَدِمَ على كِتَابِهِ فِي الْحَمْلِ إلى الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ : إِنَّ
أَمَكُنْتُ عَمْرًا مِنْ هَذَا خَرْبٍ وَصَرَ وَنَقَلَهَا إلى الْمَدِينَةِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :
إِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِ الْبَحْرِ ، فَإِذَا هُوَ عَسِرٌ لَا يُلْتَأَمُ وَلَا يُسْتَطَاعُ . فَكُتِبَ
إِلَيْهِ عُمَرُ : إلى العاصي بنِ العاص : قد بَلَغَنِي كِتَابُكَ ، نَعْلُ فِي الَّذِي
كُنْتَ كَتَبْتَ إِلَيَّ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَحْرِ ، وَأَيُّمُ اللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَا فَعَلْتَنَّ
بِأُذْنِكَ وَلَا بَعَثَنَّ مِنْ يَفْعَلُ ذلكَ .

فَعَرَفَ عَمْرُو أَنَّهُ الْجَدُّ مِنْ عُمَرُ ، ففَعَلَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ الْإِتْدَعَ

(١) من ص .

(٢) ص : « جادت » .

بمصر شيئا من طعامها وكسوتها وبصلها وعذسها وخلها إلا بعثت إلينا منه .

ويقال : إنما دلَّ عمرو بن العاص على الخليج رجل من قبض مصر ، أنه فقال له : أرأيت إن دلتك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهي إلى المدينة ومكة ، أنضع عني الجزية . وعن أهل بيتي ؟ قال : نعم ، وكتب إلى عمر ، فقال : افعل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر الخبر عن فتح الفيوم

رؤي ^(١) عن سعيد بن غفيرة وغيره ، قالوا : لما تمَّ الفتح للمسلمين ، بعث عمرو بن العاص جرائد الخيل إلى القرى التي حولها ، فأقامت بالفيوم سنة لم يعلم المسلمون بمكانها ، حتى أتاهم رجل فذكرها لهم ، فبعث عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفة الصدي ، فلما سلخوا في المجابة لم يروا شيئا ، فهموا بالانصراف فقال : لا تعجلوا ، سيروا ^(٢) ، فلم يسيروا إلا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم ، فهجموا عليها ، فلم يكن عند أهلها قتال ، وألقوا بأيديهم . قال : ويقال : بل خرج مالك بن ناعمة الصدي - وهو صاحب القرس الأشقر على فريسه - ينقض المجابة ، ولا علم له بما خلفها من الفيوم ، فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو ، فأخبره بذلك .

ويقال : [بل] ^(٣) بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد ، فسار حتى أتى القيس ، فنزل بها ، وبه سُميت ، فذكر ذلك لعمرو .

(١) فتح مصر ١٦٩ .

(٢) بهدائي ابن عبد الحكم : « فإن كان كذب ، فما أقدمكم على ما أردتم » .

(٣) من ص .

فقال ربيعةُ بنُ حُبَيْشٍ : كُفِّيت ، فَرَكِبَ فَرَسَهُ . فَأَجَازَ عَلَيْهِ
الْبَحْرَ ، وَكَانَتْ أُنْثَى ، فَأَتَاهُ بِالْخَبَرِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَجَازَ مِنْ نَاحِيَةِ
الشَّرْقِيَّةِ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى الْقِيَوْمِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ
وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

ذكر فتح زويلة وطرابلس الغرب

وبرقة وحصن سبرت

كَانَ ^(١) فَتْحُ زَوَيْلَةَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ
الْعَاصِ بَعَثَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعِ الْفِهْرِيِّ إِلَيْهَا ، فَافْتَتَحَهَا صَلَاحًا ، وَمَا بَيْنَ
بَرْقَةِ وَزَوَيْلَةَ سَلَامًا لِلْمُسْلِمِينَ . وَقِيلَ : فَتَحَهَا فِي سَنَةِ عِشْرِينَ ، وَاللَّهُ
سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

ثُمَّ سَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ مِصْرَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
إِلَى بَرْقَةِ ، فَصَالَحَ أَهْلَهَا عَلَى الْجِزْيَةِ ، وَأَنْ يَبِيعُوا مِنْ أَبْنَائِهِمْ
مَنْ أَرَادُوا بَيْعَهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ بَرْقَةِ سَارَ إِلَى طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ ، فَحَاصَرَهَا
شَهْرًا ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ شَرْقِيَّهَا ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
مُذَلِّجٍ يَتَصَيَّدُ فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ فَسَلَكُوا غَرْبَ الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا رَجَعُوا اشْتَدَّ
عَلَيْهِمُ الْحَرُّ ، فَأَخَذُوا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ وَلَمْ يَكُنِ السَّوْرُ مُتَّصِلًا بِالْبَحْرِ ،
وَكَانَتْ سُفُنُ الرُّومِ فِي مَرَسَاهَا تُقَابِلُ بَيْوتَهُمْ ، فَرَأَى الْمُذَلِّجِيُّ وَأَصْحَابُهُ
مَسْلَكًا فِي الْبَحْرِ إِلَى الْبَلَدِ ، فَدَخَلُوا مِنْهُ ، وَكَبَّرُوا ، فَلَجَأَ الرُّومُ إِلَى
سُفُنِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ دَخَلُوا الْمَدِينَةَ ، فَنَظَرَ عَمْرُو
وَمِنْ مَعَهُ ، فَرَأَى السُّيُوفَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَسَمِعُوا الصِّيَاحَ ، فَأَقْبَلَ

(١) بعلها في عهد الحكم : «وكان يقال لفرة الأمل» .

(٢) ابن عبد الحكم ٧٠ وما بعدها .

الجيش حتى دخل المدينة ، فلم يفلت من الروم إلا بما خفَّ حملُهُ في
مراكبهم .

وكان أهلُ حصنِ سَبْرَت قد اطمأنوا ، فجهَّزَ^(١) إليهم جيشًا
كثيفًا ، فصَبَّحوها وقد فَتَحَ أهلها الباب ، وسَرَّحوا مَوَاشِيَهُمْ
فدخلها المسلمون مغالبةً وغنموا ما في الحصن ، وعادوا إلى عَمْرُو .

ثم سار عمرو إلى بَرْقَة وبها لُواتة ، وهم من البربر ، فصالَحَه أهلها
على ثلاثة عشر ألف دينارٍ يؤدُّونها جَزِيَّةً ، وشرطوا أن يبيعوا مَنْ أَرَادُوا
بَيْعَهُ من أولادهم في جَزِيَّتِهِمْ .

قال المؤرِّخ : وكان سببُ مَسِيرِ البربر إليها وإلى غيرها من بلاد
الغرب ؛ أَنَّهُمْ كانوا بنو اِحْيَى فِلَسْطِين ، فلما قَتَلَ مَلِكُهُمْ جالوت ،
ساروا نحو الغرب ، وتفرَّقوا ، فسارت زَنَاقَةٌ ومَغِيلَةٌ ، وهما قبيلتان
من البربر ، فسكنوا الجبال ، وسكنت لُواتةُ بَرْقَة ، وتُعرَفُ قديمًا
بِأَنْطَابُلُس - وقيل فيها : أَنْطَابُلُس - وانتَشَرُوا فيها حتى بلغوا
السُّوس ، ونزلوا ونزلتْ هَوَّارَةُ مَدِينَةُ لَبْدَةَ ، ونزلتْ نَفُوسَةُ مَدِينَةُ
سَبْرَت ، وجلا مَنْ كان بها من الروم [من أَجْلِ ذلك]^(٢) كذلك ،
وأقام الأَفَارِقُ وهم خَدَمُ الرومِ على صلحٍ يؤدُّونه لمن غَلَبَ على بلادهم .

* * *

انتهتُ الفُتُوحاتُ في خلافةِ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . والله سبحانه
وتعالى أعلمُ ، وحسبنا اللهُ ونعم الوكيل .

(١) ص « فجرد »

(٢) زيادة من فتوح مصر .

ذكر الغزوات الى أرض الروم

كان أول مَنْ غَزَا أرضَ الروم من المسلمين أبو بَحْرِيَّة عبدُ الله ابنُ قيس في سنة عشرين ، وقيل : أولُ من دَخَلها ميسرةُ بنُ مسروق العبسي ، فسَلِمَ وغَنِمَ ، ثم غزاها مُعاوية بنُ أبي سُفيانَ في سنة اثنتين وعشرين ، ودخلها في عشرة آلاف فارس من المسلمين .

وفي سنة ثلاث وعشرين غزا معاوية الصائفة ، ومعه عبادة بن الصّامت وأبو أيوب الأنصاري وأبو ذرّ وشداد بن أوس .
وفيهما فتح معاوية رضي الله عنه عَسْقلانَ على صلح .

ذكر ما اتفق في خلافة عمر بن الخطاب

غير الفتوحات والغزوات

سنة ثلاث عشر : في هذه السنة ، توفى الأرقم بن أبي الأرقم .
يوم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنهما ، وهو الذى كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً بداره بمكة أول ما أُرسل صلى
الله عليه وسلم .

• • •

سنة أربع عشرة : في هذه السنة أمر عمر رضى الله عنه
بالقيام في شهر رمضان في المساجد ، وجمعهم على أبي بن كعب ،
وكتب إلى الأمصار بذلك .

وفيهما ، ضرب عمر رضى الله عنه ابنه عبد الله وأصحابه في شراب
شربوه ، وضرب أيضاً أبا مخنف الثقفى في الشراب .
وفيهما حج عمر رضى الله عنه بالناس .

وكان العمال على مكة : عتاب بن أسيد في قول ، وعلى اليمَن يعلى
ابن مُنية ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعلى الشام أبو عبيدة بن
الجراح ، وعلى البحر عثمان بن أبي العاص ، وقيل : العلاء بن
الحضرمي ، وعلى عمارة خديفة بن مخضن .

وفيهما مات أبو قحافة ، والد أبو بكر الصديق رضى الله عنهما ،
ومات سعد بن عبادَةَ الأنصاري ، وكان أسنَّ من أسلمَ ثمن بني هاشم
رضى الله عنه .

• • •

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

سنة خمس عشرة : وفي هذه السنة فَرَضَ عمرُ رضى الله عنه
للمسلمين الفُرُوضَ : ودَوَّنَ الدَّواوينَ ، وأَعْطَى العطايا على السَّابقةِ
في الإسلامِ لأَعْلَى البيوتِ .

قال : ولَمَّا فرض العطايا أعطى صفوان بن أميةَ والحارثُ بن هشامَ
وسُهَيْلُ بن عمرو في أهل الفتحِ أَقْلَ مِمَّا أعطى مَنْ قبلهم ، فامْتَنَعُوا
من أَخْذِهِ ، وقالوا : لا نَعْتَرِفُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ أَكْرَمَ مِنَّا ، فقال :
إِنِّى إِنَّمَا أَعْطَيْتُهُمْ عَلَى السَّابِقَةِ فِي الإسلامِ لا فِي الْأَحْسَابِ ، فقالوا :
نَعَمْ إِذَنْ ، وَأَخَذُوا .

وخرج الحارثُ وسُهَيْلُ بأهليهما نحوَ الشَّامِ ، فلم يَزَالَا
مُجَاهِدَيْنِ حَتَّى أَصِيبَا فِي بَعْضِ تِلْكَ الدُّرُوبِ . وقيل : مَاذَا فِي طَاعُونَ
عُمَاسِ .

وقيل : لَمَّا أَرَادَ عمرُ وَضَعَ الدِّيوانَ ، قال له عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : ابْدَأْ
بِنَفْسِكَ . فقال : لا ، بَلْ ابْدَأْ بِعَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
ثُمَّ الْأَقْرَبَ فالْأَقْرَبَ . ففَرَضَ لِلْعَبَّاسِ ، وَبَدَأَ بِهِ ، وَجَعَلَ لَهُ خَمْسَةَ
وَعَشْرِينَ أَلْفًا : [وقيل : فرض له اثني عشر ألفًا] ^(١) ثُمَّ فَرَضَ
لِأَهْلِ بَدْرٍ لِكُلِّ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَالْحَقُّ بِهِمْ أَرْبَعَةٌ لَمْ يَكُونُوا مِنْهُمْ ،
وَهُمْ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ : أَبُو ذَرٍّ وَسَلْمَانَ ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

(١) من ص .

(٢) ل : « وعثمان .

وَفَرَضَ لِمَنْ بَعْدَ بَدْرٍ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ لِكُلِّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، وَفَرَضَ
لِمَنْ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ إِلَى قِتَالِ الرَّدَّةِ ، لِكُلِّ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، كَانَ مِنْهُمْ
مَنْ شَهِدَ الْفَتْحَ .

وَفَرَضَ لِأَهْلِ الْأَيَّامِ قَبْلَ الْقَادِسِيَّةِ ، وَأَهْلِ الشَّامِ ، فِي أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ .
وَفَرَضَ لِأَهْلِ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ فِي أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةٍ ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ أَلْحَقْتَ
أَهْلَ الْقَادِسِيَّةِ بِأَهْلِ الْأَيَّامِ ! قَالَ : لَمْ أَكُنْ لِأُلْحَقْهُمْ بِدَرَجَةٍ مِنْ لَمْ يُذَرِّكَوْا .
وَقِيلَ لَهُ : قَدْ سَوَّيْتَ مَنْ بَعُدَتْ دَارُهُ بِمَنْ قَرُبَتْ دَارُهُ ، وَقَاتَلَهُمْ عَنْ
فَنَائِهِ ، فَقَالَ : مَنْ قَرُبَتْ دَارُهُ أَحَقُّ بِالزِّيَادَةِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا رِدْعًا
لِلْحَتُوفِ ، وَشَحَى لِلْعُدُوِّ ، فَهَلَّا قَالَ الْمُهَاجِرُونَ مِثْلَ قَوْلِكُمْ حِينَ سَوَّيْنَا
بَيْنَ السَّابِقِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ ! فَقَدْ كَانَتْ نَصْرَةُ الْأَنْصَارِ بِقَنَائِهِمْ ،
وَهَاجَرَ إِلَيْهِمُ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ بَعْدُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفَرَضَ لِمَنْ بَعْدَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْيَرْمُوكِ أَلْفًا أَلْفًا .

وَفَرَضَ لِلرُّوَادِفِ الَّتِي فِي خَمْسَمِائَةٍ خَمْسَمِائَةٍ ، وَلِلرُّوَادِفِ الثَّلَاثِ فِي
ثَلَاثَمِائَةٍ : سَوَّى كُلَّ طَبَقَةٍ فِي الْعَطَاءِ ، قَوِيَّهِمْ وَضَعِيفَهُمْ ، عَرَبِيَّهِمْ
وَعَجَمِيَّهِمْ . وَفَرَضَ لِلرُّوَادِفِ الرَّبْعِ فِيهَا فِي مَائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ .

وَفَرَضَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ وَهُمْ أَهْلُ هَجَرَ وَالْعِبَادِ عَلَى مَائَتَيْنِ .

وَأَعْطَى نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ
عَشْرَةَ آلَافٍ عَشْرَةَ آلَافٍ إِلَّا مَنْ جَرِيَ عَلَيْهَا الْيَلْكُ . فَقَالَ نِسْوَةٌ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يُفَضِّلُنَا عَلَيْهِنَّ فِي الْقِسْمَةِ ، فَسَوَّيْنَاهُ ، فَفَعَلَ ، وَفَضَّلَ عَائِشَةَ

رضى الله عنها بالفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ، فلم تأخذها .

وجعل لنساء أهل بدر خمسمائة خمسمائة : ونساء من بعدهم إلى الحديثية أربعمائة أربعمائة ، ونساء من بعدهم إلى الأيتام ثلثمائة ثلثمائة ، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ، ثم سوي بين النساء بعد ذلك .

وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ، ثم جمع ستين مسكيناً وأطعمهم الخبز ، فأحصوا ما أكلوا ، فوجدوه يخرج من جريبتين ، ففرض لكل إنسان منهم ولعِياله جريبتين في الشهر .

وقال عمر رضي الله عنه قبل موته : لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ، [ألف] ^(١) يجعلها الرجل في أهله ، وألف يتزودها معه ، وألف يتجهز بها ، وألف يرتفق بها ، فمات قبل أن يفعل .

وقال له رجل عند فرض العطاء : يا أمير المؤمنين ، لو [كنت] ^(١) تركت في بيوت الأموال عدة لكون إن كان فقال : كلمة ألقاها الشيطان على فيك : وقابني الله شرها ، وهي فتنة لمن بعدي : بل أعِدْ لهم ما أعد الله ورسوله ، [طاعة الله ورسوله] ^(١) : هما عدتنا التي بهما أفضينا إلى ما ترون ، فإذا كان المال ثمن دين أحديكم هلككم .

وقال عمر رضي الله عنه للمسلمين : إنني كنتُ أمراً تاجراً ^(٢)

(١) من ص .

(٢) ك : « تجراً » .

يُغْنِي اللَّهُ عِيَالِي بِتِجَارَتِي ، وَقَدْ شَغَلْتُمُونِي بِأَمْرِكُمْ هَذَا ، فَمَا تَرَوْنَ أَنَّهُ يَحِلُّ لِي فِي هَذَا الْمَالِ ؟ فَأَكْثَرَ الْقَوْمُ ، وَعَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ سَاكِتٌ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ يَا عَلِيٌّ ؟ فَقَالَ : مَا أَصْلَحَكَ وَأَصْلَحَ عِيَالَكَ بِالْمَعْرُوفِ ، لَيْسَ لَكَ غَيْرُهُ . فَقَالَ الْقَوْمُ : الْقَوْلُ مَا قَالَ عَلِيٌّ . فَأَخَذَ قُوَّتَهُ ^(١) ، وَأَشْتَدَّتْ حَاجَةُ عُمَرَ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ . فَاجْتَمَعَ نَفَرٌ ^(٢) مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ عُمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، فَقَالُوا : لَوْ قُلْنَا لِعُمَرَ فِي زِيَادَةِ يَزِيدِهَا إِلَيْهِ فِي رِزْقِهِ ؟ فَقَالَ عُمَانُ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ : هَلُمُّوا فَلْنَسْتَبْرَأَ مَا عِنْدَهُ مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ . فَاتَوَا حَفْصَةَ ابْنَتَهُ فَأَعْلَمُوهَا الْحَالَ ، وَاسْتَكْتَمُوهَا إِلَّا تُخْبِرَ بِهِمْ عُمَرُ . فَلَقِيَتْ عُمَرَ فِي ذَلِكَ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ لِأَسْؤَاتِهِمْ ؟ قَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى عِلْمِهِمْ . قَالَ : أَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، مَا أَفْضَلَ مَا أَقْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِكَ مِنَ الْمَلْبَسِ ؟ قَالَتْ : ثَوْبَيْنِ مَمَشَقَيْنِ كَانَ يَلْبَسُهُمَا لِلْوَفْدِ وَالْجُمُعِ ، قَالَ : فَأَيُّ الطَّعَامِ نَالَهُ عِنْدَكَ أَرْفَعَ ؟ قَالَتْ : خَبَزْنَا خُبْزَ شَعِيرٍ ، فَصَبَبْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ حَارٌّ أَسْفَلَ عُكَّةً ^(٣) لَنَا ، فَجَعَلْتُهَا دَسِيمَةً حُلُوةً ، فَأَكَلَ مِنْهَا . فَقَالَ : أَيُّ بَسْطٍ كَانَ يُبَسِّطُ عِنْدَكَ كَانَ أَوْطَأَ ؟ قَالَتْ : كِسَاءُ ثَخِينٌ كُنَّا نَرْقَعُهُ بِرُقْعَةٍ فِي الصَّيْفِ فَإِذَا كَانَ الشِّتَاءُ بَسَطْنَا نَصْفَهُ ، وَتَدَثَّرْنَا بِنَصْفِهِ . قَالَ : يَا حَفْصَةُ ، فَأَبْلَغِيهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) ك : « قُوَّة » ، تحريف .

(٢) ك : « رجالا » .

(٣) المكة : إناء يوضع فيه السن .

قَدَّرَ فَوَضَعَ الْفُضُولَ مَوَاضِعَهَا ، وَتَبَلَّغَ بِالترُّجِيَةِ ، فَوَاللهُ لَأَضَعَنَّ
! الْفُضُولُ مَوَاضِعَهَا ، وَلَأَتَبَلَّغَنَّ بِالترُّجِيَةِ ؛ وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ صَاحِبِي
كَثَلَاثَةٍ سَلَكَوا طَرِيقًا ، فَمَضَى الْأَوَّلُ وَقَدْ تَزَوَّدَ فَبَلَغَ الْمَنْزَلَ ، وَتَبِعَهُ
الْآخَرُ فَسَلَكَ طَرِيقَهُ فَأَفْضَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَتَبِعَهُ الثَّالِثُ ؛ فَإِنْ لَزِمَ طَرِيقَهُمَا
وَرَضِيَ بِزَادِهِمَا لِحَقٍّ ^(١) بهما ، وَإِنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقَهُمَا لَمْ يُجَامِعْهُمَا .

* * *

سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَجَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّاسِ ،
وَفِيهَا غَرَّبَ ^(٢) عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبَا مِخْجَنَ الثَّقَفِيِّ إِلَى نَاصِعٍ .

وَفِيهَا حَتَمَى الرَّبِذَةَ بِخَيْلِ الْمُسْلِمِينَ .

وَفِيهَا مَاتَتْ مَارِيَةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَصَلَّى عَلَيْهَا عُمَرُ ، وَدَفَنَهَا بِالْبَقِيعِ ؛ وَذَلِكَ فِي الْمَحْرَمِ .

وَفِيهَا كَتَبَ عُمَرُ التَّارِيخَ بِمَشُورَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَفِيهَا حَجَّ عُمَرُ بِالنَّاسِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ .

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنَعَمُ

الْوَكِيلُ .

* * *

(١) ك : « لَزِمَ » .

(٢) ك : « حَبَّ » .

ذكر بناء الكوفة والبصرة

سنة سبع عشرة : في هذه السنة اختطت الكوفة والبصرة ،
وتحول سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وكان سبب ذلك
أن سعداً أرسل إلى عمر بما فتح الله عليه ، فلما رأى الوفد سألهم عن
تغير ألوانهم وحالهم ؛ فقالوا : ^(١) وخومة البلاد [غيرتنا] ^(٢) ،
فأمرهم أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس .

وقيل : بل كتب حذيفة إلى عمر : إن العرب قد نزفت بطونها ،
وخفت أعضاؤها ، وتغيرت ألوانها . وكان مع سعد ، فكتب عمر إلى
سعد : أخبرني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم ؟ فكتب
إليه : إن الذي غيرهم وخومة البلاد ، وأن العرب لا يوافقها إلا ما وافق
إبلها من البلدان . فكتب إليه ، أن أبعث سلمان وحذيفة فليرتاذا
منزلاً برياً بخرياً ، ليس بيني وبينكم بحر ولا جسر ، فأرسلهما سعد .
فخرج سلمان حتى أتى الأنبار ، فسار في غرب الفرات لا يرضى
شيئاً حتى أتى الكوفة ، وخرج حذيفة في شرق الفرات لا يرضى
شيئاً حتى أتى الكوفة - وكل رملة وحصباء مختلطين فهو كوفة -
فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة : دبر حرقه ، ودبر أم عسرو ، ودبر

(١) ك : « خومة » تحريف .

(٢) بكلمة من ص .

سِلْسِلَةً وَخِصَاصٌ خِلَالِ ذَلِكَ^(١) ، فَأَعَجِبْتُهُمَا الْبَقْعَةُ ، فَتَزَلَّاهُ
وَصَلَّيَا ، وَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا مَنْزِلًا مُبَارَكًا . فَلَمَّا رَجَعَا
إِلَى سَعْدٍ بِالْخَبَرِ ، وَقَدِمَ كِتَابُ عَمْرِو أَبِيصَا عَلَيْهِ ، كَتَبَ سَعْدُ
إِلَى الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرِو وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ ، أَنْ يَسْتَخْلِفَا عَلَى
جَنْدِهِمَا وَيَحْضُرَا عِنْدَهُ ، فَفَعَلَا . فَأَرْتَحِلَ سَعْدُ مِنَ الْمَدَائِنِ حَتَّى
نَزَلَ الْكُوفَةَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ ، فَلَمَّا نَزَلَهَا سَعْدُ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو :
نَبِيٌّ قَدْ نَزَلَتْ بِكُوفَةٍ ، مَنْزِلًا بَيْنَ الْحِيرَةِ وَالْفُرَاتِ ، بَرِّيًّا بَحْرِيًّا ،
نَبَتْ الْحَلَفَاءُ وَالنَّصِي^(٢) ، وَخَيَّرْتُ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدَائِنِ ،
مَنْ أَعْجَبَهُ الْمَقَامُ بِالْمَدَائِنِ تَرَكْتُهُ فِيهَا كَالْمَسْلُوحَةِ . وَلَمَّا اسْتَقَرُّوا
عَرَفُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ مَا كَانُوا فَقَدُوا مِنْ قُوَّتِهِمْ . وَاسْتَأْذَنَ
لِ الْكُوفَةِ فِي بُنْيَانِ الْقَصَبِ ، وَاسْتَأْذَنَ فِيهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَاسْتَقَرَّ
لَهُمْ فِيهَا فِي الشَّهْرِ الَّذِي نَزَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بَعْدَ ثَلَاثِ نَزَلَاتٍ فِيهَا
هَآ . فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ [عَمْرُو] ^(٣) : إِنَّ الْعَسْكَرَةَ أَشَدُّ لِحَرْبِكُمْ ، وَأَذْكَرُ
، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَخَالَفَكُمُ ، فَأَبَيْتَنِي أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالْقَصَبِ .
ثُمَّ إِنَّ الْحَرِيقَ وَقَعَ بِالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَكَانَتْ الْكُوفَةُ أَشَدَّ
نَارًا ، وَكَانَ الْحَرِيقُ فِي شَوَّالٍ . فَبِعِثْتُ سَعْدُ نَفَرًا مِنْهُمْ إِلَى عَمْرِو
أَذْنُهُ فِي الْبُنْيَانِ بِاللَّيْلِ ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ بِخَبَرِ الْحَرِيقِ ، وَاسْتَأْذَنُوهُ ،

(١) ك : « وَخِلَالِ ذَلِكَ » .

(٢) النَّصِي : نَهَتْ أَبِيصَا قَاعِم .

(٣) مِنْ ص .

فقال : افعلوا ، ولا يزيدُ بناءً . أحدِكم عن ثلاثة أبيات ، ولا تطأولوا بالبُنيان ، وآلزموا السُّنة تَلْزَمكم الدَّولة .

فرجع القومُ إلى الكوفةِ بذلك ، وكتب عمرُ إلى أهلِ البصرةِ بمثلِ ذلك ، وكان على تنزيلِ الكوفةِ أبو هياج بن مالك ، وعلى تنزيلِ البصرةِ عاصم بن الدلف أبو الجرباء ، وقَدَّرَ المناهجَ أربعين ذراعاً ، وما بَيْنَ ذلكَ عشرين ذراعاً ، والأزقةَ سبعةَ أذرعٍ ، والقطائعَ سبعين ذراعاً . وأوَّلُ شَيْءٍ خُطَّ فيهما مَسْجِداهما ، وقامَ في وسطهما رجلٌ شديدُ النَّزع ، فرمى في كلِّ ناحيةٍ بِسَهْمٍ ، وأمرَ أن يُبْنَى ما وراءَ ذلك . وبُنِيَ ظِلَّةٌ في مقدِّمةِ مَسْجِدِ الكوفةِ على أساطينِ رُخامٍ من بناءِ الأكاسرةِ في الحيرةِ ، وجعلوا على الصَّحنِ خَنْدَقاً لثلاً يفتحُهم أحدُ بنيان ، وبنوا لسعدٍ داراً بحِباله ، وهى قصرُ الكوفةِ ، بناه رُوْزْبَةُ من أجَرِ بُنيانِ الأكاسرةِ بالحيرةِ ، وجعل الأسواقَ على سُنَّةِ المساجِدِ ، من سبقَ إلى مَقْعَدٍ فهو له ، حتَّى يقومَ منه إلى بيتِهِ ، ويفرُّعَ من بَيْعِهِ .

قال : وبلغ عمرُ أَنَّ سعداً قال : وقد سمعَ أصواتَ النَّاسِ من السُّوقِ : سَكَّتُوا عَنِّي التَّضْوِيتِ ، وإنَّ النَّاسَ يُسْمُونَهُ قَصْرَ سَعْدٍ . فبعثَ محمد بنَ مَسْلَمَةَ إلى الكوفةِ ، وأمره أن يُحْرِقَ بابَ القصرِ ، ثم يَرْجعَ ، ففعل . وبلغ سعداً ذلكَ ، فقال : هذا رسولُ أُرسلَ لهذا ! فاستدعاه ، فأبى أن يَدْخُلَ إليه ، فخرجَ إليه سعدٌ ، وعرضَ عليه نفقةً ، فأبى أن يأخذَها ، وأبْلَغَهُ كتابَ عمرَ إليه وفيه :

بلغني (١) أَنَّكَ اتَّخَذْتَ قَصْرًا جَعَلْتَهُ حَصْنًا ، وَيُسَمَّى قَصْرَ
سَعْدٍ ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ بَابٌ ، فَلَيْسَ يَقْضِرُكَ ، وَلَكِنَّهُ قَصْرُ الْخِبَالِ ،
انْزِلْ مِنْهُ مِمَّا يَلِي بُيُوتَ الْأَمْوَالِ ، وَأَغْلِقْهُ ، وَلَا تَجْعَلْ عَلَى الْقَصْرِ بَابًا
يُحْنَعُ النَّاسُ مِنْ دُخُولِهِ .

فَحَلَفَ لَهُ سَعْدٌ مَا قَالَ الَّذِي قَالُوا ، وَرَجَعَ مُحَمَّدٌ ، وَأَبْلَغَ عَمْرٌ
قَوْلُهُ ، فَصَدَّقَهُ .

وَكَانَتْ تُغَوِّرُ الْكَوْفَةَ أَرْبَعَةً : حُلْوَانٌ وَعَلَيْهَا الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو ،
وَمَسْبَذَانٌ وَعَلَيْهَا ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَقَرْقِيسِيَاءٌ وَعَلَيْهَا عَمْرُ بْنُ مَالِكٍ ،
أَوْ عَمْرُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَالْمَوْصِلُ وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِرِ .
وَكَانَ بِهَا خَلْفَاؤُهُمْ إِذَا غَابُوا عَنْهَا .

وَوَلَّى سَعْدٌ الْكَوْفَةَ بَعْدَمَا اخْتَطَّتْ ثَلَاثَ سِنِينَ وَنِصْفًا ، يَسُورِي
مَا كَانَ بِالْمَدَائِنِ قَبْلَهَا . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر عزل خالد بن الوليد

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقَدُّمِ
عَلَى الْجِيُوشِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَذْرَبَ (٢) هُوَ وَعِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ ، فَأَصَابَا
أَمْوَالًا عَظِيمَةً ، وَكَانَا تَوَجَّهًا مِنَ الْجَابِيَةِ بَعْدَ رَجُوعِ عَمْرٍو إِلَى الْمَدِينَةِ .
وَقِيلَ : إِنَّ مَسِيرَ خَالِدٍ مَعَ عِيَاضٍ كَانَ لَفَتْحِ الْجَزِيرَةِ ، فَبَلَغَ النَّاسُ

(١) م : « يُلْنُهُ » .

(٢) يُقَالُ أَذْرَبَ الْقَوْمَ ؛ إِذَا دَخَلُوا أَرْضَ الْعَدُوِّ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ .

ما أصابَ خالدٌ ، فانتَجَعَه رِجالٌ وكانَ فيهم الأشعثُ بنُ قيسٍ ،
فأجازَه بعشرَةِ آلافٍ ، ودخلَ خالدُ الحَمَّامَ ؛ قيل : حَمَّامُ آمِدٍ ،
فتدلَّكَ بغسلٍ فيه خَمْرٌ ، فكتبَ إليه عمرُ :

بلغني أَنَّكَ تدلَّكَتَ بخمرٍ ، واللهُ قد حرَّمَ ظاهرَ الخمرِ وباطنَهُ
منه ، فلا تمسَّها أجسادُكم . فكتبَ إليه : إِنَّا قتلناها فعدَّتْ غُسلًا
غيرَ خَمْرٍ . فكتبَ إليه عمرُ : إِنَّ آلَ المغيرةِ ابتُلُوا بالجفاءِ ،
فلا أَماتُكم اللهُ عليه .

فلَمَّا فَرَّقَ خالدٌ في الَّذِينَ انتَجَعُوهُ الأَمْوالَ ، سَمِعَ بها عمرُ ، فكتبَ
إلى أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجراحِ معَ البريدِ أنْ يُقِيمَ خالدًا وَيَعْقِلَه بعمامته ،
وَيَنْزِعَ عنه قَلَنسُوتَه حَتَّى يُعْلِمَكمُ منَ أَيْنَ أجازَ الأشعثُ ، أَمِنْ مالِهِ
أَمْ مِنْ إصابَةٍ أصابَها ؟ فَإِنْ زَعَمَ أَنَّها مِنْ مالِهِ فَقَدْ أَسْرَفَ ، وَإِنْ زَعَمَ
أَنَّها مِنْ إصابَةٍ ، فَقَدْ أَمَرَ بِخِيانَةٍ . وَأَعزَّلَهُ على كُلِّ حالٍ ، واضْمُمُ إِلَيْكَ
عَمَلَه .

وكانَ خالدٌ على قَنَسَرَيْنِ منَ قَبْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، فكتبَ أبو عُبَيْدَةَ
إلى خالدٍ ، فَقَدِمَ عليه ، ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ وجلسَ على المنبرِ ، وقامَ
البريدُ قُبالةَ خالدٍ ، فسألَ خالدًا منَ أَيْنَ أجازَ الأشعثُ ؟ فلمَ يَجِبْهُ ،
وأبو عُبَيْدَةَ ساكتٌ لا يَتَكَلَّمُ .

فقالَ بلالٌ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَفِيكَ بكذا وكذا ، ونَزَعَ عِمَامَتَه
فلمَ يَمْنَعُه ، ووَضَعَ قَلَنسُوتَه ، وأقامَه وعَقَلَه بعمامَتِهِ ، وقالَ له : أَمِنْ مالِكَ

أجزت ؟ أم من إصابة أصيبتها ؟ فقال : لا ، بل من مالى ، فأطلقته ،
وأعاد قلنسوته ، ثم بحمته بيده ، ثم قال : نسمع ونطيع لولايتنا ،
ونفخهم ونخدم موالينا .

قال : فأقام خالد متحيراً لا يدرى : أمزول هو أم غير معزول !
ولم يشافهه أبو عبيدة بذلك تكرمة له .

فلما تأخر قدمه على عمر ظن الذى كان ، فكتب إلى خالد
بالإقبال إليه ، فرجع خالد إلى قنشرين فخطب الناس ، وودعهم ،
ثم رجع إلى حمص ففعل مثل ذلك : ثم سار إلى المدينة . فلما قدم
على عمر شكاه وقال : شكوتك إلى المسلمين ، وبالله إنك فى أمرى
لغير مجمل ، فقال له عمر : من أين هذا الثراء ؟ فقال : من الأنفال
والسهمان ، ما زاد على ستين ألفاً فلك .

فقوم عمر ماله ، فرآه عشرين ألفاً ، فجعلها عمر فى بيت المال ،
ثم قال : يا خالد ، والله إنك على كبريم ، وإنك إلى لحبيب .

وكتب إلى الأمصار : إني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانه ،
ولكن الناس فخموه وفتنوا به . فخفت أن ياكلوا إليه ، فأحببت
أن يعلموا أن الله هو الصانع ، ولا يكونوا بمرضى فتنة ، وعوضه
عما أخذ منه . والله تعالى أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

ذكر بناء المسجد الحرام

[وفي هذه السنة اعتمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبنى المسجد الحرام ، ووَسَّع فيه ، وأقام بمكة عشرين ليلة ، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا ، ووضع أثمان دُورهم في بيت المال حتى أخذوا ، وكانت عُمُرته في شهر رجب ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت ، واستأذنه فأذن لهم وشرط عليهم ، أن ابن السبيل أحق بالظل والماء (١) .

ذكر عزل المغيرة بن شعبه

وفي هذه السنة عزل عمر رضى الله عنه المغيرة بن شعبه عن البصرة ، واستعمل عليها أبا موسى الأشعري ، وكان سبب ذلك أنه كان بينه أوبين أبي بكر مناهرة ، وكانا متجاورين بينهما طريق ، وكانا في مشربتين ، في كل واحدة منهما كوة مقابلة للأخرى ، فاجتمع إلى أبي بكر نفر يتحدثون في مشربته ، فهبت الريح ، ففتحت باب الكوة ، فقام أبو بكر ليُرده ، فبصر بالمغيرة ، وقد فتحت الريح باب كوته ، وهوبين رجلَي امرأة ، فقال للنفر : قوموا وانظروا ، فنظروا ، وهم : أبو بكر ونافع بن كلفة ، وزباد بن أبيه ، وهو أخو أبي بكر لأُمِّه ، وشبل بن معبد البجلي ، فقال لهم : اشهدوا . قالوا : ومن هذه ؟ قال : أم جميل بنت الأفقم ، وكانت من بني عامر بن صعصعة ، وكانت تغشى المغيرة والأمرأة ، وكان بعض النساء يفعلن ذلك

في زَمَانِهَا ، فَلَمَّا قَامَتْ عَرَفُوهَا . فَلَمَّا خَرَجَ الْمَغِيرَةُ إِلَى الصَّلَاةِ مَنَعَهُ أَبُو بَكْرَةَ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ صَاحِبُ الْأَغَانِي ^(١) فِي كِتَابِهِ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ : أَنَّ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ وَسَطَ النَّهَارِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ يَلْقَاهُ فَيَقُولُ : أَيْنَ يَذْهَبُ الْأَمِيرُ ؟ فَيَقُولُ : آتَى حَاجَةً . فَيَقُولُ لَهُ : حَاجَةٌ مَاذَا ! إِنَّ الْأَمِيرَ يُزَارُ وَلَا يُزُورُ . قَالَ : وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي يَأْتِيهَا جَارَةٌ لِأَبِي بَكْرَةَ . قَالَ : فَبَيْنَمَا أَبُو بَكْرَةَ فِي غُرْفَةٍ لَهُ مَعَ أَخُوهِ نَافِعٍ ، وَزِيَادٍ ، وَرَجُلٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ : شَيْلُ بْنُ مَعْبُدٍ ، وَكَانَتِ غُرْفَةُ جَارَتِهِ تَحْتَ غُرْفَةِ أَبِي بَكْرَةَ ، فَضْرِبَتِ الرِّيحُ بَابَ الْمَرْأَةِ فَفَتَحَتْهُ ، فَنَظَرَ الْقَوْمُ ؛ فَلِذَا هُمْ بِالْمَغِيرَةِ يَنْكِحُهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ : هَذِهِ بَلِيَّةٌ ابْتُلَيْتُمْ بِهَا ، فَانْظُرُوا ، فَتَنَظَرُوا ؛ فَلِذَا أَبُو بَكْرَةَ نَزَلَ ، فَجَلَسَ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِ الْمَغِيرَةُ مِنْ بَيْتِ الْمَرْأَةِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِكَ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، فَأَعْتَزِلْنَا . قَالَ : وَذَهَبَ لِيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ ، فَمَنَعَهُ أَبُو بَكْرَةَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا تُصَلِّيَ بِنَا وَقَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ . فَقَالَ النَّاسُ : دَعُوهُ فَلْيُصَلِّ ، فَإِنَّهُ الْأَمِيرُ . ثُمَّ تَقَارَبُوا فِي الرُّوَايَةِ فَقَامُوا : وَكَتَبُوا إِلَى عَمْرِ ، فَبِعَثَ أَبَا مُوسَى أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَأَمْرَهُ بِلَزُومِ السُّنَّةِ ، فَقَالَ : أَعْنَى بَعْدَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُمْ فِي

(١) الْأَغَانِي ١٦ : ٩٥ وما بعدها (طبعة دار الكتب) .

هذه الأُمّة كالملح . قال : خُذْ مَنْ اخْتَرْتَ ، فَأَخَذَ تِسْعَةً وَعَشْرِينَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ، وَهَشَامُ ابْنُ عَامِرٍ ، وَخَرَجَ بِهِمْ فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ ، وَدَفَعَ كِتَابَ لِمَرْتِهِ إِلَى الْمَغِيرَةِ وَفِيهِ :
أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ بَلَغَنِي نَبَأٌ عَظِيمٌ ، فَبَعَثْتُ أَبَا مُوسَى أَمِيرًا ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ مَا فِي يَدِكَ ، وَالْعَجَلَ .

فَرَحَلَ الْمَغِيرَةُ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرَةَ وَالشَّهَوْد ، فَقَدِمُوا عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ : الْمَغِيرَةُ : سَلْ هَؤُلَاءِ الْأَعْبُدَ كَيْفَ رَأَوْنِي ، أَمَسْتَقْبِلَهُمْ أَمْ مُسْتَدْبِرَهُمْ ؟ وَكَيْفَ رَأَوُا الْمَرْأَةَ فَعَرَفُوهَا ؟ فَإِنْ كَانُوا مُسْتَقْبِلِيَّ فَكَيْفَ لَمْ أَسْتَبِرْ ! وَإِنْ كَانُوا مُسْتَدْبِرِيَّ فَبَأَى شَيْءٌ اسْتَحَلُّوا النَّظَرَ فِي مَنْزِلِي عَلَى أَمْرَائِي ! وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُ إِلَّا أَمْرَائِي ، وَكَانَتْ تُشَبِّهُهَا .

فَشَهِدَ أَبُو بَكْرَةَ أَنَّهُ رَأَاهُ عَلَى أُمِّ جَمِيلٍ ، يُدْخِلُهُ كَالِدِيلٍ فِي الْمَكْحَلَةِ ، وَأَنَّهُ رَأَاهُمَا مُسْتَدْبِرَيْنِ ، وَشَهِدَ شَيْبِلٌ وَنَافِعٌ مِثْلَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا زِيَادٌ فَإِنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُهُ جَالِسًا بَيْنَ رَجُلَيْ أَمْرَأَةٍ ، فَرَأَيْتُ قَدَمَيْنِ مَخْضُوبَتَيْنِ تَخْفِقَانِ ، وَأَمْسَتَيْنِ مَكْشُوفَتَيْنِ ، وَسَمِعْتُ حَقَزَانًا شَدِيدًا .

قَالَ : هَلْ رَأَيْتَ كَالِدِيلٍ فِي الْمَكْحَلَةِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَلْ تَعْرِفُ الْمَرْأَةَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَشَبَّهَا .

قَالَ : فَفَتَحْ ، وَأَمَرَ بِالثَّلَاثَةِ فَجُلِدُوا الْحَدَّ ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ : أَشْفِنِي مِنَ الْأَعْبُدِ . قَالَ : اسْكُتْ ، أَسْكُتَ اللَّهُ نَأْمَتُكَ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَو تَمَّتِ الشَّهَادَةُ لَرَجَمْتُكَ بِأَحْجَارِكَ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ عُمَرُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،

وهي بنتُ فاطمة بنتِ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، ودخل بها في ذى القعدة .

وحجَّ عمرُ رضى الله عنه بالنَّاس في هذه السنة .
وفي هذه السنة أسلم كعبُ الأخبار .

وفيهما ، في ذى الحجة حوَّل عمرُ رضى الله عنه المقامَ إلى موضعه اليوم ، وكان ملصقاً بالبيت .

* * *

سنة ثمان عشرة : وفيها استقضى عمرُ شريحَ بن الحارث الكِنْدَى على الكوفة ، وكعبَ بن سورٍ على البصرة ، وكعب هذا مِنَّ أسلم على عهدِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم ولم يره ، وكان لولايته القضاء سببٌ نذكره .

سبب ولاية كعب بن سور قضاء البصرة

حكى عن الشعبي ، أنه كان جالساً عند عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، فجاءت امرأةٌ فقالت : ما رأيتُ رجلاً [قطُّ] ^(١) أفضلَ من زوجي ، إنه ليبيتُ ليله قائماً ، ونهاره صائماً في اليوم الحارِّ ما يُفطر ، فاستغفرَ لها عمرُ ، وأثنى عليها ، وقال : مثلكِ أثني بالخير وقاله ، فاستخيت المرأةُ وقامت راجعةً .

فقال كعبُ بنُ سور : يا أمير المؤمنين ، هلاً أعدتَ المرأةَ على زوجها إذ جاءتك تستعديك ! فقال : أكذلك أرادت ؟ قال : نعم ، قال : ردُّوا على المرأة ، فردَّت . فقال لها : لا بأسَ بالحقِّ أن تقوليه ،

إِنَّ هَذَا زَعَمَ أَنَّكَ جِئْتَ تَشْتَكِينُ أَنَّهُ يَجْتَنِبُ ^(١) فَرَاشَكَ ، قَالَتْ :
أَجَلُ ، إِنِّي أَمْرَأَةٌ شَابَةٌ ، وَإِنِّي أَبْتَغِي مَا تَبْتَغِي النِّسَاءُ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى
زَوْجِهَا فَنَجَاءَ ، فَقَالَ لَكُمبُ : اقْضِي بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ : أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتَقْضِيَنَّ بَيْنَهُمَا ؛
فَإِنَّكَ فَهَمْتَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا لَمْ أَفْهَمْ ! قَالَ : فَإِنِّي أَرَى أَنَّ لَهَا يَوْمًا
مِنْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ؛ وَكَانَ زَوْجُهَا لَهُ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُهَا
فَإِنِّي أَقْضِي لَهَا بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ يَتَعَبَّدُ فِيهِنَّ ، وَلَهَا يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ .

فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ جَاءَ رَأْيُكَ الْأَوَّلُ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنَ الْآخِرِ ، أَذْهَبُ
فَأَنْتَ قَاضٍ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ . فَلَمْ يَزَلْ قَاضِيًا عَلَى الْبَصْرَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ
يَوْمَ الْجَمَلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَصْطَفَى النَّاسُ لِلْقِتَالِ خَرَجَ وَبِيَدِهِ
الْمُصْحَفُ فَنَشَرَهُ ، وَجَالَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ يُنَاشِدُ النَّاسَ فِي دِمَائِهِمْ ،
فَأَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٍ ^(٢) فَقَتَلَهُ .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الْمُصْحَفَ كَانَ فِي عُنُقِهِ ، وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ وَبِيَدِهِ عَصَا
وَهُوَ آخِذٌ بِخِطَامِ الْجَمَلِ ، فَأَتَاهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ .

وَرَوَى أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ،
قَالَ : جَاءَتْ ^(٣) أَمْرَأَةٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ضَى اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَتْ :
إِنَّ زَوْجِي يَصُومُ النَّهَارَ : وَيَقُومُ اللَّيْلَ ، فَقَالَ : مَا تُرِيدِينَ ؟
أَتُرِيدِينَ أَنْ أَنْتَهِاهُ عَنْ صِيَامِ النَّهَارِ ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ ! قَالَ : ثُمَّ رَجَعْتُ

(١) ك : « تجنب » .

(٢) سهم غرب ، بالسكون ويحرك : لا يدري راميهِ .

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١٣٠٨ - ١٣٢٠ .

إليه فقالت مثل ذلك ، فأجابها بمثل جوابه ، ثم جاءت الثالثة فقالت له كما قالت ، فأجابها بمثل جوابه . وكان عنده كعب بن سور ، فقال كعب : إنها امرأة تشتكي زوجها .

فقال عمر : أما إذا فطنت لها فأحكم بينهما ، فقام كعب : وجاءت بزوجها فقالت :

بأيها القاضي الفقيه أرشدني ألهي حليلى عن فراشي مسجدة
زهده في مضجعي وتعبدة نهاره وليله ما يرقدة
ولست من أمر النساء أحمده فامض القضا يا كعب لا ترددة
فقال الزوج :

إنني امرؤ قد شقني ما قد نزل في سورة النور وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جلل فردها عني وعن سوء الجدل
فقال كعب :

إن السعيد بالقضاء من فصل ومن قضى بالحق حقاً وعدل
إن لها عليك حقاً يا بعل من أربع واحدة لمن عقل
* امض لها ذاك ودع عنك العلل *

ثم قال : أيها الرجل إن لك أن تنزوج من النساء مثني وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام ، ولأمرأتك هذه يوم ، ومن أربع ليال ليلة ، فلا تصل في ليلتها إلا الفريضة .

فبعثه عمر قاضياً على البصرة . والله تعالى أعلم .

ذكر القحط وعام الرمادة

وفي ^(١) هذه السنة أصاب الناس مجاعة شديدة وجذب وقحط ، وهو عام الرمادة ، وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد ، فسمى لذلك عام الرمادة ، واشتد الجوع حتى كان الوحش يأوى إلى الإنس ، وكان الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها ^(٢) ، وأقسم عمر لا يذوق سمناً ولا لبناً ، ولا لحماً ؛ حتى يحيا الناس .

وكتب إلى الأمراء المقيمين بالأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام ، فولاه عمر قسمتها فيمن حول المدينة ، فقسمها وأنصرف إلى عمله ، وتتابع الناس ، واستغنى أهل الحجاز .

وأرسل عمرو بن العاص الطعام من مصر في البر والبحر ، فصار الطعام في المدينة كسفر مصر .

واستسقى عمر رضى الله عنه بالعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك أن أهل بيت من مزينة ، قالوا لصاحبيهم وهو بلال بن الحارث : قد هلكنا ، فأذبح لنا شاة ، فقال : ليس فيهن شيء ، فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر ، فنادى : يا محمداه ! فأري في المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ،

(١) الكامل لابن الأثير ٢ : ٣٨٨ .

(٢) ابن الأثير : « قبحها » .

فقال : أَبَشِّرْ بِالْحَيَاةِ ، اِنَّ عُمَرَ فَأَقْرَاهُ مِنْى السَّلامِ ، وَقُلْ لَهُ :
إِنِّى عَهْدْتُكَ ، وَأَنْتَ فى الْعَهْدِ شَدِيدُ الْعَقْدِ ، فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا عَمْرُ .

فجاء بلالٌ حتَّى أتى بابَ عمر ، فقال لِغُلامِهِ : اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى عَمْرَ فَأَخْبَرَهُ فَفَزِعَ وَقَالَ : رَأَيْتَ مَسًّا ؟
قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلَهُ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَخَرَجَ عَمْرُ
فَنَادَى فى النَّاسِ ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ . قَالَ : نَشَدْتُكُمْ اللَّهُ الَّذِى هَدَاكُمْ
لِلْإِسْلَامِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا ، وَلِمَ ذَاكَ ؟
فَأَخْبَرَهُمْ فَقَطُّنُوا وَلَمْ يَفْطِنْ عَمْرُ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا اسْتَبْطَأْنَاكَ فى الْأَسْتِسْقَاءِ ،
فَأَسْتَسْقِ بِنَا . فَنَادَى فى النَّاسِ : فَخَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ الْعَبَّاسُ مَاثِيًا ،
فَخُطِبَ وَأَوْجَزَ ، وَصَلَّى ، ثُمَّ جَثَا لِرُكْبَتَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَجَزْتُ عَنَّْا
أَنْصَارُنَا ، وَعَجَزَ عَنَّْا حَوْلُنَا وَقُوَّتُنَا ، وَعَجَزَتْ عَنَّْا أَنْفُسُنَا ، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ، اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا : وَأَخِى الْعَبَادَ وَالْبِلَادَ .

وَأَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ ، وَإِنَّ دَهْوَعَ الْعَبَّاسَ تَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَقَالَ :
اللَّهُمَّ إِنَّنَا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ : وَبَقِيَّةِ آبَائِهِ : وَأَكْبَرِ رِجَالِهِ ،
فَإِنَّكَ تَقُولُ - وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ
فى الْمَدِينَةِ) ^(١) ، فَحَفِظْتَهُمَا بِصَلاَحِ أَبِيهِمَا ، فَاحْفَظِ اللَّهُمَّ نَبِيَّكَ
فى عَمِّهِ ، فَقَدْ دَخَلْنَا إِلَيْكَ مُسْتَشْفِعِينَ وَمُسْتَغْفِرِينَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى
النَّاسِ ؛ فَقَالَ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا .

وَالْعَبَّاسُ يَقُولُ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ . وَلِحْيَتُهُ تَجُولُ عَلَى صَدْرِهِ :
اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِى فَلَا تُهْمِلِ الضَّالَّةَ . وَلَا تَدْعِ الْكَبِيرَ بِدَارِ مَضِيعَةٍ ؛

فقد ضرع الصغير ، وَرَقَّ الكبير ، وأرتفعت الشُّكوى ، وأنت تعلم السرَّ وأخفى .

اللَّهُمَّ فَأَغْنِهِمْ بِغْنَاكَ قَبْلَ أَنْ يَقْنَطُوا فِيهِلِكُوا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَبِشُّ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

فنشأت طُريرة ^(١) من سحاب ، فقال الناس : تَرَوْنَ ، تَرَوْنَ ! ثم مَثَّتْ فيها ريحٌ ، ثم هَدَرَتْ وَدَرَتْ ، فوالله ما بَرِحُوا حَتَّى أَعْتَلَقُوا الحذاء ، وَقَلَّصُوا المآزر ، فَطَفِقَ النَّاسُ بِالْعَبَاسِ يَمَسِّحُونَ أَرْكَانَهُ ، ويقولون : هنيئًا لك ساقى الحرمين !

فقال الفضل ^(٢) بنُ العباس بن عُتْبَةَ بن أبي لَهَبٍ في ذلك :

بَعَمَّى سَقَى اللَّهُ الْحِجَازَ وَأَهْلَهُ عَشِيَّةً يَسْتَسْقَى بِشَبِيبَتِهِ عُمَرُ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَدْبِ رَاغِبًا إِلَيْهِ ، فَمَا لِنْ رَامَ حَتَّى أَتَى الْمَطَرُ
وَمِنَّا رَسُولُ اللَّهِ فِينَا تُرَاثُهُ فَهَلْ فَوْقَ هَذَا لِلْمُفَاخِرِ مُفْتَخَرُ

ذكر طاعون عمواس وتسمية من مات فيه

وفي هذه السنة كان طاعون عمواس بالشَّام ، وعمواس قرية بين الرَّمْلة وبيت المقدس . قال ابنُ عبدُ البرِّ : وقيل : إِنَّ ذَلِكَ لقولهم : عم واس . قال ذلك الأصمعي .

(١) الطريرة : الطريقة من السحاب .

(٢) ك : « الفضيل بن الفضل » .

مات فيه خمسة وعشرون ألفاً ، منهم : أبو عبيدة بن الجراح ،
 وأسمه عامر بن الجراح . وقيل عبد الله بن عامر بن الجراح .
 قال أبو عمر : والصحيح (١) أن اسمه عامر بن عبد الله
 ابن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك
 [ابن النضر بن كنانة] (٢) القرشي الفهري . شهد بدرًا وما بعدها
 من المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [وهاجر الهجرة] (٣)
 الثانية إلى أرض الحبشة ، وكان نحيفًا معروق الوجه ، طوالاً [أجناً] (٣)
 وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وكان رضى الله عنه من
 كبار الصحابة وفضلائهم ، وأهل السابقة [منهم] (٢) .
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل أمة أمين ، وأمين هذه
 الأمة أبو عبيدة بن الجراح .

وقد تقدم في أثناء السيرة النبوية خبر وفد نجران ، وسؤالهم
 أن يبعث معهم من يحكم بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « اثنتوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين » ، فبعثه معهم .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن أهل اليمن قدّموا
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ابعث معنا رجلاً يعلمنا .
 فأخذ بيد أبي عبيدة ، وقال : هذا أمين هذه الأمة .

وقال أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة : قد رضيت لكم أحد
 هذين الرجلين ، يعنى عمر وأبا عبيدة .

(١) والاستيعاب ٧٩٤ .

(٢) من ص .

(٣) رجل أجنا : اشرف كاهله عن صدره .

وقال له عمرُ رضى الله عنهما ؛ إذ دخل عليه الشام ، وهو أميرها :
كُلْنَا غَيْرَتَهُ الدُّنْيَا غَيْرَكَ .

وكانت سنة يوم تُوْفِيَ ثمانياً وخمسين سنة ، وكانت وفاته رضى
الله عنه بالأردن ، وصَلَّى عليه مُعَاذُ بْنُ جَبَل ، ونزل في قبره هو وعَمْرُو
ابنُ العاصِ ، والضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ .

وقبرُ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالْقُرْبِ مِنْ قَرْيَةِ عَمِيَّا مِنْ غَوْرِ الشَّامِ مَعْرُوفٌ
هَنَّاكَ ، قَدْ زُرْتَهُ أَنَا غَيْرَ مَرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ومَنهم (١) : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ
ابنِ عَمْرُو بْنِ أَوْسٍ بْنِ عَائِدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ إِدَى
ابنِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَسَدِ بْنِ شَارِدَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جِشْمِ بْنِ الْخَزْرَجِ
الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ ثُمَّ الْجُشَمِيِّ .

وقد نسبَهُ بَعْضُهُمْ فِي نَسَبِ بَنِي سَلَمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، قَالَ
أَبْنُ إِسْحَاقَ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَإِنَّمَا أَدَّعَاهُ
بَنُو سَلَمَةَ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَخَا سَهْلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ لِأُمِّهِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ : كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ طَوَالاً ، حَسَنَ الشَّعْرِ
عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ ، أَبْيَضَ ، بَرَّاقَ الثَّنَائِيَا ، لَمْ يُؤَلِّدْ لَهُ قَطُّ .

وقال ابنُ الكلبي ، عَنْ أَبِيهِ : إِنَّهُ وَلَدَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاذٍ .
مَاتَ بِالشَّامِ فِي الطَّاعُونَ أَيْضًا ، فَانْقَرَضَ بَنُو إِدَى بِمَوْتِهِ .

وقيل : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ قَاتَلَ مَعَ أَبِيهِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ . وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ
أَحَدُ السَّبْعِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) أَي وَمَنْ تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

عليه وسلّم بينه وبين عبد الله بن مسعود ، قاله الواقدي ، وقال :
هذا ما لا خلاف عندنا فيه .

وقال ابن اسحاق : آتَى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بينه وبين
جعفر بن أبي طالب .

شهد معاذ بذراً والمشاهد كلها ، وبعثة رسولُ الله صَلَّى الله عليه
وسلّم قاضياً إلى الجند من أرض اليمن ، يعلمُ الناس القرآن وشرائع
الإسلام ، ويقضي بينهم ، وجعل إليه قبضُ الصدقات من العمال
الذين باليمن ، وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قد قَسَمَ اليمن
على خمسة رجال : خالد بن سعيد على صنعاء ، والمهاجر بن أبي أمية
على كندة ، وزيايد بن لبيد على حضرموت ، ومعاذ بن جبل على الجند ،
وأبي موسى الأشعري على زبيد وزمعة وعَدَن والساحل .

وقال له رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين وَجَّهَهُ إلى اليمن ،
بِمَ تَقْضِي ؟ قال : بما في كتاب الله عزَّ وجلَّ . قال : فإن لم تجده ؟
قال بما في سنة رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قال : فإن لم تجد ؟
قال : أجتهدُ برأْي . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : « الحمد لله
الذي وفق رسولَ رسول الله لما يحبُّ رسولُ الله » .

وروى أبو عُمر بن عبد البر بسنده عن كعب بن مالك ، قال :
كان ^(١) معاذ بنُ جبلٍ شاباً جميلاً ، من أفضلِ شبابِ قومه ^(٢) ،
سَمَحاً ، لا يُمَسِّكُ ؛ فلم يزل يَدَانُ حَتَّى أغلق ماله كله من الدين ، فأتى

(١) الاستيعاب ١٤٠٢ وما بعدها .

(٢) الاستيعاب : « من أفضل سادات قومه » .

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ غُرْمَاءَهُ أَنْ يَضَعُوا لَهُ ،
 قَابُؤًا ، وَلَوْ تَرَكَوْا لِأَحَدٍ مِنْ أَجْلِ أَحَدٍ لِتَرَكَوْا لِمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ مِنْ أَجْلِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مَالَهُ كُلَّهُ فِي دِينِهِ ، حَتَّى قَامَ مَعَاذٌ بِغَيْرِ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ [عَامٌ] (١)
 فَتَحَ مَكَّةَ ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ
 الْيَمَنِ لِيَجْبِرَهُ فَمَكَثَ مَعَاذٌ بِالْيَمَنِ أَمِيرًا .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اتَّجَرَ فِي مَالِ اللَّهِ هُوَ ، فَمَكَثَ حَتَّى أَصَابَ وَحَتَّى
 قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ :
 أَرْسِلْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَدَعْ لَهُ مَا يَعْيشُهُ ، وَخُذْ سَائِرَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّمَا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْبِرَهُ ،
 وَلَسْتُ بِأَتَّخِذُ مِنْهُ شَيْئًا ؛ إِلَّا أَنْ يُعْطِيَنِي . فَاذِلْ عَمْرَ إِلَيْهِ إِذْ لَمْ يُطْعَمْ
 أَبُو بَكْرٍ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِمَعَاذٍ ، فَقَالَ مَعَاذٌ : إِنَّمَا أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْبِرَنِي ، وَلَسْتُ بِفَاعِلٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مَعَاذَ عَمْرَ
 وَقَالَ : قَدْ أَطَعْتُكَ ، وَأَنَا فَاعِلٌ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ
 أَنِّي فِي حَوْمَةِ مَاءٍ ؛ قَدْ خَشِيتُ الْغُرْقَ فَخَلَّصْتَنِي مِنْهُ يَا عَمْرُ .

فَأَتَى مَعَاذُ أَبَا بَكْرٍ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، وَحَلَفَ لَهُ أَنَّهُ لَا يَكْتُمُهُ شَيْئًا
 فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَا آخِذُ مِنْكَ شَيْئًا ، قَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ ، فَقَالَ : هَذَا خَيْرٌ
 حَلٍّ (٢) ، وَطَابَ ، فَخَرَجَ مَعَاذٌ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ . قَالَ أَبُو عَمْرٍ : كَانَ
 عَمْرٌ قَدْ اسْتَعْمَلَهُ فِي الشَّامِ [حِينَ مَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ] (٣) وَلَمْ يَمُتْ

(١) من الاستيعاب .

(٢) في الأصلين : « حين » ، والمثبت من الاستيعاب .

(٣) من ص .

أبو عبيدة ، استعمل عمر بن الخطاب معاذ بن جبل على الشام ،
فمات من عامه ؛ وذلك في الطاعون ، فاستعمل موضعه عمرو بن
العاص .

وقال المدائني : مات معاذ بناحية الأردن في طاعون عنواس في سنة
ثمانى عشرة ، وهو ابن ثمان وثلاثين .
وقال غيره : كان سنه يوم مات ثلاثاً وثلاثين سنة .

وقبر معاذ بغور الشام ، بالقرب من قرية ^(١) القصير من شرقيها
معروف هناك ، قد زرتة غير مرة ، وبينه وبين قبر أبي عبيدة نحو
من [مرحلة] ^(٢) .

ومنهم يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف ، كان أفضل بني أبي سفيان ، وكان يقال له يزيد
الخير . أسلم يوم فتح مكة ، وشهد حنيناً ، واستعمله أبو بكر
رضي الله تعالى عنه وأوصاه ^(٣) ، وخرج يشيعه راجلاً .

وروى أبو يشر التولابي : أنه مات سنة تسع عشرة بعد أن
افتتح قيسارية .

ومنهم الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن
مخزوم القرشي المخزومي ، وهو أخو أبي جهل لأبويه .

أسلم يوم الفتح ، وحسن ^(٤) إسلامه ، وشهد حنيناً ، وأعطاه

(١) ك : ه حارة .

(٢) بكلمة من ص .

(٣) ك : ه فارضه .

(٤) ك : ه وشهد إسلامه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل ، وأعطى المؤلفة قلوبهم ،
ثم خرج إلى الشام في خلافة عمر رضي الله عنه راغباً في الرباط والجهاد
فتبعه أهل مكة يبعون فراقه ، فقال : إنها النقلة إلى الله تعالى ،
وما كنت لأؤثر^(١) عليكم [أحدا]^(٢) ، فلم يزل بالشام يجاهد حتى
مات في طاعون عمواس .

وقال المدائني : إنه قُتِلَ يومَ البرموك ، في شهر رجب سنة خمس
عشرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومنهم سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن
مالك بن جبل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري . يُكنى
أبا يزيد ، وكان أحد الأشراف من قريش وساداتهم ، وهر الذي عاقد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقاضاه كما تقدم .

أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ، وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعمر بن الخطاب في سهيل بن عمرو : « دعه فَعَسَى أَنْ يَقُومَ
مَقَامًا نَحْمَدُهُ » ، فكان المقام الذي قامه في الإسلام أنه لما ماج أهل
مكة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتد من ارتد من
العرب ، قام سهيل خطيباً فقال : والله إني لأعلم أن هذا الدين سيمتد
امتداد الشمس من طلوعها إلى غروبها ، فلا يغرّنكم هذا عن أنفسكم ،
- يعني أبا سفيان - فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم ، ولكنه قد جثم
على صدره بحسد بني هاشم .

(١) ك : « الأمير » تحريف .

(٢) تكلمة من ص .

وَأَتَى فِي خُطْبَتِهِ بِمِثْلِ مَا جَاءَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ .
 وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ^(١) ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ
 يَقُولُ : حَضَرَ النَّاسُ بَابَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ ، وَفِيهِمْ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ،
 وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَأُولَئِكَ الشَّبِيعُ مِنْ قَرِيشٍ ، فَخَرَجَ آذُنُهُ
 فَجَعَلَ يَأْذَنُ لِأَهْلِ بَدْرٍ ، لِصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ . فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ :
 مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، إِنَّهُ لَيُؤْذَنُ لِهَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ وَنَحْنُ جُلُوسٌ لَا يُلْتَفَتُ
 إِلَيْنَا ! فَقَالَ سَهِيلٌ : أَيُّهَا الْقَوْمُ : إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ أَرَى الَّذِي فِي وُجُوهِكُمْ ،
 [فَإِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَاغْضَبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، دُعِيَ الْقَوْمُ وَدُعِيتُمْ ،
 فَاسْرِعُوا وَأَبْطِئُوا .]

أَمَّا وَاللَّهِ لَمَّا سَبَقُواكُمْ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ أَشَدُّ عَلَيْكُمْ قَوْنًا مِنْ بَابِكُمْ
 هَذَا الَّذِي تَنَافَسُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْقَوْمُ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ
 سَبَقُواكُمْ بِمَا تَرَوْنَ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَا سَبَقُواكُمْ إِلَيْهِ ، فَانْظُرُوا هَذَا الْجِهَادَ
 فَالْزُمُوهُ ، عَسَى أَنْ اللَّهُ يَرْزُقَكُمْ شَهَادَةً ثُمَّ نَفَضَ ثَوْبَهُ فَقَامَ وَلَحِقَ
 بِالشَّامِ .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : إِنَّهُ قُتِلَ بِالْيَرْموكِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

وَمِنْهُمْ : عُتْبَةُ بْنُ سُهَيْلٍ ، وَعَامِرُ بْنُ غَيْلَانَ الثَّقَفِيُّ ، مَاتَ وَأَبُوهُ
 حَيٌّ ، وَمَاتَ غَيْرُهُ هَؤُلَاءِ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

ذكر قدوم عمر الى الشام بعد الطاعون

قال (١) : لَمَّا هَلَكَ النَّاسُ بِالطَّاعُونِ ، كَتَبَ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَوَارِيثِ ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَاسْتَشَارَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ : قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ أَطُوفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي بُلْدَانِهِمْ ، لِأَنْظُرَ فِي آثَارِهِمْ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ، وَكَانَ أَرَادَ أَنْ يَبْدَأَ بِالْعِرَاقِ ، فَصَرَفَ كَعْبُ الْأَجْبَارِ رَأْيَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى أُيُلَةٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا رَكِبَ بَعِيرَهُ وَعَلَى رَحْلِهِ فَرَسًا مَقْلُوبًا ، وَأَعْطَى غِلَامَهُ مَرْكَبَةً ، فَلَمَّا تَلَقَّاهُ النَّاسُ قَالُوا : أَيْنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَامَكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَسَارُوا أَمَامَهُ ، وَانْتَهَى هُوَ إِلَى أُيُلَةٍ فَتَزَلَّهَا .

وقيل للمتلقين : قَدْ دَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَرجِعُوا ، وَأَعْطَى عُمَرُ الْأَسْقِفَ (٢) بِهَا قَمِيصَهُ وَقَدْ تَخَرَّقَ ظَهْرُهُ ، لِيَغْسِلَهُ وَيَرْقَعَهُ ، ففعل ، وَأَخَذَهُ وَلَبِسَهُ ، وَخَاطَ لَهُ الْأَسْقِفُ قَمِيصًا غَيْرَهُ ، [فَلَمْ يَأْخُذْهُ] (٣) فَلَمَّا قَدِمَ إِلَى الشَّامِ قَسَمَ فِيهَا الْأَرْزَاقَ ، وَسَمَّى الشُّوَاظَ وَالصُّوْنُفَ ، وَسَدَّ فُرُوجَ الشَّامِ وَمَسَالِحَهَا ، وَأَخَذَ يَكُونُ بِهَا ، وَاسْتَعْمَلَ عبيد الله بن قيس على السَّوَاخِلِ مِنْ كُلِّ كُوْرَةٍ ، وَاسْتَعْمَلَ مَعَاوِيَةَ عَلَى دِمَشْقَ

(١) ابن الأثير ٢ : ٣٩٣ .

(٢) الأسقف عند النصارى . القسيس ، وهو دين المذرك .

(٣) من ص .

وخراجها بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سُفْيَان ، وعزل شرحبيل بن حَسَنَة ، وقام بعذره في الناس ، وقال : إني لم أعزله عن سَخَطِهِ ، ولكنني أريدُ رجلاً أقوى من رجلٍ ، وكان سُرحبيل على خَيل الأردن ، فضمّ ذلك إلى معاوية .

قال : ولما قَدِمَ عمر رضى الله تعالى عنه تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما رآه عمر قال : هذا كِسْرَى العَرَبِ ، فلما دنا منه قال : أنت صاحبُ الموكبِ العظيم ! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين : قال : مع ما يَبْلُغُنِي مِنْ وقوفِ ذوى الحاجاتِ ببابِكَ ! قال : مع ما يَبْلُغُكَ من ذلك ، قال : ولمَ تفعل هذا ؟ قال : نحن بأرض ، جَوَاسِيسُ العدوِّها كثيرةٌ ، فيجبُ أَنْ نُظْهَرَ مِنْ عِزِّ السلطانِ ما يُرْهِبُهُمْ ، فإنَّ أمرتني فعلتُ ، وإنَّ نهيْتني انتهيتُ . فقال عُمر : يا معاوية ، ما أسألك عن شيءٍ الا تتركَنِي في مثلِ رواجِبِ الفرس^(١) ، لئن كان ما قلتَ حقاً ، إنَّه لرأى لبيب ، وإنَّ كان باطلاً لئنَّها لخدعةٌ أريب . قال : فمرني يا أمير المؤمنين . قال : لا آمُرُكَ ولا أنْهاك .

قال عمرو بنُ العاصِ : يا أمير المؤمنين ، ما أحسنَ ما صدرَ هذا الفتى عما أوردته فيه . قال : لَحُسْنَ مَصَادِرِهِ ومواردِهِ جَشْمَنَا ما جَشْمَنَاه .

وروى أبو عمر بنُ عبدِ البرِّ : أنَّ عمر بن الخطَّابِ رَزَقَ معاوية على عمله بالشَّام عشرةَ آلافِ دينارٍ في كُلِّ سنةٍ .

قال المؤرِّخ : واستعمل عمرُ رضى الله عنه عمرو بن عنبسة على

الأهراء^(١) ، وقسم مواريث أهل عَمَواس ، فورثَ بعضُ الورثةِ من بَعْضٍ ، وأخرجها إلى الأحياء ، من ورثةِ كلِّ منهم ، ورجع عمرُ إلى المدينة في ذى القعدة من السنة .

قال : ولَمَّا كان بالشَّام وحضرت الصلاة قال له الناس : لو أمرت بِلَالاً فَأَذِّن ! فَأَمَرَهُ ، فَأَذَّن ، فما بقيَ أحدٌ ممن أدرك النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وبِلَالٌ يُوذِّن إلَّا بَكَى حتَّى بَلَ لِحَيَّتِهِ ، وعمرُ أشدهم بُكَاءً ، وبكى مَنْ لَمْ يَذْكُرْهُ لُبُكائِهِمْ .
وحجَّ عمرُ رضي اللهُ بالنَّاسِ في هذه السَّنة .

• • •

سنة تسع عشرة : في هذه السنة سالت حرَّة ليلي وهى بالقرب من المدينة ناراً ، فَأَمَرَ [عمرُ] ^(٢) بالصدقة ، فتصدَّق النَّاسُ ، فانطفأت . وفيها مات أباى بن كعب . وقيل : مات سنة عشرين ، وقيل اثنتين وعشرين . وقيل : اثنتين وثلاثين ، والله تعالى أعلم .
وحجَّ عمرُ رضي اللهُ تعالى عنه بالنَّاسِ في هذه السَّنة .

• • •

سنة عشرين من الهجرة : في هذه السَّنة عَزَلَ عمرُ رضي اللهُ عنه قدامةَ بنَ مَظْعُون ^(٣) عن البحرين ، ووَلَّى عثمانَ بنَ أبي العاص .

(١) ك : « الأهواز » ، تحريف .

(٢) من ص .

(٣) بعدها في ابن الأثير : « وحده في شرب الخمر » .

وقيل: بل استعمل أبا هريرة على البحرين، واليمامة ^(١)، [وقيل: استعمل
أبا بكرة على البحرين واليمامة] ^(٢).

وكان سبب عزل قدامة، أن الجارود بن المعلّى سيّد عبد القيس
قديم على عمر من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين، إن قدامة شرب
فسكر، وإني رأيتُ حدًا من حدود الله حقًا على أن أرفعه إليك. فقال
عمر: من يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة، فدعا أبا هريرة فقال
بِم تشهد؟ قال: لم أراه يشرب، ولكن رأيتُه سكران يقى. فقال
عمر: لقد تنطّعت في الشهادة.

ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين، فقدم، فقال
الجارود: أقيم على هذا حدّ كتاب الله. فقال عمر: أنخصم أنت
أم شهيد؟ [فقال: شهيد] ^(٢). فقال: قد أدّيتَ شهادتك.

فصمّت الجارود، ثم غدا على عمر فقال: أقيم على هذا حدّ الله
فقال عمر: ما أراك إلاّ خضماً، وما شهد أحدٌ بعدُ إلاّ رجلاً واحداً.
فقال الجارود: إني أنشدك الله! فقال عمر: لتُمسكن عني
لسانك وإلاّ سؤنك. فقال: يا عمر، أما والله ما ذاك بالحق أن يشرب
ابن عمك الخمر وتسو عني! ثم قال: يا عمر، إن كنت تشك في
شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فسلها، وهي امرأة قدامة.

(١) في ابن الأثير: «استعمل أبا بكرة على اليمامة والبحرين».

(٢) من ص.

فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى هِنْدَابِنَةَ الْوَلِيدِ يَنْشُدُهَا ، فَأَقَامَتِ الشَّهَادَةَ عَلَى زَوْجِهَا ،
فَقَالَ عُمَرُ لِقُدَامَةَ : إِنِّي حَادُّكَ ، فَقَالَ : لَوْ شَرِبْتُ كَمَا يَقُولُونَ مَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تَحْتَوْنِي ، فَقَالَ عُمَرُ : لِمَ ؟ قَالَ قُدَامَةُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا
مَاتُوا آمَنُوا ... ﴾ (١) الْآيَةُ .

فَقَالَ عُمَرُ : أَخْطَأْتَ التَّأْوِيلَ ، إِنَّكَ إِذَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ اجْتَنَبْتَ
مَاحَرَّمَهُ عَلَيْكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : مَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ قُدَامَةَ ؟
فَقَالُوا : مَا نَرَى أَنْ تَجْلِدَهُ مَا كَانَ مَرِيضًا ، فَسَكَتَ عَلَى ذَلِكَ
أَيَّامًا ، ثُمَّ أَصْبَحَ يَوْمًا قَدْ عَزَمَ (٢) عَلَى جَلْدِهِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَا تَرَوْنَ
فِي جَلْدِ قُدَامَةَ ؟ فَقَالُوا : مَا نَرَى أَنْ تَجْلِدَهُ مَا كَانَ وَجِعًا ، فَقَالَ عُمَرُ :
لَأَنَّ (٣) يَلْقَى اللَّهَ تَحْتَ السَّيَاطِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ وَهُوَ فِي عُتْقَى . ائْتُونِي
بَسُوطٍ نَامٍ ، وَأَمَرَ بِقُدَامَةِ فَجُلِدَ ، ففَاضَبَ قُدَامَةُ عُمَرَ وَهَجَرَهُ ،
[فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى حَجَّ عُمَرُ وَقُدَامَةُ مَعَهُ ، فَلَمَّا قَفَلَا مِنْ حَجَّهِمَا ، وَتَنَزَلَ
عُمَرُ بِالسُّقْيَا نَامٍ ، فَلَمَّا اسْتَبَقَظَ . قُلَّ : عَجَّلُوا عَلَى بَقْدَامَةِ ، فَوَاللَّهِ
لَقَدْ أَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ : سَأَلِمَ قُدَامَةَ فَإِنَّهُ أَخْوَكُ .]

فَلَمَّا أَتَوْهُ أَبِي أَنْ يَأْتِيَ ، فَأَمَرَ عُمَرُ بِهِ ، إِنَّ أَبِي أَنْ يَحْجِرُوهُ إِلَيْهِ ،
فَجَاءَهُ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ عُمَرُ وَكَلَّمَهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ صُذْبِخِهَا .

(١) سورة المائدة ٩٣ .

(٢) ص : « قدم » .

(٣) ك : « لئن » .

حكاه أبو عمر . قال : وكان قدامة خالَ عبد الله وحفصة ابني عمر رضي الله عنهم ^(١) .

ذكر اجلاء يهود خيبر منها

وفي هذه السنة أجلي عمر رضي الله عنه يهود خيبر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه خيبر ، دعا أهلها فقال لهم : إن شئتم دفعْتُ إليكم هذه الأموال [على] ^(٢) أن تُعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقرُّكم على ما أقره الله عز وجل . فقبلوا ذلك [واشترط عليهم] ^(٢) ، أنا متى شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، وقد تقدّم ذكر ذلك مستوفى في السيرة النبوية ، في غزاة خيبر .

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرهم أبو بكر رضي الله عنه على ما أقرهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرهم عمر رضي الله عنه بعده إلى هذه السنة .

ثم بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : « لا يجمعن في جزيرة العرب دينان » ، ففحص عن ذلك حتى أتاه الثبوت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله قد أذن لي في إجلائكم ، وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يجمعن بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد

(١) الاستيعاب ١٢٧٧

(٢) من ص .

فليستجهز^(١) للجللاء ، فأجلى مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال ابنُ إسحاق : حَدَّثَنِي نَافِعُ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَالْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ إِلَى أَمْوَالِنَا بِخَيْبَرَ نَتَعَهَّدُهَا ، فَلَمَّا قَدِمْنَا تَفَرَّقْنَا فِي أَمْوَالِنَا .

قال عبد الله : فَعَدَا^(٢) عَلَى تَحْتِ اللَّيْلِ شَيْءٌ وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِي ، فَتَزَعْتُ يَدَايَ مِنْ فَرْقَى^(٣) ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اسْتَصْرَخْتُ عَلَى صَاحِبَايَ ، فَأَتَيْتَانِي فَسَأَلَانِي : مَنْ صَنَعَ بِكَ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي ، فَأَصْلَحَتَانِي ثُمَّ قَدِمَا بِي عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ^(٤) : هَذَا عَمَلُ^(٥) الْيَهُودِ .

ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَامِلَ يَهُودِ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّا نَخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا ، وَقَدْ عَدُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَقَدَعُوا يَدَيْهِ كَمَا بَلَّغَكُمْ ، مَعَ عَدُوَّتِهِمْ عَلَى الْأَنْصَارِ قَبْلَهُ ، لَأَنْشُكَ أَتَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ ، لَيْسَ هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ بِخَيْبَرَ فَلْيُلْحَقْ بِهِ ؛ فَإِنِّي مَخْرُجُ الْيَهُودِ ، فَأَخْرِجْهُمْ .

قال : وَرَكِبَ عُمَرُ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ جِبَارَ ابْنِ صَخْرٍ بِنَ أُمَيَّةَ - وَكَانَ خَارِصَ^(٦) أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَحَاسِبَهُمْ - وَزَيْدَ

(١) ك : • فليستجهز •

(٢) ك : • فعدا •

(٣) ك : • مرقى •

(٤) ك : • فقلت •

(٥) ك : • صلت •

(٦) الخارص : هو الذي يقطع التخل ، وفي ك : • خارص •

ابن ثابت ، وهما قسما خيبرَ على أهلها على أصل جماعة السُّهَمان التي كانت عليها .

وفيهما أيضاً أجلى نصارى نَجْرَانَ إلى الكوفة .

وفيهما بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة ، وكانت تطرفت بلاد الشام ، فأصيب المسلمون ، فجعل عمرُ على نفسه ألاَّ يحملَ في البحر أحداً أبداً - يعنى للغزو .

وقيل : كان ذلك في سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان رضى الله عنه . ، ، .

* * *

ذكر عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة

ومن ولى بعده في هذه السنة

سنة إحدى وعشرين : [وفي هذه السنة] ^(١) عزل عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه سعدَ بنَ أبي وقاص عن الكوفة ؛ حين شكاه أهلها ، ووَلَّى عمارَ بنَ ياسر الصلاة ، وعبدَ الله بنَ مسعود بيتَ المال ، وعثمان ابنَ حنيف مساحة الأرض ، ثم عزلَ عماراً ؛ لأنَّ أهلَ الكوفة شكَّوه ، فاستغفى .

وأعاد سعداً على الكوفة ثانية ، ثم عزَّله ، ووَلَّى جُبَيْرَ بنَ مُطعِم ، ثم عزَّله قبلَ أن يخرجَ إليها ، وكان سببُ عزله أنَّ عمرَ رضى الله عنه ولاه ، وقال له : لا تذكره لأحد ، فسمع المغيرة بنُ شعبه أنَّ عمرَ

خلا بُجَيْرَ بْنِ مُطْعَمٍ ، فَأَرْسَلَ أَمْرَأَتَهُ إِلَى امْرَأَةِ جُبَيْرٍ لَتَعْرِضَ عَلَيْهَا طَعَامَ السَّفَرِ ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، جِئْتِنِي بِهِ .

فَلَمَّا عَلِمَ الْمُغِيرَةُ جَاءَ إِلَى عَمَرَ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَنْ وَلَّيْتَ .
وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَعَزَلَهُ ، وَوَلَّى الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ الْكُوفَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ قُتِلَ [عُمَرُ] ^(١) .

وَقِيلَ : إِنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُعِيدَ سَعْدًا إِلَى الْكُوفَةِ أَبَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَتَأْتُرُنِي أَنْ أَعُودَ إِلَى قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنِّي لَا أَحْسِنُ أَنْ [أَصْلَى] ، فَتَرَكَهُ وَوَلَّى خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ^(٢) .

وَقِيلَ : فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ ، قِيلَ : كَانَتْ وَفَاتُهُ بِحِمَصَ ، وَدُفِنَ فِي قَرْيَةٍ عَلَى مِيلٍ مِنْهَا . وَقِيلَ : بَلْ تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ .

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : لَقَدْ شَهِدْتُ مِائَةَ زَحْفٍ أَوْزُهَا مَا
وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ أَوْ طَعْنَةٌ أَوْ رَمْيَةٌ ، ثُمَّ هَانَذَا
أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي كَمَا يَمُوتُ الْعَبْرُ ! فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ .

حَكَى أَبُو عَمَرَ : أَنَّهُ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَى الْمُغِيرَةَ إِلَّا وَضَعَتْ
لِمَتِّهَا عَلَى قَبْرِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، أَيْ حَلَقَتْ رَأْسَهَا .

قَالَ الْمُؤَرِّخُ : وَكَانَ الْأَمْرَاءُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْأَمْصَارِ ، عُمَيْرُ بْنُ
سَعْدٍ عَلَى دِمَشْقَ وَحَوْرَانٍ وَحِمَصَ وَقَنْسَرِينَ وَالْجَزِيرَةَ . وَمَعَاوِيَةُ

(١) مِنْ ك .

(٢) مِنْ ص .

ابن أبي سُفْيَانَ عَلَى الْبَلْقَاءِ وَالْأُرْدُنَّ وَفِلَسْطِينَ وَالسَّوَاهِلِ وَأَنْطَاكِيَّةَ
وَقَلْقِيَّةَ وَمَعْرَةَ مَصْرِينَ ، وَالْعَمَّالَ عَلَى بَقِيَةِ الْأَمْصَارِ مَنْ ذَكَرْنَا .

وَفِيهَا وَلَدَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَالشَّعْبِيُّ . وَفِيهَا مَاتَ الْعَلَاءُ
[ابْنُ] ^(١) الْحَضْرَمِيُّ أَمِيرُ الْبَحْرَيْنِ ، فَاسْتَعْمَلَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَكَانَهُ أَبَا هُرَيْرَةَ .

وَحَجَّ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّاسِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ .

* * *

سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِدَ زَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، وَعَبْدُ
الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَكَانَ عَمَّالُهُ عَلَى الْأَمْصَارِ مَنْ ذَكَرْنَا إِلَّا الْكُوفَةَ
وَالْبَصْرَةَ ؛ فَإِنَّ عَامِلَهُ عَلَى الْكُوفَةِ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ
أَبُو مُوسَى .

* * *

سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَجَّ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بِالنَّاسِ ، وَحَجَّ مَعَهُ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ آخِرُ
حَجَّةٍ حَجَّهَا .

وَفِيهَا كَانَ مَقْتَلُ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ .

ذكر خبر مقتل عمر بن الخطاب

ومدة خلافته

قد^(١) اختلف في تاريخ مقتله رضى الله عنه ، فقال الواقدي :
لثلاث بَقِين من ذى الحِجَّة سنة ثلاثٍ وعشرين . وقال الزُّبَيْر : لأربعٍ
بَقِين من ذى الحِجَّة .

وروى عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ ، قَالَ : قُتِلَ عُمَرُ يَوْمَ
الأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعٍ بَقِينٍ مِنْ ذَى الْحِجَّة .

وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه عَشْرَ سِنِينَ وَنِصْفًا وَخَمْسَ
لَيَالٍ ، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً عَلَى الصَّحِيح .

وقتلَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ غُلَامٌ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عنه خَرَجَ يَوْمًا يَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ ، فَلَقِيَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ فَيَرُوزُ - وَكَانَ
نَصْرَانِيًّا ، وَقِيلَ : مَجُوسِيًّا - وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا كَانَ يَقُولُهُ لَمَّا قَدِمَ
سَبِيُّ نَهَاوَنْدَ : أَكَلْتُ عُمَرَ كَبِدِي ، فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَعَدِنِي عَلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ؛ فَإِنَّهُ يَكْلِفُنِي خَرَجًا كَثِيرًا ، قَالَ : كَمْ
يَحْمِلُكَ ؟ قَالَ : مِائَةُ دِرْهَمٍ فِي الشَّهْرِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ : دِرْهَمَانِ فِي كُلِّ
يَوْمٍ ، قَالَ : وَمَا صَنَعْتُكَ ؟ قَالَ : نَجَّارٌ نَقَّاشٌ حَدَّادٌ . قَالَ : فَمَا أَرَى
خَرَجَكَ كَثِيرًا عَلَى مَا تَصْنَعُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ :
لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ رَحًا نَطْحُنُ بِالرَّيْحِ لَفَعَلْتُ . قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :

(١) انظر خبر مقتله رضى الله عنه في تاريخ ابن الأثير ٢٦:٣ وما بعدها

فاعمل لي رحاً . قال : إن سلمت لأعملن لك رحاً يتحدث بها أهل
المشرق والمغرب .

فقال عمر : قد أوعدني العليج الآن ، ثم أنصرف عمر إلى منزله .

فلما كان من الغد جاء كعب الأحمري إلى عمر ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، اعهد فإنك ميت في ثلاث ، قال : وما يذكرك ؟ قال :
أجدّه في كتاب التوراة : قال عمر : إنك لتجد عمر بن الخطاب في
التوراة ؟ قال : اللهم لا ؛ ولكني أجد صفتك وحليتك . قال : وعمر
لا يجد وجعاً ، ثم جاءه من الغد وقال : بقي يومان ، ثم جاءه من غد
الغد وقال : قد مضى يومان ، وقد بقي يوم .

فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة ، وكان يوكّل بالصفوف
رجالاً ، فإذا استوت كبر ، ودخل أبو لؤلؤة في الناس ، وفي يده
خنجر له رأسان ، نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات :
إحداهن تحت سريته : وهي التي قتلته ، وقتل معه كلثب بن البكير
الليثي وجماعة غيره .

روى أنه طعن معه اثنا عشر رجلاً ، وقيل : ثلاثة عشر ، مات
منهم ستة ، فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط ، وأمر عبد الرحمن
ابن عوف فصلّي بالناس وهو طريح ، فاحتمل ، فأدخل بيته ودعا
عبد الرحمن : فقال : إنني أريد أن أعهد إليك : قال : أتشير عليّ
بذلك ؟ قال : عمر : اللهم لا ، فقال : والله لا أدخل فيه أبداً .
قال : فهبني صمّاً ؛ حتى أعهد إلى النفر الذين توفّي رسول الله
صلّي الله عليه وسلّم وهو عنهم راضٍ : ثم دعا علياً ، وعثمان .

وَالزُّبَيْرَ ، وَسَعْدًا ، وَقَالَ : انْتَظَرُوا أَحَاكُمُ ظِلَّةَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ جَاءَ وَإِلَّا فاقْضُوا أَمْرَكُمْ .

أَنْشُدَكَ اللَّهُ يَا عَلِيَّ ، إِنْ وَلَيْتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا عَلَى آلَا تَحْمَلُ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ .

أَنْشُدَكَ اللَّهُ يَا عُمَانُ ، إِنْ وَلَيْتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا إِلَّا تَحْمَلُ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ .

أَنْشُدَكَ اللَّهُ يَا سَعْدُ إِنْ وَلَيْتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا إِلَّا تَحْمَلُ أَقَارِبَكَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ .

قَوْمُوا فَتَشَاوَرُوا ، ثُمَّ أَقْضُوا أَمْرَكُمْ ، وَلِيَصِلَ بِالنَّاسِ صُحَيْبٌ ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ فَقَالَ : قُمْ عَلَى بَابِهِمْ فَلَا تَدْخُ أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ ، وَأَوْصِ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ، أَنْ يُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَأَنْ يَغْفِرَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ ، وَأَوْصِ الْخَلِيفَةَ بِالْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ مَادَّةُ الْإِسْلَامِ ، أَنْ تَتَّخِذَ مِنْ صَدَقَاتِهِمْ حَقًّا ، فَتُوضَعَ فِي فُقَرَائِهِمْ ، وَأَوْصِ الْخَلِيفَةَ بِذِمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ .

اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ! لَقَدْ تَرَكْتُ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي عَلَى أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ ، ثُمَّ قَالَ لِأَبْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ : انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي ؟ فَقَالَ : قَتَلَكَ أَبُو لَوْلُؤَةَ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مَنِيَّتِي عَلَى يَدِ رَجُلٍ [مَا] (١) سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً وَاحِدَةً ، وَأَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ أَبْنَهُ إِلَى عَائِشَةَ ، فَاسْتَاذَنَهَا

أَنْ يُدْفَنَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بِكَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنْ اختلفَ القَوْمُ فكَنْ مَعَ الْأَكْثَرِ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا فَكَنْ مَعَ
الْحِزْبِ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ .

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِلنَّاسِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ،
فَجَعَلُوا يَسْلُمُونَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : هَذَا عَنْ مَلَأٍ مِنْكُمْ ؟
فَيَقُولُونَ : مُعَاذَ اللَّهِ ! وَدَخَلَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ مَعَ النَّاسِ ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ :

وَأَوْعَدَنِي كَعْبٌ ثَلَاثًا أَعُدُّهَا وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَهُ كَعْبٌ
وَمَا بِي حَذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ وَلَكِنْ حَذَارُ الذَّنْبِ يَتَّبِعُهُ الذَّنْبُ

قَالَ : وَلَمَّا طَعَنَ أَبُو لَوْلُؤَةَ عُمَرَ ، وَمَنْ طَعَنَ مَعَهُ ، رَمَى عَلَيْهِ رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ بُرْنَسًا ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَتَحَرَّكَ ، وَجَأَ نَفْسَهُ فَقَتَلَهَا .

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَمِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ يُرَوَّى فِي مَقْتَلِ عُمَرَ
وَأَصَحِّهِ مَا رَوَاهُ بِسَنَدِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ مَيْمُونٍ ، قَالَ : ^(١) شَهِدْتُ عُمَرَ
يَوْمَ طُعْنِ وَمَاتَ ، وَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَكُونَ فِي الصَّفِّ الْمَقْدَمِ إِلَّا هَيْبَتُهُ -
وَكُنْ رَجُلًا مَهِيئًا - فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الَّذِي يَلِيهِ ، فَأَقْبَلَ عُمَرَ ،
فَعَرَضَ لَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ غِلَامٌ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، فَفَاجَأَ عُمَرَ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوِيَ
الصُّفُوفُ ، ثُمَّ طَعَنَهُ ثَلَاثَ طَعْنَاتٍ ، فَسَمِعْتُ عُمَرَ وَهُوَ يَقُولُ :
دُونَكُمْ الْكَلْبَ فَإِنَّهُ قَدْ قَتَلَنِي ، وَمَا جَ النَّاسُ وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ ، فَجَرَحَ

ثلاثة عشر رجلاً ، فانكفأ عليه رجلٌ من خلفه فاحتضنه ، وحمل عمر ، فماج الناس بعضهم في بعض حتى قال قائل : الصلاة يا عباد الله ، طلعت الشمس .

فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلّى بنا بأقصر سورتين في القرآن ، (إذا جاء نصر الله والفتح) و (إنا أعطيناك الكوثر) ، واحتُمِلَ عمر ، ودخل الناس عليه ، فقال : يا عبد الله بن عباس ، اخرج فناد في الناس : أعن ملائكم هذا ؟ فخرج ابن عباس ، فقال : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يقول : أعن ملائكم هذا ؟ فقالوا : معاذ الله ! والله ما علمنا ولا اطلعنا . وقال : ادعوا إلى الطبيب فدعى الطبيب فقال : أي الشراب أحب إليك ؟ فقال : النبيذ ، فسقى نبیذاً فخرج من بعض طعناته ، فقال الناس : هذا دم ، هذا صديد ، فقال : اسقوني لبناً ، فسقى لبناً ، فخرج من الطعنة ، فقال له الطبيب : لا أرى أن تمسي ، فما كنت فاعلاً فافعل .

وروى أبو عمر أيضاً بسنده إلى عوف بن عوف بن مالك الأشجعي : أنه (١) رأى في المنام ، كأن الناس جميعوا ، فإذا فيهم [رجل] (٢) فرعهم فهو فوقهم بثلاثة أذرع .

قال : فقلت : من هذا ؟ فقالوا : عمر . قلت : ولم ؟ قالوا : لأن فيه ثلاث خصال ، لأنه لا يخاف في الله لومة لائم ، وأنه خليفة مستخلف ، وأنه شهيدٌ مُستشهد .

قال : فأتى أبو بكر فقصها عليه ، فأرسل إلى عمر فدعاه ليبشّره ،

(١) الاستيعاب ١١٥٦ .

(٢) من الاستيعاب .

فجاء عمرُ فقال لى أبو بكر : اقصر ض ، قال : فلما بَلَغَتْ خليفةُ
مستخلفُ ، زَبَرَنِي ^(١) عمرُ وانتَهَرَنِي ، وقال : امسكتُ ، تقول هذا
وهو حَيٌّ !

قال : فلما كان هذا بعد ، وولى عمرُ ، مرَّرتُ بالمسجدِ وهو على المنبرِ ،
فدعاني وقال : اقصرض على رؤياك ، فقصرصتها ، فلما قلتُ : إنه
لا يخاف في الله لومة لائم قال : إننى لأرجو أن يجعلنى الله منهم ، قال
فلما قلتُ : « خليفةُ مُستخلفُ » قال : قد استخلفنى الله ، وأسأله
أن يعيننى على ما ولأنى ، فلما أن ذكرتُ : « شهيدُ مستشهد » ،
قال : أنى لى بالشهادة وأنا بين أظهركم تغزون ولا أغزو ! ثم قال :
بلى يأتي الله بها إن شاء ، يأتي الله بها إن شاء ^(٢) .

وقد روى معمرُ عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر رضى الله
تعالى عنهم : أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم رأى على عمرَ قميصاً
أبيض ، فقال : أجديدُ قميصك هذا ، أم غسيل ؟ قال : بلى غسيل .
قال : « اليس جديداً ، وعش حميداً ، ومُت شهيداً ، ويرزقك الله قرّة
عين في الدنيا والآخرة » ، قال : وإياك يا رسول الله .

وروى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : ناحت الجنُّ على عمرَ
قيلَ أن يُقتل بثلاث ، فقالت :

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتزُّ العِصاهُ بأشوقِ

(١) زبرنى : نهزنى .

(٢) الاستيماب ١١٥٦

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ إِمَامٍ وَبَارَكْتَ
 فَمَنْ يَسْمَعُ أَوْ يَرُكِبُ جَنَاحِي نِعَامَةٍ
 يَدُ اللَّهِ ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَمْرُوقِ
 لِيُذَرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقُ
 بَوَائِقَ مِنْ أَكْمَامِهَا لَمْ تَفْتَقِ
 بِكَفِّ سَبَبَتِي أَزْرَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ^(١)
 وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتِهِ
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر قصة الشورى

قال : وقيل ^(١) لعمر : لو استخلفت يا أمير المؤمنين؟ قال : لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته ، وقلتُ لربي إن سألني ^(٢) : سمعتك وسمعتُ نبيك يقول : إنه أمينُ هذه الأمة ، ولو كان سالمٌ مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته ، وقلتُ لربي إن سألني : سمعتُ نبيك يقول : « إن سالمًا شديدُ الحبِّ لله » .

فقال له رجلٌ : أدُّلكَ على عبد الله بن عمر ؟ فقال : قاتلكَ الله ! ما أردت بهذا ويحك ! كيف أستخلف مَنْ عجز عن طلاق امرأته ! لا أرب لنا في أموركم ، ما حمِدْتُهَا فأرغبُ فيها لأحدٍ من أهل بيتي ، إن كان خيرًا قد أصبنا منه ، وإن كان شرًّا قد صُرفَ عنا ، بِحَسَبِ آلِ عمرَ أن يُحَاسِبَ منهم رجلٌ واحدٌ ، ويُسألُ عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ! أما لقد جَهدتُ نفسي ، وحرمتُ أهلي ، وإن نجوتُ كفافًا لا أجر ولا وزرَ ، إني لَسعيدٍ . أنظرُ فإن استخلفتُ : فقد استخلفَ مَنْ هو خيرٌ مِنِّي ، وإن أتركُ فقد ترك من هو خيرٌ مِنِّي ، ولن يضيعَ الله دينه .

فخرجوا ، ثم راحوا فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو عهدتَ عهدًا ! فقال : قد كنتُ أجمعتُ بعد مقالتي أن أنظرَ فأولِّي رجلاً أمركم ، وهو أحرأكم أن يحملكم على الحقِّ - وأشار إلى عليٍّ - فرهقتني غشيةٌ ،

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٣٤ وما بعدها

(٢) ك : « إن يسألني » .

فَرَأَيْتُ رَجُلًا دَخَلَ الْجَنَّةَ : فَجَعَلَ يَقْطِفُ كُلَّ غَضَّةٍ وَيَأْتِيهِ فَيُضْمِرُهُ إِلَيْهِ ، وَيُصَيِّرُهُ تَحْتَهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ بِالْغُ أَمَرَهُ ، فَمَا أَرَدْتُ أَنْ أَتَحْمَلَهَا حَيًّا وَمَيِّتًا .

عَلَيْكُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ : عَلِيٌّ وَعُمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَعْدُ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَلتَخْتَارُوا مِنْهُمْ رَجُلًا ، فَإِذَا وَلَّوْا وَالْيَا فَأَحْسِنُوا مُوَارَظَتَهُ وَأَعِينُوهُ ، وَخَرَجُوا .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ لَعَلِّي : لَا تَدْخُلُ مَعَهُمْ ، إِنِّي أَكْرَهُ الْخِلَافَ ، قَالَ : إِذَنْ تَرَى مَا تَكْرَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَمْرُ دَعَا عَلِيًّا ، وَعُمَانًا ، وَسَعْدًا ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَالزُّبَيْرَ : فَقَالَ : إِنِّي نَظَرْتُ فَوَجَدْتُكُمْ رُؤَسَاءَ النَّاسِ وَقَادَتِهِمْ ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا فِيكُمْ ، وَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ . إِنِّي لَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيْكُمْ إِنْ اسْتَقَمْتُمْ ؛ وَلَكِنِّي أَخَافُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، فَيَخْتَلِفُ النَّاسُ ، فَانْهَضُوا إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ بِإِذْنِهَا ، فَتَشَاوَرُوا فِيهَا . وَوَضَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ نَزَفَهُ الدَّمُ ، فَدَخَلُوا فَتَنَاجَوْا ؛ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو : سُبْحَانَ اللَّهِ ! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَمُتْ بَعْدَ ، فَسَمِعَهُ عَمْرُ : فَانْتَبَهَ ، وَقَالَ : أَعْرِضُوا عَن هَذَا ، فَإِذَا أَنَا مَيِّتٌ فَتَشَاوَرُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَلِيَصِلَ بِالنَّاسِ صُحَيْبٌ ، وَلَا يَأْتِيَنَّ الْيَوْمَ الرَّابِعُ إِلَّا وَعَلَيْكُمْ أَمِيرٌ مِنْكُمْ ، وَيَحْضُرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو مُشِيرًا ، وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ ، وَطَلْحَةُ شَرِيكَكُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِنْ قَدِمَ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ فَأَحْضِرُوهُ ، وَإِنْ مَضَتْ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ قَبْلَ قُدُومِهِ فَاْمْضُوا

لأمركم . ومن لي بطلحة ؟ فقال سعد بن أبي وقاص : أنا لك به ، ولا يخالف إن شاء الله تعالى .

فقال عمر رضي الله عنه : أرجو ألا يخالف إن شاء الله ، وما أظن أن يلي هذا الأمر إلا أحد هذين الرجلين : علي أو عثمان . فإن ولي عثمان ، فرجل فيه لين ، وإن ولي علي ففيه دُعاة^(١) وأخربه أن يحيلهم على الحق ، وإن تولوا سعداً فأهلها هو وإلا فليستعن به الرائي ، فإنني لم أغزله عن ضعف ولا جناية ، ونعم ذو الرأي عبد الرحمن ابن عوف ! فاسمعوا منه .

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة ، إن الله تعالى طالما أعزَّ بكم الإسلام ، فاخترت خمسين رجلاً من الأنصار ، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم .

وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتموني في خفرتي ، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً .

وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة وأبي واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة وأبي اثنان فاضرب رؤوسهما ، وإن رضي اثنان رجلاً ، واثنان رجلاً ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فإن لم ترضوا بحكمه فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف . واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس ، فخرجوا : فقال علي لقوم معه من بني هاشم : ان أطع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً ، وتلقاه

عَمَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : عُدِلْتُ عَنَّا ، قَالَ : وَمَا عَلِمُكَ ؟ قَالَ : قَرْنِي بِ
عَثْمَانَ ، وَقَالَ : كُونُوا مَعَ الْأَكْثَرِ ، فَإِنْ رَضِيَ رَجُلَانِ رَجُلًا ، وَرَجُلَانِ
رَجُلًا فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَسَعَدُ لَا يَخَالِفُ ابْنَ عَمِّهِ ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ صَهْرُ عَثْمَانَ لَا يَخْتَلِفَانِ فَيَوَلِّيهِمَا أَحَدُهُمَا الْآخَرُ . فَلَوْ كَانَ
الْآخِرَانِ مَعِيَ لَمْ يَنْفَعَانِي .

فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : لِمَ أَذْفَعُكَ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيَّ مُسْتَأْخِرًا
لَمَّا أَكْرَهَ ، أَشَرْتُ عَلَيْكَ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
تَسْأَلَهُ فَيَمْنَحَ هَذَا الْأَمْرَ ، فَأَبَيْتَ ، وَأَشَرْتُ عَلَيْكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَنْ تُعَاجِلَ
الْأَمْرَ فَأَبَيْتَ . وَأَشَرْتُ عَلَيْكَ حِينَ سَمَّاكَ عُمَرُ فِي الشُّورَى أَلَّا تَدْخُلَ
مَعَهُمْ فَأَبَيْتَ .

احْفَظْ عَنِّي وَاحِدَةً ، كُلَّمَا عَرَّضَ عَلَيْكَ الْقَوْمُ ، فَقُلْ : لَا ، إِلَّا أَنْ
يُؤَلِّوْكَ ، وَاحْذَرْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ : فَإِنَّهُمْ لَا يَبْرَحُونَ يَدْفَعُونَنَا عَنْ هَذَا
حَتَّى يَقُومَ بِهِ لَنَا غَيْرُنَا . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَا تَنَالَهُ إِلَّا بِشَرٍّ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ خَيْرٌ .
فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ وَدُفِنَ ، جَمَعَ الْمُقَدَّادُ أَهْلَ الشُّورَى فِي بَيْتِ الْمَسُورِ
ابْنَ مَخْرَمَةَ : وَقِيلَ : فِي بَيْتِ الْمَالِ . وَقِيلَ : فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ بِإِذْنِهَا ،
وِظْلَحَةُ غَائِبٌ . وَأَمَرُوا أَبَا طَلْحَةَ أَنْ يَخْجُبَهُمْ .

وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَجَلَسَا بِالْبَابِ : فَحَصَبَهُمَا
سَعْدُ وَأَقَامَهُمَا : وَقَالَ : تَرِيدَانِ أَنْ تَقُولَا : حَضَرْنَا وَكُنَّا فِي أَهْلِ
الشُّورَى ! فَتَنَافَسَ الْقَوْمُ فِي الْأَمْرِ وَكَثُرَ بَيْنَهُمُ الْكَلَامُ : فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ :
أَنَا كُنْتُ لِأَنْ تَدْفَعُوهَا أَخَوْفَ مِنِّي لِأَنْ تَنَافَسُوهَا ، [لَا] (١) وَالَّذِي

دَهَبَ بِنَفْسِ عَمْرٍ لَا أَزِيدُكُمْ عَلَى الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَمَرَ ، ثُمَّ أَجْلَسَ
فِي بَيْتِي فَأَنْظَرُ مَا تَصْنَعُونَ .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَيُّكُمْ يُخْرِجُ مِنْهَا نَفْسَهُ وَيَتَقَلَّدُهَا عَلَى أَنْ
نَوَلِيَهَا أَفْضَلَكُمْ ، فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ ، فَقَالَ : أَنَا أَنْخَلِعُ مِنْهَا .

قَالَ عُمَانُ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ رَضِيَ ، قَالَ الْقَوْمُ : قَدْ رَضِينَا ، وَعَلَى

سَاكِتٌ ، فَقَالَ مَا تَقُولُ أَبَا الْحَسَنِ ؟ قَالَ : أَعْطِنِي مَوْثِقًا لَتَوْثُرَنَّ

الْحَقُّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ، وَلَا تَخْضَ ذَا رَحِمٍ لِرَحِمِهِ ، وَلَا تَأْلُوا [الْأُمَّةَ ،

فَقَالَ : اعْطُونِي مَوَاقِفَكُمْ عَلَى أَنْ تَكُونُوا مَعِيَ عَلَى مِنْ بَدَلٍ وَغَيْرِ ،

وَأَنْ تَرْضَوْا مِنْ اخْتَرْتُمْ لَكُمْ ، وَعَلَى مِثَاقِ اللَّهِ أَلَّا أَخْضَ ذَا رَحِمٍ لِرَحِمِهِ

وَلَا آلُو الْمُسْلِمِينَ] ^(١) قَالَ : فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِثَاقًا ، وَأَعْطَاهُمْ مِثْلَهُ .

فَقَالَ لِعَلِيٍّ : تَقُولُ : إِنِّي أَحَقُّ مَنْ خَضَرَ هَذَا الْأَمْرَ ، لِقَرَابَتِكَ

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَسَابِقَتِكَ وَحُسْنِ أَثَرِكَ فِي الدِّينِ ،

وَلَمْ تُتْبَعْ ؛ وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ لَوْ صُرِفَ هَذَا الْأَمْرُ عَنْكَ وَلَمْ تَحْضُرْ إِلَى

هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ : مَنْ تَرَاهُ أَحَقَّ بِهِ ؟ قَالَ : عُثْمَانُ ، وَخَلَا بِعُثْمَانَ فَقَالَ :

تَقُولُ : شَيْخٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَصْهَرُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ عَمِّهِ وَلِي

سَابِقَةٍ وَفَضْلٍ ، فَأَيْنَ يُصْرَفُ هَذَا الْأَمْرُ عَنِّي ؟ وَلَكِنْ لَوْلَمْ تَحْضُرْ ، أَيْ

هَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِهِ ؟ قَالَ عَلِيٌّ . وَلَقِيَ عَلِيٌّ سَعْدًا فَقَالَ : اتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، أَسْأَلُكَ بِرَحِمِ ابْنِي هَذَا مِنْ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وَبِرَحِمِ عَمِّي حَمْزَةَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ ظَهِيرًا لِعُثْمَانَ عَلِيٌّ . وَدَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِيَلْقَى أَصْحَابَ

رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ وَافَى الْمَدِينَةَ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ

يشاورهم ؛ حتى إذا كانت الليلة التي صبيحتها يُستكمل الأجل ، أتى منزل المسور بن مخزومة فأيقظه وقال له : لم أذُق في هذه الليلة كثير غمض ، انطلق فادع الزبير وسعداً ؛ فدعاهما ، فبدأ بالزبير فقال له : خلّ عيّد بني مناف ، وهذا الأمر ، قال : نصيبي لعلّ . وقال لسعد : اجعل نصيبك لي ، فقال : إن اخترت نفسك فنعم ، وإن اخترت عثمان فعلى أحبُّ إليّ ، أيها الرجل ، بايع نفسك وأرخنا وارفع رغوَسنا .

فقال : قد خلعت نفسي على أن اختار ، ولو لم أفعل لم أردّها ، إنني رأيت روضة خضراء كثيرة العُشب ، فدخل فحلّ ما رأيت أكرم منه ، فمرّ كأنه سهْم لم يلتفت إلى شيء منها ؛ حتى قطعها ، لم يُعرج . ودخل بعير يتلوه ، فاتبع أثره حتى خرج منها ، ثم دخل فحلّ عَمَرِيَّ يُجرّ خطامه ومضى قَصْدَ الْاَوَّلَيْنِ ، ثم دخل بعير رابع فوقع في الروضة ، ولا والله لا أكون الراجع الرابع ، ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحدٌ فيَرْضَى النَّاسُ عنه .

قال : وأرسل المسور ، فاستدعى علياً فتناجاه طويلاً وهو لا يشك أنه صاحب الأمر ، ثم نهض ، ثم أرسل إلى عثمان فتناجيا حتى فرقا بينهما الصُّبح ، فلما صلّوا الصبح جمع الرّهط ، وبعث إلى مَنْ حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار ، وإلى أمراء الأجناد ، فاجتمعوا حتى اتّحَمَ المسجدُ بأهله ، فقال : أيها الناس ، إنَّ النَّاسَ قد أَحَبُّوا أَنْ يَرْجِعَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ إِلَى أَمْصَارِهِمْ ، وقد علموا مَنْ أَمِيرُهُمْ ، فاثيروا عليّ .

فقال عمارُ بنُ ياسِرٍ : إِذَا أَرَدْتَ أَلَّا يَخْتَلِفَ الْمُسْلِمُونَ فَبَايِعْ عَلِيًّا .
فقال العِقدادُ بنُ الأَسودِ : صَدَقَ عَمَارُ إِنْ بَايَعْتَ عَلِيًّا ، قُلْنَا :
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

وقال ابنُ أبي سَرْحٍ : إِذَا أَرَدْتَ أَلَّا تَخْتَلِفَ قُرَيْشُ فَبَايِعْ عُمَانَ .
فقال عبدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ : صَدَقْتَ ، إِنْ بَايَعْتَ عُمَانَ قُلْنَا :
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

فَشَتَمَ عَمَارُ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ ، وقال : مَتَى كُنْتَ تَنْصَحُ الْمُسْلِمِينَ !
فَتَكَلَّمَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو أُمَيَّةَ ، فقال عَمَارُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَنَا
بِنَبِيِّهِ ، وَأَعَزَّنَا بِدِينِهِ ، فَأَنَّى تَصْرِفُونَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ !
فقال رجلٌ من بني مخزومٍ : لَقَدْ عَدَوْتُ طُورَكَ يَا بَنَ شَمِيَّةَ ،
وَمَا أَنْتَ وَتَأْمِيرُ قُرَيْشٍ لِأَنْفُسِهِمَا !

فقال سعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ . افْرُغْ قَبْلَ أَنْ يَفْتَتِنَ
النَّاسُ . فقال عبدُ الرحمنِ : إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ وَشَاوَرْتُ ، فَلَا تَجْعَلُنَّ
فِيهَا أَيُّهَا الرَّحْمَطُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا ، ودعا عليًّا : فقال : عَلَيْكَ
عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ : لَتَعْمَلَنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ . وَسِيرَةِ الْخُلَفَاءِ
مِنْ بَعْدِهِ ؟ فقال : أَرْجُو أَنْ أَفْعَلَ ، فَأَعْمَلُ بِمَبَازِلِ عَمِي وَطَاقِي .

ودعا عُمَانَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَلِيٍّ ، فقال : نَعَمْ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ
إِلَى سَقْفِ الْمَسْجِدِ وَبَدَأَ فِي يَدِ عُمَانَ : فَقَالَ : االلَّهُمَّ اسْمَعْ وَاشْهَدْ ،
اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ مَا فِي رَقَبَتِي مِنْ ذَاكَ فِي رَقَبَةِ عُمَانَ : فَبَايَعَهُ .

وقبيل : وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعَلَيْهِ عِمَامَتُهُ الَّتِي عَمَّمَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ : حَتَّى رَكِبَ الْمَنْبَرَ ،

فوقف وقوفاً طويلاً ، ثم دعا دعاءً لا يسمعه الناس ، ثم تكلم فقال :

أيها الناس ، إنني قد سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم ، فلم أجِدْكُمْ تَعْدِلُونَ بِأَحَدٍ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ : إِمَّا عَلِيٍّ ، وَإِمَّا عُثْمَانَ .

فَقُمْتُ إِلَى يَا عَلِيٍّ ، فقام إليه فوقفَ تحت المنبر ، وأخذَ عبد الرحمن بيَدِهِ فقال : هل أنتَ مُبَايِعِي على كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه محمدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وفعلِ أَبِي بكرٍ وعمر ؟ قال : اللَّهُمَّ لَا ، ولكن على جَهْدِي مِنْ ذاك وطاقتي .

قال : فَأَرْسَلَ يَدَهُ ثُمَّ نادى : قم إلى يا عثمان ، فأخذَ بيَدِهِ ، وهو في موقفٍ على الَّذِي كان فيه ، فقال : هل أنتَ مُبَايِعِي على كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّهِ وفعلِ أَبِي بكرٍ وعمر ؟ فقال : اللَّهُمَّ نعم ، قال : فرفع رأسه إلى سَقْفِ المسجدِ ويده في يدِ عثمان ، فقال : اللَّهُمَّ اسْمَعْ وَأَشْهَدْ ثَلَاثًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي قد جعلتُ ما في رقبتي من ذلك في رقبَةِ عثمان ، قال : فازدحم الناسُ يبايعون عثمانَ حتى غَشَوَهُ عندَ المنبرِ ، فقمعد عبدُ الرحمن مَقْعَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ من المنبرِ ، وأَقْعَدَ عثمانَ على الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ ، فجعلَ الناسُ يبايعونه ، وتناكفُّوا على .

فَقَالَ عبدُ الرَّحْمَنِ : ﴿ فَمَنْ نَكثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَنَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

فرجع عليٌّ يَشُقُّ النَّاسَ حتى بايَعَ عثمانَ وهو يقول : خدعة ، وأيَّ خدعة !

وقيل : لما بايع عبد الرحمن عثمان قال علي : ليس هذا أول يوم تظاهرتُم فيه علينا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون ، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم [هو] ^(١) في شأن .

فقال عبد الرحمن : يا علي ، لاتجعل على نفسك حجة ولا سبيلا ، فخرج علي وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله .

فقال المقداد : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركته ، وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون .

فقال : يا مقداد ، والله لقد أجتهدت للمسلمين ، قال : إن كنت أردت الله فاثابك الله ثواب المحسنين .

وقال المقداد : ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم ، إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ، لأقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالعدل ، ولا أعلم منه ، أما والله لو أجد أعواناً عليه !

فقال عبد الرحمن : يا مقداد ، اتق الله ، فإني خائف عليك الفتنة .

فقال رجل للمقداد : رحمك الله ! من أهل هذا البيت ؟ ومن هذا الرجل ؟ قال : أهل البيت بنو عبد المطلب ، والرجل علي بن أبي طالب .

فقال علي : إن الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر بينها

فتقول : إن وُلِّيَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وإن كانت في غيرهم تداوُلْتُموها بينكم .

قال : وقَدِمَ طلحةُ في اليوم الرابع الذي بُويعَ فيه عثمان ، فقيل له : بايعُوا لعثمان ، فقال : كلُّ قريشٍ راضٍ به ؟ قالوا : نعم . فأَتَى عثمانَ فقال له عثمان : أنتَ على رأسِ أمرِك ، إن أبيتَ ردِّدْتُها . قال : أترُدُّها ؟ قال : نعم . ثم قال أَكُلُ النَّاسِ يابِعوك ؟ قال ، نعم . قال : قد رضيتُ ، لا أَرغبُ عَمَّا أَجمَعوا عليه ، وبأيَّعة .

حكاه ابن الأثير في تاريخه الكامل ^(١) ، عن عمرو بن ميمون . وفيه زيادةٌ عن الطبري .

ورَوَى أبو جعفر الطبري رحمه الله في قصَّة الثُّمُورَى ، عن المِسُورِ بن مَخْرَمَةَ نحوماً تقدِّمُ ؛ الأ أَنَّهُ ذَكَرَ زيادات ذكرنا بعضها في أثناء هذه القصَّة ، ونَذَكُرُ بقيَّتها الآن .

قال ^(٢) : لما دُفِنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَمَعَهُمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَخَطَبَهُم ، وأمرَهُم بالاجتماع وتركِ التفرُّقِ .

فتكلَّم عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقال : الحمد لله الذي اتخذ محمداً نبياً وبعثه رسولاً ، وصَدَّقَهُ وَعَدَهُ ، ووَهَبَ لَهُ نَصْرَهُ على كُلِّ مَنْ بَعُدَ نَسَباً ، أو قَرُبَ رَحِمًا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، جعلنا الله له تابعين ، وبأمره مهتدين ، فهو لنا نورٌ ونحن بأمره نقومُ ، عند تفرُّقِ الأهواء ، ومُجادلةِ الأعداء . جعلنا الله بفضلِهِ أُمَّةً ، وبطاعته أمراء ، لا يَخْرُجُ أَمْرُنَا مِنَّا ، ولا يَدْخُلُ

(١) الكامل لابن الأثير ٣ : ٣٤-٤٠ .

(٢) الطبري : ٤ : ٢٣٤ وما بعدها .

علينا غيرنا إلا من مَنِّهِ الحقُّ، وَتَكَلَّ عَنْ الْقَصْدِ، وَأَخْرَ^(١)هَا يَا بَنَ عَوْفَ
أَنْ تُتْرَكَ، وَأَجْدِرْهَا^(٢) أَنْ تَكُونَ إِنْ خُولِفَ أَمْرُكَ، وَتُرِكَ دَعَاؤُكَ،
فَأَنَا مُجِيبٌ وَدَاعٍ إِلَيْكَ، وَكَفِيلٌ بِمَا أَقُولُ زَعِيمٌ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
لِي وَلَكُمْ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ الزَّبِيرُ بَعْدَهُ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَاعِيَ اللَّهِ لَا يُجْهَلُ
وَمُجِيبَهُ لَا يُخْذَلُ، عِنْدَ تَفَرُّقِ الْأَهْوَاءِ، وَلَوْ الْأَعْنَاقِ، وَلَنْ يُقْصَرَ
عَمَّا قُلْتَ إِلَّا غَوًى، وَلَنْ يَتْرَكَ مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ إِلَّا شَقًى، وَلَوْ لَا حُدُودُ
لِلَّهِ فَرَضْتُ، وَفَرَاثُصُ اللَّهِ حُدَّتْ، تَرَاهُ عَلَى أَهْلِهَا، وَتَحِيَّا لَاتَمُوتُ،
لَكَانَ الْمَوْتُ مِنَ الْإِمَارَةِ نَجَاةً، وَالْفِرَارُ مِنَ الْوَلَايَةِ عَصْمَةً، وَلَكِنْ لِلَّهِ
عَلَيْنَا إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَإِظْهَارُ السُّنَّةِ، لِثَلَاثِ نَمُوتَ مَوْتَةً^(٣) عَمِيَّةً، وَلَا
نَعْمَى عَمَى جَاهِلِيَّةً، فَأَنَا مُجِيبُكَ إِلَى مَا دَعَوْتَ، وَمُعِينُكَ عَلَى مَا أَمَرْتَ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ سَعْدٌ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ بِدِينَا، بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَارَتْ الطُّرُقُ، وَاسْتَقَامَتِ السُّبُلُ، وَظَهَرَ الْحَقُّ، وَمَاتَ كُلُّ بَاطِلٍ، إِيَّاكُمْ
أَيُّهَا النَّفَرُ وَقَوْلَ الزُّورِ، وَأَمْنِيَّةَ أَهْلِ الْغُرُورِ أَفْقَدَ سَلْبَتِ الْأَمَانِيِّ قَوْمًا
قَبْلَكُمْ، وَرَثُوا مَا وَرِثْتُمْ، وَنَالُوا مَا نَلِغْتُمْ، فَاتَّخَذُوا اللَّهَ عَدُوًّا، وَلَعَنَهُمْ لَعْنًا
كَبِيرًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(٤)

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ: «وَأَحْرَمَا»، وَمَا أَثْبَتَ مِنَ الطَّبَرِيِّ.

(٢) الطَّبَرِيُّ: «وَأَحْدَرَهَا».

(٣) الطَّبَرِيُّ: «مَيْتَةً».

(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ٧٨، ٧٩.

إلى قوله : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

إِنِّي نَكَبْتُ قَرْنِي ^(١) وَأَخَذْتُ سَهْمِي الْفَالَجِ ^(٢) ، وَأَخَذْتُ لَطْلَحَةَ بِنِ
ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ مَا ارْتَضَيْتُ لِنَفْسِي ، فَأَنَا كَفِيلٌ بِهِ ، وَبِمَا أُعْطِيتُ عَنْهُ
زَعِيمٌ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ يَا بِنِ عَوْفٍ ، بِجَهْدِ النَّفْسِ ، وَقَصْدِ النَّصْحِ ، وَعَلَى اللَّهِ
قَصْدُ السَّبِيلِ وَإِلَيْهِ الرُّجُوعُ ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ مَخَالَفَتِكُمْ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَعَثَ مُحَمَّدًا مِّنَّا نَبِيًّا ، وَبَعَثَهُ إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَنَحْنُ بَيْتُ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدَنُ
الْحِكْمَةِ ، وَأَمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَنَجَاةُ مَنْ طَلَبَ ؛ لَنَا حَقٌّ إِنْ نُعْطَهُ
نَأْخُذْهُ ، وَإِنْ نُمْنَعُهُ نَرْكَبَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ ، وَلَوْ طَالَ السُّرَى . لَوْ عَهْدُ
إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدًا لَأَنْفِذْنَا عَهْدَهُ ، وَلَوْ قَالَ لَنَا قَوْلًا
لَجَادَلْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ ، لَنْ يَسْرَعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٍّ ، وَصِلَةٍ
رَحِمَ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

اسْمَعُوا كَلَامِي ، وَعُودُوا مِنْطِقِي ، عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ
هَذَا الْمَجْتَمَعِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ ، وَتُخَانَ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّى
تَكُونُوا جَمَاعَةً ، وَيَكُونُ بَعْضُكُمْ أَعْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ
الْجَهَالَةِ

ثُمَّ قَالَ ^(٣) :

فَإِنْ تَكُ جَائِسٌ هَلَكْتُ فَإِنِّي بِمَا فَعَلْتُ بِنُوعْبِدِ بْنِ ضَخْمٍ

(١) كَذَا فِي الطَّبْرِيِّ . وَالْقُرْنُ هُنَا الْجَمْعَةُ ، وَنَكَبَ قَرْنَهُ ، أَيْ نَثَرَ مَا فِيهِ مِنَ السَّهَامِ .

وَانْظُرِ الْإِسَانُ

(٢) الْفَالَجُ : الْمُسْتَعْمَرُ .

(٣) . الطَّبْرِيُّ : « ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ » .

مطبعٌ في الهواجر كلُّ عيٍّ بصيرٌ بالنوى من كلِّ نجمٍ

فقال عبد الرحمن : أيكم يطيبُ نفسًا أن يخرج نفسه من هذا الأمر ، ويؤثيه غيره ؟ قال : فأمسكوا عنه . وذكر نحو ما تقدم .

فلنرجع إلى بقيَّة أخبارِ عمرَ رضي الله عنه .

قال : ومات عمرُ لأربعِ بقين من ذى الحجة ، قاله الواقدى .
وقال غيره : يومَ الاثنينِ الميامينِ بقيتًا منه ، وقيل : طعنَ يومَ الأربعاء لأربعِ بقين من ذى الحجة ، سنة ثلاثٍ وعشرين ، ودُفِنَ يومَ الأحدِ هلالَ المحرم ، سنة أربعٍ وعشرين في حُجرة عائشة رضي الله عنها ، ورأسه قبالةَ كتفى أبي بكر رضي الله عنهما ، وصلى عليه صُهَيْبُ الرُّومِيَّ . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر أولا عمر بن الخطاب

رضى الله عنه وعنهم وأزواجه

وتزوج رضى الله عنه في الجاهلية زينب بنت مَطْعُون بن حبيب ابن وهب بن خُذافة بن جُمَح ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة أم المؤمنين رضى الله عنهم .

وتزوج مُلَيْكَة بنت جَرُولِ الخُزَاعِي في الجاهلية [فولدت له عبيد الله ففارقها في الهدنة ، وقيل : كانت أم عبد الله وأم زيد الأصغر أم كلثوم بنت جَرُولِ الخُزَاعِي] (١) . وكان الإسلام فرّق بينها وبين عمر .

وتزوج قُرَيْبَة بنت أبي أمية المَخْزُومِي في الجاهلية ، ففارقها في الهدنة أيضا ، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه . وقُرَيْبَة أخت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام المَخْزُومِي في الإسلام ، فولدت له فاطمة ، فطلقها ، وقيل : لم يطلقها .

وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأَوْسِي في الإسلام ، فولدت له عاصمًا فطلقها ، وقيل : لم يطلقها .

وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها أربعين ألفًا فولدت رُقَيْة وزيدا .

وتزوّج لُهيّة^(١) ، امرأة من اليَمَن ، فولدت له عبد الرحمن الأوسط ، وقيل الأصغر . وقيل : كانت أم ولد ، وكانت عنده فُكَيْهبة أم ولد فولدت له زَيْنَب ، وهي أصغر ولدٍ عُمر .

وتزوّج عاتكة بنتَ زيد بن عمرو بن نفيل ، وقد تقدّم خبرها عند ذكر عبد الله بن أبي بكر .

ومن أولاده رضى الله عنه : عبد الرحمن ، وكنيته أبو شَحْمَة ؛ وقيل : إنه كان له ولد يُقال له : معجّر .

ولنفصل هذا الفصل بذكر شيء من أخبار مَنْ أدرك رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من أولادِ عمر ، وَمَنْ وُلِدَ في حياته [أما عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فإنه أسلم مع أبيه ، وهو صغير لم يبلغ الحلم وكان أول مشاهدته] ^(٢) الخندق . وقيل : أحد ؛ لأنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ردّه يومَ بدر لصغيرٍ يسمّيه ، وشهدَ الحديبية ، وكان رضى الله عنه من أهل الورع والعلم ، كثيرَ الاتّباع لآثارِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، شديدَ التّحرّي والاحتياط في فتواه . وكان لا يتخلّف عن السّرايا على عهد رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، ثم كان بعدَ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم كثيرَ الحجّ . وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لحفصة بنتِ عمر : «إن أخاك عبد الله رجلٌ صالحٌ لو كان يقومُ من اللَّيْلِ ، فما تركَ بعدَها قيامَ اللَّيْلِ . وقعد عن حربٍ عليّ لما أشكَلْتُ عليه لَوَرعِهِ ، ثم نديم على ذلك

(١) ك . و لهبة . .

(٢) من ص .

حين حضرته الوفاة ، فقال : ما أجِدُ في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلا أتى
لَمْ أَقَاتِلْ مع عليّ الفتنة الباغية .

قال ميمون بن مهران : مارأيت أروع من ابن عمر ، ولا أعلم من
ابن عباس .

وأفتى في الإسلام ستين سنة ، ونشر نافع عنه علماً جماً .
وروى عن يوسف بن الماجشون ، عن أبيه وهب : أن مروان بن
الحكم دخل في نفرٍ على عبدالله بن عمر بعد ما قُتِلَ عثمان ، فعرضوا
عليه أن يبايعوا له ، فقال : كيف لي بالناس ؟ قال : تقَاتِلْهُمْ ونُقَاتِلْ
معك ، قال : والله لو اجتمع على أهل الأرض ، إلا أهل فذلك ما قاتلتهم
فخرجوا من عنده ومروان يقول :

إني أرى فتنة تغلي مَراجِلُها والمُلك بعد أبي ليلى لمن غلبا

قال : وكانت وفاة عبدالله بمكة سنة ثلاث وسبعين ، بعد قتل ابن
الزُبَيْرِ بثلاثة أشهر أو نحوها ، وقيل : ستة أشهر ، وأوصى أن يُدفنَ
في الجبل ، فلم يُقدَرْ على ذلك من أجل الحجاج ، فدفنَ بذي طوى ،
بسقبرة المهاجرين .

وكان الحجاج قد أمر رجلاً فسمَّ زُجَّ رُمَحِهِ ، وزَحَمَهُ في الطريق ،
ووضَعَ الزُجَّ في ظهرِ قَدَمِهِ ، وذلك أن الحجاج خطبَ يوماً ، وآخر
الصلاة ، فقال ابنُ عمر : إِنَّ الشَّمْسَ لَا تَنْتَظِرُكَ ، فقال الحجاج :
لقد هممتُ أن أضربَ الذي فيه عيناك . فقال : إن تفعل فإنك
سفيهٌ سَلُطٌ^(١) . وقيل : إنه أخفى قوله ذلك عن الحجاج فلم يُسمِعْهُ .

وكان عبد الله يتقدم في المواقف بعرفة وغيرها [إلى المواضع] ^(١) التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فيها ، فكان ذلك يعزُّ على الحجَّاج ، فأمر الحجَّاج رجلاً معه حربةٌ مسمومةٌ ، فلما دفع الناس من عرفة ، لصق به ذلك الرجل ، فأمرَّ الحربةَ على قدمه وهو في غرَزٍ راحلته ، فمَرِض منها أياماً ، فدخلَ عليه الحجَّاجُ يَعُوذُه ، فقال : مَنْ فعل ذلك بك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وما تصنعُ به ؟ قال : قتلني الله إن لم أقتله . قال : ما أراك فاعِلاً ، أنت الذي أمرتَ الذي نَحَسَنِي بالحربة . قال : لا تفعل يا أبا عبد الرحمن وخرجَ عنه . وقيل : إنَّه قال للحجَّاج : إذ قال له : مَنْ فعلَ بك ؟ قال : أنت الذي أمرتَ بإدخال السلاح في الحرم ، فلبثَ أياماً ثم مات رضى الله عنه ، وصلى عليه الحجَّاج . وأما عبدُ الرحمن الأكبر ، فإنَّه أدركَ لسنِّه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولم يحفظْ عنه .

وعبد الرحمن الأوسط وهو أبو شحنة هو ؛ الذي ضربَه عمرو ابنُ العاصِ بِمِصْرَ في الخمر ، ثم حَمَلَه إلى المدينة فضرِبَه أبوه أَدَبَ الوالدِ ، ثم مَرِض وماتَ بعدَ شهر .

كذا رواه معمر عن الزُّهري ، عن سالم ، عن أبيه ، وأهلُ العراق يقولون : إنَّه مات تحتَ سِياطِ عمر .

قال ابن عبد البر : وذلك غلط . وقال الزُّبَيْر : أقام عليه عمر جدَّ الشراب ، فمرض ومات .

وعبد الرحمن الأصغر ، هو أبو المجبِّر ، واسم المجبِّر عبد الرحمن

ابن عبد الرحمن بن عمر، سُمِّيَ المجبرُ لَأَنَّهُ وَقَعَ وَهُوَ غُلَامٌ فَتَكَسَّرَ ،
فَأَنَّى بِهِ إِلَى عَمَتِهِ حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقِيلَ لَهَا : انْظُرِي إِلَى ابْنِ
أَخِيكَ الْمَكْسَّرِ فَقَالَتْ : لَيْسَ بِالْمَكْسَّرِ وَلَكِنَّهُ الْمَجْبَرُ .

وقال الزُّبَيْرُ : هَلَكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَصْغَرُ ، وَتَرَكَ ابْنًا صَغِيرًا ،
أَوْحَمَلًا ، فَسَمَّيْتُهُ حَفْصَةً : عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَلَقَّبْتُهُ الْمَجْبَرُ ، « وَقَالَتْ :
لَعَلَّ اللَّهَ يُجْبِرُهُ .

وعبيدُ الله بن عمر وَلِدَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَلَمْ يُنْقَلِ أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ ، وَلَا سَمِعَ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي حَدَّثَ عُمَرُ فِي شُرْبِ
الْخَمْرِ ، وَهُوَ الَّذِي وَثَبَ عَلَى الْهُزْمَانَ فَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُ نَصْرَانِيًّا
اسْمُهُ جُفَيْنَةَ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ ، وَقَدْ أَتَاهُمَا أَنَّهُمَا أَغْرِيَا أَبَا لَوْلُؤَةَ
بِقَتْلِ عُمَرَ . وَقَتَلَ أَيْضًا ابْنَةً لِأَبِي لَوْلُؤَةَ طِفْلةً ، وَلَمَّا ضَرَبَ الْهُزْمَانَ
بِالسَّيْفِ قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَلَمَّا قَتَلَ هَؤُلَاءِ أَخَذَهُ سَعْدُ
ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَحَبَسَهُ فِي دَارِهِ ، وَأَحْضَرَهُ عِنْدَ عُثْمَانَ . وَكَانَ
عَبِيدُ اللَّهِ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَ رَجُلًا يَمُنُّ بِشِرْكِ فِي دَمِ أَبِي ، يُعْرَضُ
بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

قالوا : وَإِنَّمَا قَتَلَ هَؤُلَاءِ ، لِأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ غَدَاةَ
قَتَلَ عُمَرَ : رَأَيْتُ عَشِيَّةَ أَمِيرِ الْهُزْمَانَ ، وَأَبَا لَوْلُؤَةَ ، وَجُفَيْنَةَ ، وَهُمْ
يَتَنَاجَوْنَ ، فَلَمَّا رَأَوْنِي ثَارُوا ، وَسَقَطَ مِنْهُمْ خِنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ ، نَصَابِهِ
فِي وَسْطِهِ ، وَهُوَ الْخِنْجَرُ الَّذِي ضَرَبَ بِهِ عُمَرَ ، فَقَتَلَهُمْ عُبيدُ اللَّهِ .
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ عُثْمَانُ قَالَ : أَتَشِيرُونَ عَلَيَّ فِي هَذَا الَّذِي قَتَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ
مَا فَتَقْتُمْ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَرَى أَنَّ تَقْتُلُهُ . فَقَالَ بَعْضُ الْمُهَاجِرِينَ : قُتِلَ

عمر أمّس ، ونَقُتِلَ أبْنُه اليَوْم ! فَمَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَغْفَاكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ هَذَا الْحَدَثُ ، وَلَكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ سُلْطَانٌ . فَمَالَ عُثْمَانُ : أَنَا وَلِيُّهُ ، وَقَدْ جَعَلْتُهَا دِيَّةً ، وَأَحْتَمَلْتُهَا ^(١) فِي مَالِي .

وَقِيلَ فِي فِدَاءِ عُبَيْدِ اللَّهِ غَيْرَ ذَلِكَ .

[قَالَ الْقُمَازِيَانُ بْنُ الْهَرْمُزَانَ ^(٢)] : كَانَتْ الْعَجَمُ بِالْمَدِينَةِ يَسْتَرُوحُ ^(٣) بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَمَرَّ فَيَرُوزُ بِأَيٍّ ، وَمَعَهُ خِنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانٌ ، فَتَنَاوَلَهُ مِنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : أُسْنُّ بِهِ ، فَرَأَاهُ رَجُلٌ ، فَلَمَّا أَصِيبَ عَمْرٌ قَالَ : رَأَيْتُ الْهَرْمُزَانَ دَفَعَهُ إِلَى فَيَرُوزَ ، فَأَقْبَلَ عُبَيْدَ اللَّهِ فَقَتَلَهُ .

فَلَمَّا وَلَّى عُثْمَانُ أَمَكَنْتَنِي مِنْهُ ، فَخَرَجْتُ بِهِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا مَعِي ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ إِلَيَّ فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَلَيْ قَتَلَهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَسَبَّوْا عُبَيْدَ اللَّهِ ، قُلْتُ : أَفَلَا كُمْ مَنَعَهُ ؟ قَالُوا : لَا ، وَسَبَّوْهُ ، فَتَرَكْتُهُ لِلَّهِ وَلَهُمْ ، فَحَمَلُونِي ، فَوَاللَّهِ مَا بَلَغْتُ الْمَنْزِلَ إِلَّا عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ .

وَالْأَوَّلُ أَصْحُ وَأَشْهُرُ ، لِأَنَّ عَلِيًّا لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ أَرَادَ قَتْلَ هُبَيْدِ اللَّهِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ بِالشَّامِ : وَلَوْ كَانَ إِطْلَاقُهُ بِأَمْرِ وَلِيِّ الدِّمِ لَمْ يَعْزِضْ لَهُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ .

قَالَ أَبُو عَمْرٍ : وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ أَنْجَادِ قَرِيشٍ وَفُرْسَانِهِمْ ، قُتِلَ بِضَفِّينَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْخَيْلِ ، فَرَمَاهُ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِي .

(١) ك : « وَأَحْتَمَلَهَا » .

(٢) مِنْ ص .

(٣) ك : « يَتَزَوَّجُ » .

وقيل : كان قد خرج في اليوم الذي قُتِلَ فيه ، وجعل امرأتين له
بحيث تنظران إلى فعله وهما : أسماء بنت عطار بن حاجب التميمي ،
وبحرية بنت هاني بن قبيصة ، فلما برز شددت عليه ربيعة فنشِب (١)
بينهم فقتلوه ، وكان على ربيعة يومئذ زياد بن خصفة التميمي ،
فقيل له : إن هذه بحرية ، فسقط عبيد الله ميتاً قرب فسطاطه ،
وقد بقي طنب من طنبه الفسطاط لا وتد له ، فجرؤوا ، وشدوا
الطنب برجله ، وأقبلت امرأته حتى وقفنا عليه ، فبكنا وصاحتا ،
فخرج زياد بن خصفة [فقيل له : إن هذه بحرية بنت هاني] (٢)
فقال : ما حاجتك يا بنت أخي ؟ فقالت : زوجي قُتِلَ ، تدفعه إلى : قال :
نعم ، فخلّيه ، فحملته على بغل ، فذكر أن يديه ورجليه خطئا
على الأرض من فوق البغل (٣) . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ،
وهو حسبي ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد .

(١) ك : « قتبت » .

(٢) من ص الاستيعاب .

(٣) الاستيعاب ١٠١١ ، ١٠١٢ .

ذكر عمال عمر

رضى الله عنه وعنهم على الامصار

قد ذكرنا عما له في حوادث السنين ، ورأينا أن نجمعهم في هذا
الموضع فنقول : كان عماله رضى الله عنهم : على مكة عتاب
ابن أسيد ، وعلى اليمن والطائف يعلى بن منية ، وعلى البحرين
واليحامة العلاء بن الحضرمي ، ثم عثمان بن أبي العاص ، ثم قدامة
ابن مظعون ، ثم أبا بكر ، وعلى عمان حذيفة بن محصن ، وعلى
البصرة - أول من كان بها - قطبة بن قتادة السدوسي ، يغزو بتلك الناحية ،
كما كان المثنى يفعل بناحية الحيرة . ثم كتب إلى عمر يُعلمه بمكانه ،
ويستملده ، فوجه إليه شريح بن عامر ، أحد بني سعد بن عمرو بن بكر ،
فسار إلى الأهواز ، فقتله الأعاجم بدارس ، فاستعمل عمر عتبة بن
غزوان ، ففتح الأبله ، ثم سار إلى عمر ، فأعاده إلى عمله ، فمات في
الطريق ، فكانت إمارته ستة أشهر ، فاستعمل بعده أبا سبرة بن أبي رهم
على أحد الأقوال ، ثم المغيرة بن شعبة ، ثم عزله كما تقدم بيانه ،
فاستعمل أبا موسى الأشعري ، ثم صرفه إلى الكوفة ، واستعمل
عمر بن سراقه ، ثم صرفه إلى الكوفة ، وصرف أبا موسى إلى البصرة
فعمل عليها ثانية ، ثم صرفه وأعاده ثالثة .

وعلى مضافات البصرة جماعة [فكان على مناذر غالب الوائلي ،
وعلى نهر تيرى حرملة بن مريطة ، وعلى سوق الأهواز حرقوص بن زهير .

وعلى الكوفة وما يليها^(١) ، أول من استعمل عليها سعد بن أبي وقاص ، فكان عليها إلى سنة عشرين ، فعزله لشكاية أهلها ، وأقر خليفته على الكوفة ، وهو عبد الله بن عبد الله بن عثمان ، ثم استعمل عمر عمار بن ياسر بن مسعود كما تقدم ، ثم المغيرة بن شعبان .

وعلى نُفُور الكوفة من قدامنا ذكره ، وعلى الجزيرة وما يليها عياض بن غنم ، ثم ضمه عمر إلى أبي عبيدة ، واستعمل حبيب ابن أسلمة على خراج الجزيرة وعجمها ، والوليد بن عقبة على عربها ، وعلى الموصل من كان على حربها ربعي بن الأفكل ، وعلى خراجها عرفة ابن هريثة ، وذلك في سنة ست عشرة .

وقيل : كان على الحرب والخراج [بها عتبة بن فرقد ، وقيل كان ذلك إلى عبد الله بن مغرم ، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح]^(٢) ، وكان تحت يده جماعة على الأعمال ، فكان خالد بن الوليد على قنسرين ، وحنص ، ويزيد بن أبي سفيان على دمشق ومعاوية على الأردن ، وعلقمة بن مجز على فلسطين وعبد الله بن قيس على السواحل . فلما مات أبو عبيدة استعمل عمر معاذ بن جبل فمات من عامه ، فاستعمل يزيد بن أبي سفيان ، فمات ، فاستعمل معاوية على دمشق والأردن ، ثم استقر في سنة إحدى وعشرين عمير بن سعد على دمشق وحوارن وحنص وقنسرين والجزيرة ، ومعاوية بن أبي سفيان على البلقاء

(١) من ص .

(٢) من ص .

(٣) من ص .

والأزدن ، وفلسطين ، والسواحل ، وأنطاكية ، وقلقية ، ومعرة
مصرين .

وعلى مصر عمرو بن العاص ، وكان العمال في سنة وفاته إلى
آخر سنة ثلاث وعشرين .

وعلى مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي ، وعلى الطائف سفيان
ابن عبد الله الثقفي . وعلى صنعاء يعلى بن منية ، وعلى الجند
عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة ، وعلى البصرة
أبا موسى الأشعري ، وعلى مصر عمرو بن العاص ، وعلى حمص :
عمير بن سعد ، وعلى دمشق معاوية ، وعلى البحرين وما والاها عثمان
ابن أبي العاص الثقفي .

كتابه

عبد الله بن خلف الخزاعي وزيد بن ثابت ، وعلى بيت المال زيد
ابن أرقم .

قضاته

يزيد بن أخت النور بالمدينة .

وأبو أمية شريح بن الحارث الكندي بالكوفة ، ويقال : إن شريحاً
أقام قاضياً ستين سنة إلى أيام الحجاج ، فمُطِّل ثلاث سنين ، وامتدح
من الحكم ، وذلك في أيام فتنة ابن الزبير . ولما ولى الحجاج
استغفاه ، فأغفاه ، ومات سنة سبع وثمانين وله مائة وعشرون سنة .

وقيل : مائة سنة ، وليس هو في عدادِ الصَّحابة رضى الله تعالى عنهم ، بل من كبارِ التابعين .

وعلى قضاء البصرة كعب بن سور .

وعلى قضاء مصر قيس بن العاص السهمي ، ثم كعب بن سيار بن ضبة ، ثم عثمان بن قيس بن أبي العاص .

وكان حاجبه يرفأ مولاة ، وخاتمه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال أبو عمر بن عبد البر : كان نقش خاتمة : كفى بالموت واعظا يا عمر .

ذكر خلافة عثمان بن عفان

رضي الله عنه

هو أبو عبد الله ، وقيل : أبو عمرو ، وقيل في تَكْنِيَّتِهِ بِأبي عبد الله :
إن رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدت له ابناً فسماه
عبد الله ، فاكتنى به ، ومات ، ثم ولد له عمرو ، فاكتنى به إلى أن مات .

وقيل : إنه كان يُكْنَى أبا ليلى عثمان بن عفان بن أبي العاص بن
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ، ويجتمع مع نسب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، ولُقِّبَ بذى النورين ، لأنه تزوج
ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم [رقية وأم كلثوم] (١) .

وقيل للمهلب بن أبي صفرة : لم قيل : عثمان ذو النورين ؟ قال :
لأنه لا نعلم أن أحداً أرسل سترًا على ابنتي نبي غيره .

وأُمُّه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بنت عبد شمس بن
عبد مناف ، وأُمُّهَا الْبَيْضَاء ، أُمُّ حَكِيم بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وُلِدَ في السَّنةِ السَّادِسةِ بعد عام الفيل . والله وسبحانه وتعالى أعلم .
بِالصَّوَابِ ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد .

مَعِينُ التَّارِيخِ
لأهل التَّارِيخِ

ذكر صفته ونبذة من فضائله

كان رضى الله عنه طويل القامة ، حسن الوجه وقيل : كان ربعة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه رقيق البشرة ، كبير اللحية ، عظيماً أسمر اللون ، كثير الشعر ، ضخماً الكراديس (١) ، بعيد ما بين المنكبين ، وكان يصفر لحيته ، ولما كبر شد أسنانه بالذهب ، وهو رضى الله عنه أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ومات وهو عنهم راضٍ .

وله رضى الله عنه فضائل ومآثر وسابقة في الإسلام

قال على رضى الله عنه : كان عثمان أوصلاً للرحم ، وكان من الذين آمنوا واتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين .

واشترى رضى الله عنه بشر رومة ، وكانت ركية ليهودى ، يبيع للمسلمين ماءها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَشْتَرِ بِشْرَ رُومَةٍ فَيَجْعَلُهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، يَضْرِبُ بِدَلْوِهِ فِي دِلَائِهِمْ ، وَلَهُ بِهَا مَشْرَبٌ فِي الْجَنَّةِ ؟ » . فَأَتَى عِثْمَانُ الْيَهُودِيَّ فَسَاوَمَهُ بِهَا ، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهَا كُلَّهَا ، فَاشْتَرَى مِنْهُ نِصْفَهَا بِائْنِي عَشْرَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَجَعَلَهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ لَهُ عِثْمَانُ : إِنْ شِئْتَ جَعَلْتُ عَلَى نَصِيبِي يَوْمَئِذٍ ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى يَوْمٍ وَلَكَ يَوْمٌ ، قَالَ : لَا ، بَلْ لَكَ يَوْمٌ وَلِي يَوْمٌ . فَكَانَ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِثْمَانَ اسْتَقَى الْمُسْلِمُونَ مَا يَكْفِيهِمْ يَوْمَئِذٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودِيُّ ذَلِكَ ، قَالَ : أَفْسَدْتُ عَلَى رَكِيَّتِي ، فَاشْتَرِ النَّصْفَ الْآخَرَ ، فَاشْتَرَاهُ بِشِمْثَانِيَةِ أَلْفٍ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يُؤَيِّدُ فِي مَسْجِدِنَا ؟ »

(١) الكردوسة : كل مظنين التقيا في مفضل .

فاشترى عثمان رضي الله عنه موضع خمس مَوارٍ ، فزاده في المسجد .
 . وجَهَزَ رضي الله عنه جيش العُسرة بتسعمائة وخمسين بغيراً ،
 وأتم الألف بخمسين فرساً .

وعن قتادة رضي الله عنه ، قال : حملَ عثمان ماني جيش العُسرة
 على ألفٍ بغير ، وسبعمِين فرساً .

وعن محمد بن بكير : أنَّ عثمانَ رضيَ اللهُ عنه ، كان يُحيي
 اللَّيْلَ بركعِهِ يقرأُ فيها القرآنَ . ورُوِيَ أَنَّهُ كان يصومُ الدَّهْرَ رضيَ اللهُ
 عنه .

ذكر بيعة عثمان

رضي الله عنه

بُويِعَ له بالخِلافةِ كما تقدَّم في قصَّةِ الشُّورى ، وقد اخْتُلِفَ في يومِ
 بَيْعَتِهِ ، وهو مُرتَّبٌ على الخلافِ في تاريخِ وفاةِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما ،
 فقيل : [في] (١) يومِ السَّبْتِ غُرَّةَ المحرمِ ، سنةَ أربعٍ وعشرين .
 ولم يذكر أبو عمرُ بنُ عبدِ البرِّ غيرَه (٢) .

وقيل : يومِ الاثنينِ لليلةِ بقيتْ من ذى الحِجَّةِ ، سنةَ ثلاثٍ
 وعشرين ، فاستقبلَ بخِلافَتِهِ شهرَ المحرمِ ، سنةَ أربعٍ وعشرين ، قاله
 أبو جعفر .

قال : وقيل : لعشرِ خلونَ من المحرمِ بعد مقتلِ عمرَ بثلاثِ
 ليالٍ .

(١) من ص .

(٢) الاستيعاب ١٠٤٤ .

قال : استخلفَ وقد دخل وقت العصر ، وقد أذن مؤذنٌ صهيبي ، واجتمعوا في ذلك بين الأذان والإقامة ، فخرج فصلّي بالناس ، وزادهم مائة مائة ، ووَقَدَ أهل الأنصار ، وهو أولُ مَنْ صَنَعَ ذلك .

قال : وقيل : لما بايع أهلُ الشورى عثمانَ رضى الله عنه ، خرج وهو أشدهم كتابةً ، فاتى منبر النبي صلى الله عليه وسلم [فخطب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم] (١) وقال : أيها الناس ، إنكم في دارِ قلعة (٢) ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتكم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويبت على الغرور ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ (٣) واعتبروا بمن مضى ، ثم جلّوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يغفل عنكم .

أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعَمروها ، ومُتّعوا بها طويلاً ! ألم تَلَفِظْهُمْ ! رمّوا بالدنيا حيث رمى الله بها . واطلبوا الآخرة ؛ فإن الله عز وجل قد ضربَ لها مثلاً ولِلَّذِي هو خير ، فقال : ﴿ وأضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ... ﴾ إلى قوله : ﴿ والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً ﴾ . (٤)

(١) من ص .

(٢) دار قلعة ، أى ليست دار إقامة ، يقال : هم على قلعة ، أى على رحلة ، وفي حديث علي : « أحذركم الدنيا فإنها منزل قلعة ، أى تحول دار وارتحال .

(٣) سورة فاطر ه .

(٤) سورة الكهف ٤٦ . والخطبة في تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٣ .

وكان أول كتاب كتبه إلى عماله :

أما بعد^(١) ؛ فإن الله تعالى أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وأن صدر هذه الأمة خلُقوا رعاة ، ولم يُخلَقوا جباة ، وليوشكن أنتمكن أن يصيروا جباة ، ولا يكونوا رعاة ؛ فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء .

ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم مالههم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تشنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم ، وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تتنابون ، فاستفتحوا عليهم بالوفاء .

وكان أول كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد في الفروج :

أما^(٢) بعد ، فإنكم حماة المسلمين وذادتهم ، وقد وضع لكم عمر رضى الله عنه ما لم يرغب عنا ، بل كان عن ملائنا ، ولا يبلغنا عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله بكم ، ويستبدل بكم غيركم . فانظروا كيف تكونون ، فإننى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه والقيام عليه .

(١) تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٤ .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٥ .

ذكر الفتوحات والغزوات في خلافة عثمان ذكر خلاف أهل الاسكندرية

وفي ^(١) سنة خمس وعشرين نقض أهل الإسكندرية الصلح ؛ وذلك أن الروم حضروا إليهم من القسطنطينية ، ونفذ منهم منويل الخصي ، واتفقوا مع من بها من الروم ، ولم يوافقهم المقوقس ، وثبتت على صلحه ، فثبت لذلك .

وسار عمرو بن العاص إليهم ، وسار إليه الروم ، واقتتلوا أشد قتال ، فانهزم الروم وتبعهم المسلمون إلى أن أدخلوهم الإسكندرية ، وقتلوا منهم في البلدة مقتلة عظيمة ، وقتل منويل الخصي .

وكان الروم لما خرجوا من الإسكندرية أخذوا أموال أهل تلك القرى ، من وافقهم ومن خالفهم ، فلما ظفر بهم المسلمون جاء أهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص : إن الروم أخذوا أموالنا ودوابنا ، ولم نخالف نحن عليكم ، وكنا على الطاعة ، فرد عليهم ما غرموا من أموالهم بعد إقامة البيعة .

وهدم عمرو سور الإسكندرية .

ذكر غزو ارمينية وغيرها وما وقع من الصلح

كان ^(٢) عثمان رضي الله عنه قد استعمل سعد بن أبي وقاص على الكوفة ، ثم عزله ، واستعمل الوليد بن عتبة بن أبي معيط - وهو أخو عثمان لأمه - فعزل الوليد عتبة بن فرقد عن أذربيجان ،

(١) قدرح مصر ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٨ ، ابن الأثير ٤٢٢٣ .

فَنَقَضُوا الْعَهْدَ فَغَزَاهُمُ الْوَلِيدُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ ، وَجَعَلَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ ابْنَ شُبَيْلِ الْأَحْمَسِيِّ ، وَأَغَارَ عَلَى أَهْلِ مُوَقَّانَ وَمَا جاورها ، فَفَتَحَ وَغَنِمَ وَسَبَى ، وَطَلَبَ أَهْلُ كُورِ أَذْرَبِيْجَانَ الصُّلَحَ ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى صُلَحٍ حُدَيْفَةٍ ، وَهُوَ ثَمَانِمِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَبِضَ الْمَالَ ثُمَّ بَثَّ سَرِيَاءَهُ ، وَبَعَثَ سَلْمَانَ بْنَ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيَّ إِلَى أَهْلِ إِرْمِينِيَّةَ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ حَتَّى أَتَى الْوَلِيدَ . وَعَادَ الْوَلِيدُ وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ أَتَى الْحَدِيثَةَ (١) .

قال : وَلَمَّا نَزَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ الْحَدِيثَةَ ، أَتَاهُ كِتَابُ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : إِنَّ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّ الرُّومَ قَدْ أَجْلَبَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ يَمْدَهُمْ أَخَوَانُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا لَهُ نَجْدَةٌ وَيَأْتِي فِي ثَمَانِيَةِ أَلْفٍ ، أَوْ تِسْعَةِ أَلْفٍ ، أَوْ عَشْرَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَأْتِيكَ كِتَابِي فِيهِ ، وَالسَّلَامَ .

فَقَامَ الْوَلِيدُ فِي النَّاسِ ، وَأَعْلَمَهُمُ الْحَالُ ، وَنَدَبَهُمْ مَعَ سَلْمَانَ ابْنَ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيَّ ، فَانْتَدَبَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ أَلْفٍ ، فَمَضَوْا حَتَّى دَخَلُوا مَعَ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ ، فَشَنُّوا الْغَارَاتِ ، فَاصْطَابَ النَّاسَ مَا شَاءُوا ، وَافْتَتَحُوا حَصُونًا كَثِيرَةً .

وقيل : إِنَّ الَّذِي أَمَدَّ حَبِيبَ بْنَ مُسْلَمَةَ بِسَلْمَانَ بْنَ رَبِيعَةَ ، كَانَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ لَمَّا كَانَ عَلَى الْكُوفَةِ ؛ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عُمَانَ كَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ بِأَمْرِهِ أَنْ يُغْزِيَ حَبِيبَ بْنَ مُسْلَمَةَ فِي أَهْلِ الشَّامِ إِرْمِينِيَّةَ ، فَوَجَّهَهُ إِلَيْهَا ، فَأَتَى قَالِيْقَلَا فَحَصَرَهَا ، وَضَيَّقَ عَلَى مَنْ كَانَ بِهَا ،

فَطَلَبُوا الْأَمَانَ عَلَى الْجَلَاءِ أَوِ الْجَزِيَّةِ ، فَجَلَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَلَحَقُوا بِبِلَادِ
الرُّومِ ، وَأَقَامَ حَبِيبٌ بِهَا فَيَمِنَ مَعَهُ أَشْهُرًا ، ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ بِطْرِيْقَ إِمْرَئِيَّاسَ
- وَهِيَ مَلَطِيَّةٌ ، وَسِيَوَاسَ وَقُونِيَّةَ ، وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبِلَادِ إِلَى خَلِيجِ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - وَأَسَمَهُ الْمُورِيَّانَ ، قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنَ
الرُّومِ . فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَأَرْسَلَ
عُثْمَانُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، بِأَمْرِهِ بِإِمْدَادِ حَبِيبٍ ، فَأَمَدَّهُ بِسُلْمَانَ
فِي سِتَّةِ آلَافٍ ، فَأَجْمَعَ حَبِيبٌ عَلَى تَبْيِيتِ الرُّومِ ، فَسَمِعَتْهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ
عَبْدِ اللَّهِ بِنْتُ يُزَيْدِ الْكَلْبِيِّ ، فَقَالَتْ : أَيْنَ مَوْعِدُكَ ؟ فَقَالَ : مُرَادِقُ
الْمُورِيَّانِ ، ثُمَّ بَيَّتَهُمْ ، فَقَتَلَ مَنْ وَقَفَ لَهُ ، ثُمَّ أَتَى السُّرَادِقَ فَوَجَدَ
لِامْرَأَتِهِ قَدْ سَبَقَتْهُ إِلَيْهِ ، وَلَمَّا انْهَزَمَتِ الرُّومُ عَادَ حَبِيبٌ إِلَى قَالِيَقْلَا ،
ثُمَّ سَارَ فِيهَا فَتَنَزَلَ مَرْبَالَا ، فَتَتَاهُ بِطْرِيْقُ خِلَاطٍ بِكِتَابِ عِيَاضِ بْنِ غَنْمٍ
بِأَمَانِهِ فَأَجْرَاهُ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ الْبَطْرِيْقُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ .

وَنَزَلَ حَبِيبٌ خِلَاطَ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا ، فَلَقِيَهُ صَاحِبُ مُكْسَ ، وَهِيَ
مِنَ الْبُسْفُرْجَانِ ، فَقَاطَعَهُ عَلَى بِلَادِهِ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى أَرْدَشَاطَ وَهِيَ
الْقَرْيَةُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْقِرْمِزُ الَّذِي يُصْبِغُ بِهِ ، فَتَنَزَلَ عَلَى نَهْرِ دَبِيلٍ ،
وَسَرَّحَ الْخِيُولَ إِلَيْهَا وَحَصَرَهَا ، فَتَحَصَّنَ أَهْلُهَا ، فَنَصَبَ عَلَيْهِمْ
مَنْجَنِيْقًا ، فَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ ، وَبِثَّ السَّرَايَا فَبَلَغَتْ خَيْلُهُ
ذَاتَ اللَّجْمِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ ذَاتَ اللَّجْمِ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخْلَوْا لُجْمَ
خَيْلِهِمْ ، فَكَبَسَهُمُ الرُّومُ قَبْلَ أَنْ يُلْجِمُوَهَا ، ثُمَّ أَلْجَمُوَهَا وَقَاتَلُوهُمْ
فَظَفَرُوا بِهِمْ .

ثُمَّ وَجَّهَ سَرِيَّةً إِلَى سِرَاجِ طَيْرٍ وَبَغْرَوْنَدَ ، فَصَالَحَهُ بِطْرِيْقُهَا عَلَى
إِتَاوَةٍ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ بِطْرِيْقُ الْبُسْفُرْجَانِ ، فَصَالَحَهُ عَلَى بِلَادِهِ ، وَأَتَى

السَّيِّبَانِ فَحَارَبَهُ أَهْلُهَا فَهَزَمَهُمْ ، وَغَلَبَ عَلَى حُصُونِهِمْ . وَسَارَ إِلَى جُرْزَانَ ، وَفَتَحَ عِدَّةَ حُصُونٍ وَمُدُنٍ تَجَاوَرُهَا صُلَحًا .

وَسَارَ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ إِلَى أَرَانَ ، فَفَتَحَ الْبَيْلِقَانَ صُلَحًا ، عَلَى أَنْ يُؤْمِنَتْهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَحِيطَانِ مَدِينَتِهِمْ ، وَأَشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ ، الْجَزِيَّةَ وَالْخَرَاجَ ، ثُمَّ أَتَى سَلْمَانُ مَدِينَةَ بَرْدَعَةَ فَعَسَكَرَ عَلَى الثَّرثُورِ (نَهْرٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا نَحْوُ قَرَسَخٍ) فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا أَيَّامًا ، وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَى قُرَاهَا ، فَصَالَحُوهُ عَلَى مِثْلِ صُلَحِ الْبَيْلِقَانِ ، وَدَخَلَهَا ، وَوَجَّهَ خِيَلَهُ فَفَتَحَتْ رَسَائِقَ الْوَلَايَةِ ، وَدَعَا أَكْرَادَ الْبَلَاشْجَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَاتَلُوهُ فَظَفَرُوا بِهِمْ ، فَأَقْرَهُمْ عَلَى الْجَزِيَّةِ ، وَأَدَّى بَعْضُهُمُ الصَّدَقَةَ وَهُمْ قَلِيلٌ ، وَوَجَّهَ سَرِيَّةً إِلَى شَمْنُكُورَ فَفَتَحُوهَا ، وَهِيَ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ ، وَلَمْ تَزَلْ مَعْمُورَةً حَتَّى أَخْرَبَهَا السَّأَوْرَذِيَّةُ ، وَهُمْ قَوْمٌ تَجَمُّعُوا لَمَّا انْصَرَفَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَيْدٍ عَنْ لَارْمِينِيَّةَ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُمْ ، ثُمَّ عَمَرَهَا بَغَا فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَسَمَّاها الْمُتَوَكِّلِيَّةَ ، نَسَبَةً إِلَى الْمُتَوَكِّلِ .

وَسَارَ سَلْمَانُ إِلَى مَجْمَعِ الرُّسِّ وَالْكَرِّ ، فَفَتَحَ قَبْلَةَ ، وَصَالِحَةَ صَاحِبِ شَكِّي وَغَيْرَهَا عَلَى الْإِتَاوَةِ ، وَصَالِحَةَ مَلِكِ شَرَوَانَ ، وَسَائِرِ مُلُوكِ الْجِبَالِ فَأَهْلُ مَسْقَطِ وَالشَّابَرَانَ ، وَمَدِينَةَ الْبَابِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

ذكر غزو معاوية الروم

وفي^(١) سنة خمس وعشرين ، غزا معاوية بن أبي سفيان الروم ، فبلغ عَمُورِيَّة فوجد الحصون التي بين أنطاكية وطرسوس خالية ، فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة ؛ حتى أنصرف من غزائه . ثم أغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره أن يفعل مثل ذلك ، ولما خرج هدم الحصون إلى أنطاكية . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر فتح كابل

وفي^(٢) سنة خمس وعشرين بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر إلى كابل ، فبلغها في قول ، وكانت أعظم من خراسان ولم يزل إلى أن مات معاوية ، فامتنع أهلها . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٤٤ ، تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٧ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٤٤ .

ذكر غزو إفريقية وفتحها

وفيها (١) بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أطراف إفريقية غازياً بأمر عثمان فغنم وعاد ، وكتب إلى عثمان يستأذنه في غزوها ، فأذن له ، وعزل عمرو بن العاص عن خراج مصر . واستعمل عبد الله بن سعد في سنة ست وعشرين ، فتنازعا الأمر .

فكتب عبد الله إلى عثمان أن عمرأ كسر على الخراج ، وكتب عمرو إن عبد الله كسر على مكيدة الحرب . فعزل عثمان عمرأ واستقدمه ، واستعمل عبد الله على حرب مصر وخارجها ، وأمره أن يغزو إفريقية وقال : إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس نفلاً .

وأمر عثمان عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع ابن الحارث على جند ، وسرحهما ، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله ابن سعد على صاحب إفريقية ، ثم يقيم عبد الله في عمله [فخرجوا] (٢) ووصلوا إلى أرض إفريقية في عشرة آلاف من شجعان الإسلام ، فصالحهم أهل إفريقية على مال يؤدونه ، ولم يُقدِّموا على دخول إفريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها .

ثم أرسل عبد الله إلى عثمان يستشيره في قصد إفريقية ، وفتحها ، فجهز إليه عثمان جماعة من أعيان الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس وغيره ، فسار بهم ابن سعد إلى إفريقية .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٤٥ وما بعدها

(٢) من ص .

فكان من أمر فتح إفريقية ما نذكره إن شاء الله تعالى في الباب السادس من القسم الخامس من هذا الفن في أخبار إفريقية ، وبلاد المغرب بما هو أبسط من هذا القول ، وهو السفر الثاني والعشرون من هذه النسخة .

قال : لما فتحت سببيلة وهي دار الملك ، وجد فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها ، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، وسهم الراجل ألف دينار .

وبعث عبد الله بن سعد جيوشه في البلاد ، فبلغت قفصة ، فسبوا وغنموا ، وبعث عسكراً إلى حصن الأجم ، وقد أحتمى به أهل البلاد ، فحصره وفتح بالأمان ، فصالحه أهل إفريقية على الفداء ، ألف وخمسمائة ألف دينار .

وسار عبد الله بن الزبير إلى عمان بالبشارة ، وتنقل^(١) بابنة الملك ، ثم عاد عبد الله بن سعد من إفريقية إلى مصر ، وكان مقامه بها سنة وثلاثة أشهر ، ولم يفقد من المسلمين إلا ثلاثة عشر رجلاً ، وحمل خمس إفريقية إلى المدينة ، فأبتاعه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار ، فوضعها عنه عثمان وهو مما أخذ عليه ، وأنكره الصحابة رضى الله تعالى عنه ، وقال في ذلك عبد الرحمن بن حنبل أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم :

أحلف بالله جهنم اليمين ما ترك الله أمراً سدى
ولكن جعلت لنا فتنة لكى تبغى بك أو تبغى

(١) في ابن الأثير ٣ : ٤٦ : ونقل عبد الله بن الزبير ابنة الملك .

دَعَوْتَ الطَّرِيدَ فَأَذْنَيْتَهُ خَلَا فَا لِمَا سَنَهُ الْمُصْطَفَى
وَوَلَّيْتَ قُرْبَاكَ أَمَرَ الْعِبَادِ خَلَا فَا لِسَنَةِ مَنْ قَدْ مَضَى
وَأَعْطَيْتَ مَرَوَانَ خُمْسَ الْغَنِيمَةِ إِثْرَهُ وَحَمَيْتَ الْحِمَى
وَمَالَأَ أَنَاثَى بِهِ الْأَشْعَرَى مِنْ أَلْفَىءٍ أَعْطَيْتَهُ مَنْ دَنَا
فَإِنَّ الْأَيْمِينَ قَدْ بَيَّنَّا مَنَارَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ الْهَدَى
فَمَا أَخْذَا غِيلَةً دِرْهَمًا وَلَا قَتَمًا دِرْهَمًا فِي هَوَى

قال : ولما فتحت إفريقية أمرَ عثمانُ عبد الله بن نافع بن عبد القيس أن يسيرَ إلى الأندلس ، فاتاها من البحر ، ففتح الله تعالى على المسلمين .

وفي سنة سبع وعشرين فُتِحَتْ إصْطَخَرُ ، وهو الفتحُ الثاني ، وكان فتحها الآن على يدِ عثمان بن أبي العاص .

وقد ذكرنا الأول في خلافةِ عمرَ . وفيها غزا معاويةُ بنُ سفيانَ رضى الله تعالى عنه قُبْرُسَ .

ذكر فتح جزيرة قبرس

١ كان^(١) فتحها على يدِ معاوية بن أبي سفيان ، واختُلِفَ في وقته ، فقبيل : فُتِحَتْ في سنة ثمانٍ وعشرين ، وقبيل : في سنة تسع وعشرين ، وقبيل : في سنة ثلاثٍ وثلاثين .

وكان قد ألحَّ على هُصَير رضى الله عنه في غزو البحر ، وذكر قُربَ

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، تاريخ ابن الأثير ٣ : ٤٨ .

[الروم] ^(١) من جنص ، وقال : إِنَّ قَرْيَةً مِنْ قُرَى جَنْصَ لَيْسَمَعَ
أَهْلُهَا نُبَاحَ كَلَابِهِمْ وَصِبَاحَ دَجَاجِهِمْ .

فكتب عمرو إلى عمرو بن العاص : أَنْ صِيفَ لِي الْبَحْرَ وَرَاكِبَهُ ،
فكتب إليه عمرو : إِنِّي رَأَيْتُ خَلْقًا كَبِيرًا يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ ، لَيْسَ
إِلَّا السَّمَاءُ وَالْمَاءُ ، إِنَّ رَكَدَ خَرَقَ الْقُلُوبَ ، وَإِنْ تَحَرَّكَ أَزَاغَ الْعُقُولَ ،
يَزْدَادُ فِيهِ الْيَقِينُ قَلَّةً ، وَالشُّكُّ كَثْرَةً ، هُمْ فِيهِ كَنُودٌ عَلَى عَوْدٍ ،
إِنْ مَالَ غَرِقَ ، وَإِنْ نَجَا بَرِقَ .

فلما قرأ كتاب عمرو ، كتب إلى معاوية : وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا
بِالْحَقِّ لَا أَحْمِلُ فِيهِ مُسْلِمًا أَبَدًا ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَحْرَ الشَّامِ يُشْرِفُ عَلَى
أَطْوَلِ شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَيَسْتَأْذِنُ اللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي أَنْ يُغْرِقَ
الْأَرْضَ ، فَكَيْفَ أَحْمِلُ الْجَنُودَ عَلَى هَذَا الْكَافِرِ ، لِمُسْلِمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِمَّا حَوَتْ الرُّومُ . فَلَيْتَاكَ أَنْ تَعَرَّضَ إِلَيَّ ، فَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَقِيَ الْعَلَاءُ مِنِّي .

وترك ملك الروم الغزو ، وكتب عمرو وقاربه ، فلما كان زمن
عثمان كتب معاوية إليه يستأذنه في غزو البحر مراراً ، فأجابته إلى ذلك
وقال : لَا تَتَخَبَّ [النَّاسَ] ^(١) وَلَا تُقْرِغْ بَيْنَهُمْ ، خَيْرُهُمْ ،
فَمِنْ اخْتَارَ الْغَزْوَ طَائِعًا ، فَاحْمِلْهُ وَأَعِنِّهِ ، فَفَعَلَ .

واستعمل عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني قُرَازَةَ ، وسار المسلمون
إلى قبرس ، وسار إليها عبد الله بن سعيد من مصر ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا
فَصَالَحَهُمْ أَهْلُهَا عَلَى جَزْيَةٍ ، وَهِيَ سَبْعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ،
وَيُؤَدُّونَ لِلرُّومِ مِثْلَهَا ، لَا يَمْنَعُهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ

[منعهم] (١) مِمَّنْ أَرَادَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ . وعليهم أَنْ يُؤْذَنُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَسِيرِ عَدُوِّهِمْ مِنَ الرُّومِ ، ويكون طريقُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ ، فقبلوا ذلك منهم ، وعادوا عنهم .

وشهدَ هذه الغزاة جماعةٌ من الصحابةِ ، منهم : أَبُو ذَرَّ الْغِفَارِيُّ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، ومعه زوجته أمُّ حَرَامٍ بنتُ مِلْحَانَ ، وأَبُو الدَّرْدَاءِ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ .

وفي هذه الغزاة ماتت أمُّ حَرَامٍ ، أَلْقَتْهَا بَعْلَتُهَا بِجَزِيرَةِ قُبْرَسَ فَاَنْدَقَ عَنْقُهَا ، وكان رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهَا أَنَّهَا مِنْ أَوَّلِ مَنْ يَغْزُو فِي الْبَحْرِ .

قال : وبقيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الْبَحْرِ ، فغزا خمسينَ غَزَاةً فِي الْبَحْرِ ، مِنْ بَيْنِ شَانِيَةِ ، وَصَانِفَةِ ، لَمْ يُنْكَبْ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ ، وكان يدعو اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَهُ فِي جُنْدِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ هُوَ فِي قَارِبٍ طَلِيعَةٍ ، فَاَنْتَهَى إِلَى الْمَرْفَأِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، وَعَلَيْهِ مَسَاكِينُ يَسْأَلُونَ ، فَتَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ ، فَزَجَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ إِلَى قَرِيْبَتِهَا ، فَقَالَتْ : هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ فِي الْمَرْفَأِ فَبَادَرُوا إِلَيْهِ ، وَهَجَمُوا عَلَيْهِ ، فَقَتَلُوهُ ، بَعْدَ أَنْ قَاتَلَهُمْ ، فَأَصِيبَ وَحْدَهُ ، وَنَجَا الْمَلَأُحُ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ فَأَعْلَمَهُمْ ، فَجَاءُوا حَتَّى رَسَوْا بِالْمَرْفَأِ وَعَلَيْهِمْ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ .

وقيلَ لِتِلْكَ الْمَرْأَةِ بَعْدَ ذَلِكَ : بَيَّأُ شَيْءٌ عَرَفَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ؟ قَالَتْ : كَانَ كَالْتَّاجِرِ ، فَلَمَّا سَأَلْتُهُ أَعْطَانِي كَالْمَلِكِ ، فَعَرَفْتُهُ بِهَذَا . وَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ أَعَانَ أَهْلُ قُبْرَسَ الرُّومَ عَلَى غَزْوِ

المسلمين بمراكبٍ أعطَوْهم إِيَّاهَا ، فغزاهم معاوية في سنة ثلاث وثلاثين
فَفَتَحَهَا عَدُوَّةً ، فَقَتَلَ وَسَبَى ، ثُمَّ أَقْرَهُمْ عَلَى صَلَاحِهِمْ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
اثنى عشر ألفاً فبنوا المساجدَ ، وَبَنَى بِهَا مَدِينَةً .

وقيل : كات الغزوةُ الثانيةُ في سنة خمسٍ وثلاثين .

وفي سنة ثمانٍ وعشرين غزا حبيبُ بنُ مسلمةَ سوريةَ مِن أرضِ
الرُّومِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

ذكر نقض أهل فارس وغيرهم

وفتح إصطخر ودرابجرد

وفي سنة تسعٍ وعشرين نقض أهلُ فارسَ بَعِيْدَ اللَّهِ بنِ مَعْمَرٍ ،
فسار إليهم ، فَالتَقَوْا عَلَى بَابِ إِصْطَخَرٍ ، فَقَتَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَأَنهَزَ الْمُسْلِمُونَ .
فبلغ الخبرُ عبدَ اللَّهِ بنَ عَامِرٍ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ ، فَاسْتَنْفَرَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَسَارَ
إِلَى فَارَسَ ، فَالتَقَوْا بِإِصْطَخَرٍ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ
الْقُرْسَ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَفَتَحَتْ إِصْطَخَرَ عَدُوَّةٌ ، وَأَتَى
دِرَابِجَرْدَ ، وَقَدْ غَدَرَ أَهْلُهَا ، فَفَتَحَهَا وَسَارَ إِلَى مَدِينَةِ جُورَ ، فَانْتَقَضَتْ
إِصْطَخَرُ ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهَا ، وَتَمَّمَ السَّيْرَ إِلَى جُورَ فَحَاصَرَهَا ، وَكَانَ
هَرْمُ بْنُ حَيَّانٍ مُحَاصِرًا لَهَا ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحَاصِرُونَهَا وَيَنْصَرِفُونَ
عَنْهَا فَيَأْتُونَ إِصْطَخَرَ ، وَيَغْزُونَ نَوَاحِيَ كَانَتْ تَنْتَقِضُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ
يَزَلْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَامِرٍ عَلَيْهَا حَتَّى فَتَحَهَا .

وَكَانَ سَبَبُ فَتْحِهَا أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ قَامَ بِصَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ . وَإِلَى
جَانِبِهِ جَرَابٌ لَهُ فِيهِ خُبْزٌ وَلَحْمٌ : فَجَاءَ كَلْبٌ فَجَرَّهُ وَعَدَايَهُ حَتَّى دَخَلَ

المدينة مِنْ مَدْخَلٍ خَفِيٍّ ، فَلَزِمَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ الْمَدْخَلَ حَتَّى دَخَلُوهَا مِنْهُ وَفَتَحُوهَا عَنُودَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ ابْنُ عَامِرٍ مِنْهَا عَادَ إِلَى إِصْطِخْرٍ وَتَحَهَا عَنُودَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا وَرَمَاهَا بِالْمَجَانِيْقِ ، وَقَتَلَ بِهَا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْأَعَاجِمِ ، وَأَفْنَى أَكْثَرَ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَوَجَّهَ الْأَسَاوِرَةَ ، وَكَانُوا قَدْ لَجَّسُوا إِلَيْهَا .

وقيل : إِنَّ أَهْلَ إِصْطِخْرٍ لَمَّا نَكَّثُوا عَادَ إِلَيْهَا ابْنُ عَامِرٍ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَى جُورَ ، فَمَلَكَهَا عَنُودَ ، وَعَادَ إِلَى جُورَ ، وَأَتَى دِرَابْجَرْدَ فَمَلَكَهَا ، وَكَانَتْ مَنْتَقِضَةً أَيْضًا : وَوُطِئَ أَهْلَ فَارَسٍ وَطَاةٌ لَمْ يَزَالُوا مِنْهَا فِي ذُلٍّ . وَكُتِبَ إِلَى عُثْمَانَ بِالْخَبِيرِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَنْ اسْتَعْمَلَ عَلَى بِلَادِ فَارَهِسَ هَرَمَ بْنَ حَيَّانَ الْيَشْكُرِيَّ . وَهَرَمَ بْنَ حَيَّانَ الْعَبْدِيَّ ، وَالْخَرِيبَتِ ابْنَ رَاشِدَ ، وَالتَّرْجَمَانَ الْهَجِيمِيَّ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَفَرِّقَ كُورَ خُرَاسَانَ عَلَى جَمَاعَةٍ ، فَيَجْعَلَ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ عَلَى الْمَرْوَيْنِ . وَحَبِيبَ بْنَ قُرَّةَ الْيَرْبُوعِيَّ عَلَى بَلَّخَ ، وَخَارِجَةَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُهَيْرٍ عَلَى هَرَاةَ ، وَأَمِيرَ بْنَ أَحْمَرَ عَلَى طُوسَ ، وَقَيْسَ ابْنَ هُبَيْرَةَ وَقَيْسًا السُّلَمِيَّ عَلَى نَيْسَابُورَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ غَزْوِ طَبْرِسْتَانَ

فِي (١) سَنَةِ ثَلَاثِينَ غَزَا سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ عَامِلُ الْكُوفَةِ طَبْرِسْتَانَ وَمَعَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَحَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ . وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَغَيْرُهُمْ : وَلَمْ يَغْزُهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ عَلَى أَصَحِّ الْأَقْوَالِ .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٥٤ .

وقد ذكرنا فيما تقدّم في خلافة عمر رضى الله عنه فتحها ،
والخلاف فيه .

قال : فأتى سعيد جرجان ، فصالحوه على مائتي ألف ، ثم أتى طميسة
وهي كلها من طبرستان ، متاخمة جرجان على البحر ، فقاتله أهلها ،
فصلّى صلاة الخوف وحاصرهم ، فسألوه الأمان فأعطاهم ، على ألا يقتل
منهم رجلاً واحداً ، واحتوى على مائتي الحصن ، وفتح سعيد نامية ،
وليست مدينة ، هي صحارى . والله أعلم .

ذكر غزو الصواري

كانت ^(١) هذه الغزوة في سنة إحدى وثلاثين ، وقيل في سنة
أربع وثلاثين ، وكان سببها أن المسلمين لما فعلوا بأهل إفريقية
ما فعلوا عند فتحها ، عظم ذلك على قسطنطين بن هرقل ، فخرج
في جمع لم يجمع الروم مثله مذكان الإسلام .

قيل : خرج في خمسمائة مركب ، وقيل : في ستمائة ، وخرج
المسلمون ، وعلى أهل الشام معاوية بن سفيان ، وعلى البحر عبد الله
ابن سعد بن أبي سرح ، فالتقوا ، وقربوا السفن بعضها إلى بعض ،
فاقتتلوا بالسيف والخنجر ، فأنزل الله نصره على المسلمين ، فانهزم
قسطنطين جريحاً . ولم ينج من الروم إلا الشريد ، وأقام عبد الله بن سعد
بذات الصواري بعد الهزيمة أياماً ورجع .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٥٨ .

وَأَمَّا قُسْطَنْطِينُ فَإِنَّهُ وَصَلَ فِي مَرْكَبِهِ إِلَى صِقْلِيَّةَ ، فَقَالَ أَهْلُهَا :
أَهْلَكْتَ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَأَفْنَيْتَ رِجَالَهَا ، لَوْ أَتَانَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ لَمْ يَكُنْ
عِنْدَنَا مَنْ يَنْصُرُهُمْ ، ثُمَّ أَدْخَلُوهُ الْحِمَامَ وَقَتَلُوهُ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر مقتل يزد جرد آخر ملوك بني ساسان

قال (١) : لَمَّا فَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بِلَادَ فَارَسَ عَلَى مَا قَدَّمَناه ،
هَرَبَ يَزْدَجَرْدُ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَوَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ فِي طَلَبِهِ مَجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ
وَقَيْلَ : غَيْرَهُ ، فَاتَّبَعَهُ إِلَى كَرْمَانَ ، وَكَثُرَ الثَّلْجُ وَالْبَرْدُ ، فَهَلَكَ جَيْشُ
مَجَاشِعَ ، وَرَجَعَ هُوَ .

وَاخْتَلَفَ فِي قَتْلِ يَزْدَجَرْدَ ، فَقَيْلَ : هَرَبَ مِنْ كَرْمَانَ إِلَى مَرُوءَ
وَمَعَهُ خُرَزَادُ أَخَوْرُسْتَمَ ، فَرَجَعَ عَنْهُ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَأَوْصَى بِهِ مَا هَوَيْتَهُ
مَرْزُبَانَ مَرُوءَ ، فَسَأَلَهُ يَزْدَجَرْدُ مَا لَأَ فَعَمَنَهُ مَخَافَةَ أَهْلِ مَرُوءَ عَلَى أَنْقَسِهِمْ
فَأَرْسَلُوا إِلَى التُّرْكِ يَسْتَنْصِرُونَهُمْ عَلَيْهِ ، فَاتَوَّهَ فَبَيَّتُوهُ وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ ،
فَخَرَجَ مَاشِيًا إِلَى وَسَطِ الْعَرَاغِ ، فَأَوَى إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ يَنْقُرُ الْأَرْحَاءَ ،
فَلَمَّا نَامَ قَتَلَهُ .

وقيل : بَلِ قَتَلَهُ أَهْلُ مَرُوءَ ، وَلَمْ يَسْتَنْصِرُوا بِالتُّرْكِ . وقيل : غَيْرُ
ذَلِكَ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، وَهُوَ حَسْبِي .

ذكر فتح خراسان

قال : (١) كان أهل خراسان قد غدّروا لما قُتلَ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ونقضُوا ، فلما افتتح عبد الله بن عامر بلاد فارس عادَ إلى البصرة ، واستخلف على إصطخر شريك بن الأعور الحارثي ، فبنى شريك مسجد إصطخر ، ثم تجهّز ابن عامر من البصرة ، واستخلف عليها زياد بن أبيه ، وسار إلى كرمان واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي ، وله صحبة ، وأمره بمحاربة أهلها ، وكانوا قد نكثوا .

واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثي ، وكانوا قد أعدوا له أيضاً ، ونقضوا الصلح .

وسار عبد الله بن عامر إلى نيسابور ، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس ، فأقى الطَّبَسِينَ ، وهما حصنان ، وهما بابا خراسان ، فصالحه أهلها ، وسار إلى قوهستان فقاتله أهلها ، فقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنه ، وقدم عليه ابن عامر ، فصالحه أهلها على ستمائة ألف درهم ، وبث سراياد ففتحت البلاد ، وفتح بيق ، وبُثت ، (وهي بالشَّين المعجمة) ، وليست بُثت المعروفة ، ثم فتح نيسابور بعد أن استولى على أعمالها ، وبعد أن حاصرها أشهراً .

وكان لكل ربع منها مرزبان من القرى يحفظه ، فطلب أحدهم الأمان والصلح على جميع نيسابور ، فصالحه على ألف ألف درهم ،

وَوُلَّى نَيْسَابُورَ قَيْسَ بْنَ الْهَيْثَمِ السُّلَمِيَّ ، وَسَيَّرَ جَيْشًا إِلَى نَسَا ،
وَبِيُورْدَ فَفَتَحُوهُمَا صُلْحًا ، وَسَيَّرَ سَرِيَّةً أُخْرَى إِلَى سَرْخَسَ ، فَقَاتَلَ
أَهْلَهَا ، ثُمَّ طَلَبُوا الْأَمَانَ وَالصُّلْحَ عَلَى مِائَةِ رَجُلٍ ، فَصَالَحَ مَرْزُبَانَهَا عَلَى ذَلِكَ ،
فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَمِيَ مِائَةَ رَجُلٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ نَفْسَهُ ، فَقَتَلَهُ ،
وَدَخَلَ سَرْخَسَ عَتَوَةً ، وَأَتَى مَرْزَبَانَ طُوسَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَصَالَحَهُ
عَلَى سِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَبَعَثَ جَيْشًا إِلَى هَرَاةَ عَلَيْهِمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ ، وَقِيلَ غَيْرُهُ ، فَسَارَ
مَرْزُبَانُهَا إِلَى ابْنِ عَامِرٍ وَصَالَحَهُ عَلَى هَرَاةَ ، وَبَادَا غَيْسَ وَبُوشَنَجَ عَلَى
أَلْفِي أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَكَانَتْ مَرُوءُ كُلِّهَا صُلْحًا إِلَّا قَرْيَةَ السُّنَجِ ، (وَهِيَ بِكُسْرِ السِّينِ
الْمُهْمَلَةِ) ، فَإِنَّهَا فُتِحَتْ عَتَوَةً .

وَوَجَّهَ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ إِلَى طَخَارِيسْتَانَ ، فَمَرَّ بِرُشْتَاقٍ يُعْرَفُ
بِرُشْتَاقِ الْأَخْنَفِ ، فَصَالَحُوهُ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَمَضَى إِلَى
مَرُورُودَ ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا ، فَهَزَمَهُمْ ، ثُمَّ صَالَحَهُمُ مَرْزَبَانُهَا عَلَى سِتِّمِائَةِ
أَلْفِ دِرْهَمٍ .

فَاجْتَمَعَ أَهْلُ طَخَارِيسْتَانَ وَالْجُوزْجَانَ وَالطَّلَاقَانَ ، وَالْفَارِيَّابَ
وَمَنْ حَوْلَهُمْ ، فَلَقَوْهُ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ ، فَاتَّقَوْا وَاقْتَنَلُوا ، فَهَزَمَهُمُ
الْمُسْلِمُونَ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَعَادَ إِلَى مَرُورُودَ ، وَلَحَقَ بَعْضُ
الْعَدُوِّ بِالْجُوزْجَانَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِشٍ
التَّحِمِيُّ فِي جَيْشٍ ، وَقَالَ : يَا بَنِي تَيْمٍ ، تَحَابُّوا وَتَبَادَلُوا تَعْتَدِلُوا أُمُورَكُمْ ،

وابدعوا بجِهَادِ بَطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَلَا تَغْلُوا
فَيْسَلَمْ لَكُمْ جِهَادُكُمْ .

فسار الأقرعُ فلقى العدوَّ بالجوزجان ، فكانت بالمسلمين جولةٌ ،
ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوةً ، وفتح الأحنفُ
المطالقان صلحاً ، وفتح الفارياب ، وقيل ببل فتحها أميرُ بنُ أحمَرَ .
ثم سار الأحنفُ إلى بلخ ، وهى مدينة طخارستان ، فصالحه
أهلها على أربعين ألف . وقيل : سبعمائة ألف .

فاستعمل على بلخ أسيدَ بنَ المُتَشَمِّس ، ثم سار إلى خوارزم ،
وهى على نهر جیحون ، فلم يقدر عليها ، فعاد إلى بلخ .

ولما تمَّ هذا الفتح لعبد الله بن عامر ، قال الناسُ : ما فتح لأحدٍ
ما فتح عليك فارس ، وكرمان ، وسجستان ، وخراسان ، فقال : لأجعلنَّ
شكرى الله على ذلك ؛ أن أخرج محرماً من موقفى هذا . فأحرَمَ بعُمرةٍ
من نيسابور

وقدَّمَ على عثمان ، واستخلف على خراسان قيسَ بنَ الهيثم ، فسار
قيسُ فى أرض طخارستان ، فلم يأت بلداً منها إلا صالحه أهلها ،
وأدعَوا له ، إلا سمينجان ، فإنه فتحها عنوةً . والله سبحانه وتعالى أعلم
وحسينا الله ونعم الوكيل .

ذكر فتح كرمان

قال (١) : لما سار عبدُ الله إلى خُراسان استعمل مجاشعَ بنَ مسعود السُّلَميَّ على كرمانَ كما ذكرنا ، وأمره أن يفتيحَها ، وكان أهلُها قد نكثُوا وغدروا ، ففتحَهم مدِ عَنوةً ، واستبقَى أهلُها وأمنهم ، وبني بها قَصْرًا يُعرَفُ بقَصْرِ مُجاشع ، وآتى السَّيرجان ، وهي مدينة كرمان فأقام عليها أيامًا يسرةً ، وقد تحصَّن أهلُها فقاتلهم وفتحها عَنوةً ، فجلا كثيرٌ من أهلها .

وفتحَ جبرفتَ عَنوةً ، وسار في كرمانَ فدنَّوْخَ أهلها ، وآتى القُفصَ وقد تجمَّعَ له خلقٌ كثيرٌ من الأعاجم الذين جَلَّوْا ، فقاتلهم ، فظفر بهم وظَّهر عليهم ، وهربَ كثيرٌ من أهل كرمان ، فركبوا البحرَ ولحقَ بعضهم بمُكران ، وبعضهم بسجستان ، فأقَطعتِ العربُ منازلهم وأراضيتهم ، راحتفروا لها القُنَى في مواضع منها ، وأدَّوا العُشْرَ منها . والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلَّم .

ذكر فتح سجستان وكابل وغيرها

قد ذكرنا^(١) أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عامر استعمل على سجستان الربيع ابن زياد الحارثي وسجستان من الفتوحات في خلافة عُمر ، ولَمَّا نقض أهلها ، سار الربيعُ وقطعَ المفازةَ حتى حَضَنَ زالقَ ، فَأَغَارَ على أهلِهِ في يومٍ ومهرجانٍ وأخذَ الدُّهُقَانَ ، فافتدى نفسه بِأَن رَكَزَ^(٢) عَنزَةً^(٣) وعَمَرَهَا ذهباً وفضةً ، وصالحه على صلح فارس ، ثم أتى بلدةً يُقال لها : كَرْكُوبِهِ فصالحه أهلها ، وسار إلى زرنج ، فنزل على مدينة روست بقرب زرنج ، فقاتله أهلها وأصيب رجالٌ من المسلمين ، ثم انهزم المشركون ، وقُتِلَ منهم مقتلةٌ عظيمةٌ ، وأتى الربيعُ ناشروذَ ففتحها ، ثم أتى شرواذَ فغلب عليها ، وسار منها إلى زرنج فنازلها ، وقاتله أهلها ، وأصيب رجالٌ من المسلمين ، ثم انهزم المشركون ، وقُتِلَ منهم مقتلةٌ عظيمةٌ .

وأتى الربيعُ ناشروذَ ففتحها ، ثم شرواذَ فغلب عليها ، وسار إلى زرنج فنازلها أهلها ، فهزمهم وحصرهم ، فأرسل إليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه ليحضر عنده ، فأمنه ، وجلس الربيعُ على جَسَدٍ من أجساد القتلى ، واتكأ على آخر ، وأمر أصحابه ففعلوا مثله . فلَمَّا رَأَاهُم المَرْزُبَانُ هالَهُ ذَلِكَ ، فصالحه على ألف وصيف مع كُلِّ وصيف جامٍ من دَهَبٍ ودخل المسلمون المدينة .

ثم سار منها إلى سناروذ ، وهو وادٍ ، فعبره ، وأتى القرية التي بها

(١) ابن الأثير ٣ : ٦٤ .

(٢) كَز : « غرز » .

(٣) العنزة : رميح بين العصا والرمح ، فيه زج .

مَرْبُطُ فَرَسٍ رُسْتُمُ الشَّدِيدُ : فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا فَظَفَرِ بِهِمْ . ثُمَّ عَادَ إِلَى زَرَنْجٍ وَأَقَامَ بِهَا نَحْوَ سَنَةٍ ، وَعَادَ إِلَى ابْنِ عَامِرٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا عَامِلًا ، فَأَخْرَجَ أَهْلَهَا الْعَامِلَ ، وَامْتَنَعُوا .

فَكَانَتْ وَلَايَةُ الرَّبِيعِ سَنَةً وَنِصْفًا ، سَبَى فِيهَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ رَأْسٍ وَكَانَ كَاتِبُهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، فَاسْتَعْمَلَ ابْنُ عَامِرٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ بْنَ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ عَلَى سَجِسْتَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَحَصَرَ زَرَنْجَ ، فَصَالَحَهُ مَرْزُبَانُهَا عَلَى أَلْفَى أَلْفٍ ذَرَاهِمَ وَأَلْفٍ وَصِيفٍ .

وَغَلَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى مَا بَيْنَ زَرَنْجٍ وَالْكَنْدُ مِنْ نَاحِيَةِ الْهِنْدِ : وَغَلَبَ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّخْجِ عَلَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّوَانِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَلَدِ الدَّوَانِ وَحَصَرَهُمْ فِي جَبَلِ الزُّوزِ ، ثُمَّ صَالَحَهُمْ وَدَخَلَ الزُّوزَ ، وَهُوَ صَنَمٌ مِنْ ذَهَبٍ عَيْنَاهُ يَأْقُوتَتَانِ ، فَقَطَعَ يَدَهُ وَأَخَذَ الْيَاقُوتَيْنِ وَقَالَ لِلْمَرْزُبَانِ : دُونَكَ الذَّهَبَ وَالْجَوْهَرَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَعْلِمَكَ أَنَّهُ لَا يَنْصُرُ وَلَا يَنْفَعُ .

وَفَتَحَ كَابُلَ : وَزَابُلِسْتَانَ : وَهِيَ وَلَايَةُ غَزَنَةَ : ثُمَّ عَادَ إِلَى زَرَنْجٍ : فَأَقَامَ بِهَا - تَى اضْطَرَبَ أَمْرُ عُثْمَانَ ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا أَمِيرَ بْنَ أَحْمَرَ ، وَانْصَرَفَ فَأَخْرَجَ أَهْلَهَا أَمِيرًا وَامْتَنَعُوا .

• • •

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ مَضِيْقَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَهُوَ زَوْجَتُهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ قَرْظَةَ ، وَقِيلَ : فَاخْتَهَ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصُّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَ .

ذكر خروج قارن ببلاد خراسان وقتله

في سنة (١) اثنتين وثلاثين جَمَعَ قارن جمعا كثيرا من ناحية
الطَّبَسِينَ وأهل باذغيس وقرآة وقهستان ، وأقبل في أربعين
ألفا .

وقال قيس بن الهيثم أمير خراسان من قبيل ابن عارٍ لعبد الله
ابن خازم : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تُغْلِي البلاد ؛ فأتى أميرها ، ومعى
عهد ابن عامر ؛ إن كانت حربُ بخرومانَ فأنا أميرها ؛ وأخرج كتابا
كان قد افتعله ، فكره قيس منازعته وخلاه والبلاد .

وأقبل إلى ابن عامر فلامه ، وقال : تركت البلاد خرابا ، وأقبلت !
فقال : جاعن تعهدك . .

ولما توجه قيس بن خازم إلى قارن في أربعة آلاف ، أمرهم أن
يحملوا الودك ؛ فلما قربوا من ذلك ، وقرب من الودك ، أمر الناس أن
يُدرج كل رجلٍ منهم على زُجٍّ رمحه خرقة أو قطنًا ، ثم يكثرُوا دهنه ،
ثم سار حتى أمسى ، فقدم أمامه ستمائة من أصحابه ، ثم اتبعهم ،
وأمر الناس أن يُشعلُوا النيران في أطراف الرِّماح ، وانتهت مقدمته
إلى معسكر قارن نصف الليل [فناوشوهم] (٢) ، وهاج الناس على
نَهَش ، وكانوا قد أمنيوا من البيات ، ودنا ابن خازم منهم ، فرأوا
النيرانَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً تتقدم وتتأخر ، وترتفع وتنخفض ، فهالهم ذلك

(١) ابن الأثير ٣ : ٦٨ .

(٢) من ص .

وأهل المقدمة يقتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين ، فقتل قارن
وانهزم المشركون ، واتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا ، وأصابوا سبيًا
كثيرًا .

وكتب ابن خازم بالفتح إلى ابن عامر ، فرضى وأقره على خراسان ،
فكان عليها حتى انقضت حرب الجمل .

وقيل : لما جمع قارن اسشار قيس بن عبد الله عبد الله بن خازم
فيما يصنع (١) ؟ فأشار عليه أن يلحق بابن عامر ، فيخبره بكثرة
العدو ، وقال له : إنك لا تطيق كثرة من قد أتاك ، فاخرج بنفسك
ونقيم نحن بالحصون ونطاولهم حتى يأتينا مددكم .

فخرج قيس ، فلما أبعد أظهر ابن خازم عهدًا ، وقال : قد ولاني
ابن عامر خراسان ، وسار إلى قارن فظفرو به كما تقدم .

وفي سنة ثلاث وثلاثين غزاه معاوية حصن المرأة من أرض الروم ،
بناحية ملطية .

وفيها سار الأحنف بن قيس إلى خراسان ، وفتح العروين : مرو
الروذ ومرو الشاهجان .

* * *

انتهت الفتوح والغزوات ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .
وإليه المرجع والمآب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا

محمد

ذكر ما وقع في خلافة عثمان

غير الغزوات والفتوحات على حُكْم السنين

سنة أربع وعشرين

في ^(١) هذه السنة كَثُرَ الرِّعَافُ بِالنَّاسِ ، فَسَمِيَ عَامَ الرِّعَافِ .
وفيهما استعمل عثمانُ سعدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَعَزَلَ
المغيرةَ بنَ شُعْبَةَ عنها ، فعمل سعدٌ عليها سنةً وبعضَ أخرى .
وقيل : بل أَقَرَّ عثمانُ عُمَالَ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنه سنةً ؛ لِأَنَّ عمرَ
رضى اللهُ عنه أَوْصَى بِذَلِكَ ، ثُمَّ عزَلَ المغيرةَ ، واستعملَ سعدًا .
وحجَّ عثمانُ بالنَّاسِ .

* * *

سنة خمس وعشرين

في هذه ^(٢) السنة عزَلَ عثمانُ سعدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ الْكُوفَةِ
فِي قول بعضهم ، واستعملَ الوليدَ بنَ عَقْبَةَ بنَ أَبِي مُعَيْطٍ بنِ أَبِي عَمْرٍو
ذَكَوَانِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَهُوَ أَخُو عثمانَ لِأُمِّهِ . وَسَبَبُ ذَلِكَ
أَنَّ سعدًا ^(٣) رَضِيَ اللهُ عنه اقترضَ من عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قَرْضًا ،
فَلَمَّا تَقَاضَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه لَمْ يَتيسَّرْ لَهُ قِضاؤُهُ ، فَارْتَفَعَ
بَيْنَهُمَا الْكَلَامُ

فَقَالَ سعدٌ : مَا أَرَاكَ إِلَّا سَتَلْقَى شَرًّا ، هَلْ أَنْتَ إِلَّا ابْنُ مَسْعُودٍ ، عَبْدُ
[مِنْ] ^(٤) هُلَيْلٍ ! فَقَالَ : أَجَلٌ . وَاللَّهِ إِنِّي لَابْنُ مَسْعُودٍ . وَأَنْتَكَ لَابْنُ
حُمَيْنَةَ ^(٥) .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٤١ . (٢) ابن الأثير ٣ : ٤٢ .

(٣) في الأصول : * عثمان * : وهو خطأٌ صوابه من ابن الأثير .

(٤) (٥) ك : « حته » .

(٤) من ص .

وكان هاشم بن عُتْبَةَ بن أَبِي وَقَّاصٍ حاضراً فقال : إنكما لصاحبَا رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، يُنْظَرُ إليكما . ثم ولى عبدُ الله ، فخرج واستعان بآناسٍ على استخراجِ المالِ من سَعْدٍ ، واستعان سعدُ بآناسٍ على إنظاره ، فافترقوا وبعضُهم يلومُ بعضاً .

فكان ذلك أولَ ما نَزَعَ به الشيطانُ بين أهلِ الكوفة ، وأولَ مَصْرِ^(١) نَزَغَ الشيطانُ بين أهله الكوفة .

وبلغ الخبرُ عثمانَ ، فغَضِبَ وعَزَلَ سعدًا ، وأقرَّ عبدُ الله ، واستعملَ الوليدَ بنَ عُقْبَةَ مكانَ سَعْدٍ ، وكان على عربِ الجزيرةِ عاملاً لعمرو ، وعثمان بعده ، فلما قَدِمَ الكوفةَ قال له سعد : أَكِسَمْتَ بعدنا أم حُمَقْنَا بعدك ! قال : لا تجزَعَنَّ أباسحاق ، كُلُّ ذلك لم يكن ؛ وإنما هو المُلْكُ يتَغَدَّاه قومٌ ويتَغَشَّاه قومٌ آخرون . قال سعد : أراكم والله ستجعلونها مُلْكًا .

وقيل : لما قدم الوليدُ أميراً على الكوفة ، أتاه ابنُ مسعودٍ فقال : ماجاء بك ؟ فقال : جِئْتُ أميراً . قال ابنُ مسعود : ما أدرى صَلَحَتْ نَعْدُنَا أم فَسَدَ النَّاسُ !

وفيها وَلَدَ يزيدُ بنُ معاوية ، وقيل : في سنة اثنتين وعشرين وقد تقدَّم .

وحجَّ بالنَّاسِ عثمانُ .

• • •

(١) ك : « مصرع نزل » تحريف ، وصوابه في ص وابن الأثير .

سنة ست وعشرين

في هذه السنة زاد عثمانُ بنُ عفانَ رضى الله في المسجد الحرام ووسَّعَه ، وابتاعَ أملاكَ قَوْمٍ وامتنَعَ آخرونَ ، فهدَمَ عليهم ، ووضع الإيراد في بيت المال ، فصاحوا بـعثمانَ فحبسهم ، وقال : قد فعل بكم عمرُ هذا فلم تصيحوا ! فكلَّمَهُ فيهم عبدُ الله بنُ خالد بن أسيد فأطلقَهُم .

وبها استعمل عثمانُ رضى الله عنه عبدَ الله بنَ أبي سَرحٍ على مصر ، وكان أخا عثمانَ من الأضاعة ، وعزلَ عمرو بنَ العاص .

* * *

سنة سبع وعشرين

في هذه السنة حجَّ عثمانُ بالنَّاسِ .
وفيهَا من الغزوات ما تقدَّم بيانهُ .

* * *

سنة ثمان وعشرين

في هذه السَّنة تزوَّجَ عثمانُ نائلةَ بنتَ الفرافصةَ ، وكانت نصرانيَّةً ، فأسلمتْ قبلَ أَنْ يَدْخُلَ بها .

وفيهَا بَنَى عثمانُ رضى الله عنه الزَّوْراءَ .
وحجَّ بالنَّاسِ عثمانُ رضى الله عنه في هذه السَّنة ،

* * *

سنة تسع وعشرين

ذكر عزل أبي موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن العاص

عن عمان والبحرين واستعمال عبد الله بن عامر على ذلك

قيل (١) : كان عزل أبي موسى الأشعري عن البصرة ، وعزل عثمان بن أبي العاص عن عمان والبحرين ، واستعمال عبد الله بن عامر على أعمالها في هذه السنة .

وقيل : كان لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان [وكان سبب عزل أبي موسى أن أهل إيدج والأكراد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان] (٢) فنأدى أبو موسى في الناس وحضهم على الجهاد ، وذكر من فضل الماشي للجهاد . اذكر ، فحمل قوم على دوابهم ، وأجمعوا على أن يخرجوا رجالة لينالوا فضل الماشي .

وقال آخرون : لانعجل حتى ننظر ما يصنع ، فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل ، فلما خرج أخرج ثقله على أربعين بغلاً ، فعلقوا بعنان دابته ، فقالوا : احملنا على بعض هذه الفضول ، وارغب في المشي كما رغبنا ، فصر بهم بسوط ، وتركوا دابته ، وأتوا عثمان فاستعفوه منه . وقالوا : ما كل ما نعلم نحب أن تسألنا عنه ، فأبدلنا ما سواه ، فقال : من تحبون ؟ فقال : غيلان بن خرشة ، وفي كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا .

(١) ابن الأثير ٣ : ٤٩ .

(٢) من ص .

أما منكم خسيس فترفعونه ! أما منكم فقير فتجبرونه . يامعشر قريش
حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعرى هذه البلاد !

فعزل عثمانُ أبا موسى ؛ وأمرَ عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز بن حبيب
ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيِّ القرشيِّ العَبْشَمِيُّ ، وهو
ابن خال عثمان ، وممن وكَّدَ على عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعزل أيضًا عثمانُ عثمانَ بن أبي العاص عن عُثْمَانَ والبحرين ،
واستعملَ عبدُ الله على ذلك كُلَّهُ ، وكان إذ ذاك ابنَ خمسٍ وعشرين سنة .

واستعملَ عثمانُ رضى الله عنه على خُرَاسَانَ عُمَيْرَ بن عثمان بن سعد ،
فأثخنَ في خُرَاسَانَ حتى بلغَ قَرْغانة ، فلم يدعْ دُونَهَا كُورَةً إِلَّا أَصْلَحَهَا .

واستعملَ على سجستانَ عبدُ الله بن عُمَيْرِ اللَّيْثِيُّ ، فأثخنَ فيها إلى
كابُل .

وبعثَ إلى مُكرانَ عبيدُ الله بن مَعْمَرٍ ، فأثخنَ فيها حتى بلغَ
النَّهْرَ وبعثَ على كَرْمَانَ عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ عُبَيْسٍ .

ثم عزلَ عبدُ الله بن عُمَيْرَ عن سجستان . واستعملَ عبدُ الله بن
عامرٍ فَأَقْرَهُ عَلَيْهَا سَنَةً ثُمَّ عَزَلَهُ . واستعملَ عاصمَ بنَ عمرو ، وعزلَ
عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ عُبَيْسٍ ، وأعادَ عَلِيَّ بنَ سُهَيْلٍ ، وصرفَ عبدُ (٢) الله
ابنَ مَعْمَرٍ إلى فَارِسَ ؛ واستعملَ مكانه عُمَيْرَ بنَ عثمان ، واستعملَ
على خُرَاسَانَ أَمِيرَ بنَ أَحْمَرَ اليَشْكُرِيَّ ، واستعملَ على سجستانَ في سنة
أربعِ عمرانَ بن الفضلِ البُرْجُمِيِّ .

ذكر الزيادة في مسجد النبي

صلى الله عليه وسلم

وفي ^(١) سنة تسعٍ وعشرين أيضاً في شهر ربيع الأول ، زادَ عثمانُ رضى الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلَ طُولَه ستين ومائة ذراعٍ وعرضه خمسين ومائة ذراعٍ ، وجعلَ أبوابه على ما كانت أيامَ عمرَ ستّةَ أبوابٍ ، وبناه بالحجارة المنقوشة ، وجعلَ عمده من حجارةٍ فيها رصاصٌ . والله تعالى أعلمُ وهو حسبي .

ذكر اتمام عثمان الصلاة

وما تكلم الناس به في ذلك

وفي ^(٢) هذه السنة حجَّ عثمانُ رضى الله عنه بالناس ، وضرب فسطاطه يميني ، وهو أولُ فسطاطٍ ضربَ يميني ، وأنتم الصلاة بها وبعرفة ، فكان أولُ ما تكلم به الناس في عثمانَ ظاهراً حينَ أتمَّها ، فعاب عليه ذلك غيرُ واحدٍ من الصحابة ، وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضى الله عنه : ما حدث أمرٌ ، ولا قَدُمَ عهدٌ ، ولقد عهدتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكرٍ وعمرَ يُصلُّون ركعتين ، وأنتَ صدرَ من خلافتِكَ . فقال : رأيي رأيته .

وبلغ الخبرُ عبدَ الرحمن بنَ عوفٍ ، وكان معه ، فجاءه وقال : ألم تُصل في هذا المكان ركعتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٥١ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٥٣ .

وعُمَرَ ، وصَلَّيْتُهُمَا أَنْتَ ! قال : بلى ، ولكنِّي أَخْبِرْتُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ بَعْضَ مَنْ حَجَّ مِنَ الْيَمَنِ وَجُفَّاقَ النَّاسِ قَالُوا : إِنَّ الصَّلَاةَ لِلْمَقِيمِ رَكْعَتَانِ ، وَاحْتَجَّوْا بِصَلَاتِي ، وَقَدْ اتَّخَذْتُ بِمَكَّةَ أَهْلًا وَلِيَّ بِالطَّائِفِ مَالٌ .

أ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَا فِي هَذَا عُدْرٌ ، أَمَّا قَوْلُكَ : اتَّخَذْتُ بِهَا أَهْلًا ، فَإِنَّ زَوْجَكَ بِالْمَدِينَةِ تَخْرُجُ بِهَا إِذَا شِئْتَ ، وَإِنَّمَا تَسْكُنُ بُسْكُنَاكَ . وَأَمَّا مَالُكَ بِالطَّائِفِ فَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَسِيرَةُ ثَلَاثِ لَيَالٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ عَنْ حَاجِّ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَالْإِسْلَامُ قَلِيلٌ ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَصَلُّوا رَكْعَتَيْنِ ، وَقَدْ ضَرَبَ الْإِسْلَامُ بِجِرَائِهِ . فَقَالَ عَثْمَانُ : هَذَا رَأْيُ رَأْيَتِهِ .

وقيل : كَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

• • •

وَجَاءَتْ بِهَا أُنْتِ لَمْ تَكُنْ تَكُنْ وَجَاءَتْ
سنة ثلاثين

ذَكَرَ عَزَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ عَنِ الْكَوْفَةِ

وَوَلَايَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ (١) ، عَزَلَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ
عَنِ الْكَوْفَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ، وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ أَنَّ
أَهْلَ الْكَوْفَةِ نَسَبُوهُ أَنَّهُ يَشْرِبُ الْخُمْرَ ، وَذَكَرُوا ذَلِكَ الْعِثْمَانُ ، فَاسْتَدْعَاهُ
وَطَلَبَ مَنْ ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَنَشْهَدُونَ أَنَّهُ يَشْرِبُ الْخُمْرَ ؟ فَقَالُوا
لَا ، قَالَ فَكَيْفَ قُلْتُمْ عَنْهُ إِنَّهُ شَرِبَهَا ؟ فَقَالُوا اعْتَصَرْنَا مِنْ لِحْيَتِهِ ، وَهُوَ
يَقِي الْخَمِيرَ ، فَأَمَرَ بِجُلْدِهِ ، فَجُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
أَرْبَعِينَ .

وقيل : إِنَّ الْوَلِيدَ سَكِرَ وَصَلَّى بِأَهْلِ الصُّبْحِ أَرْبَعًا ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِمْ
وَقَالَ : أَزِيدُكُمْ ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : مَا زِلْنَا [مَعَكَ] (٢) فِي زِيَادَةِ مُنْذُ
الْيَوْمِ ، فَقَالَ الْحُطَيْثَةُ :

شَهِدَ الْحُطَيْثَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبُّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ (٣)
نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَأَزِيدُكُمْ ؟ سَكِرًا وَمَا يَذُرِي (٤)
فَأَبَوْا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ أَذْنُوا لَقَرْنْتَ بَيْنَ الشُّفْعِ وَالْوَتْرِ

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٥٢ ، الاستيعاب ١٥٥٢ .

(٢) من ص .

(٣) ديوانه ٨٥ .

(٤) للديوان : ثملا وما يذري .

وقال أيضاً :

نكَلَّمْ في الصَّلَاةِ وزَادَ فيها عِلَانِيَةً وجَاهَرَ بِالنَّفَاقِ^(١)
ومَجَّ الخمرَ في سَنَنِ المصلَّى ونَادَى والجميعُ إلى افتراقِ
أزِيدَكُم على أَن تَحْمَدُونِي فما لَكُم وما لي مِن خَلَاقٍ !
قالوا : ولَمَّا اسْتَعْمَلَ سَعِيدُ بْنُ العاصِ ، قال بعضُ شعرائِهِم :
فَرَرْتُ مِن الْوَلِيدِ إلى سَعِيدِ كَاهِلِ الحِجْرِ إِذْ جَزَعُوا قَبَارُوا^(٢)
يُلِينَا مِن قَرِيشٍ كُلِّ يَوْمٍ أَمِيرٌ مُحَدِّثٌ أَوْ مُسْتَشَارٌ
لَنَا نَارٌ نُخَوِّفُهَا فَنَخْشَى وَلَيْسَ لَهُمْ وَلَا يَخْشَوْنَ نَارُ

قال : واستعمل عثمانُ سَعِيدَ بْنَ العاصِ بنِ سَعِيدِ بْنِ العاصِ بنِ
أُمَيَّةٍ وهو والدُ عَمْرٍو بنِ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ ، فسارَ إلى الكوفةِ ومعه مَنْ كانَ
قد شَخَّصَ من أَهْلِ الكوفةِ مع الوليدِ ، فلَمَّا وَصَلَهَا صَعِدَ المنبرَ ، فحمدَ
اللهُ وَأَثْنَى عليه ثم قال : والله لقد بُعِثْتُ إِلَيْكُم وإِنِّي لَكَارَةٌ ، ولكنِّي
لم أَجِدْ بُدًّا إِذْ أُمِرْتُ أَن أَتَمِرَ . أَلَا إِنَّ الفِتْنَةَ قد أَطْلَعَتْ خَطْمَهَا
وعَيْنَيْهَا ، والله لأَضْرِبَنَّ وَجْهَهَا حَتَّى أَقْمَعَها أَوْ تُعَيِّنِي ، وإِنِّي لرائدُ
نَفْسِي اليَوْمَ . ونَزَلَ .

وسأَلَ عَن أَهْلِ الكوفةِ ، فعَرَفَ حَالَ أَهْلِهَا ، فكتبَ إلى عثمانَ :
إِنَّ أَهْلَ الكوفةِ قد اضطربَ أَمْرُهُمْ ، وغَلِبَ أَهْلُ الشرفِ منهم والبيوتاتِ
والسابقةِ ، والغالبُ على تلكِ البلادِ روادِفُ قَدِمَتِ ، وأعرابُ لَحَقَتْ
حتى لا يُنْظَرُ إلى ذِي شرفٍ ولا بَلَاءٍ من نازلتِها ولا نابتِها .

فكتبَ إليه عثمانُ : أَمَّا بعد ، ففضلُ أَهْلِ السَّابِقَةِ والقَدِيمَةِ ،

مِمَّنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ تِلْكَ الْبِلَادَ ، وَلِيَكُنْ مِنْ نَزْلِهَا غَيْرَهُمْ تَبَعًا لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا تَثَاقُلُوا عَنِ الْحَقِّ ، وَتَرَكُوا الْقِيَامَ بِهِ ، وَقَامَ بِهِ هَؤُلَاءِ . وَاحْفَظُوا لِكُلِّ مَنْزِلَتِهِ ، وَأَعْطِهِمْ جَمِيعًا بِقِسْطِهِمْ مِنَ الْحَقِّ ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِالنَّائِرِ بِهَا يُضَابِ الْعَذْلُ .

فَارْسَلَ سَعِيدٌ إِلَى أَهْلِ الْأَيَّامِ وَالْقَادِسِيَّةِ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ وَجْهُ النَّاسِ ، وَالْوَجْهُ يَنْبِئُ عَنِ الْجَسَدِ ، فَأَبْلِغُونَا حَاجَةَ ذِي الْحَاجَةِ . وَأَدْخَلَ مَعَهُمْ مَنْ يَحْتَمِلُ مِنَ اللَّوَاخِيقِ وَالرُّوَادِفِ ، وَجَعَلَ الْقُرَاءَ فِي سَمَرِهِ ، فَفَقَّشَتِ الْقَالَةُ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ .

فَكَتَبَ سَعِيدٌ إِلَى عَثْمَانَ بِذَلِكَ ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا كَتَبَ ، فَقَالُوا لَهُ : أَصَبْتَ لَا تُظْمِئَهُمْ ، هُمْ لَيْسُوا لَهُ بِأَهْلٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَهَضَ فِي الْأُمُورِ مَنْ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ لَهَا لَمْ يَحْتَمِلْهَا وَأَفْسَدَهَا .

فَقَالَ عَثْمَانُ : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، اسْتَعْدُّوا وَاسْتَمْسِكُوا ، فَقَدْ دَبَّتْ إِلَيْكُمْ الْفِتْنَةُ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْتَبُ .

ذكر جمع القرآن

كان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان قد توجه مدداً لعبد الرحمن ابن ربيعة لحصار الباب ، وكان مع سعيد بن العاص عامل الكوفة ، فخرج معه سعيد بن العاص حتى بلغ أذربيجان ، فأقام حتى عاد حذيفه ، فلما عادا ورجعا ، قال لسعيد بن العاص : لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً لئن نزل بالناس ليخترلن في القرآن ، ثم لا يقومون عليه أبداً .

قال : وما ذلك ؟ قال : رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد ، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك ، وأنهم قرءوا على ابن مسعود ، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك ، وأنهم قرءوا على أبي موسى ، ويسمون مصحفه ثباب القلوب .

فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك ، وحذرهم ما يخاف ، فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكثير من التابعين .

فتفاوض حذيفة ، وابن مسعود ، فغضب سعيد وقام ، وتفرق الناس وسار حذيفة إلى عثمان ، وأخبره بما رأى ، وقال : أنا النذير العريان ، فأذكرك الأمة .

فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر ، فأعظموه ، فأرسل إلى

حفصة بنت عمر رضي الله عنهما : أن أرسلني إلينا بالصُّحُفِ لننسخها
وكانت هذه الصُّحُفُ هي التي كُتِبَتْ في أيام أبي بكر رضي الله عنه ،
وكانت عنده ثم عند عمر ، ثم كانت عند حفصة ، فأخذها عثمان
منها ، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وابن عباس
وسعيد بن العاص وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف .

وقال عثمان : إن اختلفتم فاكتبوا بِلغة قُرَيْش ؛ فإنما نزل بلسانها .

قال زيد : فجعلنا نكتب ؛ فإذا اختلفنا في شيء جمعنا أمرنا
على رأي واحد ، فاختلفنا في التَّابُوتِ ، فقلت : التَّابُوتُ . وقال النفرُ
الْقُرَشِيُّونَ التَّابُوتُ . فَأَبَيْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ ، وَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيَّ
فَرَفَعْنَا ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ ، فَقَالَ : اكْتُبُوا التَّابُوتَ .

قال زيد : وذكرت آية كنت سمعتها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم أجدها عند أحد حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت
الأنصاري وهي : (ائذ جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم * فإن تولَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ
لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (١) .

قال : وكُتِبَتْ أَرْبَعُ نَسَخٍ ، فَبِعِثَ نَسْخَةٌ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأُخْرَى
إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَأُخْرَى إِلَى الشَّامِ ، وَأَمْسَكَ وَاحِدَةً لِنَفْسِهِ ، وَأَعَادَ
الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ ، وَأَمَرَ أَنْ يُحَرَّقَ مَا سِوَى ذَلِكَ .

وقيل : إنَّ النُّسخَ كانتَ سبعةً ، وأَنَّهُ وَجَّهَ دُسخَةً إلى مَكَّةَ ،
وأخرى إلى اليَمَنَ ، وأخرى إلى البَحْرَيْنِ ، والأوَّلُ أَصَحُّ .

قال : فعرفَ النَّاسُ فَضْلَ عِثْمَانَ إِلاَّ أَهْلَ الكُوفَةِ ، فَإِنَّ المِصْحَفَ
لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ فَرِحَ بِهِ الصُّحَابَةُ ، وَامْتَنَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَمَنْ
وَافَقَهُمْ . فقام ابن مسعود . فيهم فقال : ولا كلَّ ذلك ، فإنكم قد سبقتُم
سبَقًا بَيْنًا ، فاربَعُوا على ظَلَعِكُمْ .

ولَمَّا قَدِمَ على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أَهْلِ الكُوفَةِ ، قام إِلَيْهِ رَجُلٌ ، وعاب
عِثْمَانَ بِجَمْعِهِ النَّاسَ على الصُّحُفِ ، فنَهاه ، وقال : لو وَايَتَ مِنْهُ ما وَلَّى
عِثْمَانُ سَلَكْتَ سَبِيلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وفيها زاد عِثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّدَاءَ الثَّالِثَ يَوْمَ الجُمُعَةِ على
الزُّوْرَاءِ ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

ذِكْرُ سَقُوطِ خَاتَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وفيها سقط خَاتَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَدِ عِثْمَانَ فِي بَيْتِ أَرِيْسَ
وهي على مِيلَيْنِ مِنَ المَدِينَةِ ، وَكَانَتْ قَلِيلَةَ المَاءِ ، فَمَا أَذْرَكَ قَعْرُهَا بَعْدُ ،
ولَمَّا سَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، نَزَحُوا مَا فِيهَا مِنَ المَاءِ فَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَرِيْسَ مِنْهُ :
صَنَعَ خَاتَمًا آخَرَ على مِثَالِهِ وَنَقَشِهِ ، فَكَانَ فِي إِصْبَعِهِ حَتَّى قُتِلَ .

وقيل : إِنَّهُ نَقَشَ عَلَيْهِ : « آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَ فَسَوَى » .

وقيل : كَانَ عَلَيْهِ « لَتُنْصَرُنَّ أَوْ لَتَنْدُمُنَّ » ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر خبر أبي ذر الغفاري في اخراجه الى الربرة

وما تكلم الناس به في ذلك ووفاة أبي ذر رضى الله عنه

وفي (١) سنة ثلاثين أخرج عثمان رضى الله عنه أبا ذر الغفاري ،
وأسمه جندب بن جنادة .

وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة ، منها ما أورده أبو أحمد
يحيى بن جابر البلاذري ، في كتاب « جمل أنساب الأشراف »
وغیره .

قال البلاذري : لما أعطى عثمان رضى الله عنه مروان بن الحكم
ما أعطاه ، وأعطى الجارث بن الحكم بن أبي العاص - وهو أخو مروان -
ثلاثمائة ألف درهم ، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف
درهم ، جعل أبو ذر يقول : بشر الكافرين بعذاب ألیم : ويتلو
قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ .. ﴾ (٢) الآية .

فرفع مروان ذلك إلى عثمان ، فأرسل إلى أبي ذر : أن أنته عما يبلغني
عندك ، فقال : أينتهاني عثمان عن قراءة كتاب الله : وعيب من ترك أمر
الله ! فوالله لأن أَرْضِيَ الله بسخط عثمان أحب إلي من أن أسخط الله
برضاه ، فأغضب ذلك عثمان ، وصبر وكف عنه ، ثم قال
عثمان يوماً : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال ، فإذا أيسر قضي ؟ فقال

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٥٦ وما بعدها .

(٢) سورة التوبة ٣٤ .

كعبُ الأَجْبَارِ : لا بأس بذلك . فقال أبو ذَرٍّ : يابُنَ اليهوديين
 اتعلمنا ديننا ! فقال عثمان : ما أكثر ذاك لي وأولئك بأصحابي !
 الحق بمكتبك ، وكان مكتبه بالشَّام ، إلا أنه كان يقدمُ حاجاً ،
 ويسألُ عثمانَ الإِذْنَ له في مُجاوِرةِ قبرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .
 فبيَّأَ له في ذلك .

وقيل : إنه إنما صار إلى الشامَ لأنَّه [رأى البناء قد بلغ
 سلماً ، فقال لعثمان : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 « إذا بلغ انبياء [سلماً] ^(١) فالهَرَب » ، فأذن لي آتِيَ الشَّامَ
 فأغزو هناك . فأذن له ، فكان أبو ذَرٍّ يُنْكِرُ على معاويةَ أشياء يفعلها ،
 فبعثَ إليه معاويةَ ثلثمائة دينارٍ ، فقال : إن كانت صلة فلا حاجة لي
 فيها . وبني معاويةَ الخُضراءَ بدمشقَ ، فقال : يا معاويةُ ، إن كانت
 هذه من مالِ الله فهي الخيانةُ ، وإن كانت من مالِكَ فهي الإسرافُ ،
 فسكتَ معاويةُ .

وكان أبو ذَرٍّ يقول : والله لقد حَدَّثْتُ أَعْمالُ ما أَعْرِفُها ، والله
 ما هي في كتابِ الله ، ولا سنَّةِ نبيِّه ، والله إنِّي لأرى حقاً يُطْمَأُ ،
 وباطلاً يَحْيَا ، وصادقاً مَكْذَباً ، وأثرةَ بغيرِ تُقَى .

فقال حبيبُ بنُ مسلمة لمعاويةَ : إن أبا ذَرٍّ مُفْسِدٌ عليك الشَّامَ ،
 فتداركْ أهله إن كانت لك بهم حاجةُ .

فكتبَ معاويةُ إلى عثمانَ ، فكتبَ إليه عثمانُ :

أما بعدُ ، فأحيلَ جُنْدباً إلى عليٍّ أغاظَ مَرْكَبَ وأوعرِه .

فوجّه معاويةً مع أبي ذرٍّ من سار معه الليل والنهار ، فلَمَّا قَدِمَ
المدينةَ جعلَ يقولُ : [نستعمل] ^(١) الصُّبيان ، وتَحِيَّ الحِمَى ،
وتُقَرِّبُ أولادَ الطُّلقاء !

فبعثَ إليه عثمانُ : الحقَّ بآي أرضٍ شِئْتَ . فقال : بمكة ؟ فقال :
لا ، قال : فبيت المقدس ؟ قال : لا ، فبأحد المضمرين ؟ قال :
لا ، قال : ولكني مسيرك إلى الرَبَذة ، فسيرَه إليها ، فلم يزل بها حتى
مات .

وذكرَ البلاذُري فيما حكاه كلاماً كثيراً ، وقَعَ بين عثمانَ بن عفَّان
وعلى بن أبي طالبٍ رضى الله عنهما بسبب ذلك أغضيتاً عن ذكرِهِ
وحكى أَنَّ أبا ذرٍّ بلغه أَنَّ معاويةً يقول : إِنَّ المَالَ مالُ اللهِ ، أَلَا
إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فَللِهِ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَحْتَجِبَهُ دُونَ الناسِ ، ويمحوَ اسمَ
المسلمين : فَأَتَاهُ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَسْمِيَ مَالَ الْمُسْلِمِينَ .
مَالَ اللهِ ! فَقَالَ : يَرْحَمُكَ اللهُ يَا أَبَا ذَرٍّ ! أَلَسْنَا عِبَادَ اللهِ ، وَالْمَالُ مَالُهُ ،
قَالَ : فَلَا تَقُلْهُ ، قَالَ : سَأَقُولُ مَالَ الْمُسْلِمِينَ .

وكان أبو ذرٍّ يذهبُ إلى أَنَّ المُسْلِمَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي مِلْكِهِ
أَكْثَرُ مِنْ قُوْتِ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ إِلَّا شَيْءٌ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ يُعِدَّهُ لَغَرِيمٍ ،
وَيَأْخُذُ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ اللهِ ...) ^(٢) الآية ، وكان يقومُ بالشامِ ويقولُ : يَا مَعْشَرَ

(١) من ص .

(٢) سورة التوبة ٣٤ .

الْأَغْنِيَاءَ ، وَأُسُوا الْفُقَرَاءَ ، بَشَرُوا الَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَكَارٍ مِنْ نَارٍ تُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ . فَمَا زَالَ حَتَّى وَلَعَ الْفُقَرَاءُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَأَوْجَبُوهُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ .

وَشَكَا الْأَغْنِيَاءُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْهُمْ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي جُنْحِ اللَّيْلِ ، فَأَنْفَقَهَا ، فَلَمَّا صَلَّى مُعَاوِيَةُ الصُّبْحَ دَعَا مُعَاوِيَةَ رَسُولَهُ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ ، فَقُلْ لَهُ : أَنْقِذْ جَسَدِي مِنْ عَذَابِ مُعَاوِيَةَ ، فَإِنَّهُ أَرْسَلَنِي إِلَى غَيْرِكَ ، وَأَنْتَ أَخْطَأْتُ بِكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ : يَا بُنَيَّ ، قُلْ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أَصْبَحَ عِنْدَنَا مِنْ دَنَانِيرِكَ دِينَارًا ، وَلَكِنْ أَخَّرْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى نَجْمَعَهَا .

فَلَمَّا رَأَى مُعَاوِيَةُ أَنَّ فِعْلَهُ صَدَقَ قَوْلَهُ كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ : إِنَّ أَبَا ذَرٍّ قَدْ ضَيَّقَ عَلَيَّ ، وَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا : الَّذِي يَقُولُهُ الْفُقَرَاءُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ : إِنَّ الْفِتْنَةَ قَدْ أَخْرَجْتَ خَطْمَهَا وَعَيْنَيْهَا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَذِيبَ ، فَلَا تَنْكِحِ الْقَرْحَ ، وَجَهِّزْ أَبَا ذَرٍّ ، وَابْعَثْ مَعَهُ دَلِيلًا ، وَكَفِّفِ النَّاسَ وَنَفْسَكَ مَا اسْتَطَعْتَ .

فَبَعَثَ لَهُ بِأَبِي ذَرٍّ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَرَأَى الْمَجَالِسَ فِي أَصْلِ جَبَلِ سَلْعٍ قَالَ ، بَشَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِغَارَةِ شَعْوَاءَ ، وَحَرْبٍ مِذْكَارٍ^(١) وَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ : مَا بَالُ أَهْلِ الشَّامِ يَشْكُونَ ذَرْبَ^(٢)

(١) مذكارة : قوية .

(٢) ذرب اللسان : حديثه .

لسانِكَ ؟ فَأَجَبَهُ . فقال : يا أبا ذَرٍّ ، عَلَى أَنْ أَقْضِيَ مَا عَلَى ، وَأَنْ
أَدْعُو الرِّعْيَةَ إِلَى الْاجْتِهَادِ وَالْاِقْتِصَادِ ، وَمَا عَلَى أَنْ أَجْبُرَهُمْ عَلَى الزُّهْدِ .
فقال أَبُو ذَرٍّ : لَا تَرْضَوْا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ حَتَّى يَبْذُلُوا الْمَعْرُوفَ ،
وَيُحْسِنُوا إِلَى الْجِيرَانِ وَالْإِخْوَانِ ، وَيَصِلُوا الْقَرَابَاتِ ^(١) ، فقال :
كَعْبُ الْأَخْبَارِ - وَكَانَ حَاضِرًا : مَنْ أَدْنَى الْفَرِيضَةِ فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ ،
فَضْرَبَهُ أَبُو ذَرٍّ فَشَجَّهُ ، وقال : يَا بَنِي الْيَهُودِيَّةِ ، مَا أَنْتَ وَمَا هَاهُنَا !
فَاسْتَوْهَبَ عُمَانُ كَعْبًا شَجَّتَهُ ، فَوَهَبَهُ ، فقال أَبُو ذَرٍّ لِعُمَانِ :
تَأْذَنُ لِي فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ ؟ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَمَرَنِي بِالْخُرُوجِ مِنْهَا إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءُ سَلْعًا ؟ فَأَذِنَ لَهُ ، فَبَلَغَ الرِّبْدَةَ ^(٢) ،
وَبَنَى بِهَا مَسْجِدًا ، وَأَقْطَعَهُ عُمَانُ صِرْمَةً ^(٣) مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَاهُ مَمْلُوكَيْنِ ،
وَأَجْرَى عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَطَاءً ، وَكَذَلِكَ أَجْرَى عَلَى رَافِعِ بْنِ حُدَيْجٍ ،
وَكَانَ قَدْ خَرَجَ أَيْضًا مِنَ الْمَدِينَةِ لَشَيْءٍ سَمِعَهُ .

قال : وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَتَعَاهَدُ الْمَدِينَةَ مَخَافَةً أَنْ يَعُودَ أَعْرَابِيًّا ، وَأَخْرَجَ
مَعَاوِيَةَ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ، فَخَرَجُوا وَمَعَهُمْ جِرَابٌ يَثْقِيلُ يَدَ الرَّجُلِ ، فقال :
انْظُرُوا إِلَى هَذَا الَّذِي يُزْهَدُ فِي الدُّنْيَا مَا عِنْدَهُ ؟ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : وَاللَّهِ
مَا هُوَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ وَلَكِنَّهَا فُلُوسٌ كَانَتْ إِذَا خَرَجَ عَطَاوُهُ ابْتِاعَ مِنْهُ
فُلُوسًا ^(٤) لِحَوَائِجِنَا .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدِهِ إِلَى زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ ،
قال : مَرَرْتُ بِالرِّبْدَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ :

(١) لَكِ : « الْقَرَابَةُ » . (٢) لَكِ : « فَتَزِلُ الرِّبْدَةُ » .

(٣) الصِّرْمَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ مَا بَيْنَ الْعَشْرَيْنِ إِلَى الثَّلَاثَيْنِ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَلَعَلَّهَا : « فُلُوسًا » .

ما أُنزِلَكَ مَنزِلَكَ هذا ؟ قال : كنتُ في الشَّامِ ، فاختلفتُ أنا ومعاوية [في الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قال معاوية : نزلتُ في أهل الكتابِ ، فقلتُ : نزلتُ فينا وفيهم ، فكان بيني وبينه في ذلك [كلام] ^(١) ، وكُتِبَ إلى عثمانَ رضى الله عنه يشكُّونى ، فكتبَ إلى عثمانَ أن اقدم المدينة ، فقدمتها ، فكثُرَ على النَّاسِ حَتَّى كَانَتْهُمْ لَمْ يَرَوْنى قَبْلَ ذَلِكَ ، فذكرتُ ذلك لعُثمانَ رضى الله عنه فقال لى : إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ فَكُنْتُ قَرِيبًا ؛ فَذَلِكَ الَّذِى أُنزِلْنِى هَذَا الْمَنْزَلَ ، وَلَوْ أَمَرُوا عَلَى حَبَشِيًّا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ .

وَأَقَامَ أَبُو ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ ، فَمَاتَ بِهَا رضى الله عنه ، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنَتِهِ : اسْتَشْرِفِى يَا بُنَيَّةُ ، هَلْ تَرَيْنَ أَحَدًا ؟ قَالَتْ : لَا ، قَالَ : فَمَا جَاءَتْ سَاعَتِي بَعْدُ ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَذَبَحَتْ شَاةً ثُمَّ طَبَخَتْهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يَذْفُقُونَنِى - فَإِنَّهُ سَيَشْهَدُنِى قَوْمٌ صَالِحُونَ - فَقَوْلَى لَهُمْ : يُقْسِمُ عَلَيْكُمْ أَبُو ذَرٍّ أَلَّا تَرْكَبُوا حَتَّى تَأْكُلُوا ؛ فَلَمَّا نَضِجَتْ قَدَرُهَا قَالَ لَهَا : انظُرْى ، هَلْ تَرَيْنَ أَحَدًا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، هَؤُلَاءِ رَكَبُ . قَالَ : اسْتَقْبِلِى الْكَعْبَةَ ، فَفَعَلْتُ . فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَبِاللَّهِ ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاتَ . فَخَرَجَتْ ابْنَتُهُ ، فَتَلَقَّتْهُمْ ^(٢) وَقَالَتْ : رَحِمَكُمُ اللَّهُ ،

(١) من ص .

(٢) ص : « فَلَقِيَتْهُمْ » .

أَشْهَدُوا أَبَا ذَرٍّ قَالُوا : وَأَيْنَ هُوَ ؟ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، قَالُوا : نَعَمْ ،
وَنِعْمَةً عَيْنٌ ، لَقَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ .

وَكَانَ فِيهِمْ ابْنُ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَبَكَى ، وَقَالَ : صَدَقَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ « يَمُوتُ وَخَذَهُ ، وَيُبْعَثُ وَخَذَهُ » .

فَنَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ ، وَصَلُّوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ ، فَقَالَتْ لَهُمْ ابْنَتُهُ :
إِنَّ أَبَا ذَرٍّ يَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ ، وَأَقْسَمَ أَلَّا تَرَكَبُوا حَتَّى تَأْكُلُوا ،
فَفَعَلُوا ، وَحَمَلُوا أَهْلَهُ مَعَهُمْ حَتَّى أَقْدَمُوهُمْ مَكَّةَ ، وَنَعَوْهُ إِلَى عُمَانَ ، فَضَمَّ
ابْنَتَهُ إِلَى عِيَالِهِ .

وَقِيلَ : كَانَتْ وَفَاتَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ .

وَقِيلَ : إِنَّ ابْنَ سَعْدٍ لَمْ يَحْمِلْ أَهْلَ أَبِي ذَرٍّ مَعَهُ ، إِنَّمَا تَرَكَهُمْ
حَتَّى قَدِمَ عَلَى عُمَانَ بِمَكَّةَ فَأَعْلَمَهُ بِمَوْتِهِ ، فَجَعَلَ عُمَانُ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ ،
فَحَمَلَهُمْ مَعَهُ .

سنة احدى وثلاثين

فيها حجَّ عثمان رضى الله عنه بالناس .

وفيها مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وصخر ابن حرب ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

سنة اثنتين وثلاثين

في هذه السنة مات العباس بن عبد المطلب ، وكان قد كفَّ بصره ، وله من العمر ثمان وثمانون سنة .

ومات عبد الله بن مسعود ، وصلى عليه عمار بن ياسر ، وقيل : عثمان .

وتوفى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذى أرى أمر الأذان .

وتوفى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر وفاة عبد الرحمن بن عوف

وشيء من أخباره ونسبه

هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري .

وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، وقيل : عبد الكعبة ، فسماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة .

وُلِدَ بعد عام الفيل بعشر سنين ، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وكان من المهاجرين الأولين ، جمع
الهجرتين جميعاً ؛ إلى أرض الحبشة ، ثم قدم قبل الهجرة مهاجراً^(١)
إلى المدينة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة
الذين جعل عمر رضي الله عنه الشورى فيهم .

وشهد عبد الرحمن بذراً ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل ،
وعمته بيده ، وأسدلها بين كتفيه ، وقال له : **سِرْ بِاسْمِ اللَّهِ** ،
وأوصاه بوصايا الأمراء ، ثم قال : **إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَتَزَوَّجْ بِنْتَ**
مَلِكِهِمْ أَوْ شَرِيفِهِمْ .

وكان الأصبغ بن ثعلبة بن ضمضم الكلبي شريفهم ، فتزوج
عبد الرحمن ابنته تماضر بنت الأصبغ ، فهي أم أبي سلمة الفقيه

(١) ك ه ثم قدم قبل الهجرة ومهاجر إلى المدينة .

ابن عبد الرحمن ، وكان له من الولد سالم الأكبر ، مات قبل الإسلام ، وإبراهيم ، وحُميد ، وإسماعيل ، وعُرْوَة قُتِلَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وسالم الأصغر ، وأبو بكر ، وعبد الله الأكبر قُتِلَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، والقاسم ، وعبد الله الأصغر ، هو أبو سَلَمَةَ الفقيه ، وعبد الرحمن بن عبد الرحمن ، ومصعب ، وعثمان ، ومحمد ، [ومَعْن] ^(١) وزيد ، وأم القاسم وُلِدَتْ فِي الجاهلية ، وجُوَيْرِيَّةَ ، وهم لِأُمّهَاتِ أولادِ شَتَّى ذَكَرَهُنَّ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ .

ولعبد الرحمن بن عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فضائلٌ كثيرةٌ ، ومناقبٌ جَمَّةٌ ؛ مِنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى خَلْفَهُ فِي سَفَرٍ . وَرَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَنَّهُ قَالَ : « عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ » .

وقال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَمِينٌ فِي السَّمَاءِ ، وَأَمِينٌ فِي الْأَرْضِ » .

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً طويلاً ، أَجْنَأً ^(٢) ، أبيضَ مُشْرِباً بِخُمْرَةٍ ، حَسَنَ الْوَجْهِ ، رَقِيقَ الْبَشَرَةِ ، لَا يَغْيِرُ لِحْيَتَهُ وَلَا رَأْسَهُ .

وَرَوَى عَنْ سِهْلَةَ بِنْتِ عَاصِمٍ زَوْجَتِهِ قَالَتْ : كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أبيضَ أَعْيَنَ ^(٣) ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ ^(٤) ، أَقْنَى ^(٥) ، طَوِيلَ النَّابِئِينَ

(١) من ص .

(٢) رجل أجنأ : أشرف كاهله على صدره .

(٣) أعين : واسع العين .

(٤) الشفر : أصل منبت العين في الجفن .

(٥) قنا الأنف : ارتفاع أعلاه واحديداب وسطه .

الْأَعْلَيْنِ ، وَرُبَّمَا أَدْمِيًا شَفَتَهُ ، لَهُ جُمَّةٌ ^(١) ، ضَخَمَ الْكَفَّيْنِ ،
غَلِظَ الْأَصْبَاعَ ، جُرْحَ [يَوْمَ أَحَدٍ] ^(٢) . إِحْدَى وَعَشْرِينَ جِرَاحَةً ،
وَجُرْحَ فِي رِجْلِهِ ، فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْهَا .

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ^(٣) : كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ تَاجِرًا مَجْدُودًا ^(٤)
فِي التَّجَارَةِ وَكَسَبَ مَالًا كَثِيرًا ، وَخَلَّفَ أَلْفَ بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةَ آلَافِ شَاةٍ ،
وَمِائَةَ فَرَسٍ تَرَعَى بِالْبَقِيعِ ، وَكَانَ يَزْرَعُ بِالْجُرْفِ عَلَى عَشْرِينَ نَاضِحًا ^(٥)
فَكَانَ يَأْخُذُ مِنْ ذَلِكَ قُوَّةَ أَهْلِهِ سَنَةً ، وَخَلَّفَ مَالًا كَثِيرًا جَدًّا .

رَوَى عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
عَوْفٍ قَالَ : صَالَحُنَا امْرَأَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ النَّبْطِيَّةُ طَلَّقَهَا فِي مَرَضِهِ
عَنْ ثُلُثِ الثَّمَنِ ، بِثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا .

وَرَوَى غَيْرُهُ أَنَّهَا صَوْلَحَتْ بِذَلِكَ عَلَى رُبْعِ الثَّمَنِ مِنْ مِيرَاثِهِ .

وَحَكَى ابْنُ الْأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ الْكَامِلِ : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْصَى لِكُلِّ رَجُلٍ بَقِيَ مِنْ أَهْلِي بَدْرِ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَكَانَ
عُدَّتُهُمْ يَوْمَئِذٍ مِائَةُ رَجُلٍ ، وَقَسَمَ مَالَهُ عَلَى سِتَّةٍ عَشَرَ سَهْمًا ، فَكَانَ
كُلُّ سَهْمٍ ثَمَانِينَ وَأَلْفَ دِينَارٍ .

وَقَالَ أَبُو عَمَرَ : وَرَوَى أَنَّهُ أَجْتَنَى فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلَاثِينَ هَبْدًا . وَلَمَّا
حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَكَى بِكَاءٍ شَدِيدًا ، فَسُئِلَ عَنْ بُكَائِهِ فَقَالَ : إِنَّ مَصْعَبَ

(١) الجمة : مجتمع الشعر .

(٢) من ص .

(٣) الاستيعاب ٨٤٧ وما بعدها .

(٤) مجنودا : محظوظا .

(٥) الناضح : البعير يمتحن عليه .

ابن عُمَيْرٍ كَانَ خَيْرًا مِنِّي ، تُوَفِّيَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَكْفُنْ فِيهِ ، وَإِنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ كَانَ خَيْرًا مِنِّي لَمْ نَجِدْ لَهُ كَفَنًا ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ عُجِّلَتْ لَهُ طَبَائِئُهُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا ، أَوْ أَخَافُ أَنْ أُحْتَبَسَ ^(١) عَنْ أَصْحَابِي بِكَثْرَةِ مَالِي .
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا الْمَالَ الَّذِي اكْتَسَبَهُ كَانَ بِبِرْكَةِ دَعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ . فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

وَقِيلَ : فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ ، وَصَلَّى عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ بِوَصِيَّةٍ مِنْهُ ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ .

وَاخْتُلِفَ فِي مَبْلَغِ سَنَةِ ، فَقِيلَ : تُوَفِّيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، وَقِيلَ : اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَقِيلَ : ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سنة احدى وثلاثين

ذكر خبر من سار من أهل الكوفة إلى الشام وما كان من أمرهم

في (١) هذه السنة سیر عثمان رضي الله عنه نفرًا من أهل الكوفة إلى الشام ، وكان سبب ذلك أن سعيد بن العاص لما ولّاه عثمان الكوفة اختار وجوه الناس ، وأهل القادسية ، وقراء أهل الكوفة ، فكان هؤلاء يدخلون عليه في منزله ، وإذا خرج فكل الناس يدخلون عليه ، فدخلوا عليه يوماً ، فبينما هم يتحدثون ، قال حُبَيْش ابن فلان : ما أجود طلحة بن عبيد الله ! فقال سعيد : إن من له مثل (٢) النشاستج لتحقيق أن يكون جواداً ، والله لو كان لي مثله لأعاشكم الله [به] (٣) عيشاً رغداً .

فقال عبد الرحمن بن حُبَيْش ، وهو حدث : والله لو ددت أن هذا الباطل لك ، وهو ما كان للأكاسرة على جانب الفرات الذي يلي الكوفة ، فقالوا : فض الله فاك ، والله لقد هممنا بك ، فقال أبوه : غلام فلا تتجاوزوه ، فقالوا : يتمنى سوادنا ، ويتمنى لكم أضعافه . فثار به الأشرُّ وجندب وابن ذى الحنكة (٤) ، وصغصعة ، وابن الكواء ، وكميل ، وعُمير بن ضائق ، فأخذوه ، فثار أبوه ليمنع عنه ،

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ : ٦٩ ، وتاريخ الطبري ٤ : ٣١٧ - ٣٢٩ ، وفيها

ذكر هذا الخبر في حوادث سنة ٣٣

(٢) من ص .

(٣) ك : « الحيلة » .

فَصَرَبُوهُمَا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ سَعِيدٌ يُنَاشِدُهُمْ وَيُابِتُونَ ، حَتَّى قَضَوْا مِنْهُمَا وَطَرًا ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ بَنُو أَسَدٍ ، فَجَاعُوا ، وَفِيمَ طَلِيحَةٍ ، فَحَاطُوا بِالْقَصْرِ ، وَرَكِبَتْ الْقَبَائِلُ فَعَاذُوا بِسَعِيدٍ ، فَخَرَجَ سَعِيدٌ إِلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، قَوْمُ تَنَازَعُوا ، وَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ . فَرَدَّهُمْ ، فَتَرَجَعُوا . وَأَفَاقَ الرِّجَالُ ، فَقَالَا : قَاتَلْنَا غَاشِيَتَكَ ، فَقَالَ : لَا يَغْتُشُونِي أَبَدًا ، فَكُفَّا أَلَسْتُمْ كَمَا وَلَا تَجَرُّنَا النَّاسُ ، فَمَعَلَا ، وَقَعَدَ أَوْلَاكَ النَّفَرُ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا يَقَعُونَ فِي عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقيل : بل كان السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَسْمُرُ عِنْدَ سَعِيدٍ وَجُوهُ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، مِنْهُمْ : مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَنِيُّ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدٍ وَعَلْقَمَةُ ابْنِ قَيْسِ النَّخَعِيِّانِ ، وَمَالِكُ بْنُ الْأَشْتَرِ ، غَيْرِهِمْ .

فَقَالَ سَعِيدٌ : إِنَّمَا هَذَا السَّوَادُ بُسْتَانُ قَرِيشٍ ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ : تَزْعُمُ أَنَّ السَّوَادَ الَّذِي أَفَاءَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا بُسْتَانُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ، وَتَكَلِّمُ الْقَوْمَ مَعَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَسَدِيُّ ، وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ سَعِيدٍ : أَتَرَدُونَ عَلَى الْأَمِيرِ مَقَالَتَهُ ، وَأَغْلَظَ لَهُمْ ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ : مَنْ هَاهُنَا لَا يَفُوتُنْكُمْ الرَّجُلُ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَوَطَّئُوهُ وَطْنًا شَدِيدًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَرُّوا بِرِجْلِهِ فَنَضَّحَ بِمَاءٍ فَأَفَاقَ ، وَقَالَ : قَتَلَنِي مَنْ انْتَخَبْتُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَسْمُرُ عِنْدِي أَحَدٌ أَبَدًا ، فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ يَشْتُمُونَ عِثْمَانَ وَسَعِيدًا ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ حَتَّى كَثُرُوا .

فَكَتَبَ سَعِيدٌ وَأَشْرَفُ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى عِثْمَانَ فِي إِخْرَاجِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يُلْجِقُوهُمْ بِمُعَاوِيَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : إِنَّ نَفَرًا قَدْ خُلِقُوا

لِلْفِتْنَةِ ، فَقُمَ عَلَيْهِمْ وَانْهَهُم ، فَإِنْ آنَسَتْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَأَقْبَلَ
[مِنْهُمْ] ^(١) وَإِنْ أَعْيَاكَ فَارِدْهُمْ ^(٢) عَلَى .

فلَمَّا قَدَمُوا عَلَى معاوية أنزلهم كنيسة مَرِيَمَ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ مَا كَانَ
عَلَيْهِمْ بِالْعِرَاقِ بِأَمْرِ عِثْمَانَ وَكَانَ يَتَغَدَّى وَيَتَعَتَّى مَعَهُمْ .

فَقَالَ لَهُمْ يَوْمًا : إِنْ كُنْتُمْ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ لَكُمْ أَسْنَانٌ وَأَلْسِنَةٌ ، وَقَدْ أَدْرَكْتُمْ
بِالْإِسْلَامِ شَرْفًا ، وَغَلِبْتُمْ الْأُمَمَ ، وَخُزْتُمْ مَرَاتِبَهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ ، وَقَدْ
بَلَغْتَنِي أَنَّكُمْ نَقِمْتُمْ قَرِيشًا ، وَلَوْلَمْ نَكُنْ قَرِيشٌ كُنْتُمْ أَذِلَّةً ، إِنْ أُيْمِتْكُمْ
لَكُمْ جَنَّةٌ ، فَلَا تَفْتَرُقُوا عَنْ جَنَّاتِكُمْ ، وَإِنْ أُيْمِتْكُمْ يَصْبُرُونَ ^(٣) لَكُمْ عَلَى
الْجَوْرِ ، وَيَحْمِلُونَ عَنْكُمْ الْمَثُونَ ، وَاللَّهِ لَنَنْتَهِنَّ أَوْلَيْبَتِلَيْنَا اللَّهُ بِمَنْ
يُسْؤِمُكُمْ وَلَا يَحْمَدُكُمْ عَلَى الصَّبْرِ ، ثُمَّ تَكُونُونَ شُرَكَاءَهُمْ فِي مَا
جَرَرْتُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي حَيَاتِكُمْ وَبَعْدَ وَفَاتِكُمْ .

فَقَالَ صَعْصَعَةٌ : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَرِيشٍ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ
النَّاسِ ، وَلَا أَرْفَقَهَا ، وَلَا أَمْنَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَخَوَّفْنَا ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ
مِنَ الْجَنَّةِ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ إِنْ اخْتُرِقَتْ خُلِصَ إِلَيْنَا .

فَقَالَ معاوية : عَرَفْتُمْ الْآنَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَغْرَاكُمْ عَلَى هَذَا قِلَّةُ
الْعُقُولِ ، وَأَنْتَ خَطِيبُهُمْ ، وَلَا أَرَى لَكَ عَقْلًا ، أَعْظَمَ عَلَيْكَ أَمْرَ الْإِسْلَامِ
وَتَذَكَّرَنِي الْجَاهِلِيَّةُ ! أَخْزَى اللَّهُ قَوْمًا أَعْظَمُوا أَمْرَكُمْ .

افْقَهُوا عَنِّي - وَلَا أَظُنُّكُمْ تَفْقَهُونَ - أَنْ قَرِيشًا لَمْ تَعَزَّ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا

(١) مِنْ ص .

(٢) ك : ه فَرَدَّهُمْ . .

(٣) ك : ه يَصْرُونَ . .

إسلام إلا بالله تعالى ، لم تكن بأكثر العرب ولا بأشدهم ؛ ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً ، وأمحصهم أنساباً ، وأكملهم مروءةً ، ولم يمتنعوا في جاهلية - والناس بأكل بعضهم بعضاً - إلا بالله ، فبؤاهم^(١) حرماً آمناً ، يتخطف الناس من حولهم ، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً ، إلا وقد أصابه الدهر في بليده وحرمته ؛ إلا ما كان من قريش ؛ فإنهم لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل ؛ حتى أراد الله أن يستنقذ من أكرم ، واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرّة الآخرة ، فارتضى لذلك خير خلقه ، ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشاً ، ثم بنى هذا الملك عليهم ، وجعل هذه الخلافة فيهم ، فلا يصلح ذلك إلا عليهم ، فكان الله تعالى يحوطهم في الجاهلية ، وهم على كفرهم ، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه ! أف لك ولأصحابك !

أما أنت يا صغصعة ، فإن قريتك شر القرى ، أنتننا نبئنا ، وأعماقها واديا ، وأعرفها بالشر والأمها ، الأم العرب ألقاباً وأصهارا ، نزاع الأمم ، وأنتم جيران الخط ، وفعلة فارس ، حتى أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم . فانت شر قومك ، حتى إذا أبرزك^(٢) الإسلام وخلطك بالناس^(٣) أقبلت تبغى دين الله عوجاً ، وتنزع إلى الدلة ، ولا يضر ذلك قريشاً ، ولا يضعهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم ، إن الشيطان عنكم غير غافل ، قد عرفكم بالشر فأغرى بكم الناس

(١) ك : و ماوهم .

(٢) ك : و أندرك .

(٣) ك : و بالإسلام .

وهو صارِعُكُمْ ، ولا تُدرِكون بالشر أمراً أبداً ؛ إلا فُتِحَ اللهُ عليكم شراً منه وأخرى .

ثم قام وتركهم : فتقاصرت إليهم أنفسهم .

فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال : إلى قد أذنتُ فاذهبوا ^(١) حيثُ شئتم : لا ينفعُ اللهُ بكم أحداً أبداً ولا يضرهُ ، ولا أنتم برجالٍ منفعةٌ ولا مضرةٌ فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ، ولا يُبْطِرَنَّكم الإنعام ، فإن البطر لا يغتري الخيار ، فاذهبوا حيثُ شئتم ، فساكتبُ إلى أمير المؤمنين فيكم .

فلما خرجوا دعاهم وكلمهم نحو كلامه الأول ، وكتبَ إلى عثمان أنه قدم على أقوامٍ ليست لهم عقولٌ ولا أديان ، أضجرهم العدلُ ، لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة ، إنما همهم الفتنَةُ ، وأموالُ أهلِ الذمة ، والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ومُخزِيهم ، وليسوا بالذين ينكثون أحداً إلا مع غيرهم ، فإنه سعيداً ومن عندَه عنهم ؛ فإنهم ليسوا لأكبر من شغبٍ أو نكيرٍ .

قال : ولما خرجوا من دِمَشقَ قالوا : لانرجع إلى الكوفةِ ، فإنهم يَشْمَتون بنا ، ولكن ميلوا إلى الجزيرة ، فسمعَ بهم عبدُ الرحمن بنُ خالدٍ بن الوليدِ وكان على حِمصَ ، فدعاهم وقال : يا آلَ الشَّيْطانِ ، لا مرحبا بكم ولا أهلاً ! قدرجَع الشَّيْطانُ محسوراً ، وأنتم بعدُ نشاطاً ، خسر الله عبدَ الرحمن إن لم يؤدِّبكم ^(٢) ، يامعشرَ مَنْ لا أدري ، أعربٌ أم عجمٌ ! لا تقولوا لي ما يبلِّغني أنكم قلتم لمعاوية : أنا ابن خالد بن

(١) ك : وذهب : تحريف .

(٢) ك : إن لم يؤدِّبكم .

الوليد ، أنا ابن من عَجَمَتُهُ العَاجِمَاتُ ، أنا ابنُ فاقِي الرُّدَّة .

والله لئن بلغني يا صَعْصَعَةُ أَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ مَعِيَ دَقَّ أَنْفَكَ ، ثُمَّ أَمَضَّكَ ، لَأَطِيرَنَّ بِكَ طَيْرَةً بَعِيدَةً الْمَهْوَى . وَأَقَامَهُمْ شَهْرًا ، كُلَّمَا رَكِبَ أَمْشَاهُمْ . فَلَمَّا مَرَّبَهُ صَعْصَعَةُ قَالَ : يَا بِنَ الْخَطِيشَةِ ، أَعْلَمْتَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَضْلَحْهُ الْخَيْرُ أَصْلَحَهُ الشَّرُّ ، مَا لَكَ لَا تَقُولُ كَمَا بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ لِسَعِيدٍ وَمَعَاوِيَةَ ! فَيَقُولُونَ : نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ، أَفَلَمَّا أَقَالَكَ اللَّهُ ، فَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى قَالَ : تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .

وَسَرَّحَ الْأَشْتَرَّ إِلَى عَثْمَانَ ، فَقَدِمَ إِلَيْهِ ثَانِيًا ، فَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ ؛ احْلِلْ حَيْثُ شِئْتَ ، قَالَ : مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ ؛ فَقَالَ ، ذَاكَ إِلَيْكَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ .

وَقَدْ حَكَّى بَعْضُ الْمُرْخِيعِينَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ نَحْوَمَا مَا تَقْدُمُ ، وَزَادَ فِيهِ : إِنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا عَادَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقَابِلَةِ وَذَكَرَهُمْ ، كَانَ مِمَّا قَالَ لَهُمْ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَمُرُكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا قَدْ بَدَأْتُ فِيهِ بِنَفْسِي ، وَأَهْلُ بَيْتِي ، وَقَدْ عَرَفْتُ قَرِيشَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ كَانَ أَكْرَمَهَا ، وَابْنَ أَكْرَمِهَا ؛ إِلَّا مَا جَعَلَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ انْتَجَبَهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَإِنِّي لَا أُظُنُّ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَوْ وَلَدَ النَّاسُ لَمْ يَلِدُوا إِلَّا حَازِمًا .

قَالَ صَعْصَعَةُ : كَذَبْتَ ، لَقَدْ وَلَدَهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ ، مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ ، وَكَانَ فِيهِمْ الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالْأَحْمَقُ وَالْكَيْسُ .

فَخَرَجَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ عِنْدِهِمْ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ مِنَ الْقَابِلَةِ فَتَحَدَّثَ

عِنْدَهُمْ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْقَوْمُ ، رُدُّوا خَيْرًا أَوْ اسْكُنُوا ، وَتَفَكَّرُوا
وَانْظُرُوا فِيمَا يَنْفَعُكُمْ وَيَنْفَعُ أَهْلِيكُمْ الْمُسْلِمِينَ فَاطْلُبُوهُ

فَقَالَ صَعْصَعَةُ : لَسْتُ بِأَهْلٍ ذَلِكَ وَلَا كَرَامَةٍ ، لَكَ أَنْ تُطَاعَ فِي
مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ : أَلَيْسَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَأْتُمْ بِهِ أَنْ أَمَرْتُكُمْ
بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا .

قَالُوا : بَلْ أَمَرْتَ بِالْفُرْقَةِ وَخِلَافٍ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : فَإِنِّي أَمُرُّكُمْ الْآنَ ، إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
وَأَمُرُّكُمْ بِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ ، وَطَاعَةِ نَبِيِّهِ ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ ، وَأَنْ تَتَّقُوا
أَنْفُسَكُمْ ، وَتَذَلُّوهُمْ عَلَى أَحْسَنِ مَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ .

فَقَالَ صَعْصَعَةُ : فَإِنَّا نَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ عَمَلَكَ ، فَإِنَّ فِي الْمُسْلِمِينَ
مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ، مَنْ كَانَ أَبْوَدَ أَحْسَنَ قَدَمًا مِنْ أَبِيكَ فِي الْإِسْلَامِ
وَهُوَ أَحْسَنُ قَدَمًا فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَبِيكَ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَدَمًا ، وَلِغَيْرِي كَانَ أَحْسَنُ قَدَمًا
مِنِّْي ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي زَمَانِي أَحَدٌ أَقْوَى عَلَيَّ مَا أَنَا فِيهِ مِنِّْي ، وَلَقَدْ رَأَى
ذَلِكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَلَوْ كَانَ غَيْرِي أَقْوَى مِنِّْي لَمْ تَكُنْ عِنْدَ عَمْرِ
هَوَادَّةً لِي وَلَا لِغَيْرِي ، وَلَمْ أَحْدِثْ مِنَ الْحَدَثِ مَا يَنْبَغِي أَنْ أَعْتَزِلَ عَمَلِي ،
وَلَوْ رَأَى ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَكُنْتُ إِلَى فَاغْتَرَلْتُ عَمَلَهُ ، فَهَلَا فَإِنَّ فِي ذَلِكَ
وَأَشْبَاهَهُ مَا يَتَعْنَى الشَّيْطَانُ وَيَأْمُرُ .

وَلِعَمْرِي ، لَوْ كَانَتْ الْأُمُورُ تُقْضَى عَلَى رَأْيِكُمْ وَأَمَانِيَّتِكُمْ ، مَا اسْتَقَامَتْ

[لأهل الإسلام يوماً وليلة ، فعاودوا الخيرَ وقولوه ، وإنَّ لله لَسَطَوَاتٍ ،
وإنَّي لخائفٌ عليكم أن تتابعُوا في مُتَابَعَةِ الشَّيْطَانِ ، ومعصيةِ الرَّحْمَنِ
فِيُجِلِّكُمْ بِذَلِكَ دَارَ الْهَوَانِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ .

فَوُتِبُوا عَلَيْهِ ، وَأَخَذُوا رَأْسَهُ وَلَحِيَّتَهُ . فَقَالَ : مه ! إِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ
بِأَرْضِ الْكُوفَةِ ، وَاللَّهِ لَوْ رَأَى أَهْلُ الشَّامِ مَا صَنَعْتُمْ فِي مَا مَلَكَتْ
أَنفُسُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ ^(١) ، فَلَعَمْرِي إِنَّ صَنِيعَكُمْ لَيُشْبِهُ بَعْضُهُ
بَعْضًا ، ثُمَّ قَامَ مِنْ عِنْدِهِمْ .

فَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ أَنْ يُرَدَّهُمْ إِلَى
سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَرَدَّهُمْ ، فَاظْلَبُوا أَلْسِنَتَهُمْ ، فَضَجَّ
أَسْعِدُ مِنْهُمْ إِلَى عُثْمَانَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَسِيرَهُمْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
خَالِدِ بْنِ حِمص ، فَسِيرَهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَنْزَلَهُمْ وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ رِزْقًا . وَكَانُوا ^(١) :
الْأَشْتَرُ ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِي ، وَكُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، وَزَيْدُ
وَصَّعْصَعَةُ ابْنَا صُوحَانَ ، وَجُنْدُبُ بْنُ زُهَيْرِ الْغَامِدِيِّ ، وَجُنْدُبُ بْنُ كَعْبِ
الْأَزْدِيِّ ، وَعُرْوَةُ بْنُ الْجَعْدِ ، وَعَمْرُو بْنُ الْحِمَقِ الْخُزَاعِيُّ ، وَابْنُ الْكَوَاءِ .

وَفِيهَا مَاتَ الْمَقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَسْوَدِ ، وَتُوُفِّيَ
الطُّفَيْلُ وَالْحَصِينُ ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ .
وَحَجَّ عُثْمَانُ بِالنَّاسِ .

(١) ك : د وهم كانوا .

سنة أربع وثلاثين

ذكرُ خبرِ يومِ الجَرَّعةِ وعزلِ سَعِيدٍ وخروجه عن الكوفة

وأستعمال أبي موسى الأشعري

وفي ^(١) هذه السنة توجه سَعِيدُ بْنُ العاصِ أميرُ الكوفة إلى عُمَانَ ، وقد استعملَ على أَعْمَالِهِ قبلَ مَسِيرِهِ بِسَنَةٍ وبعضَ أُخْرَى على أَذْرَبِيجَانَ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ ، وعلى الرَّيِّ سَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ ، وعلى هَمْدَانَ النَّسِيرَ الْعِجْلِيَّ ، وعلى أَصْبَهَانَ السَّائِبَ بْنَ الْأَقْرَعِ ، وعلى مَاهِ مَالِكَ بْنَ حَبِيبٍ ، وعلى الْمَوْضِلَ حَكِيمَ بْنَ سَلَامِ الْحُرَّانِيَّ ، وعلى قَرْقِيسِيَا جَرِيرَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وعلى البابِ سَلِيْمَانَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وعلى حُلُوَانَ عُثَيْبَةَ ابْنَ النَّهَّاسِ . وجعلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو على الحربِ ، وخلَّتْ الكوفةُ من الرُّؤَسَاءِ . فخرجَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ وهو يريدُ خَلَعَ عُمَانَ ، ومعه الَّذِينَ كَانَ ابْنُ السُّودَاءِ يَكَاتِبُهُمْ ، فَأَخَذَهُ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ : إِنَّمَا نَسْتَغْفِي مِنْ سَعِيدٍ . فَتَرَكَهُ ، وَكَاتَبَ يَزِيدُ النَّفَرَ الَّذِينَ كَانُوا سَيَّرُوا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الشَّامِ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَسَارَ الْأَشْتَرُ وَالَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ ، فَسَبَقَهُمُ الْأَشْتَرُ . فَلَمْ يَفْجَأُ النَّاسَ بِالْكُوفَةِ يَوْمَ جُمُعَةٍ إِلَّا وَالْأَشْتَرُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَقُولُ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ، وَتَرَكْتُ سَعِيدًا يُرِيدُهُ

على نقصان نسائكم على مائة درهم ، وردُّ أولى البلاء منكم إلى ألفين ،
ويزعمُ أن فيكم بُستان قريش ، فاستخلفَ الناس ، وجعلَ أهلُ الرأي
ينهوَنهم فلا يسمعون منهم .

فخرج يزيدُ ، وأمرَ مُنادياً ينادى : مَنْ شاءَ أن يَلحقَ بيزيدَ لِرَدِّ
سعيد فليفعل ، فيقىَ أشرافُ الناس وحلماؤهم في المسجد ، وعمرو
ابنُ حُرَيْثٍ يومئذٍ خليفة سعيد ، فصعدَ المنبرَ ، فحمدَ الله وأثنى عليه ،
وأمرَ الناس بالاجتماعِ والطاعةِ .

فقال له القعقاعُ بنُ عمرو : أترُدُّ السَّيْلَ عن أذراجِه ؟ هَيْهَات !
لا والله لا يَسْكُنُ الغَوغاءُ إلَّا المَشْرِفِيَّةَ ^(١) ويوشكُ أن تُنْتَضَى ،
ثم يَعْجُونَ ^(٢) عَجِيجَ العَدَانِ ^(٣) ، ويتمنَّون ما هم فيه اليَوْمَ ،
فلا يَرُدُّه الله عليهم أبداً ، فاصبر . قال : أصبرُ ، وتحوَّلَ إلى منزله .

وخرج يزيدُ بنُ قيس فنزل الجرعة ، وهى قريب من القادسية ،
ومعه الأشتَرُ ، ووصل إليهم سعيدُ بنُ العاص ، فقالوا : لا حاجة
لنا بك ، فقال : إنما كان يكفِيكمُ أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً
وإلى رجلاً ، وهَلْ يَخْرُجُ الألفُ لهم عَقُولُ إلى رجلٍ . ثم أنصرفَ
عنهم : ومَضَى حتَّى قدمَ على عثمانَ فأخبرَهُ الخبرَ ، وأنَّ القومَ يريدون
البَدَلَ ، وأنهم يختارونَ أبا موسى . فولاهُ عثمانُ ، وكتبَ إليهم :

أما بعد ، فقد أمرتُ عليكم من اخترتم ، وأعفيتُكم من سعيد ،

(١) المشرقية : سيوف تنسب إلى مشارف ، قرى من أرض العرب تدنو إلى الريف .

(٢) يمجون : يصيحون

(٣) ابن الأثير : «العِدَان» ، الطبري : العَدَان . والعنود : الجدى الذى استكثرش .

وَاللَّهُ لَأَقْرَضَنَّكُمْ عَرْضِي ، وَلَأُبَذِّلَنَّكُمْ صَبْرِي ، وَلَأُضِلَّحَنَّكُمْ جَهْدِي ،
فَلَا تَدْعُوا شَيْئًا أَحَبَّتُمُوهُ لَا يَعْصِي اللَّهُ فِيهِ [إِلَّا سَأَلْتُمُوهُ ،
وَلَا شَيْئًا كَرِهْتُمُوهُ لَا يَعْصِي اللَّهُ فِيهِ] ^(١) إِلَّا مَا أَسْتَعْفَيْتُمْ مِنْهُ . أَنْزَلَ فِيهِ
عِنْدَ مَا أَحَبَبْتُمْ ؛ حَتَّى لَا تَكُونَ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ، وَلَنَضْمِرَنَّ كَمَا
مَا أَمَرْنَا ؛ حَتَّى تَبْلُغُوا مَا تُرِيدُونَ .

وَرَجَعَ الْأَمْرَاءُ مِنْ قُرْبِ الْكُوفَةِ ، فَرَجَعَ جَرِيرٌ مِنْ قُرَيْشِيَاءَ ،
وَعَتِيبَةُ [بْنِ النَّهَاسِ] ^(١) مِنْ حُلْوَانَ ، وَخَطَبَهُمْ أَبُو مُوسَى ، وَأَمَرَهُمْ
بِلِزُومِ الْجَمَاعَةِ وَطَاعَةِ عُمَانَ . فَاجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَالُوا : صَلِّ بِنَا .
فَقَالَ : لَا ، إِلَّا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعُمَانَ ، قَالُوا : نَعَمْ ، فَصَلَّى بِهِمْ .
وَأَنَاهُ وَلَاتُهُ فَوَلَّاهُمْ . وَاللَّهُ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، وَهُوَ حَسْبِي .

ذكر ابتداء الخلاف على عثمان

ومن ابتداءاً بالجُرْأَةِ عليه

كان ^(١) أول من ابتداءً بالجُرْأَةِ عليه عبدُ الرحمن بنُ عوف ؛ وذلك أن إبلاً من إبل الصدقة جيء بها إلى عثمان ، فوهبها لبعض بني الحكم ، فبلغ ذلك عبدَ الرحمن ، فأخذها ، وقسمها بين الناس وعثمان في الدار .

وكان أول من اجتزأ عليه في المنطق جبلة بن عمرو الساعدي ، مرَّ به عثمان وهو في نادي قومه وببيده جامعة ^(٢) ، فسلم عثمان ، قرد القوم ، فقال جبلة : لِمَ تردُّون على رجلٍ فعلَ كذا وكذا ! ثم قال لعُثمان : والله لأطرحَنَّ هذه الجامعةَ في عنقِك ، أو لتتركنَّ بطانتك هذه الخبيثة ؛ مروان وأبنُ عامرٍ [وابن سَعْدٍ] ^(٣) ، ومنهم من نزل القرآن بدمه ، وأباح رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم دمه .

وحكى أبو جعفر الطبري : أَنَّهُ مرَّ به وهو بفناء داره ومعه جامعة ، فقال يا نَعْمَلُ ^(٤) والله لأقتلَنَّك ولأحملَنَّك على قُلُوبِ جُرَبَاء ، ولأحملَنَّك إلى حرَّةِ النَّارِ ^(٥) .

قال : ثم جاءهُ مرَّةً أخرى ، وعثمان على المنبر ، فأنزله عنه

(١) ابن الأثير ٣ : ٧٥ وما بعدها . ونازيح الطبري ٤ : ٣٦٥ وما بعدها .

(٢) الجامعة : الغل يوضع في العنق .

(٣) من ص ، وهو عبد الله بن سعد بن أبي حرح .

(٤) في القاموس : نعل رجل من أهل مصر ، قيل : كان يشبه عثمان رضي الله عنه ،

ويقال له إذا نيل منه .

(٥) الطبري ٤ : ٣٦٥

قال أبو جعفر : وعن أبي حبيبة ، قال ^(١) : خطبَ عثمانُ النَّاسَ في بعضِ أيامه ، فقال عمرو بنُ العاص : يا أميرَ المؤمنين ، إِنَّكَ قد رَكِبْتَ نَهَابِيرَ ^(٢) ، وركبنا معك ، فَنُتِبَ نُتِبٌ . فاستَقْبَلَ عثمانُ القبلَةَ ، وشَهَرَ يَدَيْهِ ، قال أبو حُبَيْبَةَ : فلم أَرِ يوما أَكْثَرَ باكِياً ولا باكِيةً من يومئذ .

قال : ثمَّ خطبَ النَّاسَ بعد ذلك ، فقام إليه جَهْجَاهُ الغِفَارِيُّ فصاح : يا عثمانُ ، ألا إِنَّ هَذِهِ شَارِفُ ^(٣) ، قد جئنا بها ، عليها عِبَاءَةٌ وجامِعَةٌ ، فَأَنْزِلْ فَلندِرْعَكَ العِبَاءَةَ ، ولنَطْرَحَكَ في الجامِعَةِ ، ولنَجْمِلَنَّكَ على الشَّارِفِ ، ثم نَطْرَحَكَ في جَبَلِ الدُّخَانِ . فقال عثمانُ : قَبِّحَكَ اللهُ ، وقَبِّحَ ما جِئْتُ بِهِ !

قال أبو حبيبة : ولم يكن ذلك منه إلا عن ملاٍّ من النَّاسِ ، وقام إلى عثمانَ شيعته من بنى أُمَيَّةَ ، فحَمَلُوهُ فَأَدْخَلُوهُ الدَّارَ ^(٤) .

ورَوَى عن يحيى بنِ عبدِ الرحمن بنِ حاطبٍ عن أبيه ، قال : أنا أنظر إلى عثمانَ يخطبُ على عصا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي كان يخطبُ عليها أبو بكر ، فقال له جَهْجَاهُ : قُمْ يَا نَعْتَلُ ، فَأَنْزِلْ عن هذا المَنْبَرِ ، وأَخَذَ الْعَصَا فَكَسَرَهَا على رُكْبَتَيْهِ اليمَنِ ، فدخلتْ شَطِيطَةٌ منها فيها ، فَبَقِيَ الجُرْحُ حتَّى أَصَابَتْهُ الْأَكْلَةُ ، فرَأَيْتُهَا تُدَوِّدُ . ونزل عثمانُ وحَمَلُوهُ ، وأمر بالعصا فشَدَّوْها ، فكانت مُضْطَبَّةً ، فما خرج

(١) الطبري ٤ : ٣٦٦ .

(٢) النهابير : المهالك .

(٣) الشارف من النوق : المسة الهرمة .

(٤) الطبري ٤ : ٣٦٦ .

بعد ذلك اليوم إِلَّا خَرْجَةً أَوْ خَرَجَتَيْنِ حَتَّى حُصِرَ ، فقتل ^(١) .
هذا ما كان من أمر أهل المدينة .

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ، فَكَانَ سَبَبَ خِلَافِهِمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ سَبَّأَ الْمَعْرُوفَ بِأَبْنِ السَّوْدَاءِ ، كَانَ يَهُودِيًّا ، فَأَسْلَمَ أَيَّامَ عُمَانَ ،
ثُمَّ تَنَقَّلَ فِي الْحِجَازِ ، ثُمَّ بِالْبَصْرَةِ ، ثُمَّ بِالْكُوفَةِ ، ثُمَّ بِالشَّامِ ،
يُرِيدُ إِضْلَالَ النَّاسِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَخْرَجَهُ أَهْلُ الشَّامِ .
فَأَتَى مِصْرَ ، فَأَقَامَ فِيهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : الْعَجَبُ مَنْ يُصَدِّقُ أَنَّ عِيسَى
يَرْجِعُ ، وَيَكْذِبُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ ، وَوَضَعَ لَهُمُ الرِّجْعَةَ ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مَعَهُ ،
ثُمَّ قَالَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّهُ كَانَ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ ، وَعَلَى وَصِيِّ
مُحَمَّدٍ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ لَمْ يُجِزْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَوُتِبَ عَلَى وَصِيِّهِ !
وَلِإِنَّ عُمَانَ أَخَذَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَانْهَضُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَابْدَعُوا بِالطَّغْنِ
عَلَى أُمَرَائِكُمْ ، وَأَظْهَرُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ تَسْتَمِيلُوا بِهِ
النَّاسَ . وَبِثَّ دُعَاتِهِ ، وَكَاتِبَ مَنْ اسْتَفْسَدَ فِي الْأَمْصَارِ ، وَكَاتِبُودَ .
وَدَعَوْا فِي السَّرِّ ^(٢) إِلَى مَا عَلَيْهِ رَأْيُهُمْ .

ثُمَّ كَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَوَّلَ مَنْ قَامَ فِي ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعَ نَاسٌ مِنْهُمْ
فَتَذَاكَرُوا أَعْمَالَ عُمَانَ ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ أَنَّ يُرْسِلُوا إِلَيْهِ
عَامَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيَّ ، ثُمَّ الْعَنْبَرِيَّ ، وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى عَامَرَ
ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَأَتَاهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
اجْتَمَعُوا وَنَظَرُوا فِي أَعْمَالِكَ ، فَوَجَدُوكَ قَدْ ارْتَكَبْتَ أُمُورًا عَظِيمًا .
فَاتَّقِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ .

(١) كَذَا فِي الطَّبَرِيِّ وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « فَقِيلَ » .

(٢) كَ : « السِّرِّ » .

فقال عثمان : انظروا إلى هذا ، فإن الناس يزعمون أنه قارئ ، ثم هو يجيء فيكلمني في المحضرات ، والله ما يدرى أين الله ؟ فقال عامر : بل والله إنني لأدرى أن الله لبالميرصاد .

فأرسل عثمان إلى معاوية ، وعبد الله بن سعد ، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، فجمعهم وشاورهم ، وقال لهم : إن لكل أمير وزراء ونصحاء وإنكم وُزرائي ونصحااتي ، وأهلُ يقتي ، وقد صنع الناس ما قد رأيتم ، وطلبوا إلى أن أعزل عمالي ، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون ، فأجهلوا رأيكم .

فقال ابن عامر : أرى يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عتك حتى يلبثوا لك ، ولا تكون همّة أحلم إلا في نفسه وما هو فيه من كبير (١) دأبته وقمل قروته .

وقال سعيد : أخيم عتك الداء فأقطع عتك الذي تخاف ، فإن لكل قوم قادة ، متى تهلك تفرقوا ولا يجتمع لهم أمر ، فقال عثمان : هذا هو الرأي لولا ما فيه .

وقال معاوية : أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيخفيك كل رجلٍ منهم ما قبله ، وأخفيك أنا أهل الشام .

وقال ابن سعد : إن الناس أهل طمع ، فأعطهم من هذا المال ، تعطف عليك قلوبهم .

ثم قام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أنك قد ركبت

لنَّاسٍ بِمِثْلِ بَنِي أُمَيَّةَ . فَقُلْتُ وَقَالُوا ، وَزُغْتَ وَزَاغُوا ، فَأَعْتَدِلْ
أَوْ أَعْتَزِلْ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَاَعْتَزِمْ عَزْمًا ، وَامْضِ قُدَمَا .

فَقَالَ لَهُ عُمَانُ : مَا لَكَ قَمِلَ قَرُوكَ ، أَهَذَا الْجَدُّ مِنْكَ ! فَسَكَتَ
عَمْرُو حَتَّى تَفَرَّقُوا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَأَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى
مِنْ ذَلِكَ ، وَابْكَيْتُ عَلِمْتُ أَنَّ بِالْبَابِ مَنْ يُبْلَغُ النَّاسُ قَوْلَ كُلِّ رَجُلٍ
مِنَّا ، فَأَرَدْتُ أَنْ يُبْلَغَهُمْ قَوْلِي ، فَيَشْقُوا بِي ، فَأَقُودُ إِلَيْكَ خَيْرًا ، وَأَدْفَعُ
عَنْكَ شَرًّا .

ثُمَّ رَدَّ عُمَانُ عَمَالَهُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِتَجْهِيْزِ النَّاسِ فِي الْبُعُوثِ ،
وَرَدَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَقِيَهُ النَّاسُ مِنَ الْجَرَعَةِ فَرَدُّوهُ كَمَا
نَقَدِمَ ، وَتَكَاتَبَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ ، لَمَّا أَفْسَدَ أَمْرَهُمْ ابْنُ السُّودَاءِ ^(١) ،
وَصَارَ أَهْلُ كُلِّ مِصْرٍ يَكْتُبُ إِلَى أَهْلِ الْمِصْرِ الْآخَرِ بِغُيُوبٍ يَضَعُونَهَا
لَوْلَايَتِهِمْ ، وَيُنَالُونَ مِنْهُمْ حَتَّى ذَاعَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ ، وَوَصَلَ
إِلَى الْمَدِينَةِ .

فَيَقُولُ أَهْلُ كُلِّ مِصْرٍ : إِنَّا لَفِي عَاقِبَةٍ مِمَّا أَبْتُلِيَ بِهِ هَؤُلَاءِ . ثُمَّ
تَكَاتَبَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ ،
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ أَنْ اقْدَمُوا فَإِنَّ الْجِهَادَ عِنْدَنَا ،
وَنَالَ النَّاسُ مِنْ عُمَانَ ، وَعَظَّمُوا عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَنْهَى
وَلَا يَذُبُّ ، إِلَّا نَفَرٌ ، مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ ،
وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَكَلَّمُوا عَلَى
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ وَأَرْضَادَهُ كَرَمَ وَجْهِهِ .

ذكر كلام علي لعثمان وجوابه له

قال (١) : ولما اجتمع الناس إلى علي رضي الله عنه ، وكلموه ، دخل إلى عثمان فقال : إن الناس ورأى ، وقد كلموني فيك ، والله ما أدري ما أقول لك ، ولا أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما تعلم ، ما سبقناك إلى شيء فتخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبغتك ، وما خصصنا بأمر دونك ، وقد رأيت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعت منه ، ونلت صهره ، وما ابن أبي قحافة بأولى بالعمل منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماً ، ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم ينال ، ولا سبقاك (٢) إلى شيء ، فالله ، الله في نفسك ، فإنك والله ما تبصر عن عمي ، وما تعلم من جهالة ، وإن الطريق لواضح بين ، وإن أعلام الدين لقائمة .

اعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله [عند الله] (٣) إمام عادل ، هدى وهدى ، وأقام سنة معلومة ، وأما بدعة مكروهة (٤) ، فوالله إن كلاً لبين ، وإن السنن (٥) لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وأضل (٦) ، فأما سنة معلومة

(١) الطبري ٤ : ٣٣٦ ، وما بعدها ، ابن الأثير ٣ : ٧٧ ، ٧٦

(٢) ك : « سبقناك » .

(٣) من ص والطبري .

(٤) ك : « متروكة » ، وكذلك الطبري .

(٥) ك : « السنة » .

(٦) الطبري : « دخل به »

وَأَخْبَا بِذَعَةٍ مَتْرُوكَةٍ ، وَإِنِّي أُحَذِّرُكَ اللَّهُ وَسَطَوَاتِهِ وَنَقَمَاتِهِ ، فَإِنْ عَذَابَهُ شَدِيدٌ أَلِيمٌ ، وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي (١) ، يُقْتَلُ فِيَفَتْحَ عَلَيْهَا الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَتُلْبَسُ أُمُورُهَا وَتَتْرَكُهُمْ شِيعًا ، لَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ لَعَلَّوُ الْبَاطِلَ ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا ، وَيَمْرَجُونَ فِيهَا مَرَجًا .

فَقَالَ عُمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ وَاللَّهِ لَيَقُولُنَّ الَّذِي قُلْتَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ مَكَانِي مَا عَنَّفْتُكَ وَلَا أَسْلَمْتُكَ ، وَلَا عَيْتُ عَلَيْكَ ، وَلَا جِئْتُ مِنْكَرًا ، أَنْ وَصَلْتُ رَجِمًا ، وَسَدَدْتُ خَلَّةً ، وَأَوَيْتُ ضَائِعًا ، وَوَلَّيْتُ شَبِيهَا بِمَنْ كَانَ عَمْرٍو . أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا عَلِيُّ ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَغِيرَةَ بْنَ شَعْبَةَ لَيْسَ هُنَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتَعْلَمُ أَنَّ عَمْرٍو وَلَآءُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَلِمَ تَلُومُنِي أَنْ وَلَّيْتُ أَبْنَ عَامِرٍ فِي رَحِمِهِ وَقَرَابَتِهِ ؟ قَالَ عَلِيُّ : إِنَّ عَمْرٍو كَانَ يَطْأُ عَلَى صِاخٍ مَنَ وَلَّى إِنْ بَلَغَهُ عَنْهُ حَرْفٌ جَلَبَهُ ، ثُمَّ بَلَغَ بِهِ أَقْصَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَنْتَ لَا تَفْعَلُ ، ضَعُفْتَ وَرَفَقْتَ عَلَى أَقْرَبَائِكَ .

قَالَ عُمَانُ : وَهُمْ أَقْرَبَاؤُكَ أَيضًا . قَالَ : أَجَلٌ ، إِنْ رَحِمَهُمُ مِنِّي لِقَرِيبَةٍ ، وَلَكِنَّ الْفَضْلَ فِي غَيْرِهِمْ .

قَالَ عُمَانُ : هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عَمْرٍو وَلَّى مُعَاوِيَةَ ، فَقَدْ وَلَّيْتَهُ ؟ قَالَ عَلِيُّ : أَنْشُدُكَ اللَّهَ ! هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ أَخَوْفَ لِعُمَرَ مِنْ يَرْفَأَ (غَلَامٍ لَهُ) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ يَقْطَعُ الْأُمُورَ دُونَكَ ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ : هَذَا أَمْرُ عُمَانَ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ ، فَلَا تَغَيِّرْ عَلَيْهِ .

ثم خرج على من عنده ، وخرج عثمان على أثره ، فجلس على المنبر ثم قال :

أما بعد ، فإن لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة ، طعانون يروونكم ما تحبون ، يسترون عنكم ما تكرهون ، ويقولون لكم ويقولون ، أمثال النعام ، يتبعون أول ناعق ، أحب مواردها إليها البعيد ، لا يشربون إلا نغصا ، ولا يردون ^(١) إلا عكرا ، لا يقوم لهم رائد ، وقد أغيتهم الأمور ^(٢) ، ألا فقد عيبتهم على والله بما أقررتهم لابن الخطاب بمثله ؛ ولكنه وطئكم برجليه ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدينتم له على ما أحببتهم أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأتكم كيفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فأجترأتم على . أما والله لأنا أعز نفرا ، وأقرب ناصرا ، وأكثر عددا ، وأحرى أن قلت هلم أتي إلى ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولا ، وكشرت لكم عن نابي ، وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ، ومنطقا لم أنطق به ، فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولايتكم ، فإنني قد كففت ^(٣) عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ، ألا فما تفقدون من حقكم ؟ والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلي ، ولم يكونوا يختلفون عليه .

(١) ك : « ولا يرون » .

(٢) بينهما في الطبري : « وتملوت عليهم المكاسب » .

(٣) ك : « كففت » .

فقام مروانُ بنُ الحكم فقال : **إِنْ شِئْتُمْ حَكَّمْنَا وَاللَّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
السَّيْفَ ، نَحْنُ وَاللَّهُ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :**
فَرَشْنَا لَكُمْ أَعْرَاضَنَا فَنَبَتْ بِكُمْ مَغَارِسُكُمْ تَبْنُونَ فِي دِمَنِ الثَّرَى
فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ لَا سَكْتَ ، دَعْنِي وَأَصْحَابِي ، مَا مَنَظِقُكَ
فِي هَذَا ؟ أَلَمْ أُنْقِذْكَ إِلَيْكَ أَلَّا تَنْطِقَ ! فَسَكَتَ مَرْوَانُ ، وَنَزَلَ عُثْمَانُ (١)

(١) بعدما في ابن الأثير ٣ : ٧٧ « من المنبر ، فاشتد قول الناس وعظم ، وزاد
تأليه عليه » .

ذكر ارسال عثمان الى الأمصار ليأتوه بأخبار عماله

وما يقول الناس فيهم

قال^(١) : لما تكتب أهل الأمصار بغيوب ولاتهم التي وضعوها ، وشاع ذلك ، وأتت الأخبار إلى المدينة ، أتى أهل المدينة إلى عثمان وقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نخبرك عن الناس بما يأتينا ، وأخبروه ، فاستشارهم فأشاروا أن يبعث رجالاً ممن يثق بهم إلى الأمصار ، ليأتوه بأخبار العمال ، فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعمار بن ياسر إلى مصر ، وعبد الله بن عمر إلى الشام . وفرق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمار ، فقالوا : ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام الناس ولا عوامهم . وتأخر عمار حتى ظنوا أنه اغتيل ، فجاء كتاب عبد الله بن أبي سرح يذكر أن عمارة قد استماله قوم وانتقطعوا إليه ، منهم عبد الله بن السوداء ، وخالد بن ملجم ، وسودان بن حمران ، وكنانة بن بشر .

فكتب عثمان إلى أهل الأمصار : [إني آخذ [عمالي^(٢)] بموافاتي في كل موسم ، وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواماً يضربون ويشتمون ، فمن ادعى شيئاً من ذلك فليؤاف الموسم ، ليأخذ بحقه مني أو من عمالي ، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين .

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٤٠ وما بعدها ، ابن الأثير ٣ : ٧٧ وما بعدها .

(٢) من ص .

فلَمَّا قرئ كتابه في الأمصار بكى الناس بكاء شديداً ، ودَعَوْا
لعثمانَ رضى الله عنه . وقدمَ عمالُ الأمصارِ إلى مكة في المَوسم : عبدُ الله
عامرُ أميرُ البصرة ، وعبدُ الله بنُ سعدُ أميرُ مِصر ، ومعاويةُ أميرُ الشَّامِ
وأدخلَ معهم في المشورة سعيد بنُ العاص ، وعمرُ وبنُ العاصِ .

فقال عثمانُ رضى الله عنه : وَيَحْكُمُ ! ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة !
إِنِّي والله لخائف أن تكونوا مَصْدُوقاً عليكم ، وما يُعَصِّبُ هذا إلأى ،
فقالوا : أَلَمْ تَبْعَثْ ؟ أَلَمْ نَرْجِعْ إِلَيْكَ الْخَبَرَ عن القَوْمِ ؟ أَلَمْ تَرْجِعْ رُسُلَكَ
وَلَمْ يَشَافِهِمْ أَحَدٌ بشيءٍ ، والله ما صَدَّقُوا ولا بَرُّوا ولا نَعْلَمُ لهذا
الأمر أصلاً ، ولا يحلُّ الأخذُ بهذه الإذاعة . فقال : اشِيرُوا عَلَيَّ .

فقال سعيد : هذا أمرٌ مَصْنُوعٌ يُلقَى في السِّرِّ ، فَيَتَحَدَّثُ به
النَّاسُ ، ودواء ذلك طلبُ هؤلاء ، وقتلُ الَّذِينَ يَخْرُجُ هذا مِنْ
عِنْدِهِمْ .

وقال عبدُ الله بنُ سعد : خذْ من النَّاسِ الَّذِي عَلَيْهِمْ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ
الَّذِي لَهُمْ ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ .

وقال معاوية : قَدْ وَلَّيْتَنِي فَوَلَّيْتُ قَوْماً لَا يَأْتِيكَ عَنْهُمْ إِلَّا الْخَيْرُ ،
وَالرَّجُلَانِ أَعْلَمُ بِنَاحِيَتَيْهِمَا ، وَالرَّأْيُ حَسَنُ الْأَدَبِ .

وقال عمرو : أَرَى أَنَّكَ قَدْ لَئِنْتَ لَهُمْ ، وَتَرَاحَيْتَ عَلَيْهِمْ ، وَزِدْتَهُمْ
على ما كانَ يَصْنَعُ عُمَرُ ، فَأَرَى أَنَّ تَلَزَمَ طَرِيقَ صَاحِبَيْكَ ، فَتَشْتَدُّ
في موضعِ الشَّلَّةِ ، وتلين في موضعِ اللَّيْنِ .

فقال عثمانُ : قَدْ سَمِعْتُ كُلَّ مَا أَشْرَثْتُمْ بِهِ عَلَيَّ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ بَابٌ

يُؤْتَى مِنْهُ . إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي يُخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كَائِنْ ، وَإِنَّ بَابَهُ
الَّذِي يُغْلَقُ عَلَيْهِ فَيُكْفِكِفُ بِهِ ، اللَّيْنِ وَالْمُؤَانَاةِ إِلَّا فِي حُدُودِ اللَّهِ ،
فَإِنْ فُتِحَ فَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ عَلَى حُجَّةٍ حَقٌّ . وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي لَمْ آلِ
النَّاسَ خَيْرًا ، وَأَنَّ رَحَاَ الْفِتْنَةِ لِدَائِرَةٌ ، فَطَوَّبُوا لِعِثْمَانَ إِنْ مَاتَ
وَلَمْ يَحْرُكْهَا . سَكَّنُوا النَّاسَ ، وَهَيَّئُوا لَهُمْ ^(١) حَقُوقَهُمْ ؛ فَإِذَا تَعَوَّطِيَتْ
حَقُوقُ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلَّ فَلَا تَذْهَبُوا فِيهَا .

وَكَانَ هَذَا بِمَكَّةَ . فَلَمَّا قَدِمَ عِثْمَانُ الْمَدِينَةَ دَعَا عَلِيًّا وَطَلْحَةَ
وَالزُّبَيْرَ ، وَعِنْدَهُ مَعَاوِيَةُ ، فَحَمِدَ مَعَاوِيَةُ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتُمْ أَصْحَابُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَوَلَاةُ أَمْرِ هَذِهِ
الْأُمَّةِ ، لَا يَطْمَعُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ ، اخْتَرْتُمْ صَاحِبَكُمْ عَنْ غَيْرِ غَلْبَةٍ
وَلَا طَمَعٍ ، وَقَدْ كَبِرَ وَوَلَّى عَمْرَهُ ، وَلَوْ ائْتَنَزْتُمْ بِهِ الْهَرَمَ لَكَانَ قَرِيبًا ؛
مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُبْلَغَهُ ذَلِكَ ، وَقَدْ فَشَتْ مَقَالَةٌ
خَفِئَتْهَا عَلَيْكُمْ ، فَمَا عَتَبْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَهَذِهِ يَدِي لَكُمْ بِهِ ، وَلَا تُطْمِعُوا
النَّاسَ فِي أَمْرِكُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنْ طَمِعُوا فِيهِ لَأَرَأَيْتُمْ مِنْهَا أَبَدًا إِلَّا إِذْبَارًا ^(٢) .

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : مَا لَكَ وَذَاكَ لَا أُمَّ لَكَ ! قَالَ : دَغِ
أُمِّي فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِشَرِّ أُمَّهَاتِكُمْ ، قَدْ أَسْلَمْتُ وَبَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَجِبْنِي عَمَّا أَقُولُ لَكَ .

فَقَالَ عِثْمَانُ : صَدَقَ ابْنُ أَخِي ، أَنَا أَخِيرُكُمْ عَنِّي وَعَمَّا وَلَيْتُ ،
إِنَّ صَاحِبِيَّ اللَّذَيْنِ كَانَا قَبْلِي ظَلَمَّا أَنْفُسَهُمَا ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمَا بِسَبِيلِ

(١) ك : والطبرى : • وهبوا • .

(٢) ك : • الأذبار • .

احتساباً ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُعطي قَرابته ، فأنا في رَهْطِ أَهْلِ عَيْلَةٍ ، وَقِلَّةِ مَعَاشٍ ، فبَسَطْتُ يَدِي فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ لِمَا أَقُومُ بِهِ فِيهِ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ خَطَأً فَرُدُّوهُ ، فَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ تَبِيع .

فقالوا : أَصْنَيْتَ وَأَحْسَنْتَ ، قَدْ أُعْطِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَأُعْطِيَ مَرَّوَانَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا . فَأَخَذَ مِنْهُمَا ذَلِكَ ، فَرَضُوا وَخَرَجُوا رَاضِينَ .

وَلَمَّا رَأَى مُعَاوِيَةُ مَا النَّاسُ فِيهِ قَالَ لِعُثْمَانَ : أَخْرِجْ مَعِيَ إِلَى الشَّامِ فَإِنَّهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْكَ مَا لَا قِبَلَ لَكَ بِهِ ، فَقَالَ : لَا أَبِيعُ جِوَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَطْعُ خَيْطٍ . عُنُقِي . قَالَ : فَأَبْعَثُ إِلَيْكَ جُنْدًا مِنْهُمْ يُقِيمُونَ مَعَكَ لِنَائِبَةٍ إِنْ نَابَتْ الْمَدِينَةُ ، فَقَالَ : لَا أُضَيِّقُ عَلَى جِيرَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْكَ لَتُغْتَالَنَ ، فَقَالَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ؛ فِيهِمْ عَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَلِيٌّ مُعَاوِيَةَ ثِيَابُ سَفَرِهِ ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ النَّاسُ يَتَعَالَبُونَ عَلَيْهِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ، فَكَانُوا مُتَفَاضِلِينَ بِالسَّابِقَةِ وَالْقَدَمَةِ وَالْاجْتِهَادِ ، فَإِنْ أَخَذُوا بِذَلِكَ فَالْأَمْرُ أَمْرُهُمْ ، وَالنَّاسُ لَهُمْ تَبِيع ، وَإِنْ طَلَبُوا الدُّنْيَا بِالتَّغَالُبِ سُلِبُوا ذَلِكَ وَرَدَّ اللَّهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى الْبَدَلِ لَقَادِرٌ ، وَإِنِّي قَدْ خَلَّفْتُ

فِيكُمْ شَيْخًا، فَاسْتَوْصُوا بِهِ [خيرًا] ^(١)، وَكَاتِبًا تَكُونُوا أَسْعَدَ مِنْهُ بِذَلِكَ .
وَوَدَّعِهِمْ وَمَضَى إِلَى الشَّامِ .

فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : كُنْتُ أَرَى فِي هَذَا خَيْرًا .

فَقَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ مَا كَانَ قَطُّ أَعْظَمَ فِي صَدْرِكَ وَصَدُورِنَا مِنْهُ
الْيَوْمَ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

* * *

سنة خمس وثلاثين

ذِكْرُ مَسِيرِ مَنْ سَارَ إِلَى عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ

قال (١) : وَلَمَّا فَصَلَ الْأُمَرَاءُ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَقَدِمُوا عَلَى أَمْصَارِهِمْ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ الْمُنْخَرِفُونَ عَنْ عَثْمَانَ قَدْ اتَّعَدُوا يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ بِالْأَمْصَارِ جَمِيعًا إِذَا سَارَ عَنْهَا الْأُمَرَاءُ ، فَلَمْ يَتَّهَبُوا لَهُمْ ذَلِكَ . وَلَمَّا رَجَعَ الْأُمَرَاءُ وَلَمْ يَتِمَّ لَهُمُ الْوُثُوبُ تَكَاتَبُوا فِي الْقُدُومِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، لِيَنْظُرُوا فِيهَا يَرِيدُونَ وَيَسْأَلُوا عَثْمَانَ عَنْ أَشْيَاءَ ، لِتَطْبِيرِ فِي النَّاسِ

فَخَرَجَ الْبُصَيْرِيُّونَ وَفِيهِمُ الرَّحْمَنُ بْنُ عَبْدِئِيسَ الْبَلَوِيُّ فِي خَمْسَمِائَةٍ . وَقِيلَ : سِتْمِائَةٍ ، وَقِيلَ : فِي أَلْفٍ ، وَفِيهِمُ كَنَانَةُ بْنُ يَشْرَ اللَّيْثِيُّ ، وَسُوَادَانُ بْنُ حُمْرَانَ السَّكُونِيُّ ، وَعَلَيْهِمْ جَمِيعًا الْعَافِيَّتِيُّ بْنُ حَرْبِ الْعَكِّي .

وَخَرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَفِيهِمْ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ ، وَالْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ : وَزِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَصَمِّ الْعَامِرِيُّ ، وَهُمْ عِدَادُ أَهْلِ مِصْرَ .

وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَفِيهِمْ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ ، وَذَرِيحُ بْنُ عَبْدِ الْعَبْدِيِّ ، وَيَشْرُ بْنُ ثُرَيْجِ الْقَيْسِيِّ ، وَابْنُ الْمُحْتَرِشِ ، وَهُمْ بِعِدَادِ أَهْلِ مِصْرَ ، وَأَمِيرُهُمْ حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ .

(١) الطبري ٤ : ٣٤٠ وما بعدها ، ابن الأثير ٣ : ٧٧ وما بعدها .

فخرجوا جميعاً في شِوَال ، وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْحَجَّ ، فَلَمْ
كَانُوا مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَلَاثٍ ، تَقْدَمُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَنَزَلُوا
ذَا خُشْبٍ ، وَكَانَ هَوَاهُمْ فِي طَلْحَةِ ، وَتَقْدَمُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَنَزَلُوا
عَلَى الْأَعْوَصِ وَهَوَاهُمْ فِي الزُّبَيْرِ ، وَجَاءَهُمْ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَهَوَاهُمْ
فِي عَلِيٍّ ، وَنَزَلَ عَامَتُهُمْ بِذِي الْمُرَّةِ .

فاجتمع نفرٌ من أَهْلِ مِصْرَ وَأَتَوْا عَلِيًّا ، وَنَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَأَتَوْا
طَلْحَةَ ، وَنَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَأَتَوْا الزُّبَيْرَ ، واجتمعوا بهم فكلٌّ طَرَدَهُمْ
وَأَبْعَدَهُمْ ، فَعَادُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ .

وقيل : إِنَّ عِثْمَانَ لَمَّا بَلَغَهُ نَزُولُهُمْ بِذِي خُشْبٍ ، جَاءَ إِلَى عَلِيٍّ
وَكَلَّمَهُ فِي رَدِّهِمْ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَرُدُّهُمْ ؟ فَقَالَ عِثْمَانُ : عَلَى
أَنْ أَصِيرَ إِلَى مَا أَشْرَفَ إِلَيْهِ وَرَأَيْتَهُ لِي .

فَرَكِبَ عَلِيٌّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَابُو الدُّمُورِ وَكَلَّمُوهُمْ فِي
الرُّجُوعِ : فَرَجَعُوا ، فَعَادَ عَلِيٌّ إِلَى عِثْمَانَ بِرُجُوعِهِمْ ، فَسَرَّ بِذَلِكَ .

فَلَمَّا فَارَقَهُ جَاءَ مِرْوَانُ بْنُ الْحَكِيمِ إِلَى عِثْمَانَ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ :
تَكَلَّمْتُ وَأَعْلِمْتُ النَّاسَ أَنَّ أَهْلَ مِصْرَ رَجَعُوا ، وَأَنَّ مَا بَلَغَهُمْ عَنْ أَمِيرِهِمْ
كَانَ بَاطِلًا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسُ مِنْ أَمْصَارِهِمْ ، وَيَأْتِيكَ مَا لَا تَسْتَطِيعُ
رَدَّهُ ، فَفَعَلَ عِثْمَانُ ، فَلَمَّا خَطَبَ النَّاسَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : اتَّقِ
اللَّهَ يَا عِثْمَانُ ، فَإِنَّكَ قَدَرَكَيْتَ أُمُورًا وَرَكِبْنَا هَامَكُمْ ، فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ نَتَبُّ .

فَنَادَاهُ عِثْمَانُ : وَأَنْتَ هُنَاكَ ! قَمَلْتَ وَاللَّهِ جُبَيْتُكَ ، مِنْذُ عَزَلْتُكَ

عن العمل ، فتودى من ناحية أخرى : تَبَّ إلى الله ، فَرَفَعَ رأسه وقال :
اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ تَائِبٍ . وخرج عمرو بن العاص حتى آتَى فَلَسْطِينَ .

وفي رواية عن علقمة بن وقاص : إِنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ قَامَ إِلَى
عِثْمَانَ وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَقَالَ : يَا عِثْمَانُ ، إِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ بِالنَّاسِ النَّهَائِيرَ
وَرَكَبُوهَا ، فَتَبَّ إِلَى اللَّهِ وَلِيَتُوبُوا . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ عِثْمَانُ وَقَالَ : وَإِنَّكَ
لَهُنَا يَا بْنَ النَّابِغَةِ ! ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ وَقَالَ : أَتُوبُ إِلَى
اللَّهِ ، اللَّهُمَّ أَنَا أَوَّلُ تَائِبٍ إِلَيْكَ .

قال ابن الأثير الجَزَرِيُّ : وقيل ^(١) : إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا رَجَعَ مِنْ عِنْدِ
الْمَصْرِيِّينَ بَعْدَ رَجُوعِهِمْ إِلَى عِثْمَانَ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْتُ كَلَامًا يَسْمَعُهُ
النَّاسُ مِنْكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَيْكَ وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِكَ مِنَ التَّزْوِيعِ
وَالْإِنَابَةِ ^(٢) ؛ فَإِنَّ الْبِلَادَ قَدْ تَمَخَّضَتْ عَلَيْكَ ، فَلَا آمَنُ أَنْ يَجِيءَ رَكِبٌ
آخَرُ مِنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، فَيَقُولَ : يَا عَلِيُّ ، ارْكَبْ إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ لَمْ
أَفْعَلْ رَأَيْتَنِي قَدْ قَطَعْتُ رَحِمَكَ ، وَاسْتَخَفَفْتُ بِحَقِّكَ .

فخرج عِثْمَانُ فَخَطَبَ خُطْبَةً نَزَعَ فِيهَا ، وَأَعْطَى النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ
التَّوْبَةَ ، وَقَالَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ اتَّعَظَ . اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ،
فَيُمَثِّلِي نَزَعَ وَتَابَ ؛ فَإِذَا نَزَلْتُ فَلْيَأْتِنِي أَشْرَافُكُمْ فَلِيرَوْا رَأْيَهُمْ ،
فَوَاللَّهِ لِيَنَّ رَدِّي الْحَقُّ عَبْدًا لَأَسْتَنُّ بِسُنَّةِ الْعَبْدِ ، وَلَأَذَلَّنَّ ذُلَّ الْعَبْدِ ،
وَمَا عَنِ اللَّهِ مَذْهَبٌ إِلَّا إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ لَأُعْطِيَنَّكُمْ ^(٣) الرِّضَا ، وَلَأُنَحِّينَ
مِرْوَانَ وَذَوِيهِ ، وَلَا أَحْتَجِبُ عَنْكُمْ .

(١) تاريخه ٣ : ٨٢ .

(٢) ابن الأثير : « الأمانة » .

(٣) ك : « لأعطيتكم » .

فَرَّقَ النَّاسَ وَبَكَوْا حَتَّى اخْضَلَّتْ (١) لَحَاهُمْ ، وَبَكَى هُوَ أَيْضًا ،
فَلَمَّا نَزَلَ وَجَدَ مِرْوَانَ وَسَعِيدَ بْنِ الْعَاصِ وَنَفَرًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي مَنْزِلِهِ ،
لَمْ يَكُونُوا شُهُدًا وَخُطِبَتْهُ .

فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ مِرْوَانُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَكَلَّمُ أَمْ أَسْكُتُ ؟
فَقَالَتْ نَائِلَةُ ابْنَةُ الْفَرَاغِصَةِ امْرَأَةُ عَثْمَانَ : لَا ، بَلْ اصْمُتْ ، فَإِنَّهُمْ
وَاللَّهِ قَاتِلُوهُ وَوُثِّمُوهُ ، إِنَّهُ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْزِعَ عَنْهَا .

فَقَالَ لَهَا مِرْوَانُ : مَا أَنْتِ وَذَاكَ ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَاتَ أَبُوكَ وَمَا يَحْسِبُنَّ
يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَتْ : مَهَلًا يَا مِرْوَانُ عَنْ ذِكْرِ الْآبَاءِ ، تُخَيِّرُ عَنْ أَبِي وَهُوَ
غَائِبٌ تَكْذِبُ عَلَيْهِ ! وَإِنَّ أَبَاكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ . أَمَا وَاللَّهِ
لَوْلَا أَنَّهُ عَمَّهُ ، وَأَنَّهُ يَدْنَاهُ عَمَّهُ لِأَخْبَرْتُكَ عَنْهُ بِمَا لَمْ أَكْذِبْ . قَالَ :
فَاعْرِضْ عَنْهَا مِرْوَانُ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَكَلَّمُ أَمْ أَسْكُتُ ؟
قَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ : يَا أُمِّي ! وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنَّ مَقَالَاتِكَ هَذِهِ
كَانَتْ وَأَنْتِ مَمْتَنِعٌ ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ رَضِيَ بِهَا ، وَأَعَانَ عَلَيْهَا ، وَلَكِنَّكَ
قُلْتَ مَا قُلْتَ حِينَ قَدْ بَلَغَ الْحَزَامُ الطُّبَيْيْنَ ، وَبَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ،
وَحِينَ أُعْطِيَ الْخُطَّةَ الدَّلِيلَةَ الدَّلِيلُ ، وَاللَّهِ لِإِقَامَةٍ عَلَى خَطِيئَةٍ يُسْتَغْفَرُ
مِنْهَا ، أَحْسَنُ مِنْ تَوْبَةٍ يَخَافُ عَلَيْهَا ، وَأَنْتِ إِنْ شِئْتَ تَقْرَأِ بِالتَّوْبَةِ ،
وَلَمْ تَقْرَأِ بِالْخَطِيئَةِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ بِالْبَابِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ مِنَ النَّاسِ .

فَقَالَ عَثْمَانُ : فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ وَكَلِّمَهُمْ ، فَإِنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ أَكَلِّمَهُمْ ،
فَخَرَجَ مِرْوَانُ إِلَى الْبَابِ وَالنَّاسُ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَقَالَ :

ما شأنكم ؟ قد اجتمعتم كركبكم قد جئتم لنهب ، شأمت الوجوه !
إلا من أريد ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، اخرجوا
عنا ، والله لئن رمتونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ، ولا تحمدوا
غيب رأيكم ، ارجعوا إلى منازلكم ، فإننا والله ما نحن بمملوبين على
ما في أيدينا .

فرجع الناس ، وأتى بعضهم علياً فأنخبره الخبر ، فاقبل على عبد الرحمن
ابن الأسود بن عبد يغوث فقال : أحضرت خطبة عثمان ؟ قال :
نعم ، قال : أفحضرت مقالة مروان للناس ؟ قال : نعم ، فقال علي :
أي عباد الله ، يا المسلمين ! إنني إن فعلت في بيتي قال لي : تركتني
وقرابتني قرابتني وحقي ، وإنني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به
مروان ، فصار سيقاً له يسوقه حيث يشاء ، بعد كبر السن ، وصحبة
الرسول صلى الله عليه وسلم . وقام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال
له : أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك ،
وعن عقلك ، مثل جمل الطعينة . يُقاد حيث يشاء ربه . والله ما مروان
بذي رأي في دينه ولا نفسه ، ولا وائمه الله إنني لأراه يوردك ثم
لا يضدرك ، وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعائبك ، أذهبت شرفك ،
وغلبت على رأيك .

فلما خرج علي دخلت على امرأة نائلة فقالت : قد سمعت
قول علي لك ، وليس يُعاودك ، وقد أطعت مروان بقودك حيث شاء
قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقي الله ، وتتبع سنة صاحبك ؛ فإنك
منى أطعت مروان قنلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هبة

ولا محبة ؛ وإنما تركك الناس لمكانه ، فأرسل إلى علي فاستطليحه
فأن له قرابة [منك] ^(١) ، وهو لا يُغصى .

فأرسل عثمان إلى علي فلم يأت به وقال : قد أعلمته أنني غير عائد ،
فبلغ مروان مقالة نائلة فيه ، فجلس بين يدي عثمان فقال : يا ابنة
الفرافصة ، فقال عثمان : لا تذكرنيها بحرف ، فأسوى وجهك ،
فهى والله أنصح لي منك ، فكف مروان .

وأتى عثمان إلى علي بمنزله ليلاً وقال له : إني غير عائد ، وإني
فاعل ، فقال له علي : بعد ما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأعطيت من نفسك ، ثم دخلت بيتك ، فخرج مروان
إلى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم .

فخرج عثمان من عنده وهو يقول : خذلتني وجرات الناس علي ،
فقال له علي : والله إني لأكثر الناس ذباً عنك ، واكنى كلما جئت
بشيء أظنه لك رضا ، جاء مروان بأخري ، فسمعت قوله ، وتركت
قولي . ولم يعد علي يعمل ما كان يعمل إلى أن منع عثمان الماء . فغضب
غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان رضى الله عنه . والله أعلم .

ذكر مقتل عثمان رضى الله عنه

ولمّا (١) عاد المصريون وغيرهم ، ظنّ أنّ الفتنّة قد ركّدت ،
والبلية قد سكّنت ، فلم ينجأ أهل المدينة إلّا والتكبير في نواحيها ،
وقد عاد القوم ، فجاءهم أهل المدينة وفيهم عليّ ، فقال : ما ردّكم بعد
ذهابكم !

وقيل : إنّ الذي سألهم محمد بن مسلمة ، فأخرجوا صحيفة
في أنبوبة رصاص وقالوا : وجدنا غلام عثمان بالبؤيب على بعير من
إبل الصدقة ، ففتشنا متاعه ، فوجدنا فيه هذه الصحيفة ، يأمر فيها
عامل مصر بجلد عبد الرحمن بن عديس وغيره ، وصائب بعضنا .
قيل : وكان الذي أخذت منه الصحيفة أبو الأعور السلمي .

فدخل عليّ ومحمد بن مسلمة على عثمان وأعلموه بما قال القوم ،
فأقسم بالله ما كتبه ولا علم به . فقال محمد : صدق ، هذا من فعل
مروان ، ودخل عليه المصريون ، فلم يسلموا عليه بالخلافة : وتكلّموا ،
فذكر ابن عديس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين وأهل الذمة ،
وأنه استأثر بالغنائم : فإن قيل له في ذلك قال : هذا كتاب أمير
المؤمنين ، وذكر أشياء ممّا أخذتها عثمان بالمدينة .

وقال : خرجنا من مصر نريد قتلك ، فردنا عليّ ومحمد بن مسلمة ،
وضمنا لنا النزوع عن كلّ ما تكلمنا فيه ، فرجعنا إلى بلادنا ، فرأينا

(١) ابن الأثير ٣ : ٨٤ وما يعلما ، الطبري ٤ : ٣٦٥ وما يعلما .

غلامك وكتابك وعليه خاتمك ، تأمرُ بجلدنا والمثلة بنا ، وطولِ
حبسنا . فحلف أنه ما كتب ولا أمر ولا عَلِمَ

فقال محمدٌ وعليٌّ : صدق [عثمان] (١) . قال المصريون : فَمَنْ
كتبه ؟ قال : لا أدري . قالوا : فيُجترأ عليك ، ويُبعتُ غلامك وجَمَلُ
الصدقة ، وينقش على خاتمك ، ويُبعتُ إلى عاملِك هذه الأمورِ
العظيمة وأنت لا تعلم ! [قال : نعم] (٢) . قالوا : ما أنت إلا صادقٌ
أو كاذبٌ ، فإن كنتَ كاذباً فقد استحققتَ الخلعَ إما أمرتَ به
من قتلنا بغير حقٍّ ، وإن كنتَ صادقاً فقد استحققتَ الخلعَ .
اضعُفك عن هذا الأمر ، وغفلتِكَ ، وخُبثَ بطانتِكَ ، ولا تتركُ
هذا الأمرَ بيدَ مَنْ يُقطعُ الأمرَ دونه .

فقال : لا أنزعُ قميصاً ألبسنيه الله ؛ ولكنني أنوبُ وأنزع .
قالوا : قدر أيتناك تنوبُ ، ثم تعودُ ، ولسنا منصرفين حتى نخلفك ،
أو نقتلك (٣) ، أو نلحق أرواحنا بالله ، وإن منعك أهلك وأصحابك
قاتلناهم .

فقال : أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتلُ أحبُّ إليَّ من ذلك ،
وأما قتالكم من منَعني فإنني لا أمرُ بقتل أحدٍ بقتالكم ، فمن قاتلَ
فبغير أمرى .

وكثرت الأصواتُ واللَّغطُ ، فقام عليٌّ وأخرج القومَ ومضى
إلى منزله .

(١) من ص .

(٢) من ص .

(٣) ك : : وتركك . .

قال : لما رجع أهل مصر ، رجع أهل الكوفة وأهل البصرة فكانوا كانوا على وبعاد [واحد ^(١)] ، فقال لهم على رضى الله عنه : كيف علمتُم يا أهل الكوفة ، وبأهل البصرة بما لقي أهل مصر ، وقد برئتم ، راحل حتى رجعتُم ! هذا والله أمر بيت بليل ! فقالوا : ضعوه كيف شئتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعترلنا .

قال : ثم أحاط القوم بعثمان ، ولم يمنعوه من الصلاة ، ولا منعوا من اجتماع الناس به

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستنجدهم ، ويأمرهم بالحث للمنع عنه ، ويعرفهم ما الناس فيه ، فخرج أهل الأمصار على الصعب والذل .

فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ^(٢) ، وبعث عبد الله ابن سعد معاوية بن حديج . وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو .

وقام بالكوفة نفر يحضون على إعانة أهل المدينة ، منهم عقبة ابن عمرو ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وحظلة الكاتب وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن التابعين مسروق الأسود وشريح وعبد الله بن عليم وغيرهم .

وقام بالبصرة عمران بن حصين ، وأنس بن مالك ، وهشام ابن عامر وغيرهم من الصحابة .

(١) من ص .

(٢) ك : « المنزى » .

وقام بالشَّام جماعة من الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ ، وكذلك بِبَصْرَ .
 قال : ولَمَّا جَاءَتِ الْجُمُعَةُ الَّتِي عَلَى إِثْرِ دُخُولِهِمُ الْمَدِينَةَ ، خَرَجَ عُمَانُ
 فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، ثُمَّ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، اللَّهُ اللَّهُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ
 أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ، فَأَمَحُوا الْخَطَأَ
 بِالصُّوَابِ .

وقام مُحَمَّدُ بْنُ سُلَمَةَ وَقَالَ : أَنَا أَشْهَدُ بِذَلِكَ ، فَأَقْعَدَهُ حَكِيمُ
 ابْنُ جَبَلَةَ ، وَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَأَقْعَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي قَتِيرَةَ (١) ،
 وَثَارَ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ ، فَحَصَبُوا النَّاسَ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ،
 وَحَصَبُوا عُمَانَ حَتَّى صُرِعَ عَنِ الْمِنْبَرِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَأَدْخَلَ دَارَهُ ،
 وَأَسْتَقْتَلَ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَعَهُ ، مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَالْحَسَنُ
 ابْنُ عَلِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، فَعَزَمَ عَلَيْهِمْ عُمَانُ بِالْأَنْصِرَافِ ،
 فَاَنْصَرَفُوا ، وَجَاءَهُ عَلَى وَطْلَحَةٍ وَالزُّبَيْرُ يَعُودُونَهُ ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ
 بَنِي أُمَيَّةَ ، مِنْهُمْ مِرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَقَالُوا كُلُّهُمْ لَعْلٌ : أَهَانَكُمُنَا
 وَصَنَعْتَ هَذَا الصَّنْعَ ! وَاللَّهِ لئن بَلَغْتَ الَّذِي تَرِيدُ لَنُورَنَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا ،
 فَقَامَ مُغَضَّبًا ، وَعَادَ هُوَ وَالْجَمَاعَةُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ .

قال : وَصَلَّى عُمَانُ بِالنَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ أَنْ نَزَلُوا بِهِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ،
 ثُمَّ مَنَعَهُ الصَّلَاةَ ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ أَمِيرُهُمُ الْغَافِقِيُّ ، وَتَفَرَّقَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
 فِي حَيْطَانِهِمْ ، وَلَزِمُوا بِيُوتَهُمْ ، لَا يَجْلِسُ أَحَدٌ وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِسَيِّفَةٍ ؛
 لِيَمْتَنِعَ بِهِ (٢) .

(١) ك : د قيرة .

(٢) ك : د ليمتنع .

قال : وفي أثناء ذلك استشار عثمان نصحائه في أمره ، فاستشاروا عليه بالإرسال إلى علي في ردهم ، ويُعطيهم ما يُرضيهم ؛ ليُطاولهم حتى تنبئه أمداده ، فقال : إنهم لا يقبلون التعلل ، وقد كان مني في المرة الأولى ما كان .

فقال مروان : أعطهم ما سألك ، وطاولهم ما طاولوك ؛ فلأنهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم .

فدعا علياً وقال له : قد ترى ما كان من أمر الناس ، ولا آمنهم على دمي ، فأرددهم فلأني أعطيتهم ما يريدون من الحق مني و [من] ^(١) غيري . فقال علي : الناس إلى عدلك أخوج منهم إلى قتلك ، وقد كنت أعطيتهم عهداً فلم تنب به ، فلا تُفردني هذه المرة فإني مُعطيهم عليك الحق .

قال : أعطهم ، فوالله لأقين لهم . فخرج علي إلى الناس فقال لهم : إنما طلبتم الحق وقد أعطيتكموه ، وقد زعم أنه منصرفكم من نفسه ومن غيره ، فقال الناس : قتلنا ، فاستوثق منه لنا ؛ فلماذا نرضى بقول دون فعل ، فدخل عليه علي فأعلمه ، فقال : اضرب بيئي وبينهم أجلا يكون لي فيه مهلة ، فإنه لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد منك . فقال له علي : أما ما كان بالمدينة فلا أجل لك فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك . قال : نعم ، فأجلني فيما في المدينة ثلاثة أيام ، فأجابة إلى ذلك .

وكتب بينهم كتاباً على رد كل مظلمة ، وعزل كل عامل كرهوه ،

فكفَّ النَّاسُ عَنْهُ ، فَجَعَلَ يَتَأَهَّبُ لِلْقِتَالِ ، وَبَسِطَ السَّلَاحَ ، وَاتَّخَذَ جُنْدًا . فَلَمَّا مَضَتْ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ وَلَمْ يُغَيِّرْ شَيْئًا ثَارَ بِهِ الْقَوْمُ .

وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ إِلَى الْمَصْرِيِّينَ فَأَعْلَمَهُمُ الْخَبَرَ ، وَهُمْ بَذَى خُشْبٍ ، فَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَطَلَّبُوا مِنْهُ عَزْلَ عُمَّالِهِ ، وَرَدَّ مَظَالِمَهُمْ .

فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ أَسْتَعْمَلُ مِنْ أَرَدْتُمْ ، وَأَعَزُّ مَنْ كَرِهْتُمْ ، فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَالْأَمْرُ أَمْرُكُمْ . فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَتُفْعَلَنَّ أَوْ لَتُخْلَعَنَّ أَوْ لَتُقْتَلََنَّ . فَأَبَى عَلَيْهِمْ ، فَحَصَرُوهُ ، وَاشْتَدَّ الْحَصَارُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فَحَضَرُوا ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اجْلِسُوا ، فَجَلَسَ الْمُحَارِبُ وَالْمَسَالِمُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُحْسِنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، ثُمَّ قَالَ : أَنَشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَهْلَ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ عِنْدَ مَصَابِرِ عَمْرٍو أَنْ يَخْتَارَ لَكُمْ ، وَأَنْ يَجْمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ ! أَنْتَقُولُونَ إِنْ اللَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَهَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ حَقِّهِ ! أَمْ تَقُولُونَ : هَانَ عَلَى اللَّهِ دِينُهُ ، فَلَمْ يَبَالِ مَنْ وَلَّى ، وَالَّذِينَ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ حِينَئِذٍ ^(١) ؟ أَمْ تَقُولُونَ : لَمْ يَكُنْ أَخْذٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، إِنَّمَا كَانَ عَنْ مُكَابَرَةٍ فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأُمَّةَ إِذْ عَصَتْهُ وَلَمْ يُشَاوِرُوا فِي الْإِمَامَةِ ! أَمْ تَقُولُونَ : إِنْ اللَّهُ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ أَمْرِي !

وَأَنَشِدُكُمْ بِاللَّهِ ! أَتَعْلَمُونَ لِي سَابِقَةَ خَيْرٍ وَقَدَّمَ خَيْرٍ قَدَّمَ اللَّهُ لِي مَا يُوجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ بَعْدِي أَنْ يَعْرِفُوا لِي فَضْلَهَا ، فَمَهْلًا لَأَتَقْتَلُونِي فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةِ رَجُلٍ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ ، أَوْ كَفَرَ

بعدَ إِمَانِهِ ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ . فَإِنَّكُمْ إِن قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمُ السَّيْفَ عَلَى رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْفَعِ اللَّهُ عَنْكُمْ الْاِخْتِلَافَ أَبَدًا .

قَالُوا : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ اسْتِخَارَةِ النَّاسِ بَعْدَ عَمَرٍ ، ثُمَّ وَكُوكَ فَإِنَّ كُلَّ مَا صَنَعَ اللَّهُ الْخَيْرَةَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ بَلِيَّةً ابْتَلَى بِهَا عِبَادَهُ .
وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَدَمِكَ وَسَلَفِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كُنْتَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ كُنْتَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ ، وَلَكِنْ أَحْدَثْتَ مَا عَلِمْتَهُ ، وَلَا تَتْرِكُ إِقَامَةَ الْحَقِّ عَلَيْكَ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ عَامًّا (١) قَابِلًا .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّهُ لَا يَجِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةٍ ، فَإِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَتْلَ غَيْرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ سَمَّيْتَ ، قَتْلَ مَنْ سَعَى فِي الْأَرْضِ فُسَادًا ، أَوْ قَتْلَ مَنْ بَغَى ، ثُمَّ قَاتَلَ عَلَى بَغْيِهِ ، وَقَتْلَ مَنْ حَالَ دُونُ شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ وَمَنَعَهُ وَقَاتَلَ دُونَهُ . وَقَدْ بَغَيْتَ وَمَنَعْتَ الْحَقَّ وَخُلْتَ دُونَهُ ، وَكَابَرْتَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تُقِدِّ مِنْ نَفْسِكَ مَنْ ظَلَمْتَ ، وَقَدْ تَمَسَّكَتَ بِالْإِمَارَةِ عَلَيْنَا ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكَابِرْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّ الَّذِينَ قَامُوا دُونَكَ وَمَنَعُوكَ مِنَّا إِنَّمَا يَقَاتِلُونَ لَتَمَسَّكَكَ بِالْإِمَارَةِ ، فَلَوْ خَلَعْتَ نَفْسَكَ لَانْصَرَفُوا عَنْ الْقِتَالِ مَعَكَ .

فَسَكَتَ عِثْمَانُ وَلَزِمَ الدَّارَ ، وَأَمَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالرَّجُوعِ ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمْ فَرَجُّوا ، إِلَّا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَأَشْبَاهَهُلَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ نَاسٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ الْحَصَارِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً ، قَدِمَ رُكْبَانٌ مِنَ الْأَمْصَارِ فَأُخْبِرُوا خَبَرَ مَنْ تَهَيَّأَ لَهُمْ مِنَ الْجَنُودِ ، فَحَالُوا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُ ، وَمَنَعُوهُ

(١) ك : • عاملاً • تحريف .

(٢) ك : • لتعطيك • .

كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَاءِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَلَى سِرًّا ، وَإِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَإِلَى
 أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ لَهُمْ : إِنَّهُمْ قَدْ مَنَعُونِي الْمَاءَ ،
 فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَيْنَا مَاءً فَافْعَلُوا ، فَكَانَ أَوَّلُهُمْ إِجَابَةً عَلَى ،
 وَأُمُّ حَبِيبَةَ ، فَجَاءَ عَلَى فِي النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الَّذِي
 تَفْعَلُونَ لَا يُشْبِهُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أَمْرَ الْكَافِرِينَ ، فَلَا تَقْطَعُوا عَنْ هَذَا
 الرَّجُلِ الْمَاءَ وَلَا الْمَادَّةَ ، فَإِنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ لَتَأْسِرَ فَتَقْطِعُكُمْ ، وَتَسْقِي .
 فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ وَلَا نَعْمَةَ عَيْنٍ ، فَرَمَى بَعَامَتِهِ فِي الدَّارِ بِأَنَّى قَدْ نَهَضْتُ
 وَرَجَعْتُ ، وَجَاءَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهَا إِدَاوَةٌ (١) ، فَضَرَبُوا وَجْهَ
 بَغْلَتِهَا فَقَالَتْ : إِنَّ وَصَايَا بَنِي أُمَيَّةَ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ
 أَسْأَلَهُ عَنْهَا لَثَلَا تَهْلِكَ أَمْوَالُ الْيَتَامِ وَالْأَرَامِلِ ، فَقَالُوا : كَاذِبَةٌ ،
 وَقَطَعُوا حَبْلَ الْبَغْلَةِ بِالسَّيْفِ ، فَفَنَفَرَتْ ، وَكَادَتْ تَسْقُطُ عَنْهَا ،
 فَتَلَقَّاهَا النَّاسُ ، ثُمَّ ذَهَبُوا بِهَا إِلَى مَنْزِلِهَا .

فَأَشْرَفَ عَثْمَانُ يَوْمًا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ ، هَلْ
 تَعْلَمُونَ أَنِّي اشْتَرَيْتُ بِشْرَ رُومَةٍ مِنْ مَالِي لِيُسْتَعْتَذَبَ بِهَا ، فَجَعَلْتُ رِشَائِي
 فِيهَا كَرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَلَمْ تَمْنَعُونِي أَنْ
 أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْمِلْحِ ! ثُمَّ قَالَ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ !
 هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اشْتَرَيْتُ أَرْضَ كَذَا فَزِدْتُهَا (٢) فِي الْمَسْجِدِ ؟ قِيلَ : نَعَمْ .
 قَالَ : فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَحَدًا مَنَعَ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ قَبْلِي ؟ ثُمَّ قَالَ : أَنْشُدْكُمْ
 اللَّهَ ! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَنِّي كَذَا وَكَذَا
 أَشْيَاءَ فِي شَأْنِهِ ؟

(١) الإداوة : الإناة .

(٢) ك : • فزودتها • .

فَفَشَا النَّهْيُ فِي النَّاسِ ، يَقُولُونَ : مَهْلًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَامَ الْأَشْتَرُ : فَقَالَ : لَعَلَّهُ قَدْ مَكَرَ بِهِ وَبِكُمْ .

قَالَ : وَبَلَغَ طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ مَا لَقِيَ عَلَى وَأُمِّ حَبِيبَةَ ، فَلَزِمُوا بَيْوتَهُمْ ،
وَبَقِيَ عَثْمَانُ يَسْقِيهِ آلُ حَزْمٍ فِي الْغَفَلَاتِ .

قَالَ : وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى الْحَجِّ ، فَاسْتَتَبَعَتْ
أَخَاهَا مُحَمَّدًا ، فَأَبَى ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَشَنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ يَحْرَمَهُمُ اللَّهُ
مَا يُحَاوِلُونَ لِأَفْعَلَنَّ .

فَقَالَ لَهُ حَنْظَلَةُ الْكَاتِبُ : تَسْتَتَبِعُكَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَتَّبِعُهَا ،
وَتَتَّبِعُ ذُو بَانَ الْعَرَبِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ ! وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِنْ صَارَ إِلَى التَّغَالُبِ
غَلِبَتْكَ عَلَيْهِ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ . ثُمَّ رَجَعَ حَنْظَلَةُ إِلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ يَقُولُ
رَبَّ اللَّهِ الْمُسْتَعَانُ ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ :

عَجِبْتُ لِمَا يَخْوَضُ النَّاسُ فِيهِ يَرُومُونَ الْخِلَافَةَ أَنْ تَزُولَا
وَلَوْ زَالَتْ لَزَالَ الْخَيْرُ عَنْهُمْ وَلَا قَوْأَ بَعْدَهَا ذُلًّا ذَلِيلًا
وَكَانُوا كَالْيَهُودِ أَوْ كَالنَّصَارَى سَوَاءَ كُلُّهُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَا

قَالَ : ثُمَّ أَشْرَفَ عَثْمَانُ عَلَى النَّاسِ ، وَاسْتَدْعَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ،
فَأَمَرَهُ أَنْ يَحِجَّ بِالنَّاسِ ، وَكَانَ مِنْ لَزِمِ الْبَابِ ، فَاَنْطَلَقَ .

قَالَ : وَلَمَّا رَأَى الْمَصْرِيُّونَ أَنَّ أَهْلَ الْمَوْسِمِ يَرِيدُونَ قَضَاءَهُمْ بَعْدَ الْحَجِّ
مَعَ مَا يَلِيهِمْ مِنْ مَسِيرِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ، قَالُوا : لَا يُخْرِجُنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ
الَّذِي وَقَعْنَا فِيهِ إِلَّا قَتْلُ هَذَا الرَّجُلِ ، فَيَسْتَغْلُ النَّاسُ عَنَّا . فَتَقَدَّمُوا
إِلَى الْبَابِ ، فَمَنَعَهُمُ الْحَسَنُ ، وَابْنُ الزَّبِيرِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ ، وَمُرْوَانُ

وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة ، واجتلدوا فزجرهم عثمان ، وقال : أنتم في حلٍّ من نصرتي ، فأبوا ، ففتح الباب ليمنعهم ، فلما خرج ورآه المصريون رجعوا ، فركبهم هؤلاء ، وأقسم عثمان على الصحابة ليدخلن ، فدخلوا ، فأغلق الباب دون المصريين فثاروا إلى الباب ، وجمعوا بنار ، فأحرقوا السقيفة التي على الباب ، وثار بهم أهل الدار ، وعثمان يصلي ، قد افتتح طه ، فماشغله ما سمع حتى أتى عليها ، فلما فرغ جلس إلى المصحف فقراً : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) (١)

قال : ثم قال عثمان للحسن : إن أباك الآن لفي أمرٍ عظيمٍ من أمرك ، فأقسمتُ عليك لما خرجتَ عليه ، فتقدموا فقاتلوا ، ولم يستمعوا قوله ، فبرز المغيرة بن الأحنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة وكان تعجل الحج في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار ، وارتجز .

قد علمت ذات القرون الميل والحلى والأنامل الطفول

لتصدقن بيعتي خليلي بصارم ذي رونق مضقول

• لا أستقيل إذ أقلت قبلي •

وحكى أبو عمر (٢) أن المغيرة بن الأحنس قال لعثمان حين أحرقوا باباه : والله لا قال الناس عنا : إنا خذلناك ، وخرج بسيفه وهو يقول :
لما تهدمت الأبواب واحترقت تيممتُ منهن باباً غير مُحترق

(١) سورة آل عمران ١٧٣ .

(٢) الاستيعاب ١٤٤٤ .

حقاً أقول لعبد الله أمره إن لم تقاتل لدى عثمان فانطلق
والله أتركه ما دام بي رَمْقٌ حتى يُزايَل بين الرأس والعنق
هو الإمام فلست اليوم خاذله إن الفرار على اليوم كالسرق

وحمل على الناس فصربه رجل على ساقه فقطعها ، ثم قتله ، فقيل
إن الذي قتله تقطع جذاماً^(١) بالمدينة .

وقال قتادة : لما أقبل أهل مصر إلى المدينة في شأن عثمان رأى
رجل منهم في المنام كأن قائلاً يقول له : بشّر قاتل المغيرة بن الأحنس
بالنار ، وهو لا يعرف المغيرة ، رأى ذلك ثلاث ليال ، فجعل يحدث
أصحابه . فلما كان يوم الدار خرج المغيرة فقاتل^(٢) ، والرجل ينظر
إليه فقتل ثلاثة ، فلما قتلهم وثب إليه الرجل فحذفه ، فأصاب
رجله ، ثم صربه حتى قتله ، ثم قال : من هذا ؟ فقالوا : المغيرة بن
الأحنس ، فقال : لا أراى إلا صاحب الرؤيا المبشر بالنار ، فلم
يزل بشر حال حتى هلك .

وخرج الحسن بن علي وهو يقول :

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى يسير إلى طمار شمام^(٣)

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابن من حامى عليه بأحد ورد أحزاباً على رغم معد

(١) في الأصول : « جذاماً » ، وما أثبت من الاستيعاب

(٢) الاستيعاب : « يقاتل » .

(٣) طمار : المكان المال من الجبل وغيره . وشمام : اسم جبل بالعالية .

وخرج سعيّد بن العاصي وهو يقول :

صَبْرْنَا غَدَاةَ الدَّارِ وَالْمَوْتُ وَاقِفٌ بِأَسْيَافِنَا دُونَ ابْنِ أَرْوَى نُضَارِبُ
وَكُنَّا غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي الدَّارِ نُضْرَةُ نُشَافِهِهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْمَوْتُ ثَاقِبُ

وكان آخر مَنْ خرج عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ ، وأقبلَ أبو هريرة والنَّاسُ
مَحْجَمُونَ ، فقال : هذا يومٌ طَابَ فِيهِ الضَّرْبُ ، ونَادَى : (يا قوم
إِلَى أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) (١) .

وجاء عبدُ الله بنُ سَلَامٍ يَنْهَاهُمْ عَنْ قَتْلِهِ ، فقال : يا قوم ، لَا تَسْلُوا
سَيْفَ اللَّهِ فِيكُمْ ، فواللَّهِ إِنْ سَلَلْتُمُوهُ لَا تُغْمِدُوهُ ، وَيَلَكُمْ ! إِنْ سُلْطَانَكُمْ
الْيَوْمَ يَقُومُ بِالْأُذَى ، فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالسَّيْفِ ، وَيَلَكُمْ ! مَدِينَتُكُمْ
مَحْفُوفَةٌ بِالْمَلَائِكَةِ ، فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَيُتْرَكُنَّهَا .

فقالوا : يا بنَ اليهودية ، مَا أَنْتَ وَهَذَا ! فَرَجَعَ عَنْهُمْ .

قال : ثُمَّ اقْتَحَمُوا عَلَى عُثْمَانَ دَارَهُ ، مِنْ دَارِ عِمْرُو بْنِ حَزْمٍ حَتَّى مَلَتْهَا
وَلَمْ يَشْعُرْ مَنْ بِالْبَابِ مِنْهُمْ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَحْوُسُ يَهْجُو آلَ حَزْمٍ .

لَا تُرِثِينَ لِحَزْمِي رَأَيْتَ بِهِ ضُرًّا وَلَوْ طُرَحَ الْحَزْمِيُّ فِي النَّارِ (٢)
الْبَاخُسِينَ لِمَرْوَانَ بِذِي خُثَيْبٍ وَالْمُدْخِلِينَ عَلَى عُثْمَانَ فِي الدَّارِ

قال : وَلَمَّا صَارُوا فِي الدَّارِ نَذَبُوا رِجَالًا لِيَقْتُلُوهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَقَالَ : اخْلَعْهَا وَتَشْرُكُكَ . قال : لَسْتُ خَالِعًا قَمِيصًا كَسَايَنِي اللَّهُ
تَعَالَى حَتَّى يُكْرِمُ اللَّهُ أَهْلَ السَّعَادَةِ ، وَيُهِينَ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ ، فَخَرَجَ

(١) سورة غافر ٤١ .

(٢) ديوانه ١٢٢ ، وروايته : « لَا تَأْوِين » .

عنه ، فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْث ، فَقَالَ : لَسْتُ بِصَارِحِي
لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاكَ أَنْ تُحْفَظَ . يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ،
وَلَنْ تُضَيَّعَ ، فَرَجَعَ عَنْهُ وَفَارَقَ الْقَوْمَ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ
فَقَالَ لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَغْفَرَكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا
فَلَنْ تُقَارِفَ دَمًا حَرَامًا ، فَرَجَعَ وَفَارَقَ أَصْحَابَهُ .

وَدَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ كُلُّهُمْ يَرْجِعُ ، آخِرُهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا
خَرَجَ ثَارُ قُتَيْبَةُ وَسُودَانُ بْنُ حُمْرَانَ وَالْغَافِقِيُّ ، فَضْرِبَهُ الْغَافِقِيُّ بِحَدِيدَةٍ ،
وَضَرَبَ الْمُصْحَفَ بِرِجْلِهِ ، فَدَارَ الْمُصْحَفُ ، وَاسْتَقَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَاءَ
سُودَانُ لِيَضْرِبَهُ فَأَكْبَتُ عَلَيْهِ نَائِلَةٌ بِنْتُ الْفَرَّافِصَةِ ، وَاتَّقَتِ
السَّيْفَ بِيَدَيْهَا فَقَطَعَ أَصَابِعَهَا وَشَيْئًا مِنَ الْكَفِّ ، وَنَصَفَ الْإِبْهَامَ
فَوَلَّتْ ، فَغَمَزَ أَوْرَاقَهَا ، وَقَالَ : إِنَّهَا لَكَبِيرَةُ الْعَجُزِ ، وَضَرَبَ عَثْمَانُ
فَقَتَلَهُ .

وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ كِنَانَةُ بْنُ يَشْرَ التُّجَيْبِيِّ ، وَكَانَ عَثْمَانُ
قَدْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : إِنَّكَ
تُفْطِرُ اللَّيْلَةَ عِنْدَنَا .

وَلَمَّا قُتِلَ قَطَرَ مِنْ دَمِهِ عَلَى الْمُصْحَفِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَسَبِّحْهُمْ)
اللَّهُ .

قَالَ : وَدَخَلَ غِلْمَةٌ لِعَثْمَانَ مَعَ الْقَوْمِ لِيَنْصُرُوهُ ، فَقَالَ عَثْمَانُ :
مَنْ كَفَّ يَدَهُ فَهُوَ خَيْرٌ : فَلَمَّا ضَرَبَهُ سُودَانُ ضَرْبَ بَعْضِ الْغُلَّامِ رَقَبَةً
سُودَانُ فَقَتَلَهُ ، وَوُثِبَ قُتَيْبَةُ عَلَى الْغُلَّامِ فَقَتَلَهُ ، وَانْتَهَبُوا مَا فِي الْبَيْتِ ،
وَخَرَجُوا ، وَأَغْلَقُوا الْبَابَ عَلَى ثَلَاثَةِ قَتْلَى .

فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على قتيبة فقتله ، وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى أخذوا ما على النساء ، وأخذ كل قوم التَّجِيبِي مائة كانت على نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وانتهب القوم بيتَ لَمال .

قال : ووثب عمرو بن الحقيق على صدر عثمان وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات ، وأراد قطع رأسه ، فوقعت نائلة وأم البينين عليه فصيحن وضربن الوجه ، فقال ابن عديس : اتركوه ، وأقبل عميرُ ابن ضابي البرجمي فوثب على عثمان ، فكسر ضلعاً من أضلاعه ، وقال له : سَجَنْتَ أَبِي حَتَّى مَاتَ فِي السَّجْنِ .

وكان قتله يوم الجمعة لثمان عشرة ، أو سبع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، سنة خمس وثلاثين . ذكره المدائني عن أبي معشر عن نافع ، وعن أبي عثمان النهدي ، أنه قتل وسط أيام التشريق .

وقال ابن اسحاق : قُتِلَ عثمان على رأس إحدى عشرة سنة ، وأحد عشر شهراً ، واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر بن الخطاب . وعلى رأس خمس وعشرين سنة من متوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الواقدي رحمه الله : قُتِلَ يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلت من ذي الحجة يوم التروية . وقد قيل : إنه قتل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة .

روى هذه الأقوال كلها أبو عمر بن عبد البر .

واختلِف في مدة الحصار . فقال الواقدي : حاصروه تسعة وأربعين يوما . وقال الزبير بن بكار : حاصروه شهرين وعشرين يوما ، وقيل غير ذلك .

وقد تقدّم أنّه رضى الله عنه صلى بالناس بعد أن نزلوا به ثلاثين يوما ، ثم منعه الصلاة ، وصلى بالناس أميرهم الغافقي .

وقد قيل : إنه لما منع عثمان الصلاة جاء سعد القرظ وهو المؤذن إلى علي بن أبي طالب ، فقال : من يصلي بالناس ؟ فقال : خالد بن زيد ، وهو أبو أيوب الأنصاري ، فصلّى أياما ، ثم صلى على بعد ذلك بالناس .

وقيل : بل أمر على سهل بن حنيف فصلّى بالناس من أول ذي الحجة إلى يوم العيد ، ثم صلى على بالناس العيد ، وصلى بهم حتى قتل عثمان . والله أعلم .

حكى أبو عمر بن عبد البر في مَقَاتِلِ عثمان ، قال : كان (١) أول من دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر ، فأخذ بلحيته فقال : دَعَهَا يا بن أخي ، فوالله لقد كان أبوك يُكْرِمُهَا ، فاستَحْيَا وخرج ، ثم دَخَلَ عليه رومان بن سُرحان ، رجلٌ أزرق قصير مجذور ، عِدَادُهُ في مُراد ، وهو من ذى أَصْبَحَ ، معه خِنْجَرٌ ، فاستقبله به ، وقال : على على آي دين أنت يانعثل ؟ فقال : لستُ بنعثل ولكني عثمان ابن عفان ، وأنا على ملّة إبراهيم حنيفا مُسلما وما أنا من المشركين . قال : كذبت ، وضربته على صُدْغِهِ فقتله ، فخرّ ، فأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها ، وكانت امرأة جسيمة .

ودخل رجلٌ من أهل مصرَ معه السَّيفُ مصلتا فقال: والله لا قطعنُ
أنفَكَ ، فعالَجَ المرأةَ فكشفتُ عن ذِراعَيْها ، وقبضتُ على السَّيفِ
فقطَعُ إِبْهَامَها ، فقالت للغلامِ لعثمانُ يُقالُ له رَباحٌ ، ومعه سَيفٌ
عثمانُ : أعنني على هذا ، وأخرجه ، فضرَبَه الغلامُ بالسَّيفِ فقتله .

قال : وأقام عثمانُ يومَه ذلك مطروحا إلى اللَّيْلِ ، فحملة رجالٌ
على بابٍ لِيَذْفِنُوهُ ، فعرضَ لهم ناسٌ لِيَمْنَعُوهم من دَفْنِهِ ، فوجدوا
قبرا قد حُفِرَ لغيره فدَفَنُوهُ فيه ، وصلى عليه جُبَيْرُ بْنُ مُطِمْ .

وقال محمدُ بْنُ طَلْحَةَ : حَدَّثَنِي كَنَانَةُ مَوْلَى صَفِيَةِ بِنْتِ حُيَّيْ بْنِ
أَخْطَبَ ، فقال : شهدتُ مقتلَ عثمان ، فخرج من الدارِ أمامي أربعة من
شباب قريش مضرَجين بالدمِّ ، محمولين ، كانوا يَدُوْدُونَ عن عثمانَ
وهم الحسنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وعبدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، ومحمدُ بْنُ حَاطِبٍ ، ومروانُ
ابنُ الحَكَمِ .

قال محمدُ بْنُ طَلْحَةَ : فقلتُ له : هل نَدَى محمدُ بْنُ أَبِي بكرٍ بشيءٍ
من دَمِهِ ؟ فقال : مَعَاذَ اللَّهِ ، دخل عليه فقال له عثمانُ : يا ابنَ أخي
لستَ بصاحِبِي ، وكَلَّمَهُ كلاما فخرَجَ ، ولم يندُ بشيءٍ من دَمِهِ .

قال : فقلتُ لكنانةَ : مَنْ قَتَلَهُ ؟ قال : رجلٌ من أهلِ مصرَ ، يقالُ
له : جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْهَمِ ، ثم طاف بالمدينةِ ثلاثا يقول : أنا قاتِلُ نَعِثَلٍ .
ورَوَى أَبُو عُمَرَ أَيضا بسنده إلى مالكِ بْنِ أَنَسٍ ، قال (١) :

لَمَّا قُتِلَ عثمانُ أَلْقِيَ على المِزْبَلَةِ ثلاثةَ أَيَّامٍ ، فلَمَّا كان في اللَّيْلِ أتاه
اثنا عشر رجلا ، منهم حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى وحكيمُ بْنُ حِزَامٍ ،

وعبد الله بن الزبير ، وجُدِّي بن مالك بن أبي عامر ، فاحتملوه ، فلما صاروا به إلى المقبرة ليدفِنُوهُ ناداهم قومٌ من بني مازن : والله لئن دفنتموه هاهنا ، لنخبرنَّ النَّاسَ غداً ، فاحتملوه ، وكان على باب ، وإنَّ رأسَهُ كان على الباب يقول : طَقَّ طَقَّ حَتَّى صَارُوا بِهِ إِلَى حَشٍّ كَوَكَبٍ ^(١) فاحتفروا له ، وكانت عائشة بنتُ عثمان معها مصباح في حَقٍّ ^(٢) ، فلما أخرجوه ليدفِنُوهُ صاحَتْ ، فقال لها ابنُ الزبير : والله لئن لم تسكني لأضربنَّ الذي فيه عيناك ، فسكنتُ ، فدفن .

قال مالك : وكان عثمان يمرُّ بحشٍّ كَوَكَبٍ فيقول : إِنَّهُ سَيُدفَنُ هاهنا رجل صالح . ^(٣)

وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : أرادوا أَنْ يُصَلُّوا على عثمان رضي الله عنه فمنعوه ، فقال أبو جهم بن حذيفة : دعوه ، فقد صلى عليه الله ورسوله .

وقد قيل : إِنَّ عَلَى بَنِي طَالِبٍ ، وَطَلْحَةَ ، وَالزُّبَيْرَ ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَكَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ، وَعَامِرَ بْنَ نَمِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ شَهِدُوا جَنَازَتَهُ .

وقيل : إِنَّهُ كُفِّنَ فِي ثِيَابِهِ وَلَمْ يُغْسَل . ^{جُزْءٌ} **مَعِينُ التَّارِيخِ**
لأهل التَّارِيخِ واختُلِفَ فِي سَنَةِ يَوْمِ قُتِلَ .

فقال ابنُ اسحاق : قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً . وقال غيره : قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ، وقيل : تسعين .
وقال قتادة : قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

(١) حش كوكب : مكان خارج البقيع .

(٢) الاستيماب : في جرة .

(٣) الاستيماب ١٠٤٨

وقال الواقدي : لا خلافَ عندنا أنه قُتِلَ ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وهو قولُ أبي اليقظان .

وَدُفِنَ لَيْلًا بموضع يقال له : حَشَّ كَوْكَب ، وكوكب رجلٌ من الأنصارِ (الحَشَّ : البستان) ، كان عثمانُ قد اشتراه وزاده في البقيع ، وهو أولُ من قُبِرَ فيه .

قال : وقد قيل : إنه صَلَّى عليه عمرو بن عثمان ابنه ، وقيل : بل صَلَّى عليه حكيمُ بنُ حِزام ، وقال : بل صَلَّى عليه المسورُ بنُ مُخرمة . وقيل : بل جُبَيْرُ بنُ مُطْعِم . وقيل : بل مروانُ بنُ الحَكَم ، وقيل : كانوا خمسةً أو ستةً وهم : جُبَيْرُ بنُ مُطْعِم ، وحكيمُ بنُ حِزام ، وأبو جهم ابنُ حذيفة ، ونيارُ بنُ مُكرم ، وزوجتاه نائلة وأُمُ البنين بنتُ عُيَيْنَةَ . ونزلَ قَبْرُهُ دينارٌ ، وأبو جهم ، وجُبَيْرُ ، وكان حكيمُ ونائلةُ وأُمُ البنين يُدْلُونَهُ ، فلَمَّا دَفَنُوهُ غَيَّبُوا قَبْرَهُ .

ورَوَى أَبُو الفَرَجِ الاصفهاني بسندٍ رفعه إلى نائلةَ بنتِ الفَرافِصة : كتبتُ^(١) إلى معاويةَ ، وبعثتُ بقميصِ عثمانَ رضي الله عنه مع النعمانِ بنِ بَشِيرٍ وعبدِ الرحمنِ بنِ حاطبٍ بن أبي بلتعة :

من نائلةَ بنتِ الفَراقِصة ، إلى معاوية بن أبي سُفيان :

أما بعدُ ، فَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ ، وَعَلَّمَكُمْ الْإِسْلَامَ وَهَدَاكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَنْقَذَكُمْ مِنْ غَوَايَةِ الْكُفْرِ^(٢) ، وَنَصَرَكُمْ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَسَبَغَ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةَ ، فَأَنْشِدْكُمْ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَذْكُرْكُمْ حَقَّهُ

(١) الأغاني ١٦ : ٢٢٤ وما بعدها .

(٢) الأغاني : « من الكفر » .

وحق خليفته أَنْ تَنْصُرُوهُ بعزيمة الله عليكم ، فإنه قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .

وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ، ولو لم يكن له عليكم [حق] ^(١) إلا حقُ الولاية ثم أتى عليه بما أتى لحق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره لقدمه في الإسلام ، وحسن بلائه ؛ فإنه أجاب داعي الله ، وصدق كتابه ورسوله ، والله أعلم به إذا انتجبه ، فأعطاه شرف الدنيا ، وشرف الآخرة .

وإني أقصُّ عليكم خبره ، لأنني مُشاهدةُ أمره كله حتى أفضى إليه .

إن أهل المدينة حصروه في داره يحرسونه ليلاً ونهارهم ، قياماً على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعه الماء يُحضرونه الأذى ، ويقولون له الإفك . فمكث هو ومن معه خمسين ليلةً ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر ، وكان على مع المُحرِّضين ^(٢) للمصريين في أهل المدينة ، ولم يُقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به ، فظلت تُقاتل خزاعة ، وبكر ، وسعد بن بكر ، وهذيل ، وطوائف من مزينة ، وجهينة ، ^(٣) وأنباط . يثرب ، ولا أرى سائرهم ، ولكني قد سميت الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره ، ثم إنه رمى بالنبل والحجارة ، فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر ، فأتوه

(١) من ص والأغاني .

(٢) ك : « المصريين » تصحيف ، صوابه في ص والأغاني .

(٣) ك : « هجين » تصحيف .

يَصْرُخُونَ إِلَيْهِ لِيَأْذَنَ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ ، فَنَهَاهُمْ عَنْهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرُدُّوا
إِلَيْهِمْ نَبْلَهُمْ فَرَدُّوهُمَا إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ عَلَى الْقِتَالِ إِلَّا جُرْأَةً فِي
الْأَمْرِ وَإِعْرَاقًا ، ثُمَّ أَحْرَقُوا بَابَ الدَّارِ .

فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَالُوا : إِنَّ فِي الْمَسْجِدِ نَاسًا يُرِيدُونَ أَنْ
يَأْخُذُوا أَمْرَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ ، فَاخْرُجْ إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى يَأْتُوكَ ، فَاَنْطَلِقْ ،
وَقَدْ كَانَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَامَتِهِمُ السَّلَاحَ ، فَلَبَسَ دِرْعَهُ ، وَقَالَ
لَأَصْحَابِهِ : لَوْلَا أَنْتُمْ مَا لَبَسْتُ دِرْعًا ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، فَكَلَّمَهُمُ
الزَّبِيرُ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي صَحِيفَةٍ : بَعَثَ بِهَا إِلَى عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : إِنَّ عَلَيْكُمْ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَلَّا تَعْرُوهُ بَشْيءً ، فَكَلَّمُوهُ وَتَحَرَّجُوا ،
فَوَضَعَ السَّلَاحَ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا وَضَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ يَقْدُمُهُمْ ابْنُ
أَبِي بَكْرٍ ، حَتَّى أَخَذُوهُ بِلَحْيَتِهِ وَدَعَوْهُ بِاللَّقَبِ ، فَقَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ
وْخَلِيفَتُهُ ، فَضْرِبُوهُ فِي رَأْسِهِ ثَلَاثَ ضَرْبَاتٍ ، وَطَعْنُوهُ فِي صَدْرِهِ ثَلَاثَ
طَعْنَاتٍ ، وَضْرِبُوهُ عَلَى مُقَدِّمِ الْجَبِينِ فَوْقَ الْأَنْفِ ضَرْبَةً أَسْرَعَتْ
فِي الْعَظْمِ ، فَسَقَطَتْ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَثَخَنُوهُ وَبِهِ حَيَاةٌ ، وَهُمْ يُرِيدُونَ
قَطْعَ رَأْسِهِ لِيَذْهَبُوا بِهِ ، فَاتَّتْنِي بِنْتُ شَيْبَةَ بِنْتُ رَبِيعَةَ ، فَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا
مَعِيَ عَلَيْهِ ، فَوُطِّئْنَا وَطْأًا شَدِيدًا وَغُرِّبَا مِنْ ثِيَابِنَا ، وَحَزَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَعْظَمَ ، فَفَقَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيْتِهِ ، وَعَلَى فِرَاشِهِ .

وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ بِشَوْبِهِ ، وَعَلَيْهِ دَمُهُ : وَإِنَّهُ وَاللَّهُ لَشَنْ كَانَ أَثِمٌ
مَنْ قَتَلَهُ لَا يَسْلَمُ مَنْ خَذَلَهُ ، فَانْظُرُوا أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
فَإِنَّا نَشْتَكِي مَا مَسَّنَا إِلَيْهِ ، وَنَسْتَنْفِرُ وَلِيَّهُ ، وَصَالِحَ عِبَادِهِ . وَرَحْمَةُ

الله على عثمان ، ولَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَهُ ، وصَرَعَهُمْ في الدنيا والآخرة مصارعَ الخزيِ والمَذَلَّةِ ، وَشَفَى مِنْهُمْ الصَّدُورَ .

فحلف رجالٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْأَبْطُثَا النساءَ حَتَّى يَقْتُلُوا قَتْلَةَ عثمان ، أو تَذْهَبَ أَرَاوَحُهُمْ . وكان أَمْرُهُمْ في القتالِ مَانْذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما ، قاله ابنُ إسحاق . وقال غيره : إِلَّا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ . وقيل : إِلَّا سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا .

رَوَى عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ادْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي ، فَقُلْتُ : أَبُو بَكْرٍ؟ ، قَالَ لَا ، فَقُلْتُ : عُمَرُ؟ قَالَ : لَا ، فَقُلْتُ : ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ قَالَ : لَا ، فَقُلْتُ : عثمان؟ قَالَ : نَعَمْ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ لِي بِيَدِهِ (١) فَتَنْحَيْتُ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَارِدُ وَلَوْ أَنَّ عثمانَ مَتَغَيَّرَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَخُصِرَ ، قِيلَ لَهُ : أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ إِلَىَّ عَهْدًا ، وَأَنَا صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ .

وعن موسى بن طلحة ، قال : أَتَيْنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِنَسْأَلَهَا عَنْ عثمان فَقَالَتْ : اجْلِسُوا أُحَدِّثْكُمْ عَمَّا جِئْتُمْ لَهُ : إِنَّا عَتَبْنَا عَلَى عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي ثَلَاثٍ خِلَالَ - وَلَمْ تَذْكُرْهُنَّ - فَعَمَدُوا إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا مَاصُوه كَمَا يُمَاصُّ الثُّوبُ اقْتَحَمُوا عَلَيْهِ الْفِقْرَ الثَّلَاثَةَ : حَرَمَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَحَرَمَةَ الْخِلَافَةِ ؛ وَلَقَدْ قَتَلُوهُ ، وَإِنَّهُ لَمَنْ أَوْصَلَهُمْ لِلرَّحْمِ وَأَتَقَاهُمْ لِرَبِّهِ .

وعن أبي جعفر الأنصاري قال : دخلتُ مع المصريين على عثمان ،
فلما ضربوه خرجتُ أشتد ، حتى ملأتُ فروجي عدواً ، حتى دخلتُ
المسجد ؛ فإذا رجلٌ جالسٌ في نحوِ عشرة ، عليه عمامةٌ سوداء ،
فقال : ويحك ! ما وراءك ؟ قال : قلتُ : قد والله فرغ من الرجلِ ،
قال : تباً لكم آخر الدهر ! فنظرتُ ، فإذا هو على رضى الله عنه .

وروى عن مبارك بن فضالة قال : سمعت الحسن يقول : سمعتُ
عثمانَ يخطبُ يقول : يا أيُّها الناس ، ماتنقِمون على ، وما من يومٍ
إلا وأنتم تنقسمون فيه خيراً !

قال الحسن : وسمعتُ مُنادياً يُنادي : يا أيُّها الناس ، اغدوا على
أعطيائكم ، فيغدون فيأخذونها وافرة ، حتى والله سمعته يقول :
اغدوا على كُسوتكم ، فيأخذون الحُلل ، واغدوا على السمن والعسل .

قال الحسن : أرزاقُ داره ، وخيرٌ كثير ، ما على الأرض مؤمنٌ
يخاف مؤمناً إلا يؤده وينصره ، فلو صبرَ الأنصارُ على الأثرة لوَسعهم
ما كانوا فيه من العطاء والأرزاق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلَّوا السيوفَ
مع مَنْ سلَّ ، فصار عن الكفار مُغمدًا ، وعلى المسلمين مَسلولًا إلى يوم
القيامة .

وعن محمد بن سيرين ، قال : كثر المالُ في زمن عثمان حتى بيعت
جاريةٌ بوزنِها ، وفرسٌ بمائة ألفِ درهم ، ونخلةٌ بألفِ درهم .
وقد ذكر بعض من أرخ أسباباً كثيرة : جعلها من أقدم على قتلي
عثمانَ ذريعةً له ، وتمسك بها ، أغضبتنا عن ذكرها ، وهو رضى الله عنه
مبرراً من كلِّ سوء ونقص ، فلنذكرُ خلافَ ذلك .

ذكر أزواج عثمان وأولاده

تزوج رضى الله عنه رُقِيَّة ، وأمَّ كُلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت له رُقِيَّة عبد الله ، هلك . وتزوج فاختة بنت غزوان ، فولدت له رُقِيَّة عبد الله الأصغر . وتزوج أم عمرو بنت جندب الدؤسية ، فولدت له عمراً ، وخالداً ، وأباناً ، وعمر ، ومريم ، وتزوج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية ، ولدت له الوليد ، وسعيداً ، وأم سعيد ، وتزوج أم البنين بنت عُيَيْنَة بن حصن الفزاريّة ، فولدت له عبد الملك ، هلك . وتزوج رَمْلَة بنت نسيبة بن ربيعة ، ولدت له عائشة وأمَّ أبان ، وأمَّ عمرو ، وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية .

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني في سبب زواج عثمان نائلة سنداً رفعه إلى خالد بن سعيد ، عن أبيه ، قال : تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة حينئذ بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، فبلغ ذلك عثمان ، فكتب إليه : قد بلغني أنك تزوجت امرأة ، فكتب إلى نسبها وجمالها ، فكتب إليه : أما بعد ، فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص ، وجمالها أنها بيضاء مديدة .

فكتب إليه : إن كان لها أخت فزوجنيها ، فكتب سعيد ، وبعث إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان رضى الله عنه ، فأمر الفرافصة ابنه ضباً فزوجها إياه ، وكان ضباً مسلماً ، والفرافصة

نصرانيا ، فلما أرادوا حملها ، قال لها أبوها : يا بنتي إنك تقدمين على نساء من نساء قريش ، هن أقدرُ على الطيب منك ، فاحفظي عني خصلتين : تكحلي وتطيبي بالماء حتى تكون ريحك ريح من أصابه مطر .

فلما قدمت على عثمان قعد على سريرته ، ووضع لها سريرا حياله ، فجلست عليه ، فوضع عثمان قلنسوته فبدأ الصلح ، فقال : يا بنت القرافصة ، لا يهولنك ما ترين من صلعي ، فإن وراءه ما تحبين ، وقال : إما أن تقومي إلى ، وإما أن أقوم إليك . فقالت : أما ما ذكرت من الصلح فإنني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلح ، وأما قولك : إما أن تقومي إلى ، وإما أن أقوم إليك ، فوالله ما تجشمت من جنات السماوة أبعد مما بيني وبينك ، بل أقوم إليك . فقامت فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ودعا لها بالبركة ، ثم قال لها : اطرحي عنك ردائك ، فطرحته ، ثم قال لها : خمارك ، فطرحته ، ثم قال لها : انزعى درعك . فنزعته ، ثم قال لها : حلي لإزارك . فقالت : ذا إليك ، فحل لإزارها ، وكانت من أحظى نسائه عنده (١) . ولدت له مريم . وقيل : ولدت له أم البنين بنت عيينة عبد الملك ، وعشمة (٢) وولدت له نائلة عنبسة ، وكان لها منها أيضا ابنة تدعى أم المؤمنين وأم البنين ، كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان . وقتل عثمان وعنده رملة بنت شيبه ، ونائلة وأم البنين ، وفاخته ، غير أنه طلق أم البنين وهو محصور .

فهؤلاء أزواجه في الجاهلية والإسلام ، وأولاده رضي الله تعالى عنه .

كتابه وقضاته وحجابه وأصحاب شرطته

كاتبه مروان بن الحكم ، وقاضيه كعب بن سور ، وحاجبه عمران ، مولاه ، وصاحب شرطته عبد الله بن قنفذ التميمي ، وهو أول من اتخذ صاحب شرطته ، وكان على الديوان وبيت المال زيد بن ثابت . والله تعالى أعلم بالصواب ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

ذكر عماله على الأمصار في سنة مقتله

كان عماله في هذه السنة على مكة عبد الله بن الحضرمي ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي ، وعلى صنعاء يعلى بن مئبة ، وعلى الجند عبد الله بن ربيعة ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وكان قد خرج منها ولم يؤكل عثمان عليها أحدا ، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري ، وعلى الصلاة ، وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزني وسماك الأنصاري ، وعلى حربها القعقاع بن عمرو ، وعلى قرقيسيا جرير ابن عبد الله ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس الكندي ، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس ، وعلى ماه مالك بن حبيب ، وعلى همدان النسير ، وعلى الرى وأصفهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماسبذان حبش ، وعلى بيت المال عتبة بن عمرو ^(١) ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان . ولماوية عمال وهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على حمص ، وحبيب بن مسلمة الفهري على قنسرين ، وأبو الأعور السلمي على الأزد ، وعلقمة بن حكيم الكِنَاني على فلسطين وعبد

الله بن قيس الفزاري على البحر ، وكان عامل عثمان على مصر
عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم سار إلى عثمان في رجب سنة
خمس وثلاثين ، واستخلف عنه بمصر عقبة بن عامر ، فقام محمد
ابن أبي حذيفة في شوال ، وأخرج عقبة ، وتأمر بمصر ، وعاد عبد الله
ابن سعد فلم يملكه : فتوجه إلى عسقلان ، ومات بها .

وكان القاضي بمصر عمار بن قيس بن أبي العاص ، ثم مات بعد
مقتل عثمان فلم يكن بمصر قاض إلى أيام معاوية بن أبي سفيان رضي
الله تعالى عنهم . والله تعالى أعلم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

ذكر شيء مما رثى به عثمان من الشعر

ولما قُتِلَ رضى الله عنه رثاه جماعة ، منهم : حسانُ بنُ ثابت وغيره
فكان مما قال حسانُ بنُ ثابت :

إِنْ تُمَسِّ دَارُ ابْنِ أَرْوَى الْيَوْمَ خَالِيَةً بَابُ صَرِيحٍ وَبَابُ مُعْخَرَقٍ خَرِبٌ^(١)
فَقَدْ يُصَادِفُ بَاغِيَّ الْخَيْرِ حَاجَتَهُ فِيهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْجُودُ وَالْحَسَبُ

وقال أيضًا مما رثاه به في أبياتٍ أخرى :

مَنْ سَرَّهُ الْمَوْتُ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ فَلَیَاتِ مَادُّبَةً فِي دَارِ عُثْمَانَ^(٢)
ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا
صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرُ فِي الْمَكْرُوهِ أَجْيَانًا
لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكَا فِي دِيَارِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ وَاثَارَاتِ عُثْمَانَ

وقد قيل : إِنَّ الْبَيْتَ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ : « ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ »

ليس له ، وقال بعضهم : هو لِعِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ

وقال أَبُو عُمَرَ : وَقَدْ زَادَ أَهْلُ الشَّامِ فِيهَا أَبْيَاتًا لَمْ أَرْ لِدِكْرِهَا وَجْهًا^(٣)

قال ابن الأثير^(٤) : يَعْنِي مَا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وهو :

(١) ديوانه ٢٢ .

(٢) ديوانه ٤٠٩ .

(٣) الاستيعاب ١٠٤٩ .

(٤) الكامل ٣ : ٩٧، ٩٦ .

باليّت شعري وليّت الطير تُخبرني ما كان شأن عليّ وابن عفّانا (١)
وقال أيضا :

قتلتهم وليّ الله في جوف داره وجثتم بأمرٍ جائرٍ غير مهتدٍ (٢)
فلا ظفرت أيمان قومٍ تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد
وقال كعب بن مالك :

بالرجال لأمرٍ هاج لي حزنا لقد عجبت لمن يبكي على الدمن (٣)
إني رأيت قتيلا لله مضطهدا عثمان يهدى إلى الأحداث في كفّن
ياقاتل الله قوماً كان أمرهم قتل الإمام الذكيّ الطيب الرّؤن
لم يقتلوه على ذنب ألمّ به إلا الذي نطقوا زورا ولم يكن
وقال أيضا - ونسبت لحسان وقيل : للوليد بن عُقبه ، والله
تعالى أعلم

وكفّ يديه ثم أغلق بابه وأيقن أنّ الله ليس بغافل (٤)
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن ذنب امرئٍ لم يُقاتل
فكيف رأيت الله ألقى عليهم أدا وكيف رأيت الخير أدبر بعهده
وقال حميد بن ثور الهلالي :

إنّ الخلافة لما أظعنّت ظعنّت من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا (٥)

(١) ابن الأثير ٣ : ٩٦ .

(٢) ديوانه ١٠٣ .

(٣) ديوانه ٢٨٢ .

(٤) الاستيعاب ١٠٥ .

(٥) ديوانه ١١٤ .

صارت إلى أهلها منهم ووارثها لَمَّا رَأَى اللهُ فِي عِثْمَانَ مَا ابْتَهَكُوا
وَقَالَ قَاسِمُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

لَعَمْرِي لِبِئْسِ الذَّبْحُ ضَحِيَّتُمْ بِهِ وَخُنْتُمْ رَسُولَ اللهِ فِي قَتْلِ صَاحِبِهِ ^(١)
وَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ بَنَ الْعَوَامِ :

أَعْطَشْتُمْ عِثْمَانَ فِي جَوْفِ دَارِهِ
شَرِبْتُمْ كَثْرَبِ الْهَيْمِ شَرْبَ حَيْمٍ ^(٢)

وَكَيْفَ بَنَّا أَمْ كَيْفَ بِالنَّوْمِ بَعْدَمَا أُصِيبَ ابْنُ أَرْوَى وَابْنُ أُمِّ حَكِيمٍ
وَقَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ :

قُتِلَ ابْنُ عَفَّانِ الْإِمَا مُ وَضَاعَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ ^(٣)
وَتَشَتَّتَتْ سُبُلُ الرِّشَا لِصَادِرِينَ وَوَارِدِينَ
فَانْهَضَ مُعَاوِيَ نَهْضَةً تَشْفِي بِهَا الدَّاءَ الدَّفِينَا
أَنْتَ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ تُدْعَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَقَالَ أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ ^(٤) :

ضَحَّوْا بِعِثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ضَحًى فَأَيَّ ذَبْحٍ حَرَامٍ وَيَلَهُمْ ذَبَحُوا
وَأَيَّ سُنَّةٍ كَفَرٍ سَنَّ أَوْلَهُمْ وَبَابُ شَرٍّ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا
مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللهُ سَبِيلَهُمْ بِسَفْكِ ذَاكَ الدِّمِ الذَّاكِي الَّذِي سَفَحُوا
وَرِثَاهُ غَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَوْ ذَكَرْنَا شَعْرَهُمْ لَأَبْسَطَ بِهِ الْخَبِيرُ .

(١) الاستيعاب ١٠٥١ ونسبه إلى القاسم بن أمية بن أبي الصلت .

(٢) الاستيعاب ١٠٥١ .

(٣) الاستيعاب ١٠٥١ ، وفيه : أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ .

(٤) الاستيعاب ١٠٥١ .

جزء معين التاريخ لأهل التاريخ

تم الجزء التاسع عشر من كتاب نهاية الأرب ويليها الجزء
العشرون وأوله أخبار علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

فهرس

الجزء التاسع عشر

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

صفحة

٧	الباب الثاني من القسم الخامس فى أخبار الخلفاء الراشدين : أبى بكر وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعى بن أبى طالب وابنه الحسن
٨	ذكر خلافة أبى بكر الصديق
١٠	ذكر نبذة من فضائله ومآثره فى الجاهلية والاسلام
٢٤	ذكر صفته
٢٤	ذكر ما ورد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه على أمته من بعده
٢٩	ذكر بيعته وخبر يوم السقيفة وما وقع بين المهاجرين والأنصار من التزاجع فى الامارة
٤٢	ذكر ما تكلم به بعد بيعته وما قاله عمر بن الخطاب بعد البيعة الأولى وقبل البيعة الثانية
٤٦	ذكر انفاذ جيش أسامة
٤٩	ذكر أخبار من ادعى النبوة من الكذابين وما كان من أمرهم وتجهيز أبى بكر الجيوش اليهم والى من ارتد من قبائل العرب
٦١	ذكر غزوة أبى بكر وقتاله أهل الردة وعبس وذبيان
٦٤	ذكر عقد أبى بكر الألوية وتجهيزه الجيوش لقتال أهل الردة وما كاتب به من ارتد
٦٩	ذكر خبر طليحة الأسدي وما كان من أمره وأمر من اتبعه من قبائل العرب
٧٥	ذكر خبر تميم وأمر سجاح ابنة الحارث بن سويد
٨٢	ذكر مسير خالد الى البطاح ومقتل مالك بن نويرة
٨٥	ذكر خبر مسينة الكذاب وقومه من أهل اليمامة
٨٩	ذكر الحروب الكائنة بين المسلمين وبين أهل اليمامة وقتل مسيلمة
٩٧	ذكر خبر ثابت بن قيس بن شماس فى مقتله
٩٨	ذكر أهل البحرين ومن ارتد منهم وانضمم الى الحظم وما كان من أمرهم

صفحة

١٠٦	ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق وما افتتحه وما صالح عليه وما قرره من الجزية
١٠٨	ذكر وقعة الثني
١٠٩	ذكر وقعة الولجة
١٠٩	ذكر وقعة أليس
١١١	ذكر وقعة فرات بادقلى وفتح الحيرة
١١٢	ذكر ماكان بعد فتح الحيرة
١١٢	ذكر فتح الأنبار
١١٣	ذكر فتح عين التمر
١١٤	ذكر خبر دومة الجندل
١١٥	وقعة مصيخ
١١٥	وقعة الثني والزميل
١١٦	ذكر وقعة الفراض
١١٦	ذكر فتوح الشام
	ذكر مسير خالد بن الوليد الى الشام وما فعل فى مسيره الى أن
١١٨	التقى بجنود المسلمين بالشام
١٢٠	ذكر وقعة أجنادين
١٢١	ذكر وقعة اليرموك
١٢٦	ذكر ماوقع فى خلافة أبى بكر غير ما تقدم
١٢٦	سنة احدى عشرة
١٢٧	سنة اثنتى عشرة
١٢٨	ذكر وفاة أبى بكر الصديق ومدة خلافته
١٣٠	ذكر نبذة من أخباره وأحواله ومناقبه غير ما تقدم
١٣٥	ذكر أولاده وأزواجه
١٤٤	ذكر أسماء قضاته وعماله وكتابه وحاجبه وخادمه
١٤٦	خلافة عمر بن الخطاب
١٤٨	ذكر نبذة من فضائله ومناقبه
١٥٠	ذكر صفته
١٥٤	ذكر الفتوحات والغزوات فى خلافته
١٥٥	ذكر فتوح مدينة دمشق
١٥٧	ذكر شىء مما قيل فى أمر مدينة دمشق ومن بناها

صفحة

١٥٩	ذكر غزوة فحل
١٦٠	ذكر فتح بلاد ساحل دمشق
١٦١	ذكر فتح بيسان وطبرية
١٦١	ذكر الوقعة بمرج الروم
	ذكر فتح بعلبك وحمص وحماة وشيزر ومعرة النعمان وسلمية
١٦٢	واللاذقية وأنطرسوس
١٦٤	ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطينية
١٦٥	ذكر فتح حلب وأنطاكية وغيرها من العواصم
١٦٨	ذكر فتح قيسارية وحصن غزة
١٦٩	ذكر بيسان ووقعة أجنادين وفتح غزة وبسطة ونابلس وتبني
١٧١	ذكر فتح بيت المقدس وهو ايلياء
١٧٣	ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين
١٧٥	ذكر فتح الجزيرة وأرمينية
١٧٩	ذكر فتوح العراقيين وما والاها من بلاد فارس وغيرها
١٨٠	ذكر وقعة النمارق
١٨١	ذكر وقعة السقاطية بكسكر
١٨٢	ذكر وقعة الجالينوس
١٨٢	ذكر وقعة قس الناطف (ويقال لها وقعة الجسر)
١٨٥	ذكر وقعة أليس الصغرى
١٨٥	ذكر وقعة البويب
١٨٧	ذكر خبر سوقى الحفانس وبغداد
١٨٩	ذكر خبر القادسية وأيامها
٢٠٣	ذكر يوم أرماث
٢٠٧	ذكر يوم أغواث
٢١١	ذكر يوم عماس (وهو اليوم الثالث)
٢١٣	ذكر ليلة الهرب
٢١٤	ذكر يوم القادسية وقتل رستم وهزيمة الفرس
٢١٩	ذكر ماكان بعد القادسية من الحروب والأيام
٢٢١	ذكر خبر بهرسير وهى المدينة الغربية
٢٢٢	ذكر فتح المدائن الغربية وهى بهرسير
٢٢٤	ذكر فتح المدائن الشرقية التى فيها ايوان كسرى

صفحة

٢٢٧	ذكر ما جمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها
٢٣٠	ذكر وقعة جلولا وفتح حلوان
٢٣٤	ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة وفتح الأبله
٢٣٦	ذكر فتح تكريت والموصل
٢٣٨	ذكر فتح ماسبذان
٢٣٨	ذكر فتح قرقيسيا
٢٣٩	ذكر فتح الأهواز ومناذر ونهر تيرى
٢٤١	ذكر صلح الهرمزان وأهل تستر مع المسلمين
٢٤٢	ذكر فتح رامهرمز
٢٤٦	ذكر فتح السوس
٢٤٧	ذكر مصالحة جنديسابور
٢٤٨	ذكر انسحاق الجيوش الاسلامية في بلاد الفرس
٢٤٩	ذكر غزو فارس من البحرين
٢٥٠	ذكر وقعة نهاوند وفتحها
٢٦٠	ذكر فتح دينور والصيمرة وغيرهما
٢٦٠	ذكر فتح همذان والماعين وغيرهما
٢٦٢	ذكر فتح أصبهان وقم وقاشان
٢٦٣	ذكر فتح قزوین وأبيروزنجان
٢٦٤	ذكر فتح الري
٢٦٥	ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان
٢٦٦	ذكر فتح أذربيجان
٢٦٨	ذكر فتح الباب
٢٦٩	ذكر فتح موقان
٢٦٩	ذكر غزو اترك
٢٧١	ذكر غزو خراسان
٢٧٦	ذكر فتح شهرزور والصامغان
٢٧٦	ذكر فتح توج
	ذكر فتح اصطخر وجور وكازرون والنوبندجان ومدينة شيراز
٢٧٧	وأرجان وسينينير وجنابا والنوبندجان وجهرم
٢٧٨	ذكر فتح فسا ودراجرد
٢٧٩	ذكر فتح كرمان

صفحة

٢٨٠	ذكر فتح سجستان
٢٨٠	ذكر فتح مكران
٢٨١	ذكر فتح بيروذ من الأهواز
٢٨٢	ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد
٢٨٤	ذكر فتوح مصر وما والاها
٢٨٥	ذكر مسير عمرو بن العاص الى مصر
	ذكر حصار القصر وما قيل في كيفية الاستيلاء عليه وانتقال
٢٨٥	الروم والقبط الى الجزيرة
	ذكر ارسال المقوقس الى عمرو في طلب الصلح وجواب عمرو له
	واجتماع المقوقس وعبادة بن الصامت وما وقع بينهما
٢٩١	من الكلام وقبول المقوقس الجزية
	ذكر مسير عمرو لقتال الروم وما كان بينهم من الحروب الى أن
٣٠٢	فتحت الاسكندرية
	ذكر الفتح الثاني وما وجد بالاسكندرية وعمدة من ضربت
٣٠٧	عليه الجزية
٣١٠	ذكر من قال ان مصر فتحت عنوة
٣١١	ذكر أخبار الاسكندرية وبنائها وما اتفق في ذلك من الأعاجيب
	ذكر تحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط
٣١٩	واختطاطه
٣٢١	ذكر خبر أصل النيل وكيف كانت عادة القبط وابطال تلك العادة
٣٢٢	ذكر ما قرر في أمر الجزية والخراج
٣٢٤	ذكر خبر المقطم
٣٢٥	ذكر خبر خليج أمير المؤمنين
٣٢٩	ذكر الخبر من فتح الفيوم
٣٣٠	ذكر فتح زويلة وطرابلس الغرب وبرقة وحصن سبرة
٣٣٢	ذكر الغزوات الى أرض الروم
٣٣٣	ذكر ما اتفق في خلافة عمر بن الخطاب غير الفتوح والغزوات
٣٣٣	سنة ثلاث عشرة
٣٣٣	سنة أربع عشرة
٣٣٤	سنة خمس عشرة
٣٣٤	ذكر مرض العطاء وعمل الديوان
٣٣٨	سنة ست عشرة

صفحة

٣٣٩	سنة سبع عشرة
٣٣٩	ذكر بناء البصرة والكوفة
٣٤٢	ذكر عزل خالد بن الوليد
٣٤٥	ذكر بناء المسجد الحرام
٣٤٥	ذكر عزل المغيرة بن شعبة
٣٤٨	سنة ثمان عشرة
٣٤٨	ولاية كعب بن سور قضاء البصرة
٣٥١	ذكر القحط وعام الرمادة
٣٥٣	ذكر طاعون عمواس وتسمية من مات فيه
٣٦١	ذكر قدوم عمر الى الشام بعد الطاعون
٣٦٣	سنة تسع عشرة
٣٦٤	سنة عشرين
٣٦٦	ذكر اجلاء يهود خيبر منها
٣٦٦	سنة احدى وعشرين
	ذكر عزل سعد بن ابي وقاص عن الكوفة ومن ولى بعده
٣٦٨	فى هذه السنة
٣٧٠	سنة اثنيتين وعشرين
٣٧٠	سنة ثلاث وعشرين
٣٧١	ذكر خبر مقتل عمر بن الخطاب ومدة خلافته
٣٧٨	ذكر قصة الشورى
٣٩١	ذكر اولاد عمر بن الخطاب وأزواجه
٣٩٨	ذكر عمال عمر على الأمصار
٤٠٠	كتابه
٤٠٠	قضائه
٤٠٢	ذكر خلافة عثمان بن عفان
٤٠٣	ذكر صفته ونبذة من فضائله
٤٠٤	ذكر بيعته
٤٠٧	ذكر الفتوحات والغزوات فى خلافة عثمان
٤٠٧	ذكر خلاف أهل الاسكندرية
٤٠٧	ذكر غزو أرمينية وغيرها وما وقع من الصلح
٤١١	ذكر غزو معاوية الروم

صفحة

٤١١	ذكر فتوح كابل
٤١٢	ذكر غزو افريقية وفتحها
٤١٤	ذكر فتح جزيرة قبرس
٤١٧	ذكر نقض أهل فارس وغيرهم وفتح اصطخر ودرابجرد
٤١٨	ذكر غزو طبرستان
٤١٩	ذكر غزو الصواري
٤٢٠	ذكر مقتل يزديجرد آخر ملوك بني ساسان
٤٢١	ذكر فتح خراسان
٤٢٤	ذكر فتح كرمان
٤٢٥	ذكر فتح سجستان
٤٢٧	ذكر خروج قارن ببلاد خراسان وقتله
٤٢٩	ذكر ما وقع في خلافة عثمان غير الغزوات والفتوحات على حكم السنين
٤٢٩	سنة أربع وعشرين
٤٢٩	سنة خمس وعشرين
٤٣١	سنة ست وعشرين
٤٣١	سنة سبع وعشرين
٤٣٢	سنة ثمان وعشرين
	سنة تسع وعشرين
	ذكر عزل أبي موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن العاص عن عمان والبحرين واستعمال عبد الله بن عامر على ذلك
٤٣٤	ذكر الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٣٤	ذكر اتمام عثمان الصلاة وما تكلم الناس به في ذلك
٤٣٦	سنة ثلاثين
٤٣٦	ذكر عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاية سعيد بن العاص
٤٣٩	ذكر جمع القرآن
٤٤١	ذكر سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم
	ذكر خير أبي ذر الغفاري في اخراجه الى الربرة وما تكلم الناس به في ذلك ووفاة أبي ذر
٤٤٢	سنة احدى وثلاثين
٤٤٩	سنة اثنتين وثلاثين
٤٤٩	ذكر وفاة عبد الرحمن بن عوف وشي من أخباره ونسبه
٤٥٠	سنة ثلاث وثلاثين
٤٥٤	

صفحة

٤٥٤	ذكر خبر من سار من الكوفة الى الشام وما كان من أمرهم
٤٦٢	سنة أربع وثلاثين
٤٦٢	ذكر خبر يوم الجرعة وعزل سعيد وخروجه عن الكوفة واستعمال
٤٦٢	أبي موسى الأشعري
٤٦٥	ذكر ابتداء الخلاف على عثمان ومن ابتدأ بالجرأة عليه
٤٧٠	ذكر كلام على لعثمان وجوابه له
٤٧٤	ذكر ارسال عثمان الى الأمصار ليأتوه بأخبار عماله وما يقوله
٤٧٤	الناس فيهم
٤٧٩	سنة خمس وثلاثين
٤٨٥	ذكر خبر مقتل عثمان
٥٠٧	ذكر أزواجه وأولاده
٥٠٩	ذكر كتابه وحجابه وأصحاب شرطته
٥٠٩	ذكر عماله على الأمصار في سنة مقتله
٥١١	ذكر شيء مما رئي به عثمان من الشعر

المراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (مكتبة نهضة مصر)
تاريخ ابن الأثير (نشرة منير العشقي)
تاريخ الطبري (نشرة دار المعارف)
تاريخ المسعودي (نشرة المكتبة التجارية ١٩٤٨ م)
ديوان حاتم (طبع بيروت سنة ١٩٦٨ م)
ديوان حسان (نشرة المكتبة التجارية سنة ١٩٣٩ م)
ديوان الخطيب (مطبعة التقدم بالقاهرة)
ديوان حميد بن ثور (طبع دار الكتب)
السيرة الخليفة (طبع بولاق ١٢٩٢ هـ)
فتوح مصر لابن عبد الحكم (طبع أوروبا)
نهاية الأرب في فنون الأدب للتويري (طبع دار الكتب)

